القبائل والصراعات السياسية والقبلية

الإمارات - قطر - البحرين - المنطقة الشرقية

في تقارير الضباط والمعتمدين البريطانيين
القرنين الثامن عشر والتاسع عشر



ماجد شبر


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

القبائل والصراعات السياسية والقبلية

الإمارات ـ قطر ـ البحرين ـ المنطقة الشرقية

في تقارير الضباط والمعتمدين البريطانيين

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر



القبائل والصراعات السياسية والقبلية

الإمارات ـ قطر ـ البحرين ـ المنطقة الشرقية

في تقارير الضباط والمعتمدين البريطانيين

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

ماجد شبَّر

ترجم قسماً من نصوص الوثائق

صخر الحاج حسين



* الكتاب: **القبائل والصراعات السياسية والقبلية**
الإمارات - قطر - البحرين - المنطقة الشرقية
في تقارير الضباط والمعتمدين البريطانيين
القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.
* الكاتب: **ماجد شبّر.**
* ترجم قسماً من نصوص الوثائق: **صخر الحاج حسين**
* **الطبعة الأولى لشركة دار الوراق للنشر المحدودة: 2010 .**
* **الطبعة الثانية لشركة دار الوراق للنشر المحدودة: 2014 .**
* **جميع الحقوق محفوظة**
* تنفيذ الغلاف: **جبران مصطفى.**
* الناشر: **الوراق للنشر.**

WWW.alwarrakbooks.com
ISBN: 978 - 9933 - 493 - 677

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
26 Eastfields Road
London W3 0AD - UK
Fax: 0044 208-7232775
Tel: 0044 208-7232775
warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - بناية رسامني - طابق سفلي أول
ص. ب 113-6435 بيروت - لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

شركة بيت الورّاق
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي
تلفون: 0096447702749792
009647801347076

شركة دار الورّاق للنشر
بيروت - الحمرا - بناية رسامني
طابق سفلي
تلفون، 009611341927
فاكس، 009611750053

فهرس الموضوعات

القبائل والصراعات السياسية والقبلية
الإمارات وقطر والبحرين والمنطقة الشرقية
في تقارير الضباط والمعتمدين البريطانيين
في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

بقلم ماجد شُبّر

الوثائق

تعتبر وثائق الأرشيف البريطاني مصدراً مهماً من مصادر المعلومات التاريخية بشكل عام ومنطقة الخليج بشكل خاص وذلك لضعف التوثيق من قبل سكان تلك المنطقة مما جعلها مادة دسمة للباحثين والدارسين والمهتمين في شؤونها، حيث تحتوي تلك الوثائق على كم هائل من المعلومات التاريخية الاقتصادية والجغرافية والقبلية وكذلك عن العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية.

لقد دأبت المراكز البريطانية في منطقة الخليج على جمع المعلومات وتسجيل كل الأحداث التي كانت تدور بشكل شبه يومي من خلال المقيمين والوكلاء والمفوضين البريطانيين، حيث كانت تقوم تلك المراكز على جمع المعلومات التي يكتبها الضباط البريطانيون المعتمدون في المنطقة ومن ثم ترتيب وتلخيص تلك المعلومات وإرسالها إلى الحكومة البريطانية في الهند التي كانت مسؤولة عن منطقة الخليج.

يحتوي هذا الكتاب بشكل خاص على تقارير الضباط البريطانيين المتعلقة بالقبائل والصراعات والتي كان يرفعها هؤلاء الضباط إلى مرؤوسيهم وقد قمنا بترجمة قسم من هذه التقارير التي كتبها هؤلاء الضباط، - حيث لم يسبق حسب علمي ترجمة تقارير الضباط بشكل مفصل من قبل أي جهة-، ومن ثم ترتيبها حسب التسلسل الزمني، وكذلك تم إضافة بعض الفصول لكتاب دليل الخليج و التي لا تشكل إلا نسبة صغيرة من حجم الكتاب.

عن أهمية الوثائق البريطانية : يقول الأستاذ نجدة فتحي صفوة في كتابه الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ج 1،إن الوثائق بصورة عامة تعد من أهم المصادر في دراسة التاريخ ولعل أدق ما يوصف به التاريخ، باعتباره علماً، هو انه من «العلوم الوثائقية» أي العلوم التي تعتمد على ما خلفه الماضي من وثائق سواء كانت بقايا مادية أم مدونات تاريخية والوثائق بالتعبير الأكاديمي - من المصادر الأولية، فإن دراسة التاريخ والتفرقة بين المصادر الأولية والمصادر الثانوية دقيقة وأحياناً غير واضحة.

تعد مجموعات الوثائق البريطانية من أغنى المجموعات التي تحتفظ بها أي دولة من الدول وأسست بريطانيا وربما قبل غيرها من الأمم في ذلك - داراً لحفظ أوراق الدولة لترجع إليها. ويّعد(Public record office) من أكبر هذه المراكز لحفظ الوثائق وكذلك (Indian office) والتي تشكل هذه الوثائق المترجمة جزءاً يسيراً منها.

لماذا هذه الفترة الزمنية

يعدّ زمن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الأزمان الغزيرة بأحداثها التاريخية .

أولاً : ترسخ الوجود البريطاني في الخليج.

ثانياً :ظهور الحركة الوهابية وترسخها في المنطقة الجزيرة العربية وقيام إمارة السعودية الأولى .

ثالثاً : التدخل المصري في المنطقة، وسيطرة قوات محمد علي باشا على نجد والحجاز والمنطقة الشرقية .

هذه العوامل أدت إلى حدوث هجرات سكانية «قبلية» في المنطقة نتيجة تدخل القوى الفاعلة في الصراعات القبلية والسياسية ونتيجة لتلك الصراعات تشكل الشكل العام للدول الحديثة، لقد لعبت بعض القبائل الدور الأساس في تكوين المشيخات ثم أصبحت هذه المشيخات دولاً حديثة كما هو الحال في الكويت والبحرين وقطر والإمارات بل إن هذه الدول تأسست على ضوء هذه التكوينات القبلية.

تعاني المنطقة التي نحن بصدد البحث فيها عن شُحٍّ في المعلومات المتعلقة بالتحركات والصراعات القبلية للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر. هناك أسباب عديدة لهذا الفقر المعلوماتي منها ضعف التوثيق التاريخي بين سكان المنطقة حيث إن الأمية كانت منتشرة يبن أغلب سكانها وبالكاد تجد من يقرأ ويكتب إلا بعض الملالي (رجال الدين) وكذلك لبُعد - سواحل الخليج العربي- عن مراكز السلطة ومراكز القرار في بغداد واسطنبول.

هناك بعض الكتب التي عالجت الجوانب التاريخية ووثقت معلومات مهمة ولكنها لا تكفي لتعطي الصورة الواضحة عما كان يدور، فمن هذه الكتب المهمة على سبيل المثال سبائك العسجد، عيون المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر وبعض الكتب الأخرى .

من هنا أصبحت الوثائق البريطانية المتعلقة بالخليج المصدر الأساسي والاهم لدراسة أحوال المنطقة ولمعرفة أحداثه التاريخية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالرغم مما يدعيه البعض أنها وثائق استعمارية ويجب التحفظ عليها - مما يرد على هذا القول-،أن الوثائق كتبت بالأساس إلى الحكومة البريطانية ومراكزها السياسية لاتخاذ القرارات وبناء الخطط القصيرة والبعيدة المدى وليست تلك التقاريرالتي كتبت للصحف أو المجلات لغرض التأثير على الرأي العام . .

لماذا قبائل الإمارات، قطر،البحرين والمنطقة الشرقية.

عندما عملت بتحقيق كتاب البدو، وجدت أن هذا الكتاب لم يشمل في بحثه قبائل ساحل الخليج وهذا ما يشكل نقصاً في ذلك العمل الكبير وعملنا هنا على أن يشمل هذا البحث قبائل وعشائر عربية مهمة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ المنطقة.

لقد وجدت أن الوثائق البريطانية تغطي قسماً كبيراً لتاريخ القبائل وهجراتها،لذا فقد تم التركيز على هذا الجانب من الوثائق- القبائل- أكثر من غيرها من المواضيع المتنوعة التي تحتويها تلك الوثائق. مما لا شك فيه أن هناك وثائق أخرى كثيرة تستحق الترجمة من لغات مختلفة، ولكن بحكم إمكانياتنا المحدودة، التي يتعذر علينا ترجمتها. وسوف نتحدث لاحقاً عن واقع المراكز العربية واهتماماتها الشكلية في تقديم الأعمال الجادة.

عندما بدأت باختيار وحصر الوثائق البريطانية لغرض ترجمة قسم منها والمتعلقة بالقبائل والصراعات، وجدت أن الأمر متشعب ولا بد من اختيار منطقة وزمن معين من هذا الخليج، وبعد دراسة الوثائق وجدت أنه من الممكن تحديد المنطقة التي يمكن أن تشمل دولاً تتداخل الأحداث فيها بشكل كبير.. إن التداخل الكبير والانتقالات السكانية والقبلية في هذه المنطقة التي شملها البحث تجعل من العسير أن يقام بحث منفصل عن كل دولة من الدول المذكورة وخصوصاً في زمن كانت الحدود بها غير مرسومة. إن تاريخ منطقة ساحل الخليج مبنى على القبائل والصراع القبلي بل إن تشكيل هذه الدولة تم على أساس قبلي وليس على أي شي آخر .

الخليج بحيرة عربية

إن الدارسين للوثائق البريطانية عن الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر يكتشفون بسهولة أن سكان ساحل الخليج هم من العرب بأغلبهم في ساحلة الشرقي والغربي، بل إن القبائل العربية في تلك

الفترة لها السطوة على ضفاف الساحلين كحال العمانيين وقبيلة القواسم العربية وغيرها من القبائل التي ينتشر أفرادها على الساحلين، بالإضافة إلى قبائل عربستان وبالخصوص قبيلة بني كعب التي يتمركز ثقلها السكاني في عربستان وعلى الساحل الغربي من الخليج، بل **إن أغلب سكان جزر الخليج هم من العرب وليس هذا فقط فإن أغلب الجزر كانت واقعة تحت سيطرة القبائل العربية من القواسم وإمام مسقط، وبالذات جزيرتا طنب الكبرى والصغرى حيث كانت أشبه ما تكون بالمصيف لشيوخ القواسم .**

أسماء الأماكن والأشخاص

إن المشتغلين في ترجمة الوثائق القديمة المكتوبة بين القرن السادس عشر والتاسع عشر يجدون صعوبة في ترجمة الأسماء بصورة دقيقة وذلك يعود بالأساس إلى أن الضباط والوكلاء والمعتمدين الانكليز لم تكن لهم قاعدة يستعملونها في كتابة الأسماء العربية بالأحرف اللاتينية كما هو الحال في القرن العشرين،بل كانت تُكتب بعدة طرق لدرجة تصبح معها أقرب ما تكون من التخمين. لقد قام المترجم الأستاذ صخر بترجمة النصوص وبحكم كونه بعيداً عن معرفة تاريخية وأماكن المنطقة وبعدم وجود قاعدة لترجمة الأسماء -حسب ما اتفق مما جعلني أدقق بكل اسم تُرجم. إن المعرفة بالمنطقة وتاريخها ومُراجعة العديد من الكتب هو الوسيلة الأنجع لضبط كتابة الأسماء بالطريقة الصحيحة..فعلى سبيل المثال كان اسم ثويني يكتب في الوثائق بـ Swoeynee والبصرة تكتب بهذه الطريقة Bussora بدلاً من Basra

وبالرغم من هذا كانت هناك بعض الأسماء والأماكن عصية على الترجمة لذا وضعتها كما هي مكتوبة بالحرف الانكليزي .

أسماء السفن والمراكب

لا بد من ذكر أسماء السفن والمراكب التي كانت مستعملة في تلك

الفترة والتي كانت تمخر مياه الخليج. لقد وضعنا كلمة سفينة بدل مركب أمام أسماء المراكب والسفن بشكل عام .

وهذه أغلب أسماء السفن والمراكب المستعملة آنذاك :

حوري - زروقة - فلوكة - ماشوة - غفشة - سمبوك - بغلة - الغونشا - بتيل - دوا - موخة.

المراكز العربية والتوثيق

لقد قدم مجموعة من الباحثين قسماً من الأرشيف البريطاني إلى القارئ العربي ومنهم، الأستاذ نجدة فتحي صفوة أمدّ الله في عمره في مجلداته الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، وكذلك الموسوعة الكبيرة والمهمة للباحث محمد بن عبد الله بن حمد الحارثي - موسوعة عمان الوثائق السرية،وكذلك كتاب دليل الخليج للوريمر، بقسميه التاريخي والجغرافي المترجم إلى العربية من قبل مكتب أمير قطر عام 1970،حيث شكلت هذه الكتب مصدراً مهماً للمعلومات للقارئ العربي، وهناك كم هائل من المعلومات لا زالت حبيسة دائرة الوثائق الانكليزية دون أن تصل إلى القارئ العربي. بل هناك الوثائق الألمانية والبرتغالية والعثمانية والتي لا زالت حبيسة أدراجها.

قبل أكثر من خمس سنوات وجدت مجموعة كبيرة من الوثائق الألمانية المتعلقة بالعالم العربي والتي تغطي الفترة من القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين واتصلت بعدد من المراكز العربية التي تدعي الاهتمام بالتوثيق لغرض التعاون ولكن لا حياة لمن تنادي. مما يؤسف له أن أغلب الدول العربية ومراكز بحوثها أبعد ما تكون عن دعم لترجمة لتلك الوثائق وتقديمها إلى المكتبة العربية وذلك بسبب الحساسية المفرطة اتجاه تلك الوثائق، حيث إن أغلب الدول العربية تحاول بناء مصادر تاريخها الحديث على ما تراه مناسباً لرؤيتها لماضيها من خلال مصادرها هي، أو ما تكتبه لنفسها، وتحجب القارئ

العربي عن مصادر أخرى أساسية. حيث تعمل في تقديم الكتب التي تضخم الذات من خلال تعظيم قادتها على حساب التاريخ. إن قسماً من المسؤولين عن شؤون المراكز والأبحاث هم أبعد عن عالم البحوث والدراسات وبالتالي هم لا يعرفون قيمة هذه الوثائق. ونحن عندما نقدم هذه الوثائق سوف نجد أن دولاً عديدة سوف تمنع تداول وعرض هذا الكتاب في المكتبات وفي معارض الكتاب.

الخليج وتسميته

يشكل اسم الخليج أحد المشاكل بين دول الخليج العربية وإيران، وقد استعرضت في كتاب البدو الجزء الأول الأسماء القديمة للخليج. لقد كانت البصرة أهم وأقدم مدينة على الخليج من العصر السومري إلى ستينيات القرن الماضي لذا نجد العديد من الكتب كانت تطلق اسم خليج البصرة على الخليج العربي (الفارسي)، وهذا حسب تصوري أقرب إلى الصواب من أي تسمية أخرى - حيث كان الاسم القديم للبصرة هو الأبلة.

يتكون الكتاب من عشرة فصول :

يحتوي الفصل الأول على أسماء القبائل وأماكن تواجدها في منطقة الساحل المتصالح، والفصل الثاني عن قبيلة القواسم والفصل الثالث قبيلة العتوب العربية (البحرين) والفصل الرابع قبيلة بني ياس العربية والفصل الخامس قبيلة بني الحاكمة (بو فلاسة) العربية والفصل السادس القبائل الوهابية العربية والفصل السابع عجمان والفصل الثامن أم القيوين والفصل التاسع قطر وخور حسان والفصل العاشر الولايات العربية البحرية.

الفصل الأول

ساحل عُمان المتصالح

سَاحِل عُمان المتصَالِح[1]

توجد منطقة متشابهة من حيث الأحوال الطبيعية والاجتماعيّة والسياسيّة في ذلك الجزء من عمان الممتّد من سلطنة عمان إلى شرقي قطر وصحراء الجافورة، وينبغي أن تعامل هذه المنطقة كوحدة جغرافيّة واحدة.

وقد وصفت إمارات ساحل عمان وصفاً كاملاً، في غير هذا المكان من هذا الكتاب، تحت أسمائها، وأهمية هذه المقالة تنحصر في ربط هذه الإمارات ومعاملة الإقليم وسكانه كوحدة واحدة، والتعرّض لبعض أمور معيّنة (كالمواصلات مثلاً) التي لم يمكن ذكرها تحت إحدى مقالات الإمارات.

الحدود:

تمتد حدود ساحل عمان المتصالح من على الساحل في خليج عمان من خور كلبا حتى دبا، وفي الخليج من شعم حتى خور العديد، وأسماء الأماكن المذكورة تدخل ضمن حدود ساحل عمان، وبمعنى آخر فإنّ الحدود بين هاتين المجموعتين من النقط هي البحر. أمّا تحديد الحدود في الداخل فإنه أكثر صعوبة، ولكنها تغطي جزءاً كبيراً من منطقة رأس عمان الداخلة إلى البحر. وتحدّ في أحد الجوانب بخط غير معيّن يمتدّ من نقطة تقع بين القريتين المتجاورتين، على الساحل الشرقي ماراً برأس «شعم» على الساحل الغربي،

(1) هذا الفصل هو من كتاب دليل الخليج القسم الجغرافي، ج 5 2543 ـ 2563، لوريمر ويشمل من الصفحة 17 ـ 27 من هذا الكتاب.

عند رؤوس الجبال وهي إحدى مناطق سلطنة عمان، ويمرّ هذا الخط متّجهاً نحو الشمال. وهناك خط آخر يترك الخليج عند خور كلبا والمرير، وبعد شبه عبور لرأس عمان الداخلة للبحر فيما يشبه الطريق الذي يسير فيه ليشمل منطقتي المحاضة والجاو في الجنوب، وأخيراً ينتهي في الختم. وتوجد غربي الختم الحدود الداخليّة لساحل عمان المتصالح، وعندها توجد بداية حدود الربع الخالي، وصحراء الجافورة.

الأقسام الطبيعية:

وباستبعاد التقسيم السياسي غير الطبيعي في ساحل عمان في الوقت الحاضر، فإننا نجد أنّ الساحل هناك يتكوّن من حزام بحري أو (طف) وجزر، والسهول الداخليّة والمجموعة الجبليّة، وهذا ما سنقوم الآن بوصفه.

المعالم البحرية وجزر ساحل عمان المتصالح:

يشبه الساحل الشرقي إلى حدّ ما، ساحل رؤوس الجبال، وتنحدر التلال في بعض الأماكن في اتجاه حافة البحر، والساحل الغربي الذي يقع في اتجاه الخليج منخفض وليس به بروز ويشبه السهل. وتوجد حدائق النخيل في منطقة صير Sir فيما بين الرمس ومدينة رأس الخيمة، وكذلك توجد بعض الأشجار الذابلة في الجانب الغربي والجنوبي، وتتلاشى هذه الأشجار كلها عند أبو ظبي. وتكثر الخلجان أو الأخوار ذات المياه المالحة على هذا الساحل، كما تظهر الأهوار قريباً من مدينة رأس الخيمة وأبو ظبي، ولا توجد جزر صغيرة لها أهميتها. وأحياناً تتوحّد الأخوار في الداخل وتكوّن ما يشبه المستنقعات التي تبعد عن الساحل مسافة قصيرة، وأحياناً تكون أشباه الجزر المسكونة أو غير المسكونة، وأحسن مثال على أمثال هذه الجزر هي «قرمة» Qurmah التي تقع فيما بين الرمس ورأس الخيمة، وجزيرة الحمرا، وجزيرة السنيّة التي يكوّنها خور البيضة قريباً من أم القيوين، وزورا، غير المعزولة تماماً عن قرية الخان إحدى ضواحي مدينة الشارقة (الشارجة). والساحل غير المعروف من

أبو ظبي حتى خور العديد تقريباً فهو قاحل ومنخفض بصفة عامة وبه قليل من البروزات.

وعلامة الحدود البارزة على ساحل عمان المتصالح، هي الظفرة التي تشمل جبل علي في إمارة دبي.

والبحر عميق في خليج عمان على مسافة قصيرة من الشاطىء.

والخليج من شعم حتى دبي مفتوح ولا أخطار به غير أنه ضحل نوعاً ما، ويجاور الشاطىء بعض الجزر من أبو ظبي حتى خور العديد وكذلك بعض الشعب الصخريّة، والأماكن الضحلة. وفي هذا الاتجاه فإنّ معظم المسافة ابتداء من الشارقة (الشارجة) حتى قطر بها كثير من مصايد اللؤلؤ، وتوجد بعض الجزر متّصلة ببعضها على ساحل عمان المتصالح، وأكثرها أهمية **بو موسى وطنب وصير بو نعير وياس ودلما**.

السهول الداخليّة في ساحل عمان المتصالح:

الإقليم الداخلي واسع فسيح، ويختلف في طبيعته من منطقة إلى أخرى وإنّ هذا الاختلاف ليس كبيراً كما نتوقعه فلا يعزل كل قسم عن الآخر جبال معيّنة، ولكن سنرى أنّ أغلب الإقليم يتكوّن من صحراء رمليّة غير زراعيّة، ولكن توجد بين هذه الصحراء بعض المناطق الزراعيّة تزرع بها الخضروات والأشجار، ومن هذه المناطق سهل «جيري» وسهل «الزيد» وقسم ليوا «ليوة» في منطقة الظفرة التي توجد بها الزراعة وعلى الأخص زراعة النخيل، وهناك القسم المحصور بين البحر والخط الوهمي الذي يصل ما بين مدينة رأس الخيمة وواحة البريمي وينتهي في منطقة الختم في اتجاه الجنوب، وفي هذا القسم سنصف الجزء الممتد من رأس الخيمة حتى جنوبي دبي وهو لا يتكوّن كله من رمال وإنما به بعض السهول الحصويّة والأشجار المتفرقة، أمّا جنوب دبي فتبدو المنطقة كلها رمليّة، ولكن توجد بها بعض نباتات الصحراء والآبار التي تكفي حاجة البدو، ولا توجد مياه جارية في هذه المنطقة فيما عدا مجرى مائي واحد

تحت الأرض يروي «الفلج» Falaj ولكن توجد آبار كثيرة غير ظاهرة بصفة عامة على جوانب مجاري المياه الجافة. ويتراوح عمق هذه الآبار على الطريق الواصل ما بين رأس الخيمة وواحة البريمي ما بين 40 ـ 60 قدماً، ويبلغ اتّساعه عند السطح ما بين 8 ـ 10 أقدام، وهو مميّز بوجود حجارة حول فوهته وهذه الحجارة قد أحضرت من التلال.

وأكثر الأشجار في هذا القسم هو شجر السنط والغاف والسمر وشجيرات المرخ، وكثيراً من الأعشاب تسمى أعشاب العترا Atra وأشجار العبل وأعشاب أخرى تسمى «القُنفا» Qnfa، وبعض المزروعات في الرمس تصلح للرعي.

التلال في ساحل عمان:

يوجد القسم الجبلي الوحيد في الجانب الشرقي حيث يشمل سلسلة عمان الجبليّة المطلّة على البحر، وهذا القسم في الخط الواصل ما بين دبا وشعم في الشمال، والقسم الآخر في الداخل نحو الجنوب في الخط الواصل ما بين خور كلبا الذي يبدأ من الغرب ثم يتّجه نحو الجنوب ثم ينحني في اتجاه الجانبين الشمالي والغربي لمنطقة المحاضة بمسافة قدرها خمسين ميلاً، وعرض يبلغ في المتوسط عشرين ميلاً. ولم يجتازه أحد حتى الآن، والجزء الوحيد الذي عبره الأوروبيون هو ذلك الجزء الواقع على الطريق المباشر في وادي القليدي Qaliddi بين دبا ورأس الخيمة. ويمكن رؤية الجبال على الطريق الواصل ما بين رأس الخيمة والبريمي في ثلاث مجموعات متوازية تتّجه من الشمال نحو الجنوب ومنها المجموعة التي تقع في أقصى جهة الغرب ويتخللها تل يعرف باسم «قمر» Qumr ويقع مباشرة خلف القرية المسماة باسم «أضن» Adhan، والمجموعة الثانية تقع بعد انحناء طفيف نحو الغرب، يبدو أنها تواصل صير خط المجموعة الأولى التي توقف، وتتكوّن المجموعة الثالثة أو الشرقية من أعلى قمم، وربما تستطيع رؤية خليج عمان من فوقها، وتقع إحدى هذه القمم على مسافة تتراوح ما بين 12 ـ 15 ميلاً شرقي أضن، ويقال إنّ

اسمها «سعطا» Sata وعلى أيّ حال فلا يمكن القول بأنّ هذه السلاسل الجبليّة هي الوحيدة على ما يبدو وإنما توجد مجموعة تلال أخرى أكثر تعقيداً في الغرب. وبما أنّ أضن الواقعة في سهل جيري تعتبر إحدى قرى وادي حام، فيمكن القول بأنّ هذا الوادي يخترق كل الكتل الجبليّة من أحد جوانبه إلى الجانب الآخر بل وحتى يحمل معه مياه الصرف من النهاية الجنوبيّة لسهل جيري لخليج عمان عند الفجيرة، ولكن لا يمكن تحديد الرأس الحقيقية لوادي حام، وعلى أيّ حال فيبدو أنه يتّجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. ووادي القور Qor الذي يقع إلى أقصى جنوبي وادي حام، هو الوادي الوحيد الذي ينحدر نحو البحر من تلال ساحل عمان المتصالح في الجانب الشرقي. ومياه الصرف الآتية من المنحدرات الغربيّة لا تصل إلى الخليج على ما يبدو، ولكن تبلعها الرمال التي تعترضها في الطريق.

المناخ:

المناخ في ساحل عمان المتصالح لطيف في فصل الشتاء نهاراً ويميل للبرودة ليلاً، بمعنى أنّ المناخ على الساحل رطب في نفس الفصل. ويكون الجو حاراً جداً فيما بين أيار وتشرين الأول، وتكثر كذلك رحلات المسافرين ليلاً فيما بين أيار وأيلول. أمّا سقوط الأمطار فهو نادر على ما يعتقد، ويبلغ متوسط سقوط الأمطار في المتوسط في العام حوالي خمس بوصات، وتسقط معظم الأمطار في منتصف فصل الشتاء أمّا في فصل الربيع فلا تسقط إلّا زخّات خفيفة.

السكان والقبائل:

ينتمي سكان ساحل عمان إلى عدد كبير من القبائل المعروفة وفي الحقيقة فإنّ الإقليم يُعتبر أحد الأقاليم المعقّدة والمتشابة في أقاليم الخليج وإنّ قبيلة القواسم (الجواسم) بمعناها الواسع كما ادّعى بعض الكتّاب ليس لها وجود حقيقي، فهي لا تشمل إلّا أفراد أسرة شيخ الشارقة فقط، ويبلغ عدد البالغين منهم في الوقت الحاضر عشرين فرداً من الذكور، هم القواسم (الجواسم) فقط

الذين يجري في عروقهم دم الجواسم وإنّ استعمال الاسم يعبّر عن رعايا شيخ الشارقة.

وفيما يلي ملخص عن القبائل الهامة في ساحل عُمان المتصالح:

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	عدد البدو	المكان	الملاحظات
العبادلة	عبدلي	1150	—	—	
آل علي	علي	2750	—	—	انظر مقالة آل علي
آل بو عميم	عميمي	120	—	مدينة أبو ظبي	يقال إنهم في الأصل من بني تميم ولكنهم حالياً اندمجوا مع بني ياس
العوامر	عامري	—	غير معلومين	لا يوجد	
العوانات	عواني	50	—	في الخط في سهل جيري ودبا وجزيرة الحمرا	انضم بعضهم لقبيلة المقابيل والبعض لقبيلة القواسم
البحارنة	بحراني	600	—	مدينتي دبا وأبو ظبي	
الدحيلات	دحيلي	200	—	مدينة أبو ظبي	يقال إنها فرع لقبيلة آل بو مهير
دهامنة	دهماني	150	—	رحا، وفشره ونوصلة في وادي القور	

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	عدد البدو	المكان	الملاحظات
الذبابجة	أذبجي	200	—	وادي صفني وفرعه وادي نيدين Naidain	سلالتهم غير معروفة ويقال إنهم من السكان القدماء
الغفلة	غفيلي	—	500	. . .	انظر مقالة غفلة
الحلالمة	حلامي	75	—	مدينة أبو ظبي	كانت في السابق أحد فروع بني قتب (كتب) ولكنها الآن انضمت إلى بني ياس
بنو حمير	—	قليل	—	حاير في الشميلية	—
الهولة	هولي	1500	—	مدينة	الشارقة (الشارجة)
جلاجلة	جلجيلي	50	—	فرفار وحايل في الشميلية	وينطق اسمها بالعامية يلايلة Yalayilah
آل بو كليبي	كلباني	70	—	مدينة عجمان	ربما تكون أحد فروع آل بو خريبان أحد فروع النعيم
أهل رأس الخيمة	—	2000	—	مدينة رأس الخيمة	—
الخمارة	—	375	—	مدينة أبو ظبي	أصلهم من خمير في إيران وهم سنّة على مذهب الإمام مالك ويدعون أنهم على صلة بالعتوب

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	عدد البدو	المكان	الملاحظات
الكنود	كندي	150	—	—	
آل بو مهير	مهيري	5500	100	—	
المحارة	محري	1250	—	مدينة رأس الخيمة	أصل هذه القبيلة غير معروف ويبدو أنهم على صلة بقبيلة الزعاب
المحارزة	محيرزي	250	—	مصافي وطيبة في وادي حام	ربما يكون المحارزة أحد فروع قبيلة الشرقيين
المناصير	منصوري	100		1300	
المرر	مري	1350	350	—	
المسائبة	—	25	—	مدينة عجمان	—
المطاريش	مطروشي	1000	—	مدينة الشارقة	وتوجد القبيلة أيضاً في منطقة الباطنة وفي سلطنة عمان
المزاريع	مزروعي	1400	—	—	أحد فروع قبيلة بني ياس
النعيم	نعيمي	3500	—	—	انظر مقالة النعيم
نقبيون	نقبي	1800	—	—	
آل ابن ناصر	ناصري	120	—	مدينة أبو ظبي	يبدو أنها من نفس أصل البحارنة ولكنهم سنّة
القوائد	قائدي	—	250	وادي حام	يملكون عشرة جمال و15 رأس من الماعز والأغنام ويقومون بأعمال الزراعة

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	عدد البدو	المكان	الملاحظات
القواسم	قاسمي	60	—	—	انظر مقالة القواسم (الجواسم)
بنو قتب (كتب)	قتبي (كتبي)	200	2100	—	
شهائرة	أشهري	125	—	وادي حام	—
بنو شميلي	شملي	1000	—	شميل في صير	
الشقوص	—	—	—	مدينة عجمان	الشقوص أحد فروع بني معين المتفرعين من القواسم
الشرقيون	شرقي	7000	—	—	
الشحوح	شحي	2500	—	—	
الشويهيون	—	2050	—	مدينة الشارقة	هم من المسلمين السُّنّة على المذهب الحنبلي
السودان	السويدي	5000	—	—	
الطنيج	طنيجي	2500		1500	—
التميرات	تاميري	120	—	مدينة أبو ظبي	يقال إن التميرات من المرر ولكنهم الآن ضمن بني ياس
بنو ياس	ياسي	10,800	2000	—	انظر مقالة بني ياس
الزعاب	زعابي	3500	—	—	
الزهوم	زهمي	100	—	سيجي قرب وادي حام	يقال إنهم كانوا ضمن الشرقيين من فرع حفيتات ولكنهم في الوقت الحاضر قبيلة مستقلة

يبلغ عدد البلوش الأجانب حوالي 1400 بلوشي في مدينة دبي وغلّة ورأس الخيمة، و 194 من الهندوكيين (الهندوس) في مدن دبي وأبو ظبي وأم القيوين والشارقة (الشارجة)، و 213 من المسلمين الخوجة[1] في مدن الشارقة (الشارجة) ودبي، وعدد من الإيرانيين وغير العرب في كل من دبي وأبو ظبي وخورفكان وغلّة، ويوجد عدد كبير من العبيد والزنوج في جميع مدن الساحل ولكن لا توجد إحصائيّة مستقلّة بهم، ولذلك فقد ذكر عددهم مع العرب التابعين لهم في الجدول السابق الذكر.

ويعيش الهنود في الساحل بدون عائلاتهم. ومن المفيد هنا أن نذكر البيادر Bayadir الموجودين في الصير ودبي وبعض الأماكن الأخرى كخصب في رؤوس الجبال، فهم ليسوا قبيلة وإنما هم جماعة فقط، وهم يسمون باسم الزراعيين إذا أردنا أن نجعل اسماً لقبيلتهم، ومفردها بيدار Baidar ويبلغ عدد البدو في ساحل عمان المتصالح طبقاً للجدول السابق حوالي 8000 نسمة أمّا السكان المستقرون فإنه يمكن الرجوع إلى أعدادهم في مقالة كل إمارة، وعلى أيّ حال فإنه يبدو كما يلي:

اسم الإمارة	عدد السكان المستقرين
عجمان	٧٥٠
أبو ظبي	١١,٠٠٠
دبي	١٠,٢٥٠
أم القيوين	٥,٠٠٠
الشارقة (الشارجة)	٤٥,٠٠٠
العدد الكلي لسكان ساحل عمان المتصالح	٧٢,٠٠٠

وأكثر سكان القبائل عدداً هم أفراد قبيلة بني ياس، الذين يفوق عدد

(1) الخوجة: هي إحدى التسميات التي تُطلق على الاسماعيلية والتي لا تتبع.
هنالك ثلاث تسميات للاسماعيلية: 1 ـ الآغاخنية 2 ـ البهرة 3 ـ الخوجة. (ماجد شبّر).

البدو فيهم قبيلة بني قتب (كتب) الذين يأتون في المرتبة الثانية بعد بني ياس أمّا السكان المستقرون فأكثرهم يوجدون في قبيلة آل علي الموجودة في الشارقة (الشارجة) ويليها قبيلة آل بو مهير ثمّ السودان (السويدي).

المميزات والحياة واللغة:

سكان الساحل الغربي وعلى الأقل الموجودون منهم في الأجزاء الشماليّة، يرون في أنفسهم أنهم أصحاب تاريخ عظيم لأنّ أسلافهم كانوا من عنصر قوي. وقد اكتسبوا في الماضي منذ القرن التاسع عشر سمعة طيبة وعرفوا باسم الجواسم (القواسم) الذين لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ الخليج وخاصة على جزيرة قشم (كشم) وفي البحرين وسلطنة عمان، وفي الحاضر يميلون للهدوء، ولكن بلا شك فإنّ ماضيهم لا زال مستقراً في أعماقهم. والطبقات الثرية في ساحل عمان المتصالح تأكل ثلاث وجبات في اليوم وتسمى الوجبة الأولى فكّ الريق الذي يتكوّن من الزلابيّة أو كعكة الطاجن المصنوعة من البيض والأرز والطحين والسكر، والوجبتان الأخريان إحداهما وقت الظهر والأخيرة في المساء، وتتكوّنان من الأرز والسمك أو اللحم ومعه التمر والخبز. وتشرب القهوة مرات عديدة في اليوم.

وفي الواقع فإنّ معظم السكان من العرب، واللغة العربيّة هي اللغة الوحيدة ومع ذلك فإنّ الزنوج يتكلمون فيما بينهم اللغة السواحيليّة.

النعيم[1]:

كل النعيم عمان سواء، البدو أو المستقرون ينتمون لقسم أو اثنين ومن القبائل الأساسيّة: آل بو خريبان وآل بو شامس وكل منهما يمكن تقسيمه إلى أقسام أخرى. ويقال إنّ آل بو خريبان ينحدرون من أصل واحد قد يكون الخزرج وآل بو شامس من الأوس.

---

(1) هذا الفصل هو من كتاب دليل الخليج، القسم الجغرافي الجزء الخامس من ص2398 ـ 2404، لوريمر. ويشمل من ص27 إلى ص31 من هذا الكتاب.

والجدول الآتي يضم أسماء الأقسام بأسمائها المعروفة.

الفرع	القسم الأساسي	الموطن	الملاحظات
عريان	آل بوخريبان	قرية حنيت في الجو	140 نفساً تقريباً. يجمعون البلح في الصيف وفي الشتاء يتجولون في الصحراء بخيامهم ومعهم القطعان والحيوانات.
عيال عزير	آل بو شامس	مدينة ضنك في الظاهرة	700 نسمة تقريباً كلهم من أهل المدن ويعتقد أنهم ليسوا من النعيم حقيقة وأصلهم الحقيقي قد طواه النسيان.
دراوشة	شرحه	حيرة الحمرية ومدينة الشارقة (الشارجة) وكذلك مدينة رأس الخيمة	ويتجمع في هذه الأماكن من الأعضاء المستقرين أكثر من 1500 نسمة، وشيوخ الحمرية وحيرة من هذا القسم.
آل بو ضنين	آل بوخريبان	عجمان وأماكن أخرى	700 نسمة تقريباً ويطلق عليهم كذلك آل بوضنين.
الحميرات	آل بوخريبان	عجمان وأماكن أخرى	يتكون هذا القسم من 90 من سكان المدن و90 من البدو ويطلق عليهم كذلك أحياء.
عيال حية	آل بوشامس	مدينة ضنك في الظاهرة	وكلهم من سكان المدن، العدد 150 نسمة، من جهة العقيدة فهم سنيون شافعيون.

الفرع	القسم الأساسي	الموطن	الملاحظات
الخواطر	آل بوخريبان	قرية حفيت في سهل الجو في الشارقة (الشارجة)	الخواطر في سهل جيري بدو، خيامهم من البطاطين السوداء، وعددهم 500 نسمة ويقال إن لديهم 800 جمل، 70 حماراً، 1500 رأس من الغنم والماعز.
كلابنة	آل بو شامس	قرية حفيت في الجو وصنقر في الباطنة	شيخ عجمان ينتمي لهذا القسم.
قراطسة	آل بوخريبان	قرية البريمي وسعرة في واحة البريمي	حوالي 1400 نسمة بعضهم من البدو، وبعض البدو سنيون مالكيون وبقية القسم حنابلة.
الشوامس	آل بو شامس	بزيلي وضنك في الظاهرة. وكذلك مدينة ضنك	ملحوظة: هناك قسم الشوامس من قبيلة كليب.
حائشة	شرحه	مدينة ضنك في الظاهرة	حوالي 250 نسمة الأغلبية إباضية والبعض حنفي والبعض سنّي شافعي.

آل بو كلبي في مدينة عجمان قسم آخر من قسم آل بو خريبان، من هذه القبيلة.

الوضع السياسي للنعيم في عمان

يعتبر المركز الرئيسي للنعيم في عمان هو واحة البريمي[1] حيث سيادتهم

---

(1) واحة البريمي: تقع البريمي في الركن الشمالي من سلطنة عمان بمحاذاة الحدود مع دولة الإمارات المتحدة يحدّها من الجنوب عبري ومن الشرق صحار وضنك أما من جهة الغرب فتحدّها مدينة العين (ماجد شبر).

السياسيّة بالرغم من أنهم ليسوا الأغلبيّة العدديّة أمّا في عجمان والحمريّة وكلاهما يحكمها شيوخ من النعيم ويبدو أنّ وضعهم أكثر أماناً منه في واحة البريمي في الوقت الحاضر. وقبيلة الغافريّة هي الأقوى في منطقة الظاهرة في سلطنة عمان ولكن صلتهم بحاكم السلطنة قليلة وإذا استثنينا منطقة عجمان والحمريّة فإنه يبدو أنّ النعيم أضعفها الشقاق الداخلي والبدو منهم لصوص مقاتلون. وفي عمان فإنّ النعيم سُنّة من مدرسة الحنابلة.

النعيم المستقرون في البحرين:

ونتقل الآن إلى النعيم القسم الآخر من القبيلة من ناحية المسكن. قسم استخلص من الأصل منذ أجيال ويوجدون في البحرين وقطر. وفي هذه المنطقة فإنّ غير البدو من القبيلة يقطنون في جزر البحرين حيث يملكون 60 منزلاً في أم الشجر و50 في حالة النعيم و30 في الشجيرة و10 في حالة السلطة وقليل في الرفاع الغربي وعددهم جميعاً 800 نسمة ولا يوجد حالياً من النعيم مستقرون في قطر.

النعيم البدو في البحرين وقطر:

والبدو من النعيم خارج عمان فعددهم يبلغ 2000 نسمة فيما نعتقد. ويسكنون قطر في الشتاء قرب الزبارة، وفي الطقس الحار ينزحون إلى البحرين حيث يقيمون معسكراتهم في الجزء الشمالي من الجزيرة الرئيسيّة، وبعضهم يقضي الصيف بجوار الدوحة، وفي شبه جزيرة قطر. ويشتهر عن هؤلاء البدو أنهم يملكون جميعاً 100 حصان و600 جمل و1000 رأس من الغنم و1000 رأس من الماعز.

أقسام النعيم في البحرين وقطر:

والأقسام المهمة من النعيم في هذه المنطقة هي نفسها التي في الجنوب أي آل بو خريبان وآل بو شامس والأقسام المهمة تختلف اختلافاً تاماً وهم:

آل بو خريبان		آل بو شامس		
الجفافلة	المزائدة	آل فهد	آل جمعان	آل حيّي
المطاوعة	خلوى	آل رمضان	الحتووم	آل جبر
القحاطين		السواورة		

وهذه الأقسام وحتى الأقسام الأساسيّة فمختلطة هنا ورجال القبائل جميعهم في البحرين وقطر، فيتبعون الشيخين وهما من قسمي آل حيّي وآل رمضان على التوالي. والمريخاب في البحرين قد يُعتبرون جزءاً من آل بو شامس من النعيم واتصالهم به قليل جداً، ومن الأفضل أن نعتبرهم قبيلة منفصلة، وينظر النعيم البحرين لشيخ العجمان على أنه جفالي ويحتمل أنّ قسم جفافلة بين النعيم الشماليّة، يناظر قسم قراطسة بين هؤلاء الذين في الجنوب.

الوضع السياسي للنعيم في البحرين وقطر:

والنعيم في البحرين وقطر منفصلون تماماً عن الجسم الأصلي للقبيلة في عمان ولا يحافظون على الصلة بالأخيرة، وهم يعتقدون أنّ أجدادهم هاجروا من عمان منذ بضع أجيال بناء على دعوة من العتوب، ثمّ إلى قطر من أجل طرد آل مسلَّم. بعض النعيم الشماليين أصبحوا صيادي لؤلؤ ولكن الأغلبيّة رعاة، ويعتمدون في حياتهم على رعي الحيوانات. وبدو النعيم الشماليّة يتكسبون من وراء شيخ البحرين وشيخ آل ثاني في الدوحة. وحماية هذه المشيخات يعتمد أساساً عليهم أثناء غياب قوافل صيد اللؤلؤ عن مساكنهم. وقدرتهم أنهم يتمتعون بثقة فوق مستوى الشبهات. ووجودهم في البحرين صيفاً مصدر مضايقة للمزارعين المسالمين من القبائل الأخرى. والنعيم في البحرين وقطر هم من السُّنّة المالكيين.

قبيلة آل بن علي[1]

هي إحدى القبائل العربيّة الكبيرة كثيرة العدد إلى حدّ ما في قطر. ويوجدون في البحرين في مدينة المحرق حيث يملكون (400) منزل وفي مدينة (الحدّ) Hadd. أمّا في إمارة قطر فباستثناء المعاضيد فإنّ عددهم يقدّر بحوالي (350) أسرة. وفيما يلي الفروع الرئيسيّة وفروع الفروع طبقاً لأصدق المعلومات التي أمكن الحصول عليها عن آل بن علي، ولكن ليس من المؤكّد أنّ كل الفروع المحدّدة تنتمي من حيث الأصل إلى تلك القبيلة، وهناك من الأسباب ما يدعونا للتفكير بأنّ كل فرع منهم يمثّل القبيلة مستقلاً، ثمّ حدث أن صار بينهما ما يشبه التآخي، وفيما يختص بحالة المعاضيد بالذات فقد ورد ذكرها في مقال مستقل.

(1) هذه الصفحات من كتاب دليل الخليج القسم الجغرافي الجزء الأول من ص 83 ـ 95 لوريمر.

قبيلة آل ابن علي

ملاحظات على الأسرة	الأسرة	الفرع	القسم
موجودة في البحرين وقطر	آل غانم	آل ابن لحدان	آل سالم
«	آل ابن هتمي	«	«
«	آل ابن طريف	«	«
موجودون في قطر	آل علي	المعاضيد	«
«	عسيريون	«	«
«	آل فضل	«	«
موجودة في قطر والبحرين	آل ابن مقبل	«	«
انقرضت سنة 1905	آل سلامة	«	«
توجد في قطر فقط	آل طلح	«	«
«	آل ثاني	«	«
الأكثر شهرة من آل سالم وهم في قطر والبحرين		آل بوشبوق	«
موجودة في قطر فقط	آل ابن درباس	كل فروع الفروع والأسر غير هامة فيما عدا آل درباس	آل بوشطيب

وأكثر الفروع شهرة في البحرين (آل ابن لحدان) و(آل بو شبوق) وإنّ قائمة أسر المعاضيد التي سبق ذكرها أعلاه ليست كاملة. ويقال إنّ جزءاً من آل بو شظيب Shadhaib يقيمون مع جماعة المناصير في ساحل عمان، وإنّ أحد أفراد أسرة آل ابن «درباس» قد نجح عن طريق زواجه من أسرة المعاضيد في أن يشغل مكاناً شاغراً لرئاسة قبيلة «آل سالمة» التي مات شيخها.

إنّ كثرة تزاوج الفروع وسلالاتها من قبيلة آل ابن علي من الذكور

وكذلك الإناث جعل من الصعب على غالبيّة أفراد القبيلة تحديد الفرع الذي ينحدرون منه على وجه الدقّة. ويبلغ عدد أفراد قبيلة آل ابن علي الذين لم يدّعوا صلتهم بالمعاضيد حوالي (4500) نسمة تقريباً، وإنّ أسرة المعاضيد وحدها باستثناء آل ابن علي يرفعون أعلاماً فوق قواربهم ذات شكل مميّز بخمسة خطوط حمراء متبادلة مع خمسة خطوط بيضاء ويسمّى هذا العلم بالعلم «السليمي» كما تسمّى القبيلة باسم آخر هو آل سليم Salaim.

والحِرف الشائعة بين قبيلة آل ابن علي هي صيد اللؤلؤ، وتجارة اللؤلؤ، وزراعة النخيل، ومنهم ملاحون يعملون في رحلات داخل الخليج وأحياناً إلى أبعد من ذلك، وليس بينهم جماعة من البدو الرحّالة وهم يدينون بالدين الإسلامي على مذهب الإمام مالك.

وهناك مراجع مختلفة تدعي أنّ آل ابن علي ينتسبون إلى قبائل عنزة، وقحطان وبني تميم وغيرهم من قبائل نجد، والحقيقة أنهم من أصل مختلط، وأنّ الغالبيّة العظمى من آل ابن علي بالبحرين قدموا في سنة 1783 م مع قدوم العتوب، ومنذ ذلك الحين وهم مرتبطون بهذه القبيلة، ولكن بصفة ثانويّة، وقد هاجر عدد عظيم منهم إلى قطر سنة 1894 م هرباً من ظلم حاكم البحرين إذ ذاك. وهناك عداء مستحكم في الوقت الحاضر نتيجة لسفك الدماء فيما بين آل ابن علي والعمامرة.

التصنيف والتوزيع للجماعات والقبائل[1]:

فيما يلي تصنيف وتوزيع للقبائل في سلطنة عمان مرتبة تحت القسمين الكبيرين (الغافرية والهناوية):

(1) هذا الفصل هو من كتاب دليل الخليج القسم الجغرافي الجزء الخامس من صفحة 2486 ـ 2519 من إعداد لوريمر. ويشمل من الصفحة 34 إلى صفحة 52 من هذا الكتاب.

١ ــ قبائل الغافرية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
العبريون	عبري	6500	...	...	
بنو بو علي	علوي	7000	...		
بنو عوف	عوفي	1000	الحجر الغربي وعمان الأصلية	القصمتين وتيخا في وادي بني عوف وفروع والمصفاة، في وادي فرع، وعوابي في وادي بني خروص وفارق في وادي بني كلبو	إباضية
آل عزيز	عزيزي	150	المظاهرة	مدينة ضنك	سنّة إباضية
بنو عزان	عزاني	20	الحجر الغربي	نخل	إباضية
البداعة	بدعي	120	الحجر الغربي	بديت في وادي مربح	إباضية
بنو بحري	بحري	500	الظاهرة والحجر الغربي	عليه وعوابي في وادي بني خروص وحبرا في وادي المعاول	
البداه	بداهي	100	الحجر الغربي	دوط في وادي ضنك وبديت في وادي مبرح	مع أن الغافرية من قبيلة اليمنى ولكنهم في عداء مع الميايحة الإباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
الدلاليل	دلال	800	الحجر الغربي	المحاضة والهواجر في وادي فرع.	
الدروع	درعي	300	...		
بنو داود	داودي	200	الحجر الشرقي	التلال بين صور وقلهات	إباضية
الذهول	ذهولي	700	الحجر الشرقي والباطنة	عوابي في طوى الشيخ في وادي بني خروص وليوة	
الظهوريون	...	1750		...	
بنو فليت	فليتي	400	الحجر الغربي	واسط في وادي المعاول	إباضية
الفطيسات	فطيس	450	الباطنة	فرفارة في وادي ليوا (ليوة)	
الغفلة	غضلي	500	الباطنة	ليوا (ليوة)	سنّة
بنو حضرمي	حضرمي	500	الحجر الغربي عمان الاصلية ومسقط	حدش في وادي مستال نخل في وادي المعاول	
الحناضلة	حنضلي	1000	الحجر الشرقي	غبرت الطام في وادي طايين	إباضية
بنو حراص	حراصي	4000			

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
حسريت	حسريتي	150	الساحل الجنوبي الشرقي لعمان وظفار		كلهم من البدو وهم إباضية فقراء
بنو حوال	حوالي	100	الحجر الغربي	حيل في وادي الحلني	إباضية
هواشم	هاشمي	1000	الحجر الغربي وعمان الأصلية	فلج الوسطى وشبيكة ودريس في وادي فرع، وآدم ومناح	إباضية
بنو حيا	حياي	500	الظاهرة والباطنة	مدينة ضنك والسيب والغشيبة	إباضية
الحكمان	حكماني	800	...		
بنو هلال	هلالي	400	عمان الأصلية	بهلة ونزوى	إباضية
هشم	هاشمي	800	...		
آل بو عيسى	جعلان	...	جعلان		قليل من البدو يزورون جزيرة مصيرة
بنو جابر	جابري	25000	...	...	
جهاور	جوهري	4000	الحجر الغربي	حيلين وبرع في وادي مربح	إباضية
الجنبة	جنبي	12000			

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
جساس	جساسي	350	الظاهرة وعمان الأصلية	كبارة وبهلة	
بنو كعب	كعبي	1350	الباطنة والحجر الغربي	حصيفان صور العبري وطريف في مقاطعة ليوا (ليوة)، وجدف في وادي حتا	
بنو كحيل	كحيلي	300	الباطنة	مجيس في مقاطعة صحار	إباضية
بنو كليب	كليبي	1400	الحجر الغربي	كتنه ورابي وحيل ابن سويدان وخويرج وواسط في وادي الجزي وفروعه	منقسمون إلى ثلاثة أقسام بمعنى: الهدادنة ومفردها هدادني في رابي، والرشيدات ومفردها رشيدي في جبل ابن سويدان والشوامس ومفردها شامس في كتنة والخويرج والواسط وكلهم من السُّنّة
بنو كلبان	كلباني	8000			

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
ولاد كليب	كليبي	400	الحجر الشرقي	قريباً من صور	قبيلة بدوية، وقد كانت في السابق أحد فروع الجنبة، إباضية
آل خميس	خميسي	400	عمان الأصلية		بدو وإباضية
بنو خروص	خروصي	4500			
خزير	خزيري	450	الحجر الغربي	نخل	إباضية
الكنود	كندي	1000		. . .	
المحاريق	محروقي	2200	عمان الأصلية، والشرقية	آدم وبهلة وسناو	إباضية، وأحياناً يشتبكون مع آل سعد المتفرعين من قبيلة آدم، وبنو دال أحد فروعهم
المقابيل	مقبالي	5000			
الساكرة	سكري	6000	. . .	. . .	
المصالحة	مصلحي	150	عمان الأصلية الحجر الشرقي	قرية والدوة في وادي خالد	إباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
المطاريش	مطروشي	700	الباطنة	حرادي مرير الكبيرة في مقاطعة شناص	سُنّة، وتوجد القبيلة أيضاً في ساحل عُمان
المزاريع	مزروعي	6000	الحجر الغربي والباطنة	عليات المزاريع في وادي فرع وعقر في شناص وحصيفان المزاريع في مقاطعة ليوا (ليوة)	
المشاقصة	مشقصي	600	الحجر الغربي والباطنة	حيل والمزاحيط والوسيل في وادي فرع	
المايحة	مياحي	7000			
النباهنة	نبهاني	600			
النعيم	نعيمي	4500	الظاهرة والباطنة والحجر الغربي	مدينة ضنك وسنجر وبني حبيب	
الندابيون	ندابي	3500	...	...	
النضيريون	نضيري	300	الحجر الشرقي	دوة في وادي خالد	إباضية
القرا	...	5000			

سم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
القواسم	قاسمي	1000	الحجر والباطنة ومنطقة مسقط	ملتقى ونفعا وفلج الهجيري وبندر جصه	انظر مقالة القواسم
بنو قتب (كتب)	قتبي (كتبي)	2500	الظاهرة	فلج بني	سنّة
الرحبيون	رحبي	5000		. . .	
الرماح	رمحي	1500	الحجر الغربي	عين الرماح في وادي فرع	إباضية
بنو رقاد	رقادي	250	مسقط منطقة الحجر الغربي	مصفاة وغلة، وادي بوشر بديعة في وادي طايين	إباضية
بنو راسب	راسبي	1500			
بنو ريام	ريامي	11000		. . .	
يال[1] سعد	يال سعدي	150	الحجر الغربي	دريس في وادي فرع	إباضية
السعديون	سعدي	700	الحجر الشرقي في الشرقية	مقل في وادي بني خالد	إباضية
الساعدة	ساعدي	250	الظاهرة	دوط في ضنك	سنّة
السليميون	سليمي	800	الحجر الغربي	الرمانية في وادي فرع	إباضية
يال عبد السلام	سلامي	1500	الباطنة	ديل يال عبد السلام في صحم	إباضية

---

(1) إن حرف العين يخفف وتلفظ حرف العين لدى بعض قبائل الخليج وكما هو الحال مع حرف الجيم حيث يلفظ رجّال ـ ريّال. لذا فإن عيال سعد أي أولاد تلفظ يال سعد. (ماجد شبّر).

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
السلاميون	سلامي	3000	الحجر الغربي	نخل والرمانية في وادي فرع	إباضية
بنو شهيم	شهمي	4000	الحجر الشرقي	كل قرى وادي دما ما عدا الحاجر	إباضية
الشهوم	شهمي	4000	الحجر الغربي	شعبة وريمي وبلاد الشحوم في وادي بني غافر	إباضية
الشخاريون	شخاري	250	الحجر الغربي	فلج الشخريين في وادي عاهن	إباضية
الشكور	شكوري	500	الظاهرة	مدينة ضنك	إباضية
الشرائنة	شرائني	800	الحجر الغربي	بيت القرن في وادي فرع وعين الشرائنة وعين في وادي بني غافر	إباضية
الشوافع	شافعي	400	الباطنة	عوينات في صحار	إباضية
الشيابنة	شيباني	150	عمان الأصلية	قريباً من عدن	بدو إباضية
السيابيون	سيابي	5500	. . .	. . .	
بنو صبح	صبحي	500	الحجر الغربي وعمان الأصلية	إباض في وادي بني خروص	إباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
آل عمير	عميري	1000	عمان الأصلية الباطنة	إزكي بركة الموز	إباضية
بنو عمر	معمري	. . .	. . .	. . .	
اليعاقيب	يعقوبي	3500	الظاهرة	عبرى	سنّة
اليعاربة	يعربي	800	. . .		
البحامدة	بحمدي	300	الباطنة الحجر الغربي	مدينة صحار ونخل	إباضية
بنو زفيت	زفيتي	250	الظاهرة		إباضية من البدو
بنو زراف	زرافي	200	منطقة مسقط	أربق وشطيفي	بحارة وتجار سنّة

(٢) قبائل الهناوية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
بنو عدي	عدواني	3000	. . .	. . .	
بنو علي	علوي	4500	الحجر الغربي والباطنة	الوقية في وادي عاهن، وحيل ابن علي في وادي شافان ومدينة صحم	إباضية وزراع نخيل وحبوب وشيخهم خلف ابن سنان سنة 1805
بنو عرابة	عرابي	1000			
العوامر	عامري	1000			
آل بدر	بدري	1200	الباطنة	براكة وبهلة	شيخهم في الوقت الحاضر حبسه البرتغاليون في أفريقيا وهم إباضية
العبابيد	عبادي	250	الحجر الغربي	فلج شراح في وادي فرع	إباضية
بنو بطاش	بطاش	7000			انظر مقالة بني بطاش
البوارح	بارحي	120	منطقة مسقط	عدبية	سنّة
البدوات	بدوي	1000	الحجر الغربي والباطنة	فلج ابن قفير في وادي حتا خضروين في وادي شناص	سنّة وبعضهم من البدو
آل بوشر	بوشري	300	الحجر	وادي سمايل	إباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
يال بريك	بريكي	1500	الباطنة	المصنعة وشيرز وقصبيات ويال بريك وأم الجعافر ومدينة صحم.	بعضهم من السُّنة وبعضهم من الإباضية
الدرامكة	درمكي	600	عمان الأصلية والباطنة	سدى وإزكي ومرير الصغيرة	إباضية
الدوكة	دويكي	300	الباطنة والشرقية	براكة والفلج	إباضية
فزارة	فزاري	400	الباطنة	المخاليف وخور الحمام في مقاطعة صحم	سنّة
الغفيلات	غافلي	250	الباطنة	بو عبالي	إباضية
بنو غيث	غيثي	1500	الحجر الغربي والباطنة	حلاحل في وادي حلتي ورابي والواقبة وفاتنا في مقاطعة صحار	إباضية
الغوارب	غاربي	350	الباطنة	العوالي وبراكة	إباضية
الحبوس	حبسي	7000	. . .	. . .	
هدادبة	هدابي	2500	الباطنة الحجر الغربي	شيرز وفنجة في وادي سمايل	إباضية
أولاد حديد	حدادي	200	الباطنة	السيب ونعشابة	إباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
الهاديون	هادي	1400	الحجر الشرقي ومنطقة مسقط	وادي عدام وخفيجي في وادي الميح.	إباضية
الحجريون	حجري	7500	...	...	
آل حمد	حمدي	500	الباطنة والشرقيين	براكة	إباضية
بنو هميم	هميمي	200	عمان الأصلية والحجر الغربي	نزوى وبهلة والرستاق.	إباضية
بنو حماد	حمادي	900	الباطنة	الودام	سنّة
بنو حسن	حسني	2000	منطقة مسقط	قنتب ومطرح ودير سيت وسارو والخوير وغيره على الساحل	إباضية
بنو بو حسن	حسني	7000			
الحواسنة	حوسني	17500		...	
بنو هنا	هناي	9000			
هناديس	هنداسي	150	منطقة مسقط والباطنة	عدية وغليل	إباضية
الحرث	حارثي	9000	...		
الحيود	حيدري	200	الباطنة	ضيان	إباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
بنو عيسي	عيساوي	2000	الحجر الغربي	حي في وادي صرامي وعبيلة في وادي حلتى	إباضية
الجبور	جبوري		منطقة مسقط الباطنة	المتهدمات في وادي عدي حفري في وادي خروص	إباضية
الجهاضم	جهضمي	500	الشرقية	سمد	إباضية
يال (عيال) جراد	جرادي	2000	الباطنة	بو عبالي والمصنعة	إباضية وبدو
آل كثير	كثيري	4500			
بنو خالد	خالدي	5500	الباطنة	عباسي وحجيرة	سنّة
يال (عيال) خميس	خميسي	200	الباطنة	خية وشعبة	إباضية
بنو خمارة	خماري	400	الباطنة	صور حيان	إباضية
الخزيمات	خزيمي	500	الباطنة	حصيفين صور الخزيمات	إباضية
بنو خزم	خزمي	400	منطقة مسقط	سيا وعرقي وحبوبية في وادي سيرين	إباضية
أولاد كليب	كليبي	100	منطقة مسقط	عديبة	إباضية
بنو لمك	لمكي	300	الحجر الغربي	لمكي في وادي بني غافر وقصرا وأم الحمام في وادي فرع	إباضية

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
المعاول	معولي	8000		. . .	
المحارب	محاربي	300	الحجر الشرقي	أمقات في وادي سمايل وفرفارة في وادي الصنبعون.	إباضية
المجالبة	مجلبي	150	الحجر الشرقي	حلة المجالبة في وادي سمايل	إباضية
المناذرة	منذري	1850	الحجر الغربي وعمان الأصلية والظاهرة ومنطقة مسقط	الحواجز والحلة وإزكي وسليف ومطرح	إباضية
المناورة	منيوري	200	الباطنة	هديب	ربما يكون فرعاً من بني بو حسن.
المقانة	مقيني	400	الباطنة	الودام	إباضية
المرازيق	مرزوقي	300	الباطنة	صور حيان في شرق الباطنة وخور الحمام في صحم	سنّة
المشافرة	مشيفري	700	الباطنة والشرقية	رميس وقابل	إباضية
المشارفة	مشرفي	1000	الحجر الشرقي	لميم وتيما وغسة والفيلج ورمضة ومسلات	إباضية
الموالك	مالكي	2000	الباطنة والحجر الشرقي	براكة والدوّة في وادي بني خالد	تعتمد هذه القبيلة على قبيلة الحرث وهم إباضية وبعضهم من البدو

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
المواخ	مالخي	700		الحد	تنقسم القبيلة إلى ثلاثة أقسام: 1 ـ بنو عامر 2 ـ بنو غزل 3 ـ بنو مهر
بنو نعب	نعبي	1500			
بنو نعمان	نعماني	100	الشرقية	سناو	إباضية
نوافل	نوفلي	300	الباطنة	بو عبالي وشعبة والمصنعة في شرق الباطنة	إباضية
آل بوقرين	قريني	400	الباطنة	ذيان والهجيرة	إباضية
القطيط	قطيطي	قليل	الباطنة	خابورة	سنّة
الردينات	رديني	250	الباطنة	عباسة	سنّة
آل بو رشيد	رشيدي	600	الباطنة	عباسة وخضرا	إباضية
بنو رشيد أو الرواشد	. . .	3500	الباطنة الظاهرة الشرقية	خشدة في صحار عراقي ودريز في الوادي الكبير وعدم وبهلة ونزوى وسناو	إباضية
ريايسة	ريسي	1000	الباطنة الحجر الغربي	حصيفين وصور الرياسة طوى في وادي بني عمر الغربي ومدينة شناص	سنّة من إيران

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
بنو رواحة	رواحي	18500		...	
بنو سعد	سعدي	1500	الباطنة	ليوا (ليوة) ودوانج وأسرار بني سعد	إباضية وبعضهم سنّة
يال سعد	آل بو	13000			
آل بو سعيد	سعيدي	6000		...	
سلاطنة	سلطاني	100	الباطنة	فرفار السلاطنة في ليوا (ليوة)	ربما فرع من الريايسة
سريرين	سريري	100	الحجر الغربي	نخل	إباضية
بنو صارخ	صارخي	300	الظاهرة	عين بني صارخ في وادي العين	
يال شبيب	شبيبي	250	الباطنة والشرقية	المصنعة ولزق	إباضية
شبول	شبلي	1000	الباطنة الحجر الغربي ومنطقة مسقط	مدينة صحار والحيادة وجفار في وادي بوشر	إباضية وتعتمد هذه القبيلة على قبيلة الحرث وبعضهم من البدو
الشموس	شمسي	100	الباطنة	خور الإمام في صحم	إباضية
الشوامس	شامس	100	الحجر الغربي	حباس في وادي سمايل	
الشحوح	شحي	19000	رؤوس الجبال وصحم		

اسم القبيلة	المفرد	عدد الأنفس	المنطقة	أماكن الإقامة	الملاحظات
الشيادي	شيدي	300	الباطنة	صور الشاري وغويشة	سنّة
الشروح	شرجي	650	الشرقية	مدينة سمد في وادي عندام	إباضية
الصوالح	صلحي	600	الشرقية	السويق	سنّة
الطيوانية	طيواني	300	منطقة مسقط وعمان الأصلية	مدينة مسقط ونزوى	إباضية
التماتمة	تمتمي	300	منطقة مسقط	المصفاة وعوابي في وادي بوشر	إباضية
بنو وهيب	وهيبي	3500			
آل وهيبة	وهيبي	13000			
الوشاحات	وشاحي	850	الحجر الغربي	تميم ومشبة وعجيب في وادي حتى أسود في وادي القور	إباضية وشيعة وسنّة
الورود	وردي	200	الشرقية	سمد	إباضية
الزعاب	زعابي	1200	الباطنة	مدينة صحم قصبيات الزعاب وأبو ضروس في مقاطعة صحم وأبو قعرة في مقاطعة شناص	
بنو زيد	زيدي	1000	الظاهرة	فدا في وادي ضنك	إباضية
الزكاونة	زكواني	300	الشرقية	سمد	إباضية

الفصل الثاني

قبيلة القواسم (الجواسم) العربية

HISTORICAL SEITCH

OF THE

JOASMEE TRIBE OF ARABS;

FROM THE YEAR 1747 TO THE YEAR 1819.

RPERARED BY

MR. FRANCIS WARDEN,

MEMBER OF COUNCIL AT BOMBAY.

WITH

CONTINUATIONS OF THE SAME,

FROM THE YEAR 1819 TO THE CLOSE OF THE YEAR 1831,

BY LIEUTENANT S. HENNELL;

FROM 1832 TO JULY 1844,

BY LIEUTENANT A.B. DEMBALL;

AND FROM THE LATTER PERIOD TO THE CLOSE OF THE YEAR 1958,

BY LIEUTENANT H.F. DISBROWE;

SUCCESSIVE ASSISTANTS TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة تاريخية، قبيلة القواسم العربية من عام 1747 إلى عام 1819(*)

أعدّها السيد: فرانسيس واردن

عضو المجلس في بومباي

مع إضافات للموضوع ذاته

من عام 1819 إلى نهاية عام 1831

أعدّها الملازم إس هينيل

ومن عام 1831 إلى عام 1844

أعدّها الملازم إي. بي. كيمبال

ومن تلك الحقبة إلى نهاية عام 1853

أعدّها الملازم إتش. إف. ديسبرو

وشغل جميعهم منصب مساعد المندوب في الخليج

(*) ترجم هذه المقالات الأستاذ صخر الحاج حسين من صفحة 57 ـ 123 من هذا الكتاب.

القواسم

إعداد فرانسين واردن ـ (Mr. Francis Warden)

القواسم (الجواسم) عرق من أعراق العرب ينحدر من سكان نجد، ويدعون بنو ناصر، ويسكنون الجانب الأيسر من الكعبة، ويدعون أيضاً بنو غافري Gafree. امتلكوا إمارة صير Seer في عمان وكانوا قبيلة مستقلة من العهود الأولى. يمتد إقليمهم على خط الساحل لتلك المقاطعة من مسندم Musseldom إلى الزبارة Zobara أو جزيرة الشارقة (الشارجة) باتجاه الشمال. يضم هذا الجزء من عمان العديد من القبائل ـ الشاهي Shahee زهيري Zoheree القواسم Joasmee بني كتب (الكتبية) Beni Kuttub وبني نعيم. كانت قبيلة بني نعيم ولسنوات عديدة القبيلة الرئيسة لكن أعمال الفوضى والشغب التي تلت موت نادر شاه أجبرت الملا علي شاه[1] حاكم هرمز Ormus وجبرون Gombroon وميانو Miano على أن يدعو لنجدته بعض القبائل العربية بغية مقاومة المطالب المجحفة للجزية التي سعى إليها كل من نافس على عرش بلاد فارس من دون الأخذ بالاعتبار بأنها جمعت من سلفه، فقد اختار رشيداً بن مطير Muttur بن قاسم والذي كان نسيباً له، وتمكّن وبفعل الناقلات التي كانت تحت إمرته، من أن يستفيد من خدماتها حين تدعو الحاجة.

القواسم Kasimees أو كما سندعوهم لاحقاً (جواسم). أبقى (القواسم) على الناقلات التي كانت ترسل إليهم من حين إلى آخر، وكان يدفع لهم على

---

(1) وهو دوريا بيغ Doriah Beg (أميرال) الملك في الخليج.

نحو سخي لقاء مساعدتهم، وبما أن فرص حصولهم على السلاح كانت متاحة، سرعان ما اكتسبوا سطوة بين قبائلهم هم، وتمكّنوا من وضع أيديهم على بلدة قشم (كشم) Kishm ولفت Luft ولنجة Lingah وشناص Shinas على الساحل الفارسي، وقد وسعوا من غزواتهم على جميع أملاك الملا علي، عندما أوقف الشيخ عبد الله بن معين[1] Moien الذي استعاد هرمز Ormus وبندر عباس من الملّا حسين وقشم (كشم) Kishm ولفت Luft من القواسم. بقي القواسم هامدين ضمن موانئهم، بينما ظل عبد الله مفعماً بالحياة، لكن أبناءه اختلفوا فيما بينهم بعد موته، وأصبحت حكومتهم وكأن مسّاً من جنون أصابها، عاود القواسم الظهور في الخليج، ينهبون القبائل الأضعف والأقل شأناً.

تتمة للّمحة السابقة عن القواسم حتى عام 1831:

الملازم إس هينيل [LIEUTENANT S. HENNEL]:

تشمل ملاحظات السيد واردن فيما يتّصل بقبيلة القواسم (الجواسم) العام 1819 وتنتهي بالإعلان أن القواسم وقد أرعبهم الانتصار السريع الذي حققه إبراهيم باشا على ممثل السلطة الوهابي وخشية منهم أن يتم توجيه العمليات الحربية التي قام بها القائد التركي، بعد إضعاف القطيف Kateef ضد رأس الخيمة، تدارسوا في أن يتخلّوا عن البلدة، وأن يبنوا مستوطنة وحصناً في باسيدو Bassadore (في الطرف الغربي القصي من جزيرة قشم (كشم) Kishm). عندما تناهى إلى أسماع الهند معلومات تتصل بهذه النوايا أعطيت الأوامر إلى آمر الكتيبة البحرية البريطانية في الخليج لمنعها. وبدا أيضاً، أن حسين بن رحمة Rahmah زعيم رأس الخيمة، خشي من التقارير التي تتحدث عن حملة يتم التحضير لها في بومباي، لذا قدّم اقتراحاً في بداية العام ينشد الإبقاء على روح الصداقة مع الحكومة البريطانية، وهذا ما تمَّ رفضه. وبالمثل

(1) عيَّنه كريم خان حاكم هرمز Ormus وقشم (كشم) Kishm وبندر عباس.

فقد ألمح السيد واردن إلى الإمام الذي كانْ يفكر في حملة علىٰ عاصمة القواسم (الجواسم) بالاشتراك مع الشيخ سلطان بن صقر والشيخ طحنون بن شخبوط.

تمَّ التحضير في شهر تشرين الأول من عام 1819 لحملة في بومباي ساهمت في تأجيلها عدة أسباب. كان الهدف منها منع أعمال العنف التي يقوم بها القواسم. تألفت هذه القوة من 3069 من الرجال المسلحين وبالتحديد جماعة واحدة من سلاح المدفعية فوج إتش إم السابع والأربعين H.M's 47th. وفوج إتش إم الخامس والستين H.M's 65th والكتيبة الأولى من فوج المشاة المحلي الثاني وجماعات انتشرت على خواصر القوة من الكتيبة الأولى من فوج المشاة المحلي الثالث، بالإضافة إلى مشاة من الكتيبة البحرية، مع نصف جماعة استطلاع، ما شكّل في مجموعه 1645 جندياً أوروبياً و1424 من الجنود المحليين تحت قيادة الميجور جنرال السير ويليام غرانت كير. أما الجزء البحري من الحملة الذي تألف من السفن ليفربول وعدن وكيرلو التابعة للإتش إم H.M وناقلات «الأونورابل كومباني مارين» The Honorable Company's Marine، فقد وضع تحت إمرة الكابتن كوليير C.B. قبل إبحار الحملة بوقت قصير جرى اتصال بين حاكم بومباي وأمير شيراز، يوضح فيه الأهداف من تجهيز هكذا قوة عسكرية وبحرية. وبعد الإعلان عن أنه لن يتمّ اتخاذ أي إجراءات تتضارب مع العلاقات الودّية التي ترسّخت منذ أمد طويل بين الحكومتين [الإنكليزية والفارسية] عبّر عن رغبته الشديدة في أن يتعاون سموّه في التدابير الواجب اتخاذها ضد لنجة Lingah وموغو Mogoo وتاوني Tawoonee وچارك (تشارك) Charrak بما أن هذه الأمكنة تبدي تعاطفاً مع القواسم (الجواسم). وبالمثل وجّهت رسالة إلى إمام مسقط، يقارب فحواها ما جاء في الرسالة التي وجهت إلى أمير شيراز، أعلن فيها أن الدكتور جوكيز Jukes وضابط مؤن قد أرسلا من قبل لإجراء التدبيرات اللازمة من أجل تعاون الإمام، ومن أجل مد القوات بالمؤن بعد وصولهم إلى قشم (كشم) Kishm حيث سيلتقي الطرفان.

أبحرت الحملة أخيراً من بومباي في الرابع من تشرين الثاني، وانطلق الضابط الآمر على متن السفينة ليفربول إلى مسقط والذي وصلها في الثالث عشر من الشهر ذاته، بينما انطلق ما تبقّى من القافلة إلى قشم (كشم) Kishm. وافق سموّ الإمام في هذه المناسبة على أن يزجّ في المعركة بأربعة آلاف رجل في اليابسة ضد رأس الخيمة وثلاث ناقلات حربية للانضمام إلى القوة البحرية الرئيسة.

بعد أن استعادت القوات نشاطها وقوتها في قشم (كشم) Kishm استأنفت الحملة طريقها باتجاه رأس الخيمة سرعان ما فرض عليها الحصار وبدأوا بقصفها. بعد مقاومة عنيفة استمرّت ستة أيام، استولت القوة البريطانية على البلدة في التاسع من كانون الأول، وجلا العدو عن أحد جوانبها عندما دخلت القوات جانبها الثاني. واستسلم الزعيمان حسين بن رحمة، وقضيب Guzeeb بن أحمد مع أتباعهما والذين كانوا يشكلون القوات المدافعة. سرعان ما ظهر أثر هذا النجاح على العديد من زعماء القبائل المستقلين على الساحل الذين قدّموا فروض الطاعة والولاء على نحو غير مسبوق للقائد البريطاني.

في الثامن من كانون الثاني من عام 1820 أرسيت معاهدة السلام العامة في رأس الخيمة بين الميجور جنرال كيير من جانب الحكومة البريطانية، وجميع زعماء البحرية العرب في خليج مغو[1] تقريباً. وتمّ التوقيع عليها مرات عديدة فيما بعد وفي أمكنة مختلفة. تجسّد الغرض من هذه المعاهدة في قمع أعمال القرصنة، وتبني التدابير الوقائية. وبدا التعاون العام في أحسن أحواله لإحراز الهدف المنشود. أرسيت معاهدة منفصلة مع حسين بن علي في اليوم ذاته تشترط استسلام جميع ناقلاته (خلا قوارب الصيد)، وتحرير جميع الأسرى من الهنود، والموافقة على احتلال بلدات رأس الخيمة والمهرّة Maharra من قبل القوات البريطانية.

---

(1) مغو: كانت من أكثر الموانىء تطرفاً على الساحل الإيراني، سكانها من عرب المرازيق أو المرزوقي الذين يدّعون أنهم فرع من قبيلة العجمان وكذلك يوجد قبيلة آل بو سميط [شبّر].

وبالمثل انخرط الشيخ سلطان بن صقر، زعيم الشارقة (الشارجة)، بمعاهدة شبيهة من أجل تسليم الأبراج والمُدافع وناقلات الشارقة (الشارجة) وعجمان وأم القيوين وتبعياتها، رغم ذلك تعهّدت بألّا تدخل القوات البريطانية البلدات أو تدمّرها.

بعد أن تمّ اتخاذ تلك التدابير بوقت قصير عاد الميجور جنرال كيير إلى بومباي مخلفاً حامية في رأس الخيمة تتألف من عشرين من رجال المدفعية والكتيبة الأولى من فوج المشاة المحلّي الثاني تحت إمرة الكابتن ثومبسون من سلاح الفرسان السابع عشر التابع للإتش. إم H.M في نيسان من العام ذاته قررت الحكومة نقل الوحدة العسكرية من رأس الخيمة إلى قشم (كشم) Kishm، وبحسب ذلك أعطيت الأوامر للكابتن ثومبسون في أن يجلي رأس الخيمة بعد تفكيك الدفاعات البحرية وتسليم البلدة إلى الشيخ سلطان بن صقر Suggur. وفي اتصال جرى مع هذا الزعيم، رفضا رفضاً قاطعاً أن يسيطر على المدينة إذا تمّ تدمير الحصون والدفاعات. ونتيجة لذلك تمّ الرجوع إلى الهند لأخذ الرأي، عندما صدرت الأوامر الحاسمة والنهائية التي تقضي بتدمير الدفاعات والجلاء عن البلدة. وضعت هذه التعليمات موضع التنفيذ في الثامن عشر من تموز من عام 1820.

في انطلاقة عام 1823 بدأ الشيخ السلطان في تشييد حصن في الشارقة (الشارجة)، لكنه أُبلغ بتعليق العمل إلى حين وصول تعليمات من الحكومة البريطانية. وبالمثل تمّت إحالة طلب تقدم به سكان رأس الخيمة للسماح لهم ببناء سور عبر البرزخ إلى الحكومة البريطانية التي أعلنت في ردها، بأنه ليس في نيتها أن تمنع بناء حصون أو أبنية على الساحل العربي، بما أن المعاهدة التي أُرسيت من قبل السير دوبليو. ج كيير Sir W.G.Hcor لا تجيز أي تدخّل من هذا القبيل. في أثناء ذلك الوقت خُلع شيخ الرمس Ramse (وهي أحد الموانىء القواسم)، ساهم في ذلك سلطان بن صقر، وخلفه ابنه، محمد عبد الرحمن الذي أُقصي بدوره على يد حسين بن علي. وبعد أن توفي

الشيخ قضيب Guzeeb بن أحمد، زعيم جزيرة الحمرا (وهي ميناء قاسمي آخر) في العام ذاته، خلفه الشيخ محزم Mahzem بن عبد الرحمن. اعترفت جميع موانىء القواسم باستثناء عجمان بالسيادة العامة للشيخ سلطان بن صقر لكن راشد بن حمد احتج إلى المندوب في بوشهر Bushire من الاعتداءات التي يمارسها الشيخ سلطان بحقه، وأعلن بأنه لن يخضع لسلطته.

في شباط من عام 1823 وبمناسبة زيارة للكابتن ماكليود كان يقوم بها إلى الشيخ القاسمي سلّمه ورقة تحمل تواقيع الزعماء القاطنين بجوار رأس الخيمة، يقرّون فيها بتبعيتهم له وقد عبّر عن توقه الشديد بأن تقرّ الحكومة البريطانية بحقوقه بوصفه متسيداً. جاء في رد على هذه الورقة أن الحكومة البريطانية ليست معنية بنزاعاته الطامحة إلى السيطرة، وبأن عليه العودة إلى جميع الزعماء فيما يتّصل بذلك. في تقريره عن هذه القبيلة أفاد الكابتن ماكليود: «بأن القواسم (الجواسم) يحصلون على مواد البناء والمستودعات الحربية من مسقط، والبحرين ومن الموانىء الفارسية في الجزء المنخفض من الخليج. وقد استخدموا في بناء ناقلاتهم خشب الساج الهندي. وفيما يتّصل بالسلاح، فمصدره الرئيس هو التصنيع الفارسي. وهم لا يملكون مواداً يصدرونها، بما أن لآلئهم كانت تُباع على العموم لتجار، وما تنتجه بلادهم لا يكفيهم.

عملهم الوحيد هو الصيد والغوص بحثاً عن اللآلىء واستيراد التمور والحبوب وضروريات أخرى في الحياة والتي يشترونها بأثمان لآلئهم. كما أن تمورهم تأتيهم من البحرين والبصرة Bussora والحبوب والكساء من مسقط ومن الموانىء الفارسية. هم مدقعو الفقر وتقتصر مهنتهم على نقل البضائع للآخرين. «رغم أنه أُشيع بأنهم مارسوا تجارة واسعة في الماضي». في نهاية عام 1823 أرسل أحد سكان الشارقة (الشارجة) واسمه حسوم Hassoom قارباً حربياً ليبحر في المنطقة المجاورة قرب كيب جاسك Cape Jask. عاد القارب من دون أي غنائم، لكن الشيخ سلطان بن صقر سرعان ما استولى عليه وبدأ

تحقيقاً في الأمر. في النهاية أطلق سراح مالك القارب بذريعة عدم كفاية الأدلة.

قرصنة ارتكبها القواسم (الجواسم) بعد إرساء المعاهدة في بداية عام 1824 بقاربين من الشارقة (الشارجة) استوليا على بغلة Bugallow تابع لقبيلة المهرة Mehra قرب سقطرة. أفيد بأن كل من كان على متن بغلة قتل. أبحر القاربان إلى زنجبار. من الواضح أن سلطان بن صقر كان على علم بما جرى، بعد أن أجرى اتصالاً مع الضابط الأعلى بعد رحيلهم بوقت قليل، معلناً بأنهم أبحروا بغية القرصنة.

في حزيران من عام 1824 عاد القاربان إلى الخليج، وتجرأ أحدهما على الاقتراب من مسقط في طريق ذهابه، واستطاع الهروب بعد أن أعاقه كابتن السفينة مينرفا التابعة للإتش. إم H.M في الحصول على جواز مرور. امتنع القاربان عن العودة إلى الشارقة (الشارجة) عند صدور أوامر تقضي بالقبض عليهما، لكن أحد القاربين وجد مهجوراً في وقت لاحق في جارك (تشارك) Charrak بعد أن سيطر عليه طراد حربي. لم يتم إرساله إلى الشيخ سلطان بن صقر ليحدد هويته، بسبب الحالة المزرية التي كان عليها. أما القارب الآخر فقد لجأ إلى مطرح Muttra حيث بقي هناك دون مضايقات لشهور عديدة، وفي ظل الظروف الخاصة التي أحاطت بهذه القضية، لم يتّخذ مزيد من الإجراءات من قبل الحكومة.

بعد أن أصاب الوهّابيون في حوالي هذا الوقت قدراً كبيراً من النجاح على الأتراك، فتح الشيخ سلطان بن صقر بالاشتراك مع الشيخ راشد بن حمد (والذي أقرّ مؤخراً بسيادته) باب المفاوضات مع الوهابيين. من الواضح أن هذا الإجراء كان دافعه الخوف منهم. بعد استياء الزعيم القاسمي من شيخ الحمرا، محمد بن محزم[1] Mahzem، عزله من منصبه، وعيّن بدلاً منه أحمد بن عبد الله بن أوسيه Ooseyah.

---

(1) محمد بن محزم من قبيلة الزعاب (ماجد شبّر).

بعد أن نشأ نزاع بين سمو الإمام والشيخ سلطان بن صقر حول احتلال أبراج إحدى المناطق التي تقع على حدود إقليم سموّه، والتي أعلنت منطقة حيادية باتفاقية رسمية قبل ذلك. تبنّى القضية تابع الإمام، الشيخ طحنون شيخ أبو ظبي. جرت بعض الاعتداءات على قوارب ذلك المكان من قبل قبيلة سويدان Sooedan وزعيمها سلمان بن ناصر، والتي انفصلت عن القواسم، ولجأت إلى دبي، وبنت فيها حصناً في المنطقة المحاذية للشارقة، سمي ديرة Derah، وهو إجراء جرّ استياء واحتجاج سلطان بن صقر. ظهر بأن الهدوء والسلام العام للخليج سيتهددان في حال بقي هذا النزاع قائماً. انطلق المندوب إلى الشارقة (الشارجة) في كانون الأول من عام 1824 (بعدما التقى في وقت سابق مع سمو الإمام بشأن هذا الموضوع) ومن خلال وساطته، تمت المصالحة بين الطرفين واشترط الزعيم القاسمي تدمير أبراج بريمي Bryme على أن يتم تدمير حصن ديرة Derah وهو إجراء اشترط عليه الشيخ طحنون الذي فرض عليه توفير منطقة أخرى من أملاكه لإقامة قبيلة سودان (سويدي) Soodan.

رغم ذلك، لم يقم الشيخ سلطان بأية خطوات لتنفيذ الاتفاقية من جانبه وفي شباط من عام 1825 اضطر المندوب إلى توجيه احتجاج شديد على التردد الذي أظهره الشيخ سلطان في تنفيذ البند الأول من المعاهدة. على أي حال ألقى الشيخ سلطان، في ردّ له على المندوب، باللائمة على التأخير الذي حدث، على وكيل الإمام في البريمي Byrmee، والذي أقنع رجله (رجل السلطان) أن يعصي أوامره، بل وأكثر، عرض أن يرسل شخصاً مع الرسول من سعود بن سعيد، وشخصاً آخر من عند المندوب، لتنفيذ شروط الالتزام الذي تمّ الدخول فيه. توفي حاكم دبي، وهو أحد وكلاء حكومة مسقط، وخلفه ابنه الشاب محمد بن حمي سلطان بن صقر. صلة القرابة تلك مكّنت الزعيم القاسمي (الجاسمي) من أن يمارس نفوذاً في دبي. وبدأ يحيك المؤامرات للسيطرة عليها، فموقعها وقربها من الشارقة (الشارجة) يجعلان منها عدائية له.

عندما تسنى للمندوب في أيار من عام 1825 أن ينطلق إلى مسقط، استفاد من فرصة السعي لتطبيق البند في المعاهدة التي تمّت بين الشيخ سلطان بن صقر والشيخ طحنون من خلال وساطته هو فيما يتّصل بتدمير الأبراج في البريمي. وبحسب ذلك، وبعد أن حصل على السلطة الكاملة من الشيخ سلطان من أجل تدمير الأبراج، قرر أن يرسل غلاب Goolab وهو الوكيل البريطاني في مسقط، مع قوات سمو الإمام كي يشهدوا على تنفيذ الشرط الذي سبق ذكره. وقبل أن تعرف نتيجة مهمته هذه، خرق الشيخ سلطان الهدنة، بهجوم مباغت على ديرة Derah. وعلى الفور أرسل الشيخ طحنون تعزيزات لنجدة المكان، لكنها أجبرت على التراجع، بما أن الزعيم القاسمي اعترضها، وتكبدت خسائر في الأرواح بلغت 150 رجلاً. بالطبع وضع هذا الإجراء حداً لأية مساعٍ أخرى من أجل التوسّط من جانب الحكومة البريطانية التي، رغم ذلك، عدّت أنه من الضروري اتخاذ تدابير احترازية لمنع الحرب وخشية تدهور الأمور ما يمكن أن ينجم عنه أعمال سلب ونهب عشوائية. ولهذه الغاية أعطى أوامره لناقلتين حربيتين في أن تبقيا في البحر على نحو متواصل على ضفاف اللؤلؤ. ولدى عودة غولاب أنونداس Goolab Anundas من مهمته، توضّح أن جميع مزاعم سلطان بن صقر والتي تتّصل بالمشكلات التي اعترضت تدمير أبراج البريمي Brymee من قبل وكيل الإمام، زائفة، وبأن التأخير الذي حصل سببه الوحيد كان مؤامرات سلطان بن صقر.

إن الانتهاكات التي جرت والتي نجمت عن حرب بحرية بين الزعيمين العربيين الأقوى في الخليج شقت طريقها بعد بداية العداء بوقت قصير. تعرض قارب من البحرين لهجوم بعض الناقلات المبحرة التابعة للشارقة بالقرب من جزيرة عنجر Anjar وسلب منه مبلغ كبير من الدولارات بالإضافة إلى مقتل ثلاثة أو أربعة بحارة من طاقمه. ما أدّى إلى تأكيد السلطات البريطانية على تبنّي إجراءات رادعة ومنح الثقة للقبائل الواقفة على الحياد، التي بات ذعرها كبيراً من الروح الخارجة عن القانون التي برزت في تلك الأصقاع. وسرعان ما صدرت تعليمات، في آب من عام 1825 إلى قائد البحرية، بأن ينطلق إلى

الشارقة (الشارجة)، ويطالب بتعويض كامل عن الأرواح التي أُزهقت والممتلكات التي سلبت على يديّ الشيخ سلطان بن صقر. لم يضيع الزعيم القاسمي، بعد أن انتابه ذعر شديد من النبرة الحازمة لممثل السلطة البريطانية، فرصة التعويض لزعيم البحرين الذي عبّر عن رضاه الكامل في رسالة إلى المندوب. خلقت هذه الإجراءات ثقة متزايدة في حكومتنا في أصقاع الخليج.

بعد أن أنهكتهما الحرب غير المجدية والمتواصلة، وبعد أن تمَّ إقصاءهما عن صيد اللؤلؤ، استثمر كل من الشيخ سلطان بن صقر والشيخ طحنون من اقتراحات المصالحة التي بدأها إمام مسقط، وجرى تعديل سريع على جميع الاختلافات في ظل وساطته في تشرين الأول من عام 1825، شريطة تدمير ديرة Derah والتخلص من قبيلة سويدان (السويدي)[1] واستقبال قوة صغيرة تابعة للإمام في دبي. لم تذكر كلمة واحدة في هذه المناسبة بشأن البريمي Brymee، بدا بأن هذا الإغفال أزاح اللوم في عدم تنفيذ هذا الشرط في المعاهدة السابقة فيما يتّصل بهذا المكان، من على كاهل الشيخ سلطان وألقى به على كاهل سموّه.

في سياق لقاء عقد مع ممثل السلطة البريطانية في الخليج في تشرين الثاني من عام 1825، عبر الشيخ سلطان بن صقر عن مخاوفه الكبيرة من قوة الوهابيين المتزايدة ومؤامراتهم، وأعلن صراحة عن توقه لطلب العون من الإنكليز.

وفي ردّ صدر عن ممثل السلطة البريطانية، اعتُبر الشيخ سلطان بأنه أفضل من يقدر مصالحه. أشار الإمام حينئذ إلى المعضلة بالغة الصعوبة التي سيجد نفسه فيها في حال هجوم الوهابيين على الأقاليم التابعة له وطلب منه تأييده ضد الأمير. وعلى هذا الموضوع كان الرد بأن إقامة أي صلة تضرّ بسموّه ستُعدّ حركة غير ودّية بالنسبة لنا. إن اللغة التي استخدمت أكّدها

---

(1) قبيلة من العرب، تحت قيادة سليمان Salmin بن ناصر، يقطنون ديرة Derah.

الحاكم في المجلس، مضيفاً أنه من غير المحتمل قيامه بعمل ضد الوهابيين طالما اقتصرت غزواتهم على الشواطىء.

تمّ الاستيلاء على قارب تابع لأم القيوين من قبل أتباع سويدان Sooedan بن زعل سيئ الصيت (والذي استقر في البدع Biddah في أقاليم شيخ البحرين، لدى هروبه من أبو ظبي). لقد مال الزعيم القاسمي لاعتبار هذا التصرف، أكثر من مجرد مقابل للقرصنة التي ارتكبت بحق قارب بحريني من قبل تابعيه في عام 1825، رغم ذلك فقد كان بعيداً عن تعزيز الهدوء في المنطقة. فقد ظهر بأنه أحدث فجوة في التفاهم الجيد الذي ترسّخ مؤخراً بين الشيخ سلطان والشيخ طحنون في لقاء عقد في الشارقة (الشارجة) قبل ذلك بأيام. ومن جديد كتب الشيخ الجسمي في الثاني والعشرين من آذار، بعد أن أخبر ممثل السلطة البريطانية بإرساء السلام بينه وبين زعيم بني ياس في السابع عشر من الشهر ذاته، بأنه وجد من المستحيل أن يصون أيّة مواثيق مع شخص ذي طبيعة خائنة كما هو عدوّه السابق. من المؤكد أنه سواء كان ذلك رد اعتبار للشيخ طحنون، أو زرع بذور الشقاق بينه وبين شيخ رأس الخيمة، زوّد الإمام الشيخ طحنون بالمدفعية والمعدّات الحربية، كما سعى أيضاً إلى إقناع سكان دبي بالاعتراف بسلطة الشيخ طحنون، مدفوعاً بتأييد الإمام، أوقع الشيخ طحنون حاكم دبي في الأسر بالحيلة، وهاجم واستولى على المكان على نحو مباغت، رغبة منه في الحؤول دون المعاناة التي يسببها تفجر العداء على نحو دائم خلال موسم صيد اللؤلؤ، انطلق المندوب البريطاني إلى ساحل جزيرة العرب في حزيران، ولدى وصوله وجد أن السلام قد أرسي من جديد بين زعماء القبائل المتنازعين. وفي لقاء تمَّ مع الشيخ سلطان سعى هذا الأخير عبثاً أن يحصل على ضمانة الإنكليز للمعاهدة بينه وبين الشيخ طحنون، كما ولج في نقاش مطول حول البند الرابع من المعاهدة العامة التي، كما أكّد، تلزم الحكومة البريطانية في الحؤول دون نشوب القتال فيما بين العرب. وبعد أن سلمه المندوب توضيحاً خطياً بالفحوى الحقيقي لهذا البند، لم يقرب المسألة من جديد.

في أثناء ذلك الوقت، قام عدوي Udwee أحد رعايا راشد بن حمد بعدد من القرصنات ضد قاربين من دبي. قدم ممثل السلطة البريطانية احتجاجاً للشيخ سلطان بن صقر، وعلى إثره اعتقل الشخص المذكور مع اثنين من تابعيه.

وكما هو متوقع، سرعان ما دبّ الخلاف بين الشيخ سلطان بن صقر وزعيم أبو ظبي وتلت ذلك صراعات نشأت بين أتباعهما البدو وفي رسالة مؤرخة في تشرين الثاني من عام 1827، أعلن الشيخ القاسمي الحرب على الشيخ طحنون، وفصل الأسباب التي دفعته للقيام بهذا العمل وقدّمها إلى ممثل السلطنة البريطانية. رغم إعلانه هذا، بدا بأن الشيخ سلطان قد تخلى عن نواياه، وعادت المسائل إلى طبيعتها السابقة.

في لقاء عقد مع المندوب البريطاني في تشرين الأول من عام 1826 تذمر الشيخ سلطان من الجور الذي لحق برعاياه نتيجة الإجراءات التي قامت بها قبيلة سودان (سويدي) في ظل زعامة سلمان بن ناصر الذي لا يزال يحكم سيطرته على ديرة Derah، رغم أن الشيخ طحنون قد وافق على تدميرها في السابق ولذلك، طلب الإذن لطرد المحتلين بقوة السلاح. وبما أن الإجراء يقود إلى قطيعة مع الشيخ طحنون، ويدخل الخليج من جديد في نزاعات وعداوات طلب منه إرجاء اتخاذ أي خطوات بهذا الخصوص إلى أن يتبين فيما إذا يمكن السيطرة على زعيم بني ياس لسحب تأييده من سليمان بن ناصر Salmin. لقد رفض الشيخ طحنون الإصغاء إلى أية نصائح ومقترحات الغاية منها تدمير ديرة Derah، ونتيجة لذلك قُدم احتجاج إلى الإمام الساخط على العصيان المتواصل لشيخ أبو ظبي، ووعد بأن يرسل ناقلتين حربيتين مع قوات سلطان بن صقر ضد ديرة Derah.

بعد أن لاحظ النفور الواضح الذي نظرت به الحكومة البريطانية إلى وقوع حرب بحرية بين قبائل الخليج، أحيا الشيخ سلطان بن صقر بذكائه المعتاد في رسالة مؤرّخة في كانون الأول من عام 1826 عدداً من المطالب

المعلقة لا أساس لها من الصحة ضد سكان كنغون Congoon، من أجل الاستيلاء على بغلة [سفينة] Buggalow قبل عدّة سنوات، بالإضافة إلى مزاعم ساقها ضد البصرة Bussora من أجل احتجاز وسجن عدد نواخيذ[1] Nakhodas بعض ناقلاته. وفي الوقت ذاته، أعلن، أنه ما لم تعوّض الحكومة البريطانية خساراته، فإنه يطلب إذنهم في خوض الحرب.

وأعلنت الحكومة البريطانية في ردها المؤرخ في شباط من عام 1827 أنها ستطلب من المندوب في الخليج رفع تقارير حول موضوعات شكواه، وفي حال تأكد للمندوب أن ظلماً لحق بالشيخ سلطان، فله الحق في أن يتصرف فيما يراه مناسباً من أعمال شريطة ألّا تؤدي إلى قرصنات. وسرعان ما صدر التقرير الذي أظهر أن الشيخ قد أساء عرض الوقائع الحقيقية على نحو كامل، والذي بعد أن فشل في مرماه على حضّ الحكومة في أن تتدخل على نحو فاعل لصالح مزاعمه التي لا أساس لها من الصحة، لزم الهدوء.

في شهر آذار من عام 1827 ظهر أسطوله على مسافة بعيدة من ديرة Derah، ووفى بوعده إلى الحكومة البريطانية بتدمير ذلك الحصن.

عندما ساد السلام على كل أصقاع الخليج، ارتمى السكان المشتغلين بالتجارة في أحضان ذعر كبير، نتيجة قرصنة جسورة قام بها شخص اسمه مسلم بن راشد (وهو أحد سكان رأس الخيمة) على قارب من صحار Sohar على ساحل باطنة Batinah. بعد أن تمَّ سلب حمولة هذا القارب التي تقدر قيمتها بثلاثة أو أربعة آلاف روبية، قذف بطاقمها إلى البحر، وأغرقت. باع القرصان القارب وقسماً من الغنائم. التقى ببغلة أرسلها الشيخ سلطان في إثره. تلا ذلك معركة ضارية انتهت بهروبه إلى لنجة، وأخذ مسلم بن راشد، مع القسم الأكبر من طاقمه سجناء، ونقلوا إلى رأس الخيمة. بسط الشيخ

---

(1) النواخذة هم الغواصون الذين يعملون في استخراج اللؤلؤ من البحر وكلمة نواخذة مستعملة لدى سكان الخليج (ماجد شبّر).

سلطان القضية أمام زعماء القبائل، وأشار في الوقت ذاته إلى مخاوفه من أن تتّخذ الحكومة البريطانية إجراءاتها الرادعة. ونتيجة لذلك اتخذ قراراً بقتل مسلم بن راشد على شاطىء البحر حيث خنق هناك ودفن. قبل أن يسلم الروح كشف بأن الشيخ القاسمي بارك القرصنة وأعطاه وثيقة مكتوبة تثبت ذلك، لكنه فقدها عندما تمَّ الاستيلاء على بتيل [سفينة] Buteel. احتجز باقي أفراد الطاقم لعدة أشهر، ليطلق سراحهم بموافقة من سموّ الإمام، بعد أن استرجعت الغنائم مع القارب.

بالرغم من تعرّض السلام وحبال الودّ بين الزعيم القاسمي (الجاسمي) والشيخ طحنون زعيم أبو ظبي لهزات عديدة، إلا أنها لم تنقطع على نحو كامل، إلى أن هلّ عام 1829 عندما أعلن الشيخ سلطان حرباً على الشيخ طحنون.

أكان ساخطاً بحق من الإمام للمساعدة في السر والعلن التي زعم بأن هذا الأخير يقدمها للشيخ طحنون، أو رغبة منه في استغلال الموقف الحرج الذي ألفى نفسه فيه سعود سعيد نتيجة لخيبته في البحرين، أشار شيخ رأس الخيمة في رسالة وجّهها إلى ممثّل السلطنة البريطانية في الخليج إلى نيته في شنّ حرب على سمو الأمير. رغم ذلك، فهو لم يقدم على الشروع بأي عمل حربي. وشيئاً فشيئاً استعاد علاقاته مع حكومة مسقط.

أخذت الحكومة البريطانية في الحسبان أن ملاحة السفن الحربية على ضفاف اللؤلؤ باتت غير ممكنة خلال موسم الصيد. (بالإشارة إلى الحالة العامة للحرب التي ساهمت فيها جميع القبائل على ساحل جزيرة العرب).

في نهاية شهر أيار من عام 1829 أعلن الشيخ سلطان بن صقر إلى ممثل السلطة البريطانية في الخليج، أنه وبالرغم من الكشف عن نيته محاصرة أبو ظبي، فقد علم أن ناقلة تحمل جواز مرور وعلم إنكليزي قد استأجرت من قبل بعض الناس في مسقط لنقل مؤنٍ ومعدات حربية إلى عاصمة بني ياس (أبو ظبي) التي كانت تعاني من نقص في المؤن. ولدى وصول الناقلة المعنية (وهي

السفينة التجارية سنبيري) قبالة الشارقة (الشارجة)، أفرغت قسماً من حمولتها التي أرسلت إلى هذا المكان، وكانت على وشك أن تستأنف رحلتها إلى أبو ظبي، رغم احتجاجات الشيخ سلطان عندما قام وكيل مالك السفينة، ومن دون علم القبطان ببيع حمولتها إلى الشيخ القاسمي. وأرسلت القوارب وصعد طواقمها إلى متن السفينة وجرت محاولة إنزال العلم البريطاني، والتي قاومها ربانها الذي تعرّض لضرب عنيف من قبل أحد العرب. ولدى احتجاج القبطان على هذا الاعتداء، تنصل الشيخ سلطان مما جرى بالكامل، وأزال وصول أميرست وهي سفينة حربية مخاوف مزيد من العنف. وبغية إثبات أن الاعتداء الذي وقع للسفينة قد حدث من دون علمه، أعطى الشيخ القاسمي أوامره بأن يحرق القارب الأول الذي صعد على متن السفينة سنبيرن، وبأن يساط الشخص الذي أنزل العلم البريطاني.

في حزيران من عام 1829 أرسي السلام بين الشيخ سلطان بن صقر والشيخ طحنون بن شخبوط، من خلال وساطة قام بها زعيم لنجة، كان الشرط الرئيسي فيها عدم تدخل الأطراف الأخرى. وبما أن إمام مسقط كان على وشك الانطلاق إلى مناطق سيادته على الساحل الإفريقي، ارتأى أنه من الحكمة بمكان أن ينهض بأعباء الهدوء في أقاليمه الواقعة في جزيرة العرب، من خلال دفع مبلغ سنوي من المال لكل زعيم من الزعماء القواسم، وخصّص مبلغ ألفي كراون ألماني سنوياً للشيخ سلطان. ورغم هذه التدابير، كان الشيخ على وشك أن يرسل 400 رجل لمد يد العون لشقيقه سعود هلال حاكم سويق Soweik في الحرب التي كان يخوضها ضد الإمام (نتيجة السجن المجحف بحق شقيقه)، لكن رؤوس قبيلته، وبعد أن عقدوا اجتماعاً، أعلنوا عن رفضهم. بعد ذلك بوقت قصير، تلقّى اتصالاً من ممثل السلطة البريطانية في الخليج تطلعه فيه أن أية خطوات عدائية ضد أقاليم سموه سينظر إليها على أنها إعلان حرب من قبل حكومته.

في أيار من عام 1830 استثار سكان ساحل جزيرة العرب على نحو كبير النجاح الكبير والمفاجىء الذي أحرزه تركي بن سعود الزعيم الوهابي على

قبيلة بني خالد، وزحف ذلك المذهب باتجاه الجنوب. كان مشهد السيطرة من جديد للنفوذ الوهّابي على القواسم والشيخ راشد بن حمد زعيم شيخ عجمان، ومحمد بن راشد شيخ أم القيوين، لم يكن مقنعاً.

سرعان ما تدهوت العلاقات الودّية بالسلوك الخارج عن القانون لأتباع ورعايا الشيخ سلطان الذين قاموا في شهر أيلول بارتكاب قرصنة على قاربين من قوارب اللؤلؤ التابعين لبني ياس قرب البحرين. ولدى وصول معلومات تتّصل بهذا العمل إلى مسامع الشيخ طحنون، فرض حظراً على أربع عشرة ناقلة من الناقلات القواسم، التي اقتربت من أبو ظبي من أجل التزوّد بالمؤن. وعلى الفور شجب شيخ رأس الخيمة ما قام به أتباعه، بعد أن أصابه الذعر من الإجراء الحاسم الذي اتخذه الشيخ طحنون، وبعد أن عاقب الشخص الذي ارتكب هذه القرصنة، أعاد القوارب المستولى عليها، مع طواقمها وحمولاتها إلى أصحابها. بعد هذه الترضية، حرّر الشيخ طحنون الناقلات القاسمية، لكنه احتجز العبيد واللآلىء التي تخص الشارقة (الشارجة) ضماناً لأحد رعاياه من قبل أحد سكان دبي السابقين، والذي يعيش الآن في كنف وتحت حماية الشيخ سلطان في الشارقة (الشارجة). في هذا الوقت (كانون الأول من عام 1930) كانت المراسلات مستمرة تعالج موضوع اللآلىء (تمكن العبيد من الهروب والنجاة والعودة إلى أسيادهم السابقين)، لكن لم يظهر سوى بصيص من أمل (هذا إن كان موجوداً بالفعل) في أن تحلّ هذه المسألة وتنتهي إلى خير وسلام.

ـ نجد في عام 1772 الشيخ راشد زعيم رأس الخيمة والذي خلف والده الشيخ مطير Mutter متحالفاً مع إمام مسقط، ومتعاوناً مع الشيخ خلفان حاكم ذلك الميناء، ضد الفرس. قاموا بتدمير اثنتين من الغلافات Gallivates الفارسية قبالة جمبرون Gombroon ومستودعاً للذخيرة للحشود الفارسية كانت قد بنته في لنجة Lingah.

ـ كان إمام مسقط منهمكاً في الحرب مع الشيخ راشد في عام 1775

والذي بات مسيطراً وصاحب سطوة على اليابسة وأسر قوارب للبوشهر (بوشهر) بذريعة أن حمولتها تخص مسقط.

ـ أما الشيخ راشد الذي انسحب من الحياة العامة، فقد هجر المشيخة وسلمها لابنه الشيخ صقر الذي مكّنه زواجه من واحدة من بنات الشيخ عبد الله من تسوية جميع الخلافات فيما بينهما.

ـ ظهر القواسم بوصفهم تجاراً، وللعديد من السنوات. ومن خلال نشاطهم، استمروا في أعمال عادت عليهم بالكثير من الأرباح، لكن وكما يضيف الكابتن سيتون، فإن طبيعتهم غير المستقرة والمتهورة كانت تكشف عن نفسها باستمرار، وأدّت إلى حروب ونزاعات ضيّقة الأفق، فيما بينهم ومع جيرانهم.

ـ حضّ أسطول رأس الخيمة الذي كان يجوب المياه ونتيجة لتدهور السطوة الفارسية في الخليج، جميع الزعماء حتى إن كان البعض منهم ضئيلي الشأن، على التجهّز بقوارب مسلّحة، وطواقم من رجال خارجين عن القانون، لا يعترفون بسيطرة، والذين يعتمدون فقط على السلب والنهب بغية البقاء على قيد الحياة والتي كانوا يقومون بها على نحو عشوائي. نشأت هذه الحالة عن الحرب بين رأس الخيمة ومسقط.

ـ بسبب الحالة الداخلية غير المستقرة لبلاد فارس، استمرّت الحرب مع رأس الخيمة، وكان الشيخ عبد الله زعيم هرمز Ormus على خلاف مع الكراك Karrack وشيخ الحرم Al Haram مع سكان جميا Jamia وعتوب الزبارة Zobara والقرين (الكويت) Grane ومع كعب Chaab.

ـ ظهر بعد ذلك الشيخ صقر ساعياً إلى المفاوضات من أجل إحلال السلام بين الفرس والعتب الذين نهبوا البحرين واستولوا عليها، لكنه وبعد أن فشل في جهوده، انضم إلى الشيخ ناصر من بوشهر Bushire في حملة من أجل استعادة الجزيرة، والشيخ القاسمي بعد أن التزم الجانب المضاد للعتوب،

نتيجة أسرهم أحد قواربه، وقتلهم ثمانية عشر من الطاقم. تكررت هذه المحاولات لإضعاف البحرين ولم تتوقف حتى عام 1785.

ـ لم ينضم القواسم (الجواسم) إلى النزاعات التي وقعت بين العرب والمنتفق Montific والحكومة التركية.

بقي ذكر القواسم (الجواسم) مغيباً لعدد من السنوات. وتمتع الخليج بكل مظاهر الهدوء في عام 1793 و1794 و1795 و1796.

ـ استهلّ القواسم (الجواسم) اعتداءاتهم في عام 1797 حين استولوا على الناقلة البريطانية ذا باسيين سنو Bassein Snoa والتي كانت ترفع العلم البريطاني ومحملة بالمبعوثين في الثامن عشر من أيار قبالة رامسي Ramse من قبل أسطول من الدوات Dows [سفن] تعود ملكيتها إلى رأس الخيمة، على أي حال حرّرها الشيخ بعد يومين.

ـ في تشرين الأول التالي هاجم القواسم الطراد فايبر Viper، أثناء رسوه في بوشهر رودز Roads.

وصلت دوات [سفن] Dows القواسم قبل حوالي ستة أيام من وصول الطراد، تحت إمرة الشيخ صالح، زعيم بني قاسم وابن شقيق شيخ القواسم (الجواسم)، الذي كان يخوض حرباً مع إمام مسقط. كان هدفهم يكمن في اعتراض عرب سوارية Sooree الذين كانوا في البصرة Bussora. وفي يوم وصول الطراد فايبر Viper، كان الشيخ صالح قد التقى مع المندوب في بوشهر Bushire وبعد تبادل العبارات الودّية عبّر عن أفكاره، ورجانا بألّا نحمي دوات صورية سفن الصوري The Sooree Dows وألا ننقل أية حمولات بريطانية على متنها، ولكن إن حدث وفعلنا، وعد بألا يمسسها أي سوء. بعد أن جهر بروح الصداقة هذه طلب تزويده بقذائف وبارود من الطراد فايبر Viper، وبعد أن تمت إجابة طلبه هاجم الطراد على نحو غادر، لكنه هزم.

ـ احتج المندوب في البصرة Bussora على هذين الهجومين، فقد تصادفا

فيما يتصل بإعلان الشيخ صقر عن الصداقة والاحترام للإنكليز، محاججاً، أن الطراد هو الذي بدأ بإطلاق النار على [سفن] الدوات Dows. وأعلن بأن الشيخ صالح غادر رأس الخيمة، وبعد أن انسحب من القبيلة، يمّم وجهه نحو الشاطىء الفارسي حيث رسخ نفسه بين عرب بني خالد، وتزوج بامرأة من تلك القبيلة التي اشتهرت بطبيعتها البغيضة، ومنذ بداية العداء بين القواسم وسكان عمان، تصرف الشيخ صالح على نحو مستقل عن رأس الخيمة، مرتكباً أعمال السلب والنهب بحسب ما تقوده ميوله، واعتبر أنه لا توجد للقواسم (للجواسم) نزاعات مع الإنكليز، ويعتبرون شعب عمان هو العدو الوحيد لهم.

ـ ظهرت هذه النزاعات نتيجة لحالة غير مستقرّة لحكومة مسقط لدى موت سعود أحمد والانتهاكات التي قام بها سعود سلطان الذي انهمك في نزاعات خطيرة مع عرب الخليج، والتي جاءت بحرب مع العديد منهم الذين اتحدوا ضده، وفهمت حكومة بومباي أن الاعتداءات التي عانت منها الناقلات البريطانية كانت صادرة عن العرب لصالح أمير عمان المخلوع.

ـ في نهاية عام 1798 كان إمام مسقط يهدّد البصرة بسبب بعض الاستحقاقات القديمة ضد باشا بغداد. ولكي يمكنه على نحو أكثر فاعلية في تنفيذ نواياه العدائية، فاوض سعود سعيد من أجل السلام مع أعدائه من القواسم.

ـ لم يتعاون القواسم (الجواسم) مع الإمام في هجومه على البحرين، كما لم يصل إلى مسامعنا الكثير عنهم حتى عام 1802.

1802 ـ 1803 ميلادية

عندما توجه اهتمام الإمام إلى تشكيل حلف مع القواسم (الجواسم) والذي فشل ـ ربما كان الهدف من الحلف هو المساعدة في الهجوم على الزبارة Zobara والبحرين. وخلف الشيخ صقر الذي توفي في عام 1803 ابنه الشيخ سلطان.

ـ أخضع الوهابيون الساحل برمته من البصرة إلى دبي ومن ضمنه إقليمهم بالاسم فقط في نهاية شهر أيار عام 1802. عندما كان عام 1804 يشارف على نهايته، دخلوا في حلف العتوب.

ـ بإمكاننا الآن أن نؤرخ لحقبة عندما بدأ القواسم (الجواسم) بالاشتراك في أعمال قرصنة وسلب ونهب. ووصولاً إلى نهاية عام 1804 لم يقوموا بأي قرصنة، ولكن باستثناء الهجوم على الناقلة باسين سنو Bassien Snow والطراد فايبر Viper، فقد أظهروا كل احترام للعلم البريطاني.

ـ خضع رؤوس القبائل في الخليج إلى تأثيرات كبيرة بعد أن مارس الوهّابيون تأثيرهم على إمارة صير وبعد أن سقطت حكومة مسقط تحت سيطرتهم، عند موت سعود سلطان، وانصبّ اهتمام الحكومة البريطانية على كبح روح القرصنة التي بدأت تكشف عن نفسها في تلك الفترة.

ـ أوقعت النزاعات على الخلافة بين أفراد أسرة مسقط، الخليج في حالة كبيرة من الفوضى: فقد أسر القواسم (الجواسم) ناقلتين (الشانون The Shannon وتريمر Trimmer) التابعتين للسيد مانيستي Manisty مع تقارير ومبعوثين، وعاملوا قادتها بقسوة ووحشية شديدتين، كما أحاط أسطول من القوارب الشراعية بالطراد مورنغتون Morington وبدأوا يطلقون عليه النار لكن سفينة أو اثنتين أجبرته على تغيير وجهته. كما تعاونوا أيضاً مع الملّا حسين حاكم قشم (كشم) Kishm الذين اتحدوا معه ضد ميناء بندر عباس و Miano بينما وضع بدر المنافس القوي على الإمامة خطة (بالرغم من الدعم الذي كان يتلقاه من الوهابيين) مع العتوب لتدمير القواسم (الجواسم) والذين كانوا في أثناء ذلك الوقت خاضعين لعبد العزيز.

ـ انطلق سعود بدر، عندما سويت النزاعات مع سعود قيس Ghes من صحار Sohar، بقوة برية وبحرية من أجل استعادة بندر عباس، وميانو Miano وهرمز Ormus وهذا ما حقّقه. في أثناء هذه الفترة تواصلت العمليات على نحو محموم من قبل البريطانيين ضد القواسم (الجواسم)، بالتنسيق مع حكومة

مسقط. انطلقت القوات المشتركة إلى قشم (كشم) Kism حيث حاصرت أسطولاً للقواسم (الجواسم)، وتمَّ إضعافه إلى درجة كبيرة ما جعل هؤلاء الأخيرين يتوسلون السلام. وافق الكابتن سيتون Seton على منحهم هدنة إلى أن تتكشف رغبة الحكومة بذلك، مفسراً، كسبب يدعوه بعدم مواصلة عدائه الشديد، استحالة تحقيق الهدنة من دون الإساءة إلى الفرس أو إلى الوهابيين.

ـ أعاد القواسم (الجواسم)، وبحسب مواثيقهم، الناقلة تريمر Trimmer والشانون Shannon بعد أن استسلمتا في وقت سابق، وبعد أن تمَّ سلبهما بالكامل.

ـ في شهر تشرين الأول وصل أحد الوكلاء إلى مسقط قادماً من عند الملّا حسين، وقد أرسله القواسم (الجواسم) للدخول في مفاوضات من أجل السلام لهم. بعد أن تمّت المطالبة بأوامر من حكومة بومباي، أبلغ الكابتن سيتون أنه وفي حال باتت حكومة بومباي طرفاً في عملية السلام، فيجب ألّا تكون ذات طبيعة محدودة، بل يجب أن تمتدّ لتشمل الخليج كله، وكان على الكابتن أن يطلب تعويضاً للخسائر التي تكبدها.

ـ بعد أن وجد الكابتن من غير الواقعي إطاعة أوامر الحكومة للحصول على التعويضات المطلوبة من دون اللجوء إلى العداء الذي سيورطنا في حرب شاملة مع الخليج برمته، ارتأى أنه من الصواب الدخول في الاتفاقية مع القواسم (الجواسم) المؤرخة في السادس من شهر شباط من عام 1806 والعدد الهائل من الأشخاص الذين يمثلهم بوصفهم توّاقون للعودة إلى مهنتهم التجارية. لم يتم التفاوض بشأن هذه الاتفاقية[1] بالإجماع، أو حتى بمعرفة الشيخ الوهابي.

ـ حافظ القواسم (الجواسم) على صدق مواثيقهم في كل مسألة تتصل بالبريطانيين لكنهم تعاونوا في العام التالي مع الإمام سعود بدر، الإمام، في

---

(1) نسخة من هذه الاتفاقية موجودة في نهاية هذا الكتاب. [شبّر]

هجوم على سعود قيس Ghes الذي رفض أن يصبح طرفاً في السلام، والذي لم يتمكّن من فعل ذلك بشرف وشجاعة إلى أن انتقم من دم سعود سلطان.

- توسع القواسم (الجواسم) وصولاً إلى الهند وبتحريض من الوهابيين، بعد أن منعتهم معاهدة عام 1806 من مواصلة جولاتهم البحرية في الخليج. وفي شهر نيسان من عام 1808 كان أول ظهور لهم كقراصنة في المياه الهندية، على الساحل باتجاه الشمال من بومباي فقد فكر شيخ الوهابيين طويلاً في توسيع رحلات القرصنة البحرية إلى الهند. وقد جعل شيخ الوهابيين القواسم (الجواسم) بأمر جاء في الآونة الأخيرة، مستقلين عن الشيخ سلطان زعيمهم الشرعي، والذي لم يبق له شيء في هذه الفترة سوى رأس الخيمة ورمَس Ramse والشارقة (الشارجة)، ومناطق أخرى كانت ترسل بقواربها من دون إذنه. وكان غديف Gadeef وهو زعيم عربي من قبيلة القواسم (الجواسم)، يقطن البر الفارسي، وكان مناهضاً للقرصنة، لكن رعاياه منعوا من التجارة بسبب صيتهم السيئ، ونشدوا مصدر الرزق في ناقلات الآخرين.

أعمال القرصنة هذه (كما عبّر عن ذلك الكابتن سيتون) «يمكن أن تُعدّ عملاً اعتيادياً يحرض عليه الوهابيون». وفي إحدى الرحلات البحرية لهذا العام استولوا على عشرين قارباً محلياً ما زاد في نهمهم، حتى أنهم قرروا إرسال أسطول يتألف من خمسين قارباً باتجاه السند Sind وكوش Kutch.

- في العشرين من شهر تشرين الأول خرقوا معاهدة 1806 بهجومهم على الطراد سيلف Sylph وأسره في الخليج. استعيد الطراد من قبل الفرقاطة نيريد Nereid تحت إمرة إتش. إم والتي كانت في الجوار عندما صعد القواسم (الجواسم) على متن الطراد.

- في العام التالي أمر الوهابيون القواسم (الجواسم) والعتوب أن ينطلقوا ضد القرين (الكويت) Grane. اعتذر العتوب، لكن القواسم (الجواسم) قبلوا الذهاب شريطة أن يتم تزويدهم بالسفن.

- هاجم الفرس من لار Lar القواسم (الجواسم) في لنجة Lingah وبلدة كراك Karrack وأجبروهم على التقهقر إلى باسيدو **Bassside** في جزيرة قشم (كشم) **Kish**. على أي حال أفلح القواسم (الجواسم) ضد أسطول جهزه محمد Mahomed نبهي Nubhee خان مقابل خور حسان Khore Hassan حيث واجههم 22 قارباً قاسمياً (جاسمياً) وهزمهم، واستولوا على 6 ناقلات للبوشهر Bushire.

- بعد أن عيّن الزعيم الوهابي حسين بن علي، وهو من القواسم (الجواسم)، وشيخ رامس Ramse، نائباً له في إمارة صير **Seer** عهد إليه بالسلطة على رأس الخيمة، وعين ضباطاً وهابيين في أنحاء مناطق القواسم (الجواسم). أما الشيخ سلطان، الزعيم القاسمي (الجاسمي)، وبعد أن دعي إلى ديرة Deriah، يمّم وجهه إلى تلك العاصمة، لكن الزعيم الوهّابي أبقاه هناك وسجنه فيها. تدبر الشيخ سلطان أمر هروبه من السجن، وتوجّه إلى اليمن على متن (سفينة) موكا Mocha ومن ثم إلى مسقط، وتوسّل الحماية من الإمام، متنصلاً من أي تأييد أو تعاون في الهجوم على الطراد سيلف Sylph، معبّراً في هذه المناسبة، عن رغبته في الامتثال لمعاهدة 1806. أخذه الإمام إلى الشارقة (الشارجة)، ونصبه على قبائل القواسم (الجواسم) هناك. يمضي الشيخ سلطان أوقاته في لنجة Lingah من حين لآخر.

- أطلقت الحكومة البريطانية حملة إلى الخليج في ظل تعليمات أرّخت في السابع من أيلول في عام 1809 بعد أن قررت تحرير الإمام من قوة الوهابيين، ولكي تقمع أعمال القرصنة.

وجهت عملياتهم الحربية الأولى ضد رأس الخيمة. بدأ الهجوم بإمطارهم بوابل من القنابل خلال الثاني عشر من تشرين الثاني. وفي اليوم التالي، هوجم القواسم (الجواسم) بقوة من البحر والبر، وبعد مقاومة شرسة لكنها غير مجدية أجبروا على العودة إلى داخل البلاد. أما البلدة والناقلات في

الميناء والتي وصل عددها إلى خمسين، مع سفينة المقدمة الإنكليزية مينيرفا The Minerva، فقد احترقت.

ـ تجرأ شيخ رأس الخيمة على طلب جزية من الحكومة للسماح للقوارب البريطانية أن تبحر بسلام في الخليج.

ـ وانطلق التسليح من رأس الخيمة باتجاه لنجة **Lingah** حيث تمّ تدمير عشرين سفينة (دوات) Dows وهجر السكان البلدة لدى اقتراب سفننا. وعندما لم تجد ناقلات في موانىء كنغون Congoon وبندر ميلم **Mullim** وحمرام **Homeram** انطلقت القوات الحربية إلى لفت Luft الواقعة على الجانب الشمالي من جزيرة قشم (كشم) Kishm. وسرعان ما استولت حشودنا على البلدة، لكن القوة غير المتوقعة للحصن، وبأس سكانه أحبط كل المحاولات للاستيلاء. رغم ذلك تمّ إحراز كل الأهداف الرئيسة من الهجوم، فقد تمّ تدمير جميع قواربهم ودواتهم (سفن) Dows على نحو كامل. واستمر قذف القنابل، وسلم الملّا حسين المكان مع أملاك تصل قيمتها إلى لكين[1] من الروبيات والتي تخص الإمام، والتي سلمت مع الحصن إلى الإمام الشيخ درويش زعيم بني نعيم، وهي قبيلة عربية كانت على صلة مع سموّه.

ـ عندما ضعفت لفت **Luft** انطلقت القوات الحربية إلى مسقط. وعبر قادة الحملة عن استعدادهم للتعاون مع سموهم في استعادة موانئه الأخرى. واقترح أن يرافق القوات بقوة كبيرة للهجوم على شناص **Shinas** وخورفكان **Khore Fukaun**.

ـ وصلت القوات إلى شناص Shinas في الحادي والثلاثين من كانون الأول واستدعيت في اليوم التالي. لكن ذلك لم يحدث أي تأثير. وبما أن وضع الحصن كان بعيداً عن أن تضعفه شأن هذه الوسائل، نزلت القوات إلى اليابسة. تمَّ الدفاع عن شناص Shinas بشجاعة بطولية وعزم لا يلين. وبعد

---

(1) اللك: هي وحدة حسابية هندية الأصل بمعنى 1000 (ماجد شبر).

مقاومة عنيدة دموية، استسلم الحصن، وسُلم إلى حشود عمان، لكنه كان قد تعرض إلى الكثير من الدمار.

ـ بعد أن عبّر الإمام عن بعض من تردد فيما يتصل بالهجوم على خورفكان Khore Faukaun، وانطلاقاً من إدراك مقاومة عنيدة مماثلة لتلك التي حدثت في شناص والتي ستجعلها عرضة لقوات سموه، فقد تمّ التخلي عن الهدف، بما أنه ليس هناك من اهتمام بريطاني يتصل بها، وبما أنه ليس هناك من ناقلات قرصنة تخص الميناء.

ـ لم يكن القادة قادرين على صياغة معاهدة مع رأس الخيمة، بعد أن تمّ أسر زعيمهم الشيخ سلطان على يد الوهّابيين، وتمّت الإطاحة بحكومتهم تماماً، والتي من دونها لا يمكن لمعاهدة أن تلزم القواسم (الجواسم) من دون سلطة قبيلة سعود المباشرة ومشاركتهم فيها والتي كانوا يعتمدون عليها كلياً، لكن القادة لاحظوا ـ كان هذا هو الانطباع عن عملياتنا ضد الموانىء الرئيسة للقرصنة ـ أنهم نجحوا في مطلبهم الهادف إلى تدمير كل دوات (سفن) Down والقوارب الضخمة لزعماء القبائل ضئيلي الشأن من رامسي Ramse إلى أبو كيلي Abookelye على الجانب العربي بالإضافة إلى موغو Mogoo على ساحل فارس.

نُصح زعيم جارك (تشارك)، وهو الذي لا يملك أية دوات أو قوارب ضخمة، بالامتناع عن تشجيع أو حماية أية أعمال قرصنة في المستقبل. رسالة أخرى وُجّهت إلى زعيم نخيلو Nakheeloo أُرفقت بطلب تحرير الشيخ جبارة Jubara زعيم كنغون Congoon، وصديق الإنكليز. لم تُعد معلومات هُدف منها الإصرار على تدمير ترومكيز Tromkeys وقوارب صغيرة ـ وهو إجراء كان سيُعد قاسياً على أكثر السكان فقرا وخلق الكراهية ضد الاسم البريطاني والذي لم يكن موجوداً على العموم، والعديد من القرى الصغيرة على جانبي الخليج أُجبرت على الاشتراك في القرصنة.

ـ بما أن العتوب لم يرتكبوا أي أعمال سلب ونهب ضد تجارتنا، حتى

في الأوقات التي كان فيها القواسم (الجواسم) يزيدون من ثرواتهم من خلال عمليات الاستيلاء المتكررة على الناقلات البريطانية، فقد قرر القادة عدم الهجوم على خور حسان Khore Hassan.

ـ ثمة انطباع ساد في الخليج، تأسس على نتيجة هذه الحملة، مفاده أن القواسم جُعلوا غير قادرين على القيام بأي أعمال سلب ونهب في البحر. وأكد المندوب في البصرة هذا الرأي، لكنه أضاف «إن شأن هذه الروح المنتقمة الحاقدة الوهابية، وللسكان القاطنين في الجانب العربي من الخليج تحت نطاق سلطة الشيخ سعود سوف يحاولون صبّ انتقامهم على أي ناقلات بريطانية غير محمية يمكن أن يتلقوها. وفي جميع الأحوال يجب عدم الثقة بشأن هؤلاء البشر، وقد أوحى السيد مانيستي بحظر تصدير أخشاب البناء من موانيء الهند إما لأولئك الذين يقطنون البحر الأحمر أو الخليج، بما في ذلك مسقط التي سيتدبر القراصنة أمورهم انطلاقاً منها. فبلادهم لا تنتج أي نوع من الأخشاب يصلح لبناء السفن أو القوارب، وإن حدث ذلك فإن قوانين الحكومة البريطانية تمنعهم من التزود بخشب الساج ولن يكون بمقدورهم أن يمتلكوا طويلاً قوة بحرية هامة.

ـ عاد القراصنة إلى الظهور في بداية عام 1812 وفي العام التالي دمروا عدداً من الدوات Dows الضخمة والبغالة Buggalow التابعة لموانيء البصرة Bussora وكنغون Congoon. لم تنج القوارب التي كانت تبحر تحت الراية البريطانية من أعمال السلب والنهب، بينما تمت إعاقة قوارب أخرى في بندبور Porebunder ومنعت من مواصلة تجارتها.

ـ في العام التالي جهز الإمام حملة ضد ميناء رأس الخيمة بغية إعادة تنصيب الزعيم القاسمي في حكومته. ومن جهته وعد الشيخ سلطان الإمام أنه إذا أُعيدت إليه أملاكه، فلسوف يخضع للإمام وحلفائه، وسيمتنع هو وقبيلته عن القيام بأي أعمال قرصنة. طلب الإمام من السيد بروس Bruce الموجود في مسقط، أن يرافقه ليشهد على المعاهدة التي سيدخلها مع السلطان بن صقر

Sugger وأيضاً من أجل الدخول في مفاوضات من أجل معاهدة مع القائد القاسمي (الجاسمي) من جانب الحكومة البريطانية، والتي، وكما ألفاها الإمام سيكون لها أكبر أثر في جعله يحافظ على العهود التي قطعها. بما أن سلطان ابن صقر بات الآن مدركاً لعزمنا بعدم السماح بأي إهانة دون رد مناسب.

- في الوقت الذي بدأ فيه الزعيم القاسمي (الجاسمي) تجديد المعاهدة مع الكابتن سيتون Seton في عام 1806 فقد عُدت ضرورية لقمع أعمال القرصنة التي يقوم بها رعاياه، وتلقى السيد بروس أوامر تقضي بأن يتخذ الإجراءات الضرورية بحسب ذلك، وبأن يوثق اتفاقيات مماثلة مع زعماء القبائل الآخرين في الخليج.

- فشلت هذه الحملة، وانتهت حملة ثانية تمَّ التجهيز لها في عام 1814 وللغرض ذاته، بسلام أرسي بين إمام مسقط والقواسم (والجواسم)، وأُجبر الشيخ صقر Sugger على أن يدخل كطرف فيه. وافق هذا الأخير، كما قيل، على أن يسيطر سموه على رأس الخيمة، وعلى أن يستقر هو في الشارقة (الشارجة).

- في السابع من آب أرسل السيد بروس رسالة كانت قد وصلته من الشيخ صقر Suggur تبلغ عن الاستيلاء على سفينة أحمد شاه على يد شيخ جارك (تشارك) Charrak. في الرسالة، نوّه السيد بروس بأن الزعيم القاسمي (الجاسمي) المندوب في لنجة Lingah كان مرتبطاً إلى حدّ كبير بالحكومة البريطانية. والحكاية الوحيدة التي نملكها بشأن هذه المهمة موجودة في رسالة الوكيل التجاري في مسقط المؤرخة في السابع من تشرين الثاني وتقول بأن ملك فارس قد أرسل ثوباً فخرياً لسلطان بن صقر Sugger للحصول على تعاونه مع فارس في إضعاف البحرين.

- نتيجة لبعض أعمال السلب والنهب التي طالت التجارة، وصلت الاحتجاجات إلى مسامع زعماء الوهابيين والقواسم، فيما يتصل بهذه الأحداث المسيئة. أجاب حسين أرحمة (رحمة) Rahmah زعيم رأس الخيمة،

معلناً بأنه لم يكن على علم بأن أياً من الناقلات التي تحمل العلم وجواز المرور البريطاني قد تمَّ الاستيلاء عليها من قبل القواسم (الجواسم)، ولكن إذا أثبت أن ذلك صحيحاً كما سيظهر في القريب، فسوف تُستعاد الناقلات، وبأنه سيصدر مستقبلاً أوامر لقبيلته بعدم التعرّض أو الاقتراب من أي سفينة أو ناقلة تحمل العلم البريطاني، كما أنه لا يرغب في اعتراض التجارة البريطانية بأي طريقة. وبينما كان يتجه إلى ديرة Deriah أخذ حسين بن رحمة Rahmah رسول السيد بروس معه، بغية الحصول على رد على رسالة الزعيم الوهّابي.

ـ عاد الرسول برسالة أخرى من الشيخ حسن بن أرحمة (رحمة) وفيها، رغم أنه يقرّ بأن طراداته قد زارت الموانيء الشمالية من الهند، أنكر بأنهم تعرّضوا عن علم لأي ناقلات تبحر تحت العلم البريطاني، وكرر تأكيداته على عدم الرغبة في التعرض لأي تجارة بريطانية. وباقتراح من السيد بروس أصدرت تعليمات بأن تكتب جوازات المرور باللغة العربية أيضاً لمنع القواسم من التذرع بجهلهم فيما يتّصل بأي جواز موجود على متن الناقلة.

ـ في الثاني من تشرين الأول وصل أحد الوكلاء واسمه حسين بن محمد بن غيث إلى بوشهر Bushire يحمل رسائل من الزعيم الوهابي وحسين بن رحمة الذي أدان سلوكه الزعيم الوهابي وسلوك قبيلته وألزم نفسه على أن يجبر حسين بن رحمة على تسليم الممتلكات بما أننا نحن البريطانيون استطعنا أن نثبت استيلاءهم عليها، والذي أنكر من جهة أخرى الاستيلاء على أي ممتلكات بريطانية معبراً عن أمله بألا نكون قساة في التنقيب في الماضي. خُول الوكيل في الدخول بعهود مع السيد بروس. وصرح بأن القواسم (الجواسم) كانوا توّاقين لأن تكون علاقتهم مع الحكومة البريطانية على أحسن ما يرام، وبأنهم سيحترمون علمنا ورعايانا، لكنهم أملوا بألا نلحّ على إيقاف ملاحتهم مقابل تلك الولايات التي كانت تناصبهم العداء. وبحسب العُرف بين القبائل العرب فإن الدم لا يقابله سوى الدم. وبأنه إن لم يتبعوا هذا النوع من الحروب، فسيفقدون مركزهم بين الولايات العربية، وسيزحف أعداءهم إلى

بيوتهم ليهاجموها، والأكثر فهم مجبرون من قبل الزعيم الوهابي على شنّ الحرب ضد الولايات الإسلامية في الخليج، لجلبهم تحت نير مذهب الوهابيين، وأن يحترموا فقد العلم والرعايا البريطانيين، وبأننا إذا ضمنّا، بناء على توقفهم عن هذه الصيغة من الإجراءات، فلن تتعرض أي ولاية عربية لهم أو لناقلاتهم وسيضمنون سلامتهم ضد انتقام الزعيم الوهابي بسبب عدم إطاعة أوامره، عندئذ سوف يتخلون عن نهج الحياة الذي يسلكون.

ـ أكّد السيد بروس حقيقة تصريح حسين بن غيث فيما يتصل بوضعهم ووضع العرب وعقائد دينهم، التي تفترق عن الطوائف الإسلامية الأخرى، والتي جعلتهم أعداء لكل الطوائف الإسلامية الأخرى التي ستناصبهم العداء. وترى أنه من الصواب الدخول في بنود أولية في اتفاقية مع حسين بن غيث، رافضاً مزاعم جميع المطالب الأخرى، ومؤكداً على نسيان الماضي، بناءً على الشروط التي أعلنتها المواثيق. بعد أن قرر الزعيم القاسمي أن يوفد وكيلاً إلى بومباي اقتنع السيد بروس أن يرسي الاتفاقية الأولية التي نحن بصددها.

ـ تمّ الاستيلاء على بعض القوارب التي كانت ترفع العلم البريطاني قبالة بندبور Porebunder في شهر آب من عام 1814. ما حدا بالسيد بروس أن يرسل قارباً إلى رأس الخيمة مع رسائل إلى حسين بن رحمة وإلى وكيله الذي دخل في الميثاق الأولي الذي ذكرنا بنبرة ودّية، ورسالة إلى سلطان بن صقر زعيم لنجة Lingah.

ـ ولدهشة السيد بروس عاد نوخذة Nakhoda بعد أيام من رحيله في حال يرثى لها، يكاد أن يموت جوعاً. أخذ زعيم لنجة Lingah ـ والتي انطلق إليها القارب أولاً ـ أخذ ثمانين فرازلة Frazil[1] من التمور، وبدا ميالاً إلى الاحتفاظ بالقارب، لكن لدى رسوه بعيداً عن بلدة رأس الخيمة، اقترب قارب يستفسر عن تلك الناقلة. وسرعان ما خرج حوالي عشرين رجلاً مسلحاً من

---

(1) وحدة قياس الوزن.

القارب الأخير استلوا سيوفهم المعقوفة ودفعوا الناخوذ وقسماً من الطاقم إلى الماء. أما أولئك الذين كانوا في القارب الآخر، ولدى رؤيتهم ما حدث، قطعوا حبل القطر، وهربوا، آخذين معهم من قفز إلى مركبهم، ووصلوا إلى بوشهر Bushire.

- أثبت الاستيلاء على هذا القارب الذي أرسل على أساس المواثيق التي أُبرمت منذ عهد قريب، مقدار ضآلة الثقة التي يمكن أن تودع في أي معاهدة مع قطاع طرق خارجين عن القانون. كما أن هذا العمل يتعارض مع السلوك الذي ميّز العرب الذين اشتهروا بحسن الوفاء حتى بالنسبة لأعدائهم. إن هذا الصدع الكبير الذي أصاب الثقة في مقتل، أثبت على نحو لا يقبل الشك عزم القواسم على مهاجمة جميع الناقلات أياً كانت.

- تبع هذا الهجوم استيلاء القواسم على بغلة [سفينة] Buggalow تابعة لإمام مسقط أثناء رسوه في أحواض موغو[1]. . كانت البغلة محملة بالجياد البديلة للسبعة عشر فارساً، والكبريت. كما تمَّ الاستيلاء على ستة قوارب أخرى بعيداً عن ساحلي كراچي والسند.

- أضاف النجاح الذي لازم الرحلات البحرية اللاحقة التي قام بها القواسم (الجواسم) قوة على قوتهم، ما شجع معظم الموانىء الأخرى على الساحل، من كيب نابند Cape Nabend (رأس نابند) إلى الجنوب، أن تتبع النهج ذاته. جهر شيخ الجارك (التشارك) الذي شُجع على التواصل مع رأس الخيمة وعبد الله بن أحمد شيخ البحرين، بعزمه على مواصلة أعمال القرصنة، بوصفها الطريقة الأضمن للحصول على الثروة والقوة.

- اشتبك القواسم مع أسطول الإمام وهزموه، وكادوا أن يستولوا على الفرقاطة كارولاين Caroline ذات الاثنين والثلاثين مدفعاً.

---

(1) كان أهالي موغو يعرفون بأمر أعمال النهب والسلب هذه، وفي الواقع فقد سرّبوا معلومات عن وجود بغلة Buggalow هناك.

ـ تمَّ الاستيلاء على ناقلة تابعة لبومباي، كانت تبحر تحت العلم البريطاني هذا العام على مسافة بعيدة عن مسقط، وأعدم العدد الكبير من طاقمها، كما تمَّ الحصول على فدية لتحرير ما تبقّى منهم.

ـ تزايد تهور القراصنة إلى درجة جعلتهم يهاجمون الطراد أورورا Aurora ولاحقوا السفينة الأمريكية بيرشيا Persia وأطلقوا النار عليها وعلى المقاتلة سنترا Centra. كان الرعب الذي سبّبه القواسم كبيراً، حتى أن الملازم بروس Bruce لم يتمكن من الحصول على قارب بغية إرساله إلى رأس الخيمة لينقل رسالة احتجاج للزعيم فيما يتصل بأعمال السلب والنهب هذه.

ـ تمَّ الاستيلاء على ثلاث ناقلات تابعة لميناء سراة Surat في الخليج العربي، كانت تبحر تحت العلم البريطاني، وقتل العديد من بحارتها. قدّرت الخسائر في الممتلكات بنحو 10 لاخات من الروبيات.

ـ تمت أعمال استيلاء عديدة أخرى لناقلات تبحر تحت حمايتنا ترافقت بأعمال وحشية. وبهذا نقضت الوعود التي قطعت في احترام العلم البريطاني، وذلك من خلال الاستيلاء على قارب الشركة الحربي تورارو Turrarow.

ـ اقتصرت إجراءات الحكومة على الاحتجاجات والتخلص من الطرادات بغية حماية التجارة إلى أن تسمح مقتضيات الخدمات العامة في أماكن أخرى بإرسال حملة ضد القراصنة.

ـ أُرسل وفد إلى رأس الخيمة للحصول على تعويض عن الاستيلاء على الناقلات في الخليج العربي، لكنه أخفق في مهمته. وأعلن القواسم على نحو واضح وجريء «بأنهم يحترمون عقيدة المسيحيين وأملاكهم، وبأنهم لا يعدون أي جزء من الهند الغربية لنا (نحن البريطانيون) بالإضافة إلى بومباي ومانغالور، وبأننا إذا تدخلنا لصالح الهندوس وكفرة آخرين من الهند، فلربما يستولون على كامل الهند، وعلى مسقط أيضاً».

ـ نزلت كتيبة من قوارب القواسم (الجواسم) إلى اليابسة في بوشيب

Busheab في شهر تشرين الأول. وأحرقت ونهبت القرى في القسم الغربي من الجزيرة. واستولت على الماشية، وقتلت عدداً كبيراً من السكان.

ـ في نهاية العام دخلوا مرفأ أسيلو Aseeloo وأخذوا معهم خمس بغلات (سفن) Buggalows ضخمة ومحملة، تقدر قيمتها بثلاثة لكات من الروبيات وقتلوا طواقمها.

دبّ ذعر شديد بين سكان بوشهر Bushire عندما أخذ القواسم يدرسون إمكانية الهجوم على ذلك المكان. لم يستطع حاكم بوشهر Bushire أن يمنع سكانها من مغادرتها إلّا بشق النفس.

ـ بقي الأسطول القاسمي اثني عشر يوماً في أسيلو Aseeloo ومن هناك انطلق إلى الكنغون Congoon التي تهيأت لملاقاتهم. أخذوا يقلبون الأمر في رؤوسهم. اتخذوا مواقعهم إلى الشمال، ورسوا بقواربهم بعيداً عن داير Daire حيث نزلوا إلى اليابسة ودمروا عدداً من أشجار النخيل. لكنهم صُدّوا في معركة مع السكان، وأجبروا على العودة إلى قواربهم.

ـ خشية هجوم تقوم به القوات التركية، أرسل زعيم القواسم (الجواسم) عدداً من الرجال من رأس الخيمة لبناء حصن في باسيدو Bassadore، في الطرف الغربي من جزيرة قشم (كشم) Kishm، حيث عزموا على إقامة حامية هناك، بوصفه مكاناً لحماية ممتلكاتهم، إذا فشلوا في صدّ التركية. كانت باسيدو تشكل مرفأ آمناً لا يمكن الاقتراب منه إلّا بالقوارب التي يمكن أن تبحر في مياه ضحلة. في الماضي كان المرفأ واقعاً تحت سيطرة البرتغاليين الذين بنوا عدة خزانات ضخمة للماء، وبلدة كبيرة مع تحصينات تحيط بها والتي تكاد أن تكون مدمرة الآن. ورصيفاً رفيعاً ينتأ إلى البحر بقي في حال جيدة وخزانات المياه. في حال سيطر القواسم على هذا الميناء، سيتسبب ذلك في إزعاج كبير للتجارة في الخليج.

وصلت رسالة من حسين بن رحمة تشير إلى معاهدة سلام تمّ التوصل

إليها بين «إمام مسقط» وبيننا، معرباً فيها عن رغبة في الاستمرار بالصداقة مع الحكومة الإنكليزية، وبالطبع رفضت على نحو قاطع، ومن التقارير الأخيرة التي وردت من الخليج، بدا بأن إمام مسقط كان يستعد لحملة ضد رأس الخيمة بالاشتراك مع الشيخ سلطان وقبيلة بني ياس العربية.

تتمة للّمحة السابقة عن القواسم (الجواسم) إلى العام 1844

الملازم إي. بي. كيمبال Lientenant A.B. Kemball

في نهاية كانون الأول من عام 1831 أعلن الشيخ سلطان بن صقر وتابعه (زعيم عجمان) الحرب ضد بني ياس، نتيجة الأذية التي تعرضا لها على يدي بني ياس، عندما كان شيخ عجمان منهمكاً في مد يد العون إلى قوات الإمام ضد شناص Shinas. أفلحت المساعي الحميدة والوساطات التي قام بها زعيم لنجة في منع العداء الذي يهدد بالانفجار، لكن رغم أعمال السلب والنهب التي ارتكبت من قبل أتباع الطرفين في البحر، فقد استمرّت المفاوضات مستمرة من أجل إرساء هدنة.

بعد أن أعلن الشيخ سلطان إلى المندوب عن نيّته في شن الحرب ضد إمام مسقط، وعن إعلان العداء فوراً على ممتلكاته، سجن زعيم بركا Burka ولده وابن شقيقه قبل وصول القوة البحرية في مسقط قرر مساعدة الحكومة الحالية ضد زعماء بركا Burka وآخرين وتلقى اتصالات المندوب، مستفيداً من الوضع القلق لقضايا الإمام لينطلق بقوة كبيرة ضد خورفكان Khore Fukaun وخولة Khulla ودابا Dubba، وأفلح في السيطرة على هذه الأماكن، مع ما يحيط بهم، لكنه منع من الهجوم على شناص Shinas المكان القوي عندما وصلت فرقتان للإمام، ومعهما إمدادات في العدة والعتاد. في هذه الأثناء قام تابعه، الشيخ راشد بن حمد شيخ عجمان، وبمعارضة مباشرة لأوامر الزعيم القاسمي (الجاسمي)، وذلك كما بدا من تذمر هذا الأخير فيما يتّصل بتلك الإجراءات ولجوئه إلى المندوب البريطاني، ناصحاً بإرسال السفن لإجباره

على أن يثوب إلى رشده، بأكثر أعمال النهب[1] جرأة وعلنية على التجارة، ليس فقط في صحار Sohar ولكن في مسقط.

إن حالة الضعف التي تعرّضت إليها العديد من الأمكنة في جوار بوشهر Bushire نتيجة الدمار، نزعت إلى تشجيع العودة إلى عمليات النهب والقرصنة، وقد تمّت الاستفادة من قبل بعض القواسم (الجواسم) الذين ولدى عودتهم من البصرة Bussora، وجدوا أن بلدات بندر دلم Bunder Dillum وبندر ريغ (ريج) Bunder Rieg قد هجرت، نهبوهما، وهذا ما حدث أيضاً لقارب كان عائداً من كنغون Congoon إلى بوشهر Bushire.

سنة 1832 ـ عندما طلب من الشيخ محمد سلطان بن صقر أن يدفع تعويضاً عن الجرائم التي ارتكبها أتباع الشيخ راشد بن حمد زعيم عجمان، أعلن كما فعل من قبل برسالة أشارت أيضاً إلى شيخ أم القيوين بأنه لم يعد لديه سلطة عليه، وبأنه يتنصل من أي مشاركة من شأن هذا القبيل. عند هذا التأكيد، طلب ممثل السلطة البريطانية من الشيخ التعويض، واسترداد الناقلات والغنائم، التي تخص مسقط، بما أن رعاياه هم من استولوا عليها ونهبوها.

---

(1) أكثر من 12 قارباً، مع حمولتهم، وقعت بين يديه، يجب أن نرد أصل قرصنات شيخ عجمان غير القانونية (الخارجة عن القانون) إلى مناسبة حصار صحار. وجد الشيخ طحنون شيخ أبو ظبي زعيم قبيلة بني ياس، وهو الخصم الرئيس والكبير للشيخ القاسمي سلطان بن صقر، بعد أن اشتمّ رائحة الخيانة بينما كان حليفاً لإمام مسقط، في حملته ضد البحرين، بأن مساعدته كانت تضعف عندما قدمها مرة أخرى إلى سموّه، من أجل إضعاف تابعه المتمرد حمود بن عزان Humood bin Azan ونتيجة لذلك رمى بنفسه إلى الطرف المعارض. عندما انضم راشد بن حمد Humeed والذي أخمد سموه من ثورته، إلى أعدائه، معلناً الوقوف إلى جانبهم عاد إلى إقليمه، وعلم أن عجمان تعرّضت للسلب والنهب، وقتل العديد من ناسه وأبعدوا من قبل جماعة من بني ياس خلال غيابه. كانت النتيجة انتقام وعداء مباشر بين الفريقين، ولأن سكان صحار Sohar رفضوا السماح لقوارب عجمان بالدخول إلى موانئهم، بينما سمح لقوارب أبو ظبي بأن تتاجر بالمؤن وتصدّرها، كما في السابق، بدأ راشد بن حمد Humeed اعتداءاته ضدهم. وأما الآن وقد بات معارضاً لكل ما حدث مؤخراً، انطلق ومن دون مزيد من الإنذارات في الهجوم على تجارة مسقط.

وأعطي مهلة أربع وعشرين ساعة لدراسة الأمر، أو أن يتحمل التبعات. في البداية حاول الشيخ التملّص ـ انطلاقاً من أسباب مختلفة ـ من مطالبه المعارضة التي فرضها على سكان البصرة والقرين [الكويت] Grane وأم القيوين Amulgavine وأبو ظبي وصحار Sohar، كانت في الكف عن دفع الحصة السنوية، وعدم الوفاء ببغلة Buggalow وعده الإمام به، وبكونه الآن أحد رعايا الزعيم الوهابي، نتيجة للرجوع إلى ذلك الشخص استولى سكان مسقط على بتيل [سفينة] Buteel لعجمان مع حمولتها والتي تقدّر قيمتها بألف وخمسمئة دولار لكنه أُبلغ، في رد، بما أنه طرف في المعاهدة يجب أن يكون مسؤولاً عن أفعال رعاياه. رغم ذلك فإن تأكيده فيما يتصل بالاستيلاء على بتيل [سفينة] Buteel بعد أن تمَّ التحقق منه مع استثناء ذلك القسم الذي يشير إلى قيمة البتيل، تمَّ الاعتراف ضد شحنات قوارب مطرة والمقرن [المقران] Mukran وتمَّ الإمساك بهم ودفعت التعويضات. ولكن مع هذا التعديل تمَّ تقديم إذعان كامل، بعد قليل من التردد للمطالب بتسليم القوارب، والنقود والجواهر بدلاً من الحمولة المفقودة، وممتلكات المسافرين. وفي الوقت الذي أُعلن فيه وأقرّ عداءه لزعيم صحار Sohar، لم يعر أحداً آذاناً صاغية لإجراءاته في الاستيلاء على قوارب ذلك المكان، ولا على السيطرة، وللأسباب ذاتها، على دبا Dubba وخورفكان Khore Fukaun على يد الشيخ سلطان بن صقر الذي أصبح الآن يخشى أعمالاً انتقامية من جانب الإمام مقابل تلك الأبراج، أو إعلان الحرب من طرف زعيم بني ياس الذي عرف عنه بأنه من زوّده العتاد الحربي بالإمدادات، أرسل الوكيل إلى المندوب، إذا ما حدث أي شيء. وأُبلغ، في رد، بأن الحكومة البريطانية عقدت العزم على تقديم كل مساعدة ممكنة للإمام بغية الحفاظ على استقلاله، لكنها لن تتدخل في النزاعات. وبناءً على ذلك، فإن الشيخ سلطان، إن لم يتمكن من تحقيق مصالحة ووجهت تدابير عدائية ضده، سيكون حراً في أن يستخدم سبله في الدفاع عن نفسه، شريطة أن يتم التعامل مع التحفظات سالفة الذكر التي تشير إلى تلك السبل وأهدافها، على نحو مناسب. في نهاية شهر تشرين الثاني ظهر أسطول ضخم

من قوارب القواسم (الجواسم) تحمل على متنها من ألف إلى ألف وخمسمئة رجل من القبيلة، تحت قيادة سلطان بن صقر شخصياً في رأس الخليج بهدف تقديم المساعدة للشيخ ناصر حاكم بوشهر Bushire المورّث، والذي أثار استياء السلطات الفارسية وطرده من البلدة ولجأ إلى قواربه، وبدأ حصاراً على الميناء ونهبه، كان مكافأة لهجوم ناجح.

وسابقاً على وصولهم، رفع الحصار، وبات من الواضح، من الأحداث الأخيرة بأن الشيخ ناصر والذي لم يعد يتوقع أن يستعيد ما ورثه، بات الآن عازماً على إلحاق الأذى بالبلدة وسكّانها، بالإضافة إلى تدمير القدر الكبير من الممتلكات البريطانية. في ظل هذه الظروف، فإن قضية حماية المرتبطين بالحكومة البريطانية، طالبوا ببذل كل جهد لصدّ بلية مهولة كهذه حيث تنفلت ثلة من السُّلّاب الناقمين كالقواسم (كالجواسم) في مجتمع تجاري مسالم. أما المندوب فقد عبر عن أقوى الاحتجاجات في جداله مع الزعيم القاسمي حتى أنه هدد باللجوء إلى القوة، إن لم يمتنع هذا الأخير عن إجرائه، كما تمّ توضيحه إلى الوكيل وهذا ما أشرنا إليه سابقاً، عند تناوله للموضوع، سيكون مخالفاً لرغبات الحكومة البريطانية. بعد ذلك انسحب الأسطول.

وقعت في هذا العام 1833 قرصنة، تشير إلى روح السلب والنهب المتأصلة عند القواسم (الجواسم)، روح وجدوا من الصعوبة بمكان كبحها، حتى عندما تعلّق الأمر بالأملاك البريطانية.

اقترب أحد قواربهم إلى كورغو Korgoo طلباً للماء، واستولى طاقمه على قسم من خيمة وحملوه، وغطوا البناء الذي شيّد على تلك الجزيرة من أجل تجهيز استقرار المندوب، خلال تفشّي وباء الطاعون في بوشهر وجوارها، بالرغم من أنهم حذروا بأن ما سبق ذكره هو ملك للحكومة البريطانية. بقدر ضآلة ما أُخذ، بقدر ما ظهر من وحشية واستهتار وإهانة من السلّاب، وبقدر ما كان الدافع للعقاب ملحّاً. بناءً على ذلك أرسلت ناقلة حربية خلف القارب تطالب باستسلام المجرمين. وجد القارب مع طاقمه في

المحمرة Mohimarah وجلبوا إلى بوشهر، مع الغنائم التي سلبوها. حرر المجرمون على الفور، احتراماً لشيخ ذلك الميناء بعد أن توسل المغفرة لهم.

بعد هزيمته المشهودة في خور صوفان Khore Suffan (بالقرب من أبو ظبي)[1] بدأ الزعيم القاسمي يجري تحضيرات كبيرة للهجوم على عاصمة بني ياس وحاصرها، بعد أن ضمن تأييد شيخ لنجة Lingah وراشد بن حمد Humeed زعيم عجمان، وانطلقت الأساطيل المشتركة من دبي في التاسع من شهر تشرين الثاني. على أي حال جمع زعيما أبو ظبي قوة كبيرة من البدو والمواطنين وربطوا مع الشاطىء ستّ أو سبع من أضخم ناقلاتهم بسلاسل من حديد، من أجل حماية مينائهم. بعد رشق بالمدافع دام أياماً ثلاثة، أجبر المحاصرون على التراجع، وبعد أن تلقّى بغلة [سفينة] Buggalow الشيخ سلطان قذيفتين في بدنه سحب أسطوله بأكمله مراسيه من الماء وبات خارج مرمى المدافع التي كانت تأتيه من الشاطىء، ومن ثم ألقى بمراسيه، واستعدّ لفرض حصار محكم. بعد وقت قصير، تلاشت قوة المحاصرين وضعفت همتهم بسبب نقص المؤن، ورحيل سمو الإمام إلى ممتلكاته الأفريقية، ذلك كله أقصى كل أمل في طلب نجدة من مساعدة أجنبية. وتزايدت مصاعبهم على نحو كبير بسبب الاستيلاء على ثلاثين من قواربهم في خوران Khyran بني ياس، ومقتل عشر رجال على أيدي سكان دبي (من القبيلة التي انسحبت) والتي مارست عدوانها على اليابسة أيضاً، اعترضوا وأخذوا قافلة من خمسين بعيراً، محملة بالتمور من بريمي.

بعد أن أنهكهم الجوع، جهزوا ثلاثة قوارب، وأمدوها بخمسمئة رجل، وأرسلوا بها سراً إلى البحر ليلا. لحقت بهم عشرون ناقلة من الكتيبة التي كانت تفرض الحصار، لكن الكتيبة قفلت راجعة بعد ثلاثة أيام بعد أن فشلت في العثور عليهم لتعود إلى مواقعها بعيداً قبالة أبو ظبي، مدعمة ببعض الناقلات الإضافية جاءت من البصرة Bussora . لم تكن الكتيبة التي تفرض

(1) يرجى العودة إلى فصل عن بني ياس، في قسم لاحق من هذا الكتاب.

الحصار بمنأى عن المصاعب والمعاناة، فقد كان على أفرادها أن يجلبوا الماء والمؤن من رأس الخيمة ولنجة Lingah وكان على كل فرد منهم أن يرسل بحثاً عن طعامه. باختصار قاسوا الكثير.

عند هذه النقطة سنة 1834، وبعد أن تعب الطرفان من هذه العداوات التي طال أمدها قرروا التوصل إلى تسوية، وحلّ السلام بسهولة ويسر، من خلال وساطة قام بها محمد بن قضيب Guzzeb زعيم لنجة، شريطة أن يسلم الشيخ خليفة بن شخبوط جميع القوارب والغنائم التي سلبها رجاله منذ بدء الحرب، انسحبت الأساطيل التي كانت تفرض الحصار.

رغب الوهابيون بمد جسور الصداقة مع بني ياس في هذا النزاع، لكن تهديدات ممثليهم في بريمي أثبتت بأنها غير كافية لبث الرعب في نفس الزعيم القاسمي (من خلاله كان ممكناً خوض جدال فيما يتصل بتناقص نفوذ المذهب آنذاك) وكان له تأثير فقط على كبح البدو من تقديم أي عون لحسين بن رحمة Rahmah الذي أرسل به إلى الداخل لجمع الحشود بغية قطع الاتصالات مع أبو ظبي في البر.

في الفترة ـ 1835 ـ التي سادت فيها القلاقل في مناطق نفوذ الإمام، بسبب اعتداءات قريبه حمود بن عزان Azan، انطلق سلطان بن صقر بأسطول ضخم إلى ممتلكاته في خورفكان Khore Fukaun ودبا Dubba. ورغم أن الإمام طلب منه أن يمدّ يد العون لممثليه في مسقط في أي نزاعات مع جيرانهم، كان من الواضح أنه نأى بقوته وتأثيره لصالح أقرباء سموّ الإمام، وتجلّى هدفه الوحيد في أن يستفيد من الأحداث كي يعزز مصالحه، على حساب أي من الفريقين. لم تقتصر الأعمال التي قام بها أسطوله، على أعمال السلب والنهب على القوارب التابعة إلى صحار Sohar وتابعياتها، بوصفها أعداء للإمام الذي زعم بأنه يرعى مصالحه، بل تعدّتها إلى ملكيات ورعايا حكومة مسقط، حليفه، وتوسّعت إلى قرصنات على ناقلات الأفراد الذين ليس لهم علاقة لا من قريب ولا من بعيد بالأطراف المتنازعة.

أرسلت رأس الخيمة قواربها في مجموعة، شكّلت أسطولاً موحداً يتألف من اثنين وعشرين مركباً شراعياً، بغية الاستعداد لصدّ أي قوة أثناء زيارتهم السنوية إلى البصرة Bussora. لدى وصولهم إلى بوشهر، وجّه المندوب رسالة إلى شيخ كعب Chaab يستنكر أي تدخل أو تحريض من قبله ضد قوارب القواسم (الجواسم)، منطلقاً أن لا الشيخ سلطان بن صقر ولا رعاياه لهم أي مصلحة في أعمال القرصنة التي تُرتكب على قارب الكاراك Karracl وبأن الشيخ سعود بن قضيب Guzzeb قد فعل الكثير من خلال نفوذه ليعزز الحق والعدل. وبذلك تمّت تسوية سوء الفهم ودّياً ما أرضى كلا الفريقين.

قرر الشيخ سلطان بن صقر، بعد عدّة محاولات لم تفلح في البر ضد قبيلة الشياهين Shehaheen التي تستوطن في خصب Casaab وكومزا Koomza ورأس مسندم Musseldom إرسال قوة بحرية لفرض حصار على موانئها، وفرض سيطرته عليهم. وبالرغم من أن قبيلة الشياهين Shehaheen محاطة من جهة البر على نحو كامل بأقاليم الزعيم القاسمي الذي أقرّ الإمام بسلطته عليها إلى ممثل السلطة البريطانية في الخليج في عام 1836، ورغم ذلك فإن تلك القبيلة كانت قد استمرت ولوقت طويل في الحفاظ على نوع من الاستقلال، وعلى علاقات وتعاملات ودّية مع مسقط، لتظهر نزوعاً قليلاً في الخضوع لدعوى السيادة التي عزّزها الزعيم القاسمي (الجاسمي).

إن السبب المباشر للنزاع الدائر نشأ من استسلام واحد من حصون قبيلة الشياهين Shehaheen إلى نائب الشيخ سلطان المندوب في دبا Dubba والذي دمره على الفور.

وكانت المحصلة مناوشات وغارات من كلا الطرفين، إلى أن توسط الشيخ القاسمي، بعد أن اقتنع بأنه لم ينجز شيئاً في البر، من أجل تبني الإجراءات التي أشرنا إليها سابقاً.

وفي سنة 1839 ـ مذعوراً من النجاحات السريعة للمصريين، وأداتهم

الأمير خالد، تخلى عن نواياه العدوانية ضد الشياهين Shehaheen، وبما أن كلا الفريقين كان كارهاً للحرب، اتُخذت ترتيبات ودّية بسرعة من خلال رسول أُرسل به من طرفه.

أما الشيخ سلطان بن صقر الذي أراد من السلطات البريطانية في الخليج في وقت سابق، أن تعلمه إن كان يستطيع الاعتماد على الحكومة البريطانية من أجل الدعم، ذلك أنه وفي حال إخضاعه الذي يدرسه باشا مصر، بات الآن مجبراً (في آذار 1839) على أن يستقبل وكيله سعود بن مطلق[1] الذي دفعه على قبول دعوة بني نعيم لتسليم حصنهم في البريمي Brymee إليه. كان الأثر الوحيد لهذه الدعوة هو أن يقود تلك القبيلة لتقوم بأكبر الاستعدادات للدفاع عن نفسه ـ وهو إجراء يدلّ على عزيمة قوية.

رغم ذلك، فقد تردد في طرد سعود بن مطلق وفريقه (الذي كان قد رسم لهم أن يشكلوا حامية البريمي Brymee) من إقليمه، خشية أن يستقبلهم زعيم أبو ظبي أو أي عدو آخر في الجوار في بلده، ويشكلوا جماعة موحّدة. في لقاء عام لزعماء الملاحة التأم بحضور المندوب المساعد ومن خلال نفوذه على متن الناقلة البريطانية، ألزم الشيخ خليفة بن شخبوط، تحت القسم، للشيخ سلطان، بأنه لن يعترف بهذا الفريق، ولا بأي فريق آخر يرسله القائد المصري، ولا أن يرتبط معه بأي طريقة كانت. أرسل الشيخ سلطان برسالة إلى سعود بن مطلق ضمّنها رغبته بأن يترك بلده، ويعود إلى نجد. لكن لدى إرسال هذا الأخير رسائل من القائد المصري إلى عدد من الشيوخ في عمان بأنه كان رسوله، اعتُبر كل من يعارضه عدواً للقضية المصرية. في النهاية سحب مطلبه، ووافق على بقائه إلى أن يعود الرسول الذي بعث به بالأوامر.

خدعت الآمال التي بناها الشيخ سلطان على أن زعماء بريمي Brymee سيضعون أنفسهم تحت سلطته، بغية ضمان تأييده لهم في صراعهم مع زعيم

---

(1) يرجى الرجوع إلى فصل الوهابيين في قسم لاحق من هذا الكتاب.

بني ياس، وبناءً على آماله تلك فقد أمر جميع القبائل التي تقع تحت سيطرته بأن تمتنع عن تقديم المساعدة التي كانوا يقدمونها حتى ذلك الوقت لبني نعيم، أما الآن وقد أرسى شيوخ بريمي السلام مع الشيخ خليفة[1] لفقد كان له ما يجعله يندم وبعمق على سياسته قصيرة النظر، التي كان لها أثر معاكس لما توقعه ورغبه، إن حياده الذي جاء في غير وقته لم يصن أقاليمه من الاعتداءات، ذلك أن قبيلتين من قبائل الشيخ خليفة اللتين تعيشان في داخل البلاد، أغارتا على أقاليمه، وقد نأى الشيخ خليفة بنفسه في ردّه على احتجاجات الشيخ سلطان عن إعادة أي من الغنائم التي سلبت بزعمه بأن القبائل التي قامت بالإغارة لم تكن تحت سلطته، بل هي تابعة للسلطات المصرية في لحسا (الإحساء) Lahsa.

بعد أن قتل رجلان من دبي في الصحراء عن طريق الخطأ بسبب الاشتباه بهما بأنهما من قبيلة المناصير Monasir على أيدي ستة رجال ينتمون إلى عدة قبائل. اثنان منهم كانا تابعين لقبيلة عبد الله بن راشد، شيخ أم القيوين (الذي تخلّى عن أي تحالف حقيقي مع الزعيم القاسمي (الجاسمي) منذ أمد طويل). عندما اكتشف الشيخ عبد الله الخطأ الذي حصل على يد اثنين من رجاله، لم يضيع وقتاً، انطلق إلى الشارقة (الشارجة) كي يسوّي المسألة من خلال دفع حصته من الدّية نيابة عن تابعيه. لم يقبل التعويض كما فشلت محاولات قام بها المندوب البريطاني لإحلال المصالحة، وتركت الأطراف لتبني وسائلها وخياراتها في البر، بعد أن منعوا من القتال بحراً وهذا ما نصّت عليه المعاهدة البحرية والتي بقي على انتهائها شهران فقط.

في هذه الأثناء، غادر الشيخ مكتوم زعيم دبي بلدته (بعد أن أبلغه الشيخ سلطان بن صقر في جواب عن مطلبه باستسلام أولئك المسؤولين عن مقتل اثنين من رعاياه، وبأنه حر في أن يتّخذ الإجراءات التي يراها مناسبة للحصول

---

(1) يرجى العودة إلى «فصل عن بني ياس» من هذا الكتاب.

على التعويض) بغرض الإغارة على جارته أم القيوين، لكن سكانها كانوا بانتظاره، ما أجبره على التقهقر، مخلّفاً ستة رجال في أيدي الشيخ عبد الله بن راشد، الذي سجنهم. انضم صقر بن سلطان، شيخ الشارقة (الشارجة) إلى الشيخ مكتوم وطالب بتحرير السجناء الستة، وهذا ما تمّ رفضه، وألحق قواته بقوات دبي ووصل مجموع الرجال إلى 2500 رجل زحفوا باتجاه أم القيوين. وتمّت خديعة السكان هناك والذين وصل عددهم إلى 400 وخرجوا لملاقاتهم، فقد تظاهرت القوات المهاجمة بالانسحاب وهذا ما جعلهم يتقدمون، وسرعان ما تمّت السيطرة عليهم، وأجبروا على التراجع بخسائر وصلت إلى عشرين رجلاً، بالإضافة إلى العديد من الجرحى. بعد ذلك بوقت قصير، مُكّن سلام مؤقت، من خلال وساطة قام بها ثلاث ملّات ذوي نفوذ، شريطة أن يحرر عبد الله بن راشد السجناء الستة التابعين إلى دبي، وأن يدفع تعويضاً لقاء نصيبه من التعويض للرجلين التابعين لقبيلته واللذين أسهما في مقتل تابعي الشيخ مكتوم.

في سنة 1840 ـ عُدّ أمراً هاماً أن يتم الحصول على كل معلومة فيما يتصل بالبريمي Brymee وسكانها. وبناء على ذلك تمّ إرسال ضابط (الكابتن هامرتون) من قوات الميدان في كاراك Karrack إلى هناك بهذا الغرض، لكن الأمر لم يتم من دون صعوبات كبيرة، كما أنه لم يفلح في مهمته إلى أن عرض أن يرافقه شيخ النعيم الأكبر حمود بن سرور طواعية، بسبب المؤامرات والمكائد والصعوبات التي خلقها زعماء دبي والقواسم (الجواسم).

وقبل رحيل الضابط بوقت قصير، وبغية جمع قوة ومصادر القبائل الداخلية، الذين كانوا يميلون لمقاومة أي اعتداءات يقوم بها الوكيل المصري، دعي زعماؤهم إلى اجتماع التأم في عجمان بمساعي المندوب، ووزّعت مبالغ صغيرة من النقود وسوّيت خلافاتهم من خلال وساطة المندوب ونفوذه. باستثناء سوء تفاهم وقع بين زعماء زهير وقبائل بني قطب، فيما يتّصل ببعض

المهرات التي تخصّ قبائل بني قطب كانت قد سرقت، وبيعت إلى زعماء زهير الذين رفضوا أن يعيدوها.

أُخبر المجتمعون أنه بالرغم من أنهم لا يمكن أن يوضعوا مباشرة تحت حماية الحكومة البريطانية فإن جهودهم في الحفاظ على استقلالهم نظر إليه بعين الرضى. وبالفعل تمّ تقديم مساعدة فعلية على شكل معدّات حربية ومؤن.

باغت بعض من قبائل نعيم البدوية، تحت قيادة حميد بن عبد Obed بن سبت، زعيم الحيرة Heera انطلاقا من زعمهم بحق لهم قديم على الحاكم حينذاك راشد بن حمد، بالسيطرة على عجمان، البلدة ليلا وسيطروا على الحصن. رفض الشيخ سلطان بن صقر في اللحظات الأولى أن يتدخل لصالح الحاكم الشرعي، عندما اعتقد من دون أية مبررات، أنه وبتلك الوسيلة سوف يجر عليه استياء الحكومة البريطانية، وبناء على ذلك، وجّه أوامره لابنه صقر ومكتوم بن بطيّ Butye بالانطلاق لطرد شيخ الحيرة Heera وهذا ما فعلاه، وعلاوة على ذلك أحرقا بلدته، ردا على العسف الذي ارتكبه بحق سكان عجمان.

وكما هو متوقع، وبعد أن أوحى الزعيم القاسمي (الجاسمي) لخصمه بهدوء وأمن مزعومين، عندما أعلن عن رضاه بمدى العقاب الذي أنزله سابقاً من خلال ابنه وشيخ دبي، كان ينتظر فقط انقضاء الفترة الزمنية للمعاهدة البحرية السنوية، والتي ضمنت شروطها الحكومة البريطانية، ليبدأ هجوماً على أم القيوين برا وبحراً. بعد ذلك أرسل أسطولاً، يتألف من ثلاث بغلات [سفن] Buggalow وستين بوغارا [سفن] Buggarahs تحمل على متنها 1500 رجل، بأوامر من ابنه صقر ومكتوم بن بطيّ Butye زعيم دبي، لحصار المكان من البحر، بينما أخذ على عاتقه القيادة الشخصية لقوة تتألف من 700 من البدو لحصارها من البر.

إن العمليات الأولى التي نفذت بفترة سابقة على وصول المندوب إلى الساحل بغية ترسيخ المعاهدة البحرية لعام آخر، تمّ توجيهها ضد برج يطل

على مدخل إلى المياه الراقدة، والذي كان من الضروري الاستيلاء عليه أو تدميره **قبل أن تمرّ القوارب المتّجهة إلى الحصار. واحتلّت قوة من القواسم خندقاً محصناً أمام هذا البرج، والتي وفي سعيها إلى تكريس نجاحها، في** تقدمها نحو الحصن، استقبلت بحفاوة بالغة لكي تجبر على التقهقر مع خسائر بلغت ثمانية رجال وأربعين جريحاً. فشلت محاولة قام بها الشيخ خليفة بن شخبوط في هجوم مضلل لصالح أم القيوين، بمباغتة دبي. كانت القضايا قد ذهبت بعيداً في ذلك الحين، عندما أثمرت وساطة جاءت في وقتها عن تدابير تتصل بالقتال، ورفع الحصار.

تمّ الاتفاق على أن يسحب الشيخ سلطان بن صقر مطلبه المتعلّق بتدمير البرج الذي يشرف على آبار المياه العذبة، بينما يتوجب على الشيخ عبد الله بن راشد من جانبه أن يعوّض عن الخسائر التي أيّدها الزعيم القاسمي (الجاسمي) في المناوشات العديدة التي سبقت الحصار. وبناء على هذا الأساس، تمَّ إنجاز معاهدة صداقة مع شروط إضافية بألّا يشيد الشيخ عبد الله أية تحصينات جديدة، وبأن عليه أن يدفع القيمة نقداً لما لا يستطيع أن يعوّضه عيناً.

هذه الإجراءات، كما تمَّ تفصيلها سابقاً، كانت نتيجة لمؤامرات زعيم القواسم ومكائده، بغية فرض سلطته المباشرة على زعماء عجمان وأم القيوين ودبي وإخضاعهم ـ وهو مخطط، كما ورد في سجلات المندوب، كان يذكر دائماً على أنه كان يُدرس في وقت مضى، لكن إحلالهم للأمن والسلام بعد حالة الاضطرابات الخطيرة، أزاح مزيداً من عوائق تساهم في تجديد المعاهدة البحرية.

أما صقر بن سلطان، ابن زعيم القواسم، وبتحريض من مكتوم بن بطيّ زعيم دبي صاحب المؤامرات حاول التخلص من سلطة والده وبدأ يحرّض العديد من الناس بالانضمام إليه، بعد أن فاز بالحظوة عندهم، وذلك من خلال إقناعهم بأنه لو كان الزعيم، فإنه سيتعامل معهم على نحو أكثر رحمة وتساهلاً، ولسوف يخفض من الضريبة المفروضة على غطاسي اللؤلؤ (التي فرضها جميع الزعماء بمعدل يتراوح من كراون ونصف إلى سبعة كراونات وهو

المبلغ الذي فرضه الشيخ سلطان من جديد على كل غطاس في موسم الصيد **الأخير)**.

في البداية قرر الوالد، الشيخ سلطان، اللجوء إلى السلاح. لكنه أُقنع أخيراً باللجوء إلى المفاوضات، وبناءً على ذلك وافق ابنه صقر على أن تصبح الشارقة (الشارجة) ملكاً له وبشكل دائم، وأن يدفع مبلغاً محدداً كل عام، بدلاً من الوضع السابق عندما كان حاكماً للشارقة يتقاضى مرتباً. وأجبر الشيخ سلطان على أن يذعن لهذه الشروط كارهاً على أمل أن يستفيد من فرصة قريبة للإطاحة بسلطة ولده التي استولى عليها على نحو غير شرعي. لقد سبب فقدانه لأهم موانئه، ضيقاً شديداً. بقيت الأحوال على هذا المنوال إلى أن حلّ شهر كانون الأول عندما قرر شقيق الشيخ صالح بن صقر، حاكم الشارقة (الشارجة) السابق، وبعض من وجهاء المكان، والذين أثار قرفهم تأثير مكتوم، شيخ دبي، ونفوذه على الشيخ صقر بن سلطان، وبعد أن تنبؤوا بالنتائج المدمرة لمصالح قبيلة القواسم التي أحدثتها الإجراءات غير الشرعية التي جاء بها صقر بن سلطان، عازمين، بجهود قوية لا تلين على استعادة السلطة الشرعية لزعيمهم. وعليه فقد أبلغوا الشيخ سلطان أنه إذا تمكّن من الوصول سراً إلى جوار الشارقة (الشارجة)، لسوف يجلبونه إلى البلدة، يساعدهم في ذلك مناصروهم، لينصبونه بدلاً من ابنه.

بدا بأن نجاحاً منقطع النظير لازم هذه الخطة. فقد بوغت الشيخ صقر أثناء نومه، وألفى نفسه سجين والده بعد أن هجره جميع أتباعه. أُمر على الفور بأن يستعدّ للذهاب إلى رأس الخيمة لكن قبل رحيله بوقت قصير، تمكّن بعض مشايعيه من الاتصال به سراً، وأشاروا إلى نيتهم في طلب اللجوء إلى شيخ دبي، مكتوم، ونصحوه بأن يستغلّ الفرصة ويهرب وهو في طريقه إلى رأس الخيمة وينضمّ إليهم. تمّ تنفيذ هذه الخطة. أما الجواب الوحيد الذي صدر عن شيخ دبي رداً على احتجاجات الشيخ سلطان الساخطة ومطالبته بمن هرب، كان الرفض، ذلك أن الأخلاق العربية لا تجيز ذلك. بعد أن اقتنع

الشيخ القاسمي بأن الشيخ مكتوم هو من حرّض ابنه على عصيانه، قرر بأن **يتخلّى عن العلاقات الودّية التي بدأها معه، وسرعان ما دعا كل مناصريه، وتصالح مع جميع أعدائه السابقين زعماء أم القيوين وأبو ظبي، ودخل معهم** في تحالف كامل، وطلب منهم العون في حصاره على دبي. كما اشترك زعيم بني ياس وكله حماس ليلبي رغبة الشيخ سلطان مشترطاً عليه، أن تدمر دبي بالكامل، وأن يسمح للسكان أن يستوطنوا إما في الشارقة (الشارجة) أو في أبو ظبي وذلك حسب رغبتهم.

أوقعت الإجراءات والترتيبات التي كانت تحضر للهجوم على دبي، بين مواطني الشيخ مكتوم ولم يضيعوا وقتاً في سعيهم للحؤول دون الهجوم العاصف الذي يهددهم، في إعلانهم عن طاعة عمياء وخضوع كبير، وساقوا الحجج المقنعة في دفع 1000 كراون. قبل الشيخ بعرض شيخ دبي ونقض عهوده ما كرّس طبيعته غير الجيدة، وسوّى خلافاته مع الشيخ مكتوم، وأعاد ابنه صقر إلى حكومة الشارقة (الشارجة)، وبهذا ترك شقيقه صالح، ومناصريه المخلصين الذين دعموه إلى درجة كبيرة، مع مرارة الكراهية والانتقام من الحاكم المنتصر الذي أُعيد تنصيبه، من دون أدنى محاولة لحمايتهم منه.

وبالطبع كان الشيخ خليفة ساخطاً إلى درجة كبيرة من هذا الصدع غير المتوقع الذي أصاب المواثيق والعهود الرسمية والموثقة، وهذا ما يجعله ينتهز أول فرصة تسنح له ليعبّر عن استيائه. لم يكن من الممكن أن ينسى الشيخ مكتوم أو صقر بن سلطان أو يتغاضيا عن إجراءات الشيخ سلطان فيما يتّصل بهما. وبما أن الطبيعة غير الجيدة للشيخ سلطان وسلوكه حيال مناصريه وحلفائه سيحرمه بالضرورة من كل مساعدة داخلية أو خارجية في المستقبل، فقد فُتح المجال على نحو كامل لمشاريع ابنه الطموحة.

في نهاية موسم صيد اللؤلؤ في هذا العام أثار قارب تابع لرأس الخيمة محمل بالنقود والشحن، عندما وصل إلى بدع Biddah، نهم بعض الخارجين عن القانون من أبناء البلدة المذكورة، الذين مضوا في إثر القارب، لدى

هروبه، وأدركوه في خور الجلايا Khore-al-Jullaya استولوا عليه، وجرّدوا **طاقمه من ملابسه، ووضعوه على الشاطىء، وانطلقوا مع غنيمتهم إلى خور شوغير Khore Shugeer الذي يقع بين أبو ظبي وعيديد Adeed.**

عندما وصلت المعلومات المتصلة بما حدث إلى الشيخ سلمان بن ناصر، زعيم البدع Biddah أرسل بوغارين Buggarahs في إثرهم، لكنهم كانوا قد وصلوا في وقت ألفوا فيها القارب المسلوب مهجوراً. ومن بين القراصنة كان القرصان القديم سيىء الصيت جاسم بن جبر Jabbur الرگراك[1] Rugragee الذي كان مسؤولاً في السنوات الخمس الأخيرة عن قرصنتين أو ثلاثاً، والذي كان دائماً ينطلق بغنائمه إلى اليابسة، ليعود إلى البحر في موسم الصيد التالي، وكان يفلح في التخفّي.

أعتقد أنه لولا الحماية التي كان شيخ البدع يوفّرها، ويشترك في توزيع الغنائم، لم يكن جاسم بن جبر ليجد الوسائل والفرصة لهذه القرصنات التي كانت تتكرر سنويا. وعلاوة على ذلك، فقد استقر جاسم في بدع في موسم صيد اللآلىء الأخير. ولذلك بالإشارة إلى التحذير الذي صدر شخصياً عن المندوب في أيلول من عام 1836 فيما يتصل بهذا المجرم، وبعد أن تلقّى زعيم البدع في تلك المناسبة تفويضاً رسمياً من المندوب يتضمن القبض عليه، لم يكن من الممكن أن يُعد سوى شريك على نحو مباشر أو غير مباشر في الجرائم التي ارتكبها جاسم، لذلك فهو يستحق أن يُحمّل مسؤولية أفعال هذا الأخير.

كان إرسال زعيم البدع قاربين في إثر القراصنة ستاراً، ذلك أنه أقرّ بأن رجاله البالغ عددهم الخمسين، تعاطفوا مع القراصنة الذين لم يتعدّوا الاثني عشر في العدد، بيمما أعاد هؤلاء ناقلات رأس الخيمة والقراصنة إلى بدع مجرد هياكل، مجردة من الأشرعة، من أي قطعة يمكن أن تتحرك على متنها.

---

(1) يرجى الرجوع إلى «الفصل عن بني ياس» في قسم لاحق من هذا الكتاب.

ونتيجة لذلك انطلقت كتيبة بحرية هندية في الخليج، تتألف من أوكلاند وهي فرقاطة بخارية، والكوت وهو مركب شراعي، وتيغريز وهو مركب شراعي بصاريين تحت إمرة الكومودور بروكس Brucks، إلى بدع Biddah يطالبون باستسلام قارب القراصنة، وغنائمه ودفع مبلغ 300 دولار مع أربعين دولاراً إضافية قيمة الممتلكات التي نُهبت من قبل الرگراك Rugragee مع القارب الذي وقع في أيديهم.

وسنة 1841 ـ تمّ ترتيب المسألة بحكمة وحصافة، لكنها لم تبق كذلك إلى أن أُطلقت إحدى عشرة طلقة أصابت إحداها الجزء من الجدار الذي يصل بين البرجين من الحصن، وأصابت قذيفتان الحصن مباشرة، واقتحمت أخرى أحد البيوت، إلى أن أُجبر الشيخ سلمان بن ناصر على تقديم فروض الطاعة. أما ما تبقى من طلقات فقد سقط على مسافة قصيرة أو أنها وُجّهت خطأ عن عمد بغية تجنب إنزال الأذى. إن إحراز الهدف المطلوب أرضى المهاجمين من دون أي خسائر في الأرواح على الشاطىء. أحرق قارب الرگراك Rugragee على الملأ قبل أن تبحر الكتيبة من بدع Biddah بوقت قصير. لم يضيع سلمان بن ناصر وقتاً في الاستيلاء على عبيد وممتلكات جاسم بن جبر الرگراك Rugragee في بدع Biddah وأصدر زعيم البحرين أوامر حازمة إلى جميع الأمكنة التي تقع على ساحل البحر، والتابعة له بألا تقدم أي مأوى لمشتبه بهم، تحت طائلة العقوبات الشديدة. لاحقاً تمَّ التحقق من أن الرگراك Rugragee وبعض من رجاله كانوا فعلاً في البدع Biddah عندما وصلت الكتيبة إلى ذلك الميناء، لكنها أُرسلت على جناح السرعة من قبل سلمان بن ناصر الذي وجد بأن المسائل باتت خطيرة، فقد طلب منه أن يفسر الأمر على نحو كامل، أرسل فريقاً للعودة بالقراصنة، لكن الوقت كان قد فات ـ فقد ابتعدوا ولم يعودوا بمتناول يديه.

لدى تلقّي الشيخ ابن سلطان معلومات (كانت المعلومات كاذبة ولا أساس لها من الصحة) تفيد بأن الأمير خالد يفكر في إرسال سعود بن مطلق

بقوة ضد البريمي Brymee، افتتح محادثات معهم بغية تدمير سلطة شيوخ البريمي. لكن رسائله وقعت بطريقة ما في أيدي شيوخ البريمي Brymee. رغم أن شخصية الشيخ القاسمي العجوز ترسّخت بوصفه غير أمين وصاحب مكائد ومؤامرات، في تلك الأنحاء لم تكن لمؤامراته نتائج سلبية.

أما عبد الله بن راشد، شيخ أم القيوين الراغب في الاستفادة من الانقسام الحاصل في عائلة الزعيم القاسمي وبغية إكمال البناء على الجانب البحري، بدأ في وقت سابق على الهجوم الذي استهدف برجه، والذي منع من تدعيمه من خلال أحد بنود المعاهدة التي دخلها مع الشيخ سلطان بن صقر، من خلال وساطة قام بها المندوب البريطاني، عبَّر عن رغبته بالقيام بذلك (تدعيم البرج) في لقاء تمَّ مع هذا الأخير. واعترف بأن الشيخ سلطان بن صقر لم يبد أي علامات تدل على العداء، وبأنه ملتزم ببنود المعاهدة، لكنه نوّه، بأنه الوحيد من بين جميع الزعماء الذي فرض عليه أن يجري تغيرات وتحسينات في دفاعاته. أدان المندوب هذا الإجراء الذي يمكن أن يحدث صدعاً في المعاهدة التي تمَّ التفاوض عليها من خلال وساطته، في وقت عندما سيوضع في حال من صعوبات جمة ومخاطر كبيرة والتي من المحتم أنها ستؤدي إلى تجديد العداء مع الزعيم القاسمي، ما لم يبذل جهوده.

وقع سوء فهم بين سكان الشارقة (الشارجة) وسكان أبو ظبي نتيجة اعتقال شخص من ميناء أبو ظبي لقاء ديون مترتبة عليه والاستيلاء على صاري أحد المراكب من الشارقة (الشارجة). كان هذا الصاري قد فقد في الأصل من حطام ناقلة تابعة لسلطان، شقيق زعيم بني ياس، كانت قد التقطت من البحر، وبيعت لمالكها الحالي. كما حصل صدام بالمصادفة بين بغلة [سفينة] Buggarah من الشارقة (الشارجة) وآخر من أبو ظبي على ضفاف Bank اللؤلؤ أدّى إلى قتال بالعصي بين الطاقمين، لكن النزاع سويّ، وعُوقب نوخذة Nakhoda المركب التابع للشارقة بشدة من قبل زعيمه على تصرفه السيئ.

وفي سنة 1842 ـ لاحقاً على زيارة المندوب إلى ساحل جزيرة العرب،

وبغض النظر عن الإدانة التي قوبلت بها خطط الشيخ عبد الله بن راشد زعيم أم القيوين، بدأ في بناء الأبراج موضوع الخلاف، وشيّد برج دفاعي آخر.

حثت احتجاجات الزعيم القاسمي المتكررة ـ والتي دعت المندوب، بوصفه وسيطاً، إلى فرض تحقيق شروط المعاهدة التي تمَّ الدخول فيها عبر وساطته، وتمَّ انتهاكها على نحو علني ـ المندوب على أن يوفد مساعده إلى ساحل جزيرة العرب في تشرين الثاني من هذا العام، مع رؤية تتضمن تسوية سوء الفهم الحاصل بينهم.

إن التهمة التي وجّهها الشيخ سلطان بن صقر كانت محقة واعترف بها الشيخ عبد الله بن راشد، كما أنه لم يتمكن من تقديم أي تبرير لسلوكه. وعلاوة على ذلك عبّر عن تصميمه انطلاقاً من الأرضية ذاتها، ليس فقط على إكمال البرج موضوع النزاع، بل على بناء أبراج أخرى، وعندما تمّ تذكيره بالظروف التي قدمت في ظلها وساطة المندوب والتي حمته من دمار أكيد، وتمَّ الضغط عليه بغية الأخذ في الحسبان ضرورة تحقيق الشروط التي التزم بها، تحت طائلة العقوبات رغم ذلك أعلن أنه لن يدمر الأبنية التي شيّدها مؤخراً. وقال بأن الحكومة تستطيع أن تتصرف ببرجه هذا وكل ما يتبعه. ومن جهة أخرى، رفض شيخ رأس الخيمة أن يصغي إلى أي تسويات، وبالإشارة إلى اقتراح لمدّ يد العون له في فرض الطاعة، صرّح بأنه لم يعد لديه علاقة بهذا الأمر، وبأنه يتطلع إلى الحكومة البريطانية كي تجعل من الفريقين يتوصلان إلى اتفاقية. بما أن شيخ أم القيوين دعي إلى تعليق مزيد من الإضافات إلى الأبنية القديمة أو تشييدَ أبنية جديدة، فقد أُحيلت القضية إلى قرار الحكومة.

إن ترسيخ المعاهدة البحرية فيما يتّصل بتمديدها عشر سنوات، قلبت مبررات شيخ أم القيوين ضد تدمير الأبراج، خصوصاً تلك التي شيدت بوصفها دفاعات اتجاه البحر، وبطريقة شبيهة أقصت اعتراضات الزعيم القاسمي لوجودها. لذا تمَّ الاتفاق، أنه وفيما يتصل بإساءة شيخ أم القيوين إلى عهوده،

سيكون حراً في إعادة بناء أو تشييد ما يشاء من الأبراج والدفاعات، وبأن الحكومة البريطانية سحبت يدها من الأمر، باختصار عُدّت المعاهدة لاغية.

أُعطيت الأوامر إلى الوكيل البريطاني بأن يبقى شهراً أو شهراً ونصفاً في أم القيوين بغية إرسال تقارير كل عشرة أيام فيما يتصل بالتقدم الذي يجب أن يحرزه.

قبل أن تنقضي الفترة التي تمَّ تحديدها، وعندما سويّ أحد الأبراج بالأرض، وبات مكتوم بن بطيّ وسيطاً، وأخذ شيخ أم القيوين يهدّد مناصريه بمنعهم من صيد اللؤلؤ بغية الإغارة على مناطق خصمه ـ إجراء كان ليُعرِّضه إلى أذى عظيم، إما من خلال حرمان تابعيه من الفوائد التي يدرها عليهم موسم الصيد أو إبقائهم في ديارهم دفاعاً عن النفس، أو بتعريضهم إلى شأن هذه الخسائر، خلال فترة غيابهم في الصيد بما أن ضفاف اللؤلؤ كانت واقعة ضمن سلطة مكتوم.

أشار سلطان بن صقر إلى موافقته على الامتناع عن مزيد من التدمير للأبراج المعنية. كانت هذه الموافقة سبباً كافياً للتخلّي عن مطلب الحكومة البريطانية. سويت الأمور ما أرضى الطرفين من دون اللجوء إلى القوة، وبمباركة من الحكومة البريطانية.

بعد أن تعرض خليفة دبي إلى أعمال إغارة في تشرين الثاني من عام 1843 من قبل بني غافل [الغوافل] Ghuflah، باغت الشيخ مكتوم وأغار على أراضٍ تابعة لتلك القبيلة ولزعماء البريمي Brymee وتوغل فيها وأخذ عدداً كبيراً من الإبل وقطيعاً آخر ما سبب استياء عظيماً للزعيم القاسمي، سلطان بن صقر الذي قرر أن يدخل في نزاع علني مع زعيم دبي، ويجبره على إعادة الغنائم. على أي حال، انتصرت الحكمة (الخشية من ارتباط مكتوم على نحو لصيق مع زعيم بني ياس، وهذا ما سوف يرمي ميزان القوى في صالح هذا الأخير، ويثبت بأنه منحاز إلى مصالحه)، وفي حالة من الاشمئزاز من تغيير الشيخ سلطان لقراره، والذي حرمهم من الانتقام، هدّد زعماء البريمي Brymee

(أي بنو غافل (الغوافل) ـ Beni Ghuflah) بأن يرضخوا للشيخ خليفة بن شخبوط، زعيم أبو ظبي، وبالفعل بدأوا اعتداءاتهم على حليفهم السابق. دفع مقتل أحد سكان الشارقة (الشارجة) على يد شقيق الشيخ مكتوم، رغم أن الدية دفعت على الفور من قبل هذا الأخير، الأمور إلى أزمة. لقد زاد سلوك الشيخ سلطان على الأقل في مرارة النزاع بين حلفائه صعبي المراس. وقعت حادثة عنيفة على البر بين بني غافل (غوافل) Beni Ghuflah ومكتوم حيث غلب الأولون، وقتل عدة رجال من الجانبين. دفع زعيم دبي ضريبة كبيرة لانتصاره، بعد أن تعرّض هو نفسه للعديد من الجراح، ما سبب له أحدها فقدانه لإحدى عينيه.

أجهد الشيخ سلطان بن صقّر نفسه (في تموز 1844) لإنفاذ مصالحة مع بدو الداخل، لكن بعد أن فشلت مساعيه، كان على وشك أن يرسل شخصاً إلى أبو ظبي ليدرس رغبة الشيخ خليفة بن شخبوط زعيم بني ياس في تلقّي مقترحات تتصل بمعاهدة سلام. وفي حال ردّ مشجع، فمن المحتمل أن يرسل الزعيم القاسمي شقيقه صالح بن صقر لبدء مفاوضات.

تمَّ ارتكاب بعض الحماقات على ضفاف اللؤلؤ خلال موسم الصيد الحالي، والطرف المعتدي كان القواسم (الجواسم). تمَّ اتخاذ حلول على أمل في تسوية سريعة.

القواسم (الجواسم) للعام 1853

الملازم إتش. إف. ديسبرو bY LIEUTENANT H.F. DISBRAWE

أخبرنا الكابتن كيمبال في ختام اللمحة التي قدمها عن قبيلة القواسم (الجواسم) بأن بعض الخروقات والإساءات قد حدثت على ضفاف اللؤلؤ خلال الفصل الحالي «وفيها كان الرعايا القواسم (الجواسم) المعتدون الرئيسون، وبناء على ذلك فقد كانت تطبق حلول عاجلة، مع كل أمل في تسوية سريعة».

هاجمت خمس ناقلات تخص قبيلة بو ماهر Boo Mahir كانت تقيم في الشارقة (الشارجة) آنذاك، وخاضعة للشيخ سلطان بن صقر في حزيران من عام 1844 قاربين من دبي، وسلبت منهما كمية من اللؤلؤ وأسلحة بذريعة أن الناس الذين كانوا على متن القارب الأخير، مدينون لهم بمبلغ من النقود.

وجرى عدوان آخر في ذلك الوقت، قام به أحد رعايا الشيخ سلطان، واسمه محمد بن ماجد، عندما استولى على أحد مواطني كعب Chaab من قارب تابع لدبي، بينما كان على ضفاف اللؤلؤ.

تلك كانت الأمثلة الأولى على خروقات علنية للمعاهدة البحرية، التي لم يدخلها الزعماء العرب إلّا مؤخراً، وكان من الضروري بمكان أن يتمّ اتخاذ خطوات عاجلة وفورية مع الأطراف التي كانت متهمة بخرقها. لذا وجّه الكولونيل هينيل رسالة إلى زعيم القواسم (الجواسم) يطلب فيها أن يدعو رعاياه المتمردين، من ضفاف اللؤلؤ، كما يطالب باستعادة فورية للقوارب

الخمسة إلى الشارقة (الشارجة)، وأن يتم تسليم إلى دبي كل الغنائم التي سلبوها. وفي الحالة الثانية، توجب على محمد بن ماجد أن يأتي إلى الشارقة (الشارجة)، ويسلم الرجل الذي أسره، بالإضافة إلى دفع مبلغ 50 كراوناً، وألا يسمح لأي قارب من القوارب العودة إلى موسم الصيد إلى أن يتم دفع المبلغ، وتلبية المطالب الأخرى.

أُرسلت ناقلة حربية مع الاتصالات سالفة الذكر، وأظهر الزعيم القاسمي أقصى «حماسة وتوقاً في تنفيذ المطالب التي فُرضت عليه» وسلمت الغنائم والأسير إلى سكان دبي، والنقود التي تمّت المطالبة بها بوصفها ضماناً للمجرمين الذين عوقبوا وأودعوا إلى الوكيل البريطاني.

لسوء الحظ لم تستمر حالة الرضى طويلاً، فقد جاءت الناقلة المعنية بأنباء عن اعتداء جديد للمعاهدة البحرية في أيلول من عام 1844.

ومن جديد كان القواسم هم المعتدون. فقد تشاجر عيسى بن جاسم، وهو مواطن من الشارقة (الشارجة)، مع قائد مركب عجمان، وسرعان ما تحول النزاع بالكلمات إلى صراع بالأيدي. صعد عيسى بن جاسم على متن المركب العجماني وهاجمه، وسبّب جروحاً بالغة الخطورة لأحد أفراد الطاقم الذي كان على متن القارب. تمّت تسوية الخلاف من دون صعوبات تذكر. بعد أن توسل الشيخ عبد العزيز المندوب بغية الحصول على تعويض للأضرار التي عانى منها رجاله، طلب المندوب من الشيخ سلطان بن صقر أن يدفع عيسى بن جاسم مبلغ 200 كراون، «بوصفها عقوبة» ومن جانبه، لم يتردد الزعيم القاسمي في الاستجابة إلى المطالب التي سيقت ضده، في كانون الأول من عام 1844، في دفع المئتي كراون موضوع النقاش. سُلمت النقود إلى الملا حسين، الوكيل البريطاني في الشارقة (الشارجة)، والتي حوّلها بدوره إلى زعيم عجمان، بوصفها تعويضاً عن جروح أُصيب بها أحد رعاياه.

في بداية السنة التالية (1846)[1] بدأ العداء يشق طريقه بين قبيلة

---

(1) ليس هناك ما يستحق الذكر من أحداث في عام 1845.

القواسم (الجواسم) وزعيم دبي. عزم الشيخ سلطان، بهدف توسيع سلطته على الموانىء الصغرى لعجمان وأم القيوين، على تشييد عدد من الأبراج في مكان يدعى خان[1] Khan، يحاذي أبراجاً تابعة لدبي. لم يكن الشيخ مكتوم ليسمح بتنفيذ الخطة. وبدأ معارضة تشييد التحصينات، وبغية تمكين نفسه، انخرط في حلف لصيق مع زعماء الميناءين (عجمان وأم القيوين).

كان القواسم (الجواسم) عازمين ومتصلبين في موقفهم، فبالنسبة إليهم، لزام أن يبنى الحصن، وليس لأحد أن يمنع ذلك. دخل زعيم القواسم في مفاوضات مع زعيم أبو ظبي، ومن غريب القول إنه وبالرغم من أن النزاع طويل الأمد بين قبيلة القواسم (الجواسم) وقبيلة بني ياس، أفلح في إقناع الشيخ سعود بن طحنون في التخلّي عن الشيخ مكتوم شيخ دبي، وأن يلزم جانبه هو. بدأت التحضيرات على قدم وساق للعمليات الحربية، وبدأ العدوان بالاستيلاء على[2] قاربين من عجمان على أيدي أشخاص من رمس Ramse وحمرية Himreeah، عندما جعل وصول ناقلات جلالتها الحربية، والزوار أصحاب الفخامة من الشركة البريطانية قبالة ميناء الشارقة (الشارجة)، المحاربين يمتنعون عن الهجوم لفترة من الوقت والإصغاء إلى الوسيط.

طلب الكومودور السير إتش بلاك وود، أر. أن. من الزعماء أن ينتظروا ما ينتج عن توصية أرسلت إلى المندوب، فيما يتصل بموضوع التحصينات. تمّت الموافقة على الاقتراح من غير تردد، وأطلق الشيخ سلطان تعهداً موثقاً إلى الكومودور البريطاني، بأنه لن يبني حجراً واحداً إلى حين وصول المندوب. لكن لم يكن من شيم الزعيم القاسمي (الجاسمي) الالتزام بوعد أطلقه. فسرعان ما انتهك التعهّد الذي أطلقه، في بناء وإكمال البناء في خان Khan. تجدد العداء، وبدأت النزاعات تحدث يومياً بين قوات الزعماء

---

(1) إن الموقع الفعلي للحصن كان في مكان يدعى أبو هيل Aboo Heyle، ضمن مرمى قذائف خان Khan وتبعد عن دبي ثلاثة أميال.

(2) تمت عملية الاستيلاء على الشاطىء وليس من قبل القوارب في البحر.

المتنافسين، عندما وصل الكابتن كيمبال، ليعيد الأمور إلى حالة السلم، في آذار من عام 1846، استخدم كيمبال كل نفوذ له لفرض مصالحة بين الزعماء. وأبلغ الشيخ سلطان بن صقر بأن الحكومة البريطانية تنظر بعين الاستياء لنقض هذا الأخير وعده الذي يعكر السلام في منطقة الخليج بروحه العدوانية.

دافع الشيخ سلطان عن سلوكه، وبعد أن ساق الكثير من المبررات الكاذبة، عبّر للمندوب عن أسفه من أن تنظر إليه الحكومة البريطانية بعين الاستياء. أنكر في البداية بأن أطلق وعداً للكومودور بعدم بناء الأبراج، لكنه اعترف بذلك لاحقاً. رغم ذلك، فإن هذا الوعد، كما قال، أُطلق بناء على إدراكه بأن على زعيم دبي أن يحافظ على السلام، وبما أن هذا الأخير قد أثبت بأنه شوكة دائمة في خاصرته، فإنه لم يترك له خياراً آخر سوى بناء الأبراج.

بعد أن أدرك الكابتن كيمبال أن النقاش معه كان عبثاً انطلق في الرابع عشر والخامس عشر من آذار في عام 1846 لعقد لقاءات مع شيخ دبي وحلفائه في عجمان وأم القيوين.

عبّر الزعماء الثلاثة عن رغبة عارمة في إحلال السلام، لكنهم وفي الوقت ذاته، نوّهوا أنه وطالما كان الشيخ سلطان يلعب دور الشيطان، يجب عليهم أن يوحّدوا الجهود بغية صد هجماته. لقد قرّروا أن يساندوا بعضهم بعضاً ضد الشيخ سلطان. رغم ذلك، إذا ضمنت الحكومة البريطانية بأنها لن تسمح بأية أعمال عدوانية ضدهم في البر سوف يسحبون قواتهم، ويمتنعون عن مواصلة الحرب. رُفض الاقتراح على الفور، ولم يترك العناد المتأصل للشيخ سلطان والذي ارتبط مع المعارضة القوية للشيخ مكتوم وحلفائه، أي فسحة لأمل في تسوية المسائل سلمياً. ترك الكابتن كيمبال الساحل، وعاد إلى مركزه في بوشهر Bushire.

لم يكد يمضي يوم وليلة على رحيله قبل أن يقع حادث مهّد الطريق لإعادة الدخول في المفاوضات. فقد هاجمت قوات كبيرة الشيخ صقر بن

سلطان زعيم الشارقة (الشارجة)، مع عبد الله بن هوليم Howeylim زعيم بني كتب (كتبي)، بعد أن أغارا وتوغلا في محيط أم القيوين، تحت قيادة عبد الله بن راشد، (زعيم أم القيوين) شخصياً، وتلا ذلك قتال عنيف، ولم يتراجع أي من الطرفين قيد أنملة، إلى أن سقط الشيخ صقر بن سلطان عن جواده، وأُصيب بجراح قاتلة مما جعل محاربي الشارقة (الشارجة) يهربون ويعودون إلى ديارهم.

لقد عُدّ الشيخ صقر بن سلطان ولوقت طويل «المحرك الرئيسي والمحرّض على الأعمال العدوانية للشيخ سلطان» والده، وتأكد هذا الافتراض الآن، ذلك أنه بالرغم من أن الشيخ سلطان عبّر عن توقه للانتقام من موت ابنه، فقد أبدى رغبة في وقف الاعتداءات. ففي الثاني والثالث من نيسان 1846 وجه رسالة إلى المندوب «معبّراً عن ندمه في عدم اتباعه نصيحة المندوب المساعد». وعندما جاء إلى الساحل مؤخراً، أخبر الوكيل البريطاني بأن نصائح ابنه، الشيخ صقر قد أعمت بصيرته وبأنه يرغب أن تنتهي الاضطرابات، لكن تحريضات الآخرين الشريرة تعيقه من التصرف كما يحلو له». «ما يرغب به الآن هو أن يوفد المندوب شخصاً من جانبه، في ناقلة تابعة للحكومة البريطانية، لحل القضايا وإصلاح ذات البين فيما بين المتنازعين». وهنا كانت الفرصة الذهبية لوضع حد للفوضى والاضطرابات وأزف وقت المصالحة. فقد أفلح الكومودور هاوكينز في إنهاء الأعمال العدائية، وإحلال سلام مؤقت بين الأطراف المتنازعة، وتمَّ الاتفاق على ضرورة انسحاب الزعماء كل إلى إقليمه، والدخول في سلام لمدة ستة شهور. أرضت هذه الترتيبات الجميع، وعادت بالفائدة عليهم. فموسم الصيد كان يقترب، عندها سيتمكن الجميع من ممارسة صيد اللؤلؤ.

تلك كانت المشاعر عند الزعيمين فالتأكيدات على السلام والهدوء اللذين كانا يعتملان في صدورهم صادقة، والحالة ستكون كذلك، لو لم يكن الزعيم القاسمي (الجاسمي) أحد الأطراف. فهو من أطلق الوعود بأن يمتنع

عن الحرب ويدمر الأبراج التي شيّدها مؤخراً، كما أطلق وعداً بأن يسمح للناس من قبائل أخرى أن يختلطوا بأفراد قبيلته، بالإضافة إلى العديد غيرها ولكن هل التزم بذلك؟ لقد منع سكان دبي من الدخول إلى الشارقة (الشارجة) وباشر البناء بدل الهدم، وبذل جهوده في تحريض الشيخ سعود بن طحنون، للإساءة إلى الشيخ مكتوم بن بطيّ Butye، وشجّع جماعة من الهزاع Al Huza بأن يرتدوا عن ولائهم لزعيم أم القيوين.

باختصار، يمكننا القول بأنه حاول جاهداً خرق الاتفاقية. وإليكم واحدة من مكائده. دعونا أولاً أن نستشهد برسالة وجّهها الملا حسين الوكيل البريطاني في الشارقة (الشارجة) إلى المندوب. وهاكم ما كتبه:

«أدركت أن الشيخ سلطان بن صقر Suggur، ولدى زيارته سعود بن طحنون في أبو ظبي، انخرط في مواثيق لتنفيذ مخططاتهم وتقضي بأن على سعود بن طحنون أن يجهز قوة من الخيالة وراكبي الإبل لغزو مناطق قبائل البدو، مثل الغوافل Ghuflah والخويطر Khuaiter والمناطق التي ترتبط بهم وبالتحديد فرع العلي من قبيلة عبد الله بن راشد، وآخرين، بهدف إنزال الخسائر والأذى على عبد الله بن راشد، زعيم أم القيوين. وفي الثاني من شهر كانون الأول انطلقت قوة، هاجمت في نهار الخامس عشر من الشهر ذاته، موقعاً لقبيلة الغوافل Ghuflah، تضم ثلاثين رجلاً أخذوا على حين غرة. قتلوا جميعاً خلا خمسة منهم هربوا. وبالطبع نهبت ممتلكاتهم بالإضافة إلى خمسمئة بعير، وعدد آخر من القطيع. وأفيد أن ابن راشد بن فضل Fazil قتل وهو من بني ياس. ساد حزن وأسى وتمّت إدانة الهجوم وما قام به بنو ياس بتحريض من الشيخ سلطان بن صقر الذي حرضهم على قتل أتباعه من الغوافل والخويطر، والنعيميين الذين كانت تربطهم أواصر صداقة بالقواسم، سيما الغوافل. لا بد أن هذا السلوك البربري ساهم في تدمير هذه المناطق ونزوح سكانها عنها. دبّ ذعر كبير بين البدو، وأرسل كبار الشارقة (الشارجة) رسولاً إلى الشيخ سلطان بن صقر الذي تظاهر بشجب ما قام به بنو ياس ضد الغوافل

Ghuflah. ولدى وصول الرسول في السابع من كانون الأول قدم الشيخ سلطان إلى الشارقة (الشارجة)، وأرسل على الفور قارباً إلى أبو ظبي، ليوحي إلى الشيخ سعود بأن ما قام به أتباعه ضد الغوافل Ghuflah لم يحدث أي تغيير في مشاعره أو عواطفه أو في علاقتهم الودية، وأمر بإعادة أي إبل تخصّ سكان الشارقة (الشارجة) أو رأس الخيمة تمَّ الاستيلاء عليها. كما وصل إلى مسامعي أن الشيخ سعود أرسل رداً أصاب منه الرضى على نحو كامل».

دعونا الآن نتأمل فيما آل إليه ما قام به هذا الشيخ المتهور.

في نهاية عام 1846، وعندما انتهى موسم صيد اللؤلؤ، وكانت الهدنة البرية في نهايتها، بدأ الشيخ سلطان يقلب خططاً للانتقام من زعيم أم القيوين، من أجل مقتل ابنه صقر. قرر أن يهاجم الشيخ مكتوم بن بطيّ Butaye، ومن ثم عبد الله بن راشد، الذي كان وحيداً. ودعي الشيخ سعود من جديد لمد يد العون في هذه المهمة. استجاب هذا الأخير للدعوة وأسرع ينضم إلى القواسم (الجواسم)، بكل ما توفر لديه من قوات. كانت خطة الهجوم على دبي في البداية: بما أن رغبة زعيم بني ياس عارمة في إضعاف دبي، ولن يتمكن الزعيم القاسمي من الانتقام من عبد الله بن راشد إلّا بتلك الوسيلة. على أي حال لم يكن الشيخ سلطان ليُخدع قبل رؤيته دبي تسقط في يدي الشيخ سعود بن طحنون، عندها سيغير من خطة الهجوم، وسينطلق ضد بلدة أم القيوين، بدلاً من دبي. وهذا ما لن يوافق عليه الشيخ سعود، وظهر الخلاف في وجهات النظر، ما أدّى على الفور إلى نزاع علني. تحول كلا الزعيمين عن خططه فجأة. وتمَّ اللجوء إلى الشيخ مكتوم بن بطيّ الذي رفض شروط الشيخ سعود وفي الوقت ذاته دخل مع الشيخ سلطان في شباط أو آذار من عام 1847 في معاهدة، بحسب الوعود التي أطلقها الشيخ سلطان بتدمير الأبراج التي شيّدها في أبو حيل Heyle، ضمن فترة ثلاثة شهور، وعود، لم تتحقق.

ليس هناك ما هو جدير بالذكر من هذا التاريخ حتى بداية عام 1848 عندما استعاد سكان عجمان (الذين اصطفوا من جديد إلى جانب زعيم أم

القيوين) علاقاتهم مع الشارقة (الشارجة)، بعد أن تهيأ لهم أنهم باتوا بأمان «بعد مفاوضات ودية استمرت لبعض الوقت بين الشيخ سلطان بن صقر وزعماء دبي وأم القيوين». حاول عبد الله بن سلطان، ابن القواسم (الجواسم)، زعيم المكان، والذي كان يشبه والده في كل شيء، مباغتة حصن عجمان والاستيلاء عليه في الثاني عشر من كانون الثاني عام 1848. رغم أن الخطة كانت سرية فقد فشلت وجعلت زعماء البحر يقطعون علاقاتهم مع أبناء الشيخ سلطان[1].

وفيما يتصل بالشيخ سلطان نفسه، يخبرنا الملا حسين في رسالة مؤرخة في الأول من شباط عام 1848 «عندما سمع الشيخ سلطان بما قام به أبناؤه، وفشلهم في الاستيلاء على عجمان، وهذا ما أدّى إلى تحالف بين زعماء صغار والشيخ سعود بن طحنون زعيم أبو ظبي، أصابه كرب، وعلى الفور كتب إلى عدد من الشيوخ، يشجب ما قام به أبناؤه ويتنصّل منه».

في أثناء ذلك، بدأ العداء يشق طريقه بين الملازم النجدي وزعيم أبو ظبي. وأما المنهج الذي اتبعه الشيخ سلطان أثناء الحرب فقد كان منسجماً مع سلوكه. ستلقي المقتطفات التالية من الرسائل التي وجهها الملا حسين إلى المندوب، الضوء على شخصية الشيخ سلطان وطبيعته، والدور الذي لعبه في الصراع.

اجتزأنا المقطع الأول من رسالة في التاسع والعشرين من أيار في عام 1848 «ثمة عداء كبير يكنّه الشيخ سلطان ضد الشيخ مكتوم بن بطيّ Butye وكان يحرّض الشيخ سعود بن طحنون على أن يهاجم هذا الأخير. لكنه وعندما أدرك أن سعود بن طحنون انضم إلى حلف ضد محمد بن سيف، أرسل مكتوم لاقتراح حلف».

وكتب في رسالة في الرابع عشر من حزيران في عام 1848: «في العاشر من حزيران عاد الشيخ سلطان إلى الشارقة (الشارجة)، وكتب إلى

(1) إبراهيم هو الطرف الثاني الذي تمت الإشارة إليه. وساهم في المؤامرة ضد عجمان.

سعود بن طحنون، بأنه قرر أن يأتي من أجل ترتيب المسائل بين الأطراف، ولكن عندما علم رفض سعود، تخلّى عن عزمه، وفي الوقت ذاته أشيع بأنه كتب إلى محمد بن سيف بأنه يجري استعدادات لمد يد العون له، لكنه لم يجد زعيماً واحداً من زعماء الساحل يدعمه، أو يشجعه، ويرجو الله، أن تصل التعزيزات من نجد في فترة وجيزة».

ومن جديد في نهاية الشهر ذاته، وعند الحديث عن الشيخ مكتوم بن بطيّ، كتب في الخامس والعشرين من حزيران في عام 1848: «بأنه ليس له ثقة في سعود بن طحنون. وفيما يتصل بعلاقاته مع الشيخ سلطان، استمرت العلاقات فيما بينهما في الظاهر، لكن في الأعماق، لا يعلم ذلك سوى الله! كما أن هناك مراسلات مستمرة بين الشيخ سلطان والشيخ سعود. ومن الصعوبة بمكان تمييز الكَذَبة من الصادقين منهم، بما أن كل زعيم منهم يسعى إلى خداع الطرف الآخر».

وفي رسالة أخرى: «أرسل الشيخ سعود من البريمي في السادس من شعبان (الثامن من تموز عام 1848) رسولاً إلى رأس الخيمة وحمّله رسالة إلى الشيخ سلطان تقول إنه إن كان يرغب باستمرار الحلف بينهما في وضعه الراهن، فعليه أن يبدأ على الفور بإظهار العداء ضد دبي، وأن يقطع علاقاتهم مع أقاليمه (أي أقاليم القواسم). ارتبك الشيخ سلطان إلى درجة كبيرة، ولم يعرف بماذا يجيب. وبناء على ذلك قرر أن يراوغ فقد ردّ على الرسالة بمفردات توحي بالإذعان وبأن مواثيقهم ستبقى على ما هي عليه، وبأنه حرم التجارة وقطع العلاقات بين مناطقه وبين تلك التابعة لدبي. وفي ليلة التاسع من شعبان (الحادي عشر من تموز)، وبعد أن أرسل الرد السابق، رحل سليمان، وهو أحد أتباع الشيخ سلطان، سراً من الشارقة (الشارجة) إلى دبي. ولدى لقائه بالشيخ مكتوم وأعيانه، أخبرهم بأن الشيخ سلطان يرغب في إقامة حلف وصداقة معهم، لكنه يرجوهم في الوقت الحالي بأن يمنعوا قبيلتهم من الاستمرار في علاقاتها مع الشارقة (الشارجة)، كما أنه ينوي أن يعلن في

الشارقة (الشارجة) بأن على الجميع أن يمتنعوا عن الاتصال مع دبي. رد الشيخ مكتوم وأعيانه بأنهم لن يعارضوا طروحات الشيخ سلطان».

بعد ثلاثة أو أربعة شهور من العام ذاته، وبعد أن أغارت قوات زعيم أبو ظبي على مناطق الشيخ سلطان، وبعد أن اشتكى إلى المندوب، منتقداً الشيخ سعود بنقضه للعهود، واصفاً إياه بالخيانة والغدر.

في اليوم ذاته (الثلاثون من تشرين الأول عام 1848) قدم مقترحات تتعلق بالسلام إلى الشيخ سعود بن طحنون، وأصدر أمراً إلى سكان الشارقة (الشارجة) يحرم عليهم «أن ينطلقوا في رحلاتهم البحرية». وفي الرابع من كانون الأول علمنا من اتصال آخر بأن القوات المشتركة للشيخ سلطان ومكتوم بن بطيّ Butye وحمد بن راشد، انطلقت من الشارقة (الشارجة)، مع سعود بن مطلق، وما تبقى من النجديين، للهجوم على الشيخ سعود في البريمي Brymee. وبهذا فقد تماهى الشيخ القاسمي على نحو جلي مع قضية الوهابيين وصار في حرب علنية مع زعيم بني ياس. من الصعوبة بمكان التنبؤ، كيف كان للأمور أن تنتهي، أو ماذا ستؤول إليه الخطوة التالية للقواسم، فيما إذا استمرت حالة العداء. على أي حال، ليس من عهود ومواثيق وقعت بين المتنازعين.

تمَّ التوصل إلى سلام في شباط من عام 1849 وأعيدت حصون البريمي Brymee إلى القائد الوهابي، وعادت المسائل إلى ما كانت عليه من أحوال قبل أن يبدأ الصراع.

كان الشيخ سلطان ولوقت مضى يخطط لحملة على خورفكان Khoure Faukan، وهو ميناء على ساحل بطي Batinah يقع الآن تحت نفوذ سعود، لكن بسبب رفضهما الشديد الذي عبّر فيها كل من سعود بن مطلق وشيخ دبي مكتوم لهذا الإجراء الذي اقترحه الشيخ سلطان، تخلى هذا الأخير عن خطته.

في بداية السنة التالية (1850)، وعندما طلب زعيم صحار Sohar العون

ضد سلطات مسقط، التي أسرت شقيقه وغزت أقاليمه، أعار الشيخ سلطان أذناً لطلبه هذا، وبعد أن وجد أن سعود بن قيس Ghes قد وعد، في حال تحرر من خصمه البغيض، بأن يمد يد العون ويدعم القواسم (الجواسم) في استعادة ممتلكاتهم التي خسروها على ساحل الباطنة Batinah، وأن يدفعوا الجزية، المبلغ ذاته الذي كان يدفعه للوهابيين حتى ذلك الوقت، قدم العون على جناح السرعة.

كانت قوات القواسم في طريقها، عندما التقت بسعود بن قيس Ghes الذي أجبر سعود على الانسحاب من الجوار والعودة إلى مسقط بعد أن أفلح في مقاومة الجهود الحثيثة لحاكم مسقط الهادفة إلى الاستيلاء على حصن صحار Sohar. في هذا الوقت انطلق الزعماء المتعاضدين على الفور ضد حصن شناص Shinas وبعد أن أظهروا مقاومة ضروس، أجبروا المكان على الاستسلام في العاشر من أيار من عام 1850. كما أفلحوا في هجومهم على غولا Ghulla وخورفكان Khore Faukan وبعد أن أضعفوا كامل ساحل الباطنة Batinah من مريا Merya إلى رأس مسندم Musseldom وأخضعوه، وزرعوا الفرقة، عادا إلى مواقعهما.

إذا أغفلنا المكائد العديدة التي حاكها الزعيم القاسمي، وعرّينا أفعاله في عام 1851 يمكننا عندئذ أن نلخّصها بالكلمات التالية: أرسى الشيخ سلطان السلام مع الشيخ سعود بن طحنون، بدافع الحقد والضغينة للوهابيين، ذلك أنه كان يؤيد الشيخ مكتوم. كما أنه واجه احتجاجات من الأمير تدعوه إلى إقامة الحلف ورد على سموه أنه وانسجاماً مع الرغبات التي عبّر عنها، سوف ينهي الصداقة التي اتفق عليها ـ وهو وعد لم ينجزه، ذلك أنه يعارض مصالحه.

اندفع طلباً لمساعدة سعود بن قيس Ghes، زعيم صحار، في صراعه مع إمام مسقط، بحسب الاتفاقية، كما قبل هدايا من ذهب، وتخلّى عن القضية التي وعد بأن يدعمها.

هكذا كانت طبيعة الزعيم القاسمي خلال عام 1851.

في ربيع السنة اللاحقة قامت بغلة (سفينة) Buggalow تابع لرأس الخيمة لدى عودته إلى الخليج قادماً من الساحل الأفريقي، بقرصنة على ناقلة تابعة لميناء زنجبار.

كانت وسائل الاتصال البطيئة بين موانيء زنجبار وبوشهر Bushire تسبِّب تأخيراً كبيراً في الحصول على المعلومات الضرورية لإرضاء الشيخ سلطان بن صقر فبالرغم من أن الكابتن كيمبال كتب إلى الميجور هاميرتون فيما يتّصل بالقرصنة في بداية شهر حزيران من عام 1852، وبما أنه لم يتلق أي رد حتى الثالث من آب خاطبه من جديد، وفي الرابع من شباط في السنة اللاحقة، وجد من الضروري أن يكتب رسالة ثالثة، رجا فيها أن يُمنّ عليه برد على اتصالاته السابقة، ولم يصل الرد من ذلك الضابط إلى المندوب حتى شهر آب من عام 1853 وحتى في ذلك الحين، فإن (سفينة) بغلة Buggalow التي قامت بالاعتداء، رغم أن ملكيتها تعود إلى أحد مواطني رأس الخيمة، ومع ذلك فقد كان طاقمها من رجال قصيب Kusbeeah وهم رعايا سعود سعيد، رفض الشيخ القاسمي (الجاسمي) دفع التعويض وبهذا بقيت المسألة برمتها من دون حسم حتى نهاية العام، ذلك أن الكابتن كيمبال اقتنع بالمبررات التي ساقها الشيخ سلطان من دون الرجوع إلى الميجور هاملتون.

خلال الأعوام 1852 ـ 1853 استولت على الشيخ سلطان بن صقر هواجس قلق شديد، من كثرة ما جرّ عليه استياء الحكومة البريطانية.

فقد تعرّض الوكيل البريطاني في الشارقة (الشارجة) في أثناء تلك الفترة للإهانات أثناء إقامته في موقعه ضمن مناطق نفوذ القواسم (الجواسم)، مرة من سكان الشارقة (الشارجة)، بتشجيع من زعيمهم، ابن الزعيم القاسمي، وأخرى من قبل أطراف موالية للأمير الوهّابي الذي أعلن الشيخ سلطان عجزه عن السيطرة عليه. دفع التعويض وساد الارتياح، ولم تكد تتحقق المصالحة بين الشيخ سلطان والوكيل البريطاني، بحضور الكومودور روبنسون، حتى وجّه

الشيخ سلطان رسالة إلى المندوب، يسوق فيها تهماً جديدة ضد الوكيل البريطاني يتهمه فيها بعدم أمانته فيما يتّصل بالنقود التي أودعت عنده بغية تسليمها للآخرين - تهم لا أساس لها من الصحة، ذلك أنه تراجع عنها فيما بعد. ومن جديد، في نهاية عام 1852 كتب الشيخ سلطان رسالة إلى المندوب، يتذمر فيها من الوضع الذي ألفى نفسه فيه. بكلمات أخرى بدأ الآخرون يحملونه كل ما يحدث في البحر من أعمال قرصنة، في الوقت الذي كانت تبرئ ساحة الآخرين حتى عندما كانوا ينقضون عهوذهم مع الحكومة البريطانية. منّ الكابتن كيمبال على الشيخ القاسمي، باتصال معه، مفنداً فيه جميع التهم التي أوردها الزعيم القاسمي.

إن القدر الكبير من المرارة التي ألفى نفسه فيها يعود إلى كراهية فطرية للوكيل البريطاني، عندما كشف هذا الأخير للمندوب عن تجارة العبيد التي يقوم بها أتباع الشيخ القاسمي (الجاسمي). أما السبب الأقوى لهذه الكراهية فيعزى إلى تصريح نقله الكابتن كيمبال إلى الشيخ سلطان يقول فيه: «استجابة لأوامر محكمة المديرين الموقرة، ترفض الحكومة تأييدها لاقتراحات الشيخ سلطان التي قدمها للكولونيل هينيل، والتي تقضي بأن يعهد بالنقود إلى الشيخ سلطان الذي سيدفعها كتعويضات في حال قام أتباعه بأعمال قرصنة، أو قتل أو أية أذيات يؤازرها أتباعه، بدلاً من أن تدفع مباشرة إلى الأطراف المتضررة».

بدا وكأن هذا التصريح قد أثار جنون الزعيم القاسمي، «كان يتميز غضباً» كتب الوكيل البريطاني في رسالة في الحادي عشر من تشرين الثاني في عام 1852، عندما وصل إلى مسامعه أن مبلغاً من النقود أخذ من الشيخ سعود بن بطيّ Butye، ودفع مباشرة إلى بعض من رجاله كانوا قد تعرّضوا لقرصنات في البحر. وفي أواخر شهر آب من السنة التالية، اشتكى الحاج يعقوب من العداء الذي أظهره له الزعيم القاسمي، نتيجة اقتطاع مبلغ من النقود كتعويض عن اعتداءات تمّت في البحر «ودفع إلى الأفراد المتضررين» بدلاً من أن يدفع له.

خلال تغيب الشيخ سعود بن بطيّ Butye، زعيم بو فلاسة Boo Felasa عن مسقط، وهو الميناء الذي ذهب إليه بمناسبة زيارته سمو الإمام. دعم الشيخ سلطان بن صقر مزاعم أبناء الراحل مكتوم الطامحين إلى الزعامة، لكن مؤامرته لم تفلح. كما أنه حاول رشوة سعود بن مناول Maanaul المهيري بأن يترك دبي مع قبيلته ويستقرّ في الشارقة (الشارجة) لكن مساعيه التي حاولت أن تدعم من موقف الورثة اليافعين الطامحين للزعامة، باءت بالفشل كلية جراء حلف هجومي دفاعي أعلن فجأة في السابع عشر من كانون الأول في عام 1852 بين الشيخ سعود بن بطيّ وزعماء قبائل بني ياس وأم القيوين.

بقي أن نشير إلى الدور الذي لعبه الزعيم القاسمي (الجاسمي) في الأحداث التي وقعت في ربيع 1853 بين السلطات الوهّابية وسلطات مسقط. فالنهج الذي اتّبعه كان مرفوضاً كما هو الحال دائماً.

أسرع الزعيم القاسمي (الجاسمي) ينتظر عبد الله بن فيصل، عندما علم بوصوله إلى البريمي Brymee ودفع بكل قوته للحؤول دون تدابير سلمية كانت مزمعة بين الأطراف المتنازعة، رغم أنهم أوحوا له بأن المندوب قد وصل إلى الساحل بغية اللقاء به، لم يعد إلى عاصمته لاستقباله، بل «اعتزم أن يعوض عن غيابه بتعيين نواب له كي يتصلوا مع الكابتن كيمبال». «ثمة العديد من الأسباب التي تجعلنا نفترض بأنه لم يمنح أولئك النواب أية سلطات لاتخاذ أيّة تدابير حاسمة». نصح الشيخ القاسمي (الجاسمي) بزحف مباشر نحو مناطق الباطنة Batina الضعيفة، كما أفلح في الوصول إلى حظوة عند القائد الوهّابي.

لقد أرضت نصائحه وخططه رغبات عبد الله بن فيصل، وأخذ يدرس (كما قال الشيخ سعود بن طحنون) توقيت زحف القوات المتحالفة على مناطق نفوذ الإمام، كانت الأحداث تنحو منحى خطراً، لولا ظروفاً أحبطت حماسة الزعيمين القاسمي والوهّابي. فقد تمّ التخلي عن الغزو، وعادت الأحوال إلى مسيرتها السلمية. عاد الشيخ سلطان إلى الشارقة (الشارجة) وانتظر الكابتن

كيمبال في الرابع من أيار عام 1853 على متن كلايف وهي السفينة الحربية Honorable company واجه الشيخ القاسمي توبيخاً شديد اللهجة من الكابتن كيمبال بسبب الانتظار الذي كان الشيخ سلطان سبباً له. كما عبّر له عن مقت الحكومة البريطانية إزاء إجراءاته الأخيرة التي تجسّدت في عودته إلى أعمال القرصنة من جديد.

أظهر الشيخ سلطان حماساً كبيراً في الدخول إلى المعاهدة الجديدة الهادفة إلى إقامة سلام دائم ووثق حماسه بتوقيعه على المعاهدة من دون تردد.

الجواسم (القواسم)

أُعِدَّت هذه المادة من قبل الليوتنانت اي. بي. كيمبال ـ المندوب المساعد في الخليج Lieutenant A, B. Kemball[*].

الأحداث[1]

أبدى الإمام، استعداده لمد يد العون لسلطات مسقط ضد أحد الزعماء المتمردين. تمّ إقناع هذا الأخير بالعودة إلى ولائه.

قرصنة اقترنت بجريمة، ارتكبها ستة نجديون من مسقط على قارب من قشم (كشم) أبحروا به كان قد تمّ إقصاؤهم منذ وقت من خدمة الإمام. أُدركوا في منطقة تشيرو Cheroo وسلموا إلى السلطات البريطانيّة، التي أرسلتهم بدورها بناء على أوامر الحكومة إلى مسقط، على أمل أن يلقوا الجزاء العادل.

أمدّت سلطات مسقط، عيسى بن طريف[2] وزملاءه بالذخيرة الحربيّة والمخازم العسكريّة، لكنها رفضت أن تقوم بأيّ تدخل جدي فاعل في صراعهم مع البحرين، من دون مصادقة سموّه، الذي أحالهم لاستمزاج رأي

(1) ملخص للتقارير المرفوعة من الوكلاء والمعتمدين الإنكليز إلى الدوائر العليا من الهند.

(2) عيسى بن حمد بن طريف من قبيلة آل ابن علي، شخصية قبلية لعبت دوراً كبيراً في أحداث القبيلة التي عاصرها حتى قتل عام 1847 ميلادي في المعركة التي دارت بينه وبين الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة حاكم البحرين، عندما رفض شيخ البحرين محمد بن خليفة إرجاع أملاك أبناء عمه أحمد بن خليفة وعدم السماح لهم بالإقامة في البحرين ـ عرفت هذه المعركة باسم وقعة أم سوية ـ ماجد شبر.

(*) ترجم هذه المقالة الأستاذ صخر الحاج حسين.

الحكومة البريطانيّة فيما يتّصل بهذا الموضوع. بناء على ذلك لم يسمح باشتراك عيسى بن طريف وحلفائه في الحرب الأهليّة.

هُزِمت قوة أرسلها الإمام ضدّ الرعايا المتمردين من سوفي Sevee، وأسفر عنها مذبحة مهوّلة.

الجواسم (القواسم)[1]

الأحداث:

سنة 1765 سيطر القواسم الذين لجأ إليهم كل من حاكم هرمز Orums، على جمبرون Gombroon[2] وميناو Minao الذين اعترضوا على جباية الجزية التي فرضتها الحكومة الفارسيّة، على مدن قشم (كشم) Kishm، ولوفت Luft، ولجنة Lingah وشناص Shinas (تقع هذه البلدات على الساحل الفارسي). فيما بعد استعادت الحكومة الفارسيّة مدينتي قشم (كشم) ولوفت.

سنة 1777 استقال الشيخ راشد، حاكم رأس الخيمة، من المشيخة لصالح ابنه صقر.

سنة 1780 بعد أن فشل الشيخ صقر في إرساء مفاوضات سلام بين الفرس والعتوب الذين أخضعوا البحرين ونهبوها، انضمّ إلى الشيخ ناصر شيخ بوشهر Bushire في حملة لاستعادة الجزيرة. وتكرّرت المساعي لإضعاف البحرين، ولم تتوقّف حتى عام 1785.

سنة 1797 استولى القواسم على بازين سنو Bassien snow وهي ناقلة بريطانيّة، امتلأت بالموفدين. تمّ إطلاق سراحها بعد يومين.

في تشرين الأول حصل القواسم، بعد أن جهروا بصداقاتهم، على

---

(1) لقد تمّ اعتماد اسم القواسم بدل الجواسم والذي تستعمله التقارير البريطانية (م. شبّر).
(2) يعرف الميناء الآن باسم بندر عباس (م. شبّر).

الذخائر من الطراد فايبر Viper لكنهم هاجموه غدراً في أحواض بوشهر للسفن وتمّ صدّهم.

سنة 1803 توفي الشيخ وخلفه ابنه سلطان[1].

سنة 1805 أدّى تأثير الوهابيين وسلطتهم إلى تجدّد أعمال القرصنة على نحو كبير. استولى القواسم على ناقلتين بريطانيتين، «الشانون» Shannon و«الترمر» Trimmer، وعلى أسطول يتألّف من أربعين مركباً شراعياً كانت على الأطراف يحيط بهما وأطلقوا النار على الطراد مورنغتون Mornington، لكنهم أجبروا على الانسحاب.

اعترضت قوة بريطانيّة مسقطية مشتركة سبيل أسطول قاسمي في قشم (كشم) وأجبرته على أن يلتمس السلام. تمّت استعادة الناقلة «ترمر» وسلبت الناقلة شانون بعد أن استسلمت في وقت سابق.

سنة 1806 أدخلت الحكومة البريطانيّة قبيلة القواسم في اتّفاقيّة بتاريخ 6 شباط. لا يبدو أنّ ذلك تمّ بموافقة، أو حتى بمعرفة الشيخ الوهابي.

سنة 1807 انضمّ القواسم إلى سيد بدر، الإمام، ضدّ سيد قيس Ghes من صحار.

سنة 1808 بعد أن منعتهم معاهدة عام 1806 من الاستمرار في رحلاتهم البحريّة في الخليج، وسع القواسم منها باتّجاه الهند، بتشجيع وتحريض من الوهابيين. كما دفعهم زعيم الوهابيين إلى الاستقلال عن شيخهم الشرعي، سلطان، وأرسلوا زوارقهم متجاهلين موافقته، واستولوا على عشرين زورقاً محلياً على الساحل إلى الشمال من بومباي.

في 20 تشرين الأول ـ خرق القواسم معاهدة 1806 وهاجموا الطراد

---

(1) قتل السيد سلطان على يد القواسم في البحر قرب هانجام في تشرين الثاني 1804 حيث خلف السلطان ابنيه سعيد وسالم معاً، إلا أن عمهما السيد قيس نازعهما على ذلك وقد كان كلاهما قاصرين. وعلى أمل ضمان ملكهما للعرش قامت عمتهما السيدة موزة بدعوة ابن عمها السيد بدر بن سيف للعودة من منفاه من قطر ليكون وصياً عليهما. (ماجد شبّر).

سيلف Sylph واستولوا عليه في الخليج. لكنّ سرعان ما استعادته فرقاطة جلالته نيرييد Nereid، التي لاحت في الأفق.

سنة 1809 ـ هاجم الفرس انطلاقاً من منطقة لار Lar كلاً من لنجة Lingah وتشارك Charrak وأجبروا القواسم على التقهقر إلى باسيدو Bassadore.

هزم القواسم أسطولاً من قوارب بوشهر Bushire كانت تتّجه لمهاجمة خورحسان.

سنة 1809 عيّن الزعيم الوهابي، حسين بن علي، وهو من القواسم وشيخ الرمس Ramse نائباً له في ولاية صير Seer، ومنحه السلطة على رأس الخيمة، وعيّن وعّاظاً وهابيين في جميع أنحاء منطقة القواسم. ودعا الشيخ سلطان إلى ديرة حيث سجنه. لكن هذا الأخير تدبّر أمره وهرب من السجن، ولدى توجّهه إلى اليمن، صعد إلى موكا (موخا) Mocha وتابع طريقه إلى مسقط. أخذه إمام مسقط إلى الشارقة (الشارجة) ونصبه على قبيلة القواسم هناك. كان الشيخ سلطان يمضي أوقاته أحياناً في لنجة.

سنة 1809 أرسلت الحكومة البريطانيّة، بحملة إلى الخليج بعد أن اتّخذت قراراً بتحرير الإمام من سلطة الوهابيين وقمع أعمال القرصنة التي يقومون بها.

في 1809 تشرين الثاني تمّ الاستيلاء على رأس الخيمة بهجوم قوي من البر والبحر، بعد مقاومة سالت فيها دماء كثيرة. احترقت البلدة مع الناقلات التي وصل عددها إلى الخمسين، بالإضافة إلى البارجة الإنكليزيّة Minerva التي كانت راسية في الميناء. ومن ثم تابعت الحملة قُدماً إلى لنجة، ودمّرت عشرين [سفينة] دوا Dow ومن هناك مرّت بكنغون Congoon وبندر ميلم Mullim وحمرام Humeram ووصلت إلى لوفت. سرعان ما تمّ احتلال البلدة. لكن جميع المحاولات لاحتلال الحصن بقوة النيران لم تفلح. واستمرّ وابل القذائف والنيران.

استسلم الحصن مع أملاك تصل قيمتها إلى مئتي ألف روبيّة تخص الإمام. سلّمت إضافة إلى الحصن إلى سموّه السلطان.

الأول من كانون الثاني سنة 1810 تمّ الهجوم على شناص من قبل قوات الإمام والقوات البريطانيّة المشتركة. وبعد مقاومة دموية ضروس، استسلم الحصن، ونقلت ملكيته إلى سموه، بعد أن دمّر تماماً ولم يعد يصلح للسكنى.

سنة 1812 ظهر القراصنة من جديد في بداية العام، ودمروا العديد من الزوارق المحليّة الضخمة التي تعود ملكيتها إلى البصرة Bussora وكنغون. ولم تنج القوارب التي كانت تحمل العلم البريطاني، واحتجزت مراكب أخرى في بور يبندر Porebunder ومنعت من متابعة نشاطاتها التجاريّة.

سنة 1813 فشلت حملة قام بها الإمام ضدّ رأس الخيمة هدفت إلى إعادة تنصيب سلطان بن صقر.

سنة 1814 تنتهي حملة ثانية في العام ذاته، وللسبب ذاته، باتّفاق سلام بين إمام مسقط والقواسم، ويجبر الشيخ صقر على أن يصبح أحد أطرافه.

سنة 1814 ـ 1815 يرتكب القواسم العديد من أعمال السلب والنهب ضدّ تجارة الهند، ترافق ذلك مع إهانة للعلم البريطاني، باقتحامهم مركباً وحجزه، كان قد أرسله المندوب البريطاني على أمل الدخول في ميثاق في بداية عام 1814.

سنة 1815 يهزم القواسم أسطول الإمام ذي الثلاثة والعشرين مدفعاً في إحدى المعارك. كادوا أن يستولوا على الفرقاطة كارولين. ويأسرون ناقلة بريطانيّة من بومباي، ويقتلون القسم الأكبر من طاقمها، ويحددون فدية للإفراج عن البقية.

سنة 1816 يهاجم القواسم الطراد أورورا Aurora، ويطلقون النار على السفينة بيرشيا، وعلى المدمّرة سينترا Centra. ويستولون على ثلاث ناقلات

تابعة سرُت ويقتلون العديد من أفراد طواقمها. قدّرت الخسائر في هذه العملية بنحو مليون روبيّة. تمّ الحصول على غنائم كثيرة من الناقلات البريطانيّة في ظل ظروف أعمال عنف مشابهة، وفي النهاية تمّ الاستيلاء على القارب البريطاني المدرّع تورارو Turrarow.

سنة 1817 تتقدّم وحدة بحريّة تتألف من مراكب للقواسم إلى بوشيب Boshead ينزل طاقمها إلى اليابسة ويحرقون وينهبون القرى الواقعة في القسم الغربي من الجزيرة، ويأخذون الماشية كلها ويقتلون عدداً كبيراً من السكان.

سنة 1817 ـ 1818 يدخلون إلى ميناء أسيلو Aseeloo ويستولون على خمس بغلات (سفينة) Buggalows ضخمة ومحمّلة، تقدّر قيمتها بثلاثمئة ألف روبيّة، ويقتلون طواقمها. يتابعون طريقهم إلى كنغون، وهناك يجدون الناس يتهيؤون لملاقاتهم يتريثون ومن ثمّ يستأنفون طريقهم إلى ديرة Daire حيث ينزلون إلى البر، ويدمرون عدداً من أشجار النخيل. يصدّهم السكان المحليون، ويجبروهم على العودة إلى مراكبهم. يسود الذعر من جرّاء ذلك في جميع أرجاء الخليج.

سنة 1819 تستولي القوات البريطانيّة تحت إمرة السير دوبليو. ج. كير على رأس الخيمة في التاسع من كانون الأول. يستسلم حسين بن أرحمة (رحمة) Hussain bin Ramah وقضيب[1] بن أحمد Guzeeb bin Ahmed زعيما المنطقة طوعاً. يقدم الزعماء الآخرون في الساحل الولاء المطلق إلى القائد البريطاني.

في 8 كانون الثاني سنة 1820 يتمّ التوصّل إلى معاهدة سلام عامة مع زعماء الملاحة، الهدف منها قمع أعمال القرصنة وضمان التجارة. وتمّ الدخول في اتفاقيّة منفصلة مع حسين بن علي النائب السابق للحاكم الوهابي،

---

(1) قضيب بن أحمد الزعابي المتوفى عام 1824 وكان من كبار قبيلة الزعاب، وقبيلة الزعاب من القبائل المنتشرة في عمان والإمارات ـ ماجد شبر.

من أجل استسلام جميع ناقلاته (باستثناء قوارب الصيد)، وتحرير جميع الأسرى الهنود، واحتلال بلدات رأس الخيمة وموهارا Moharra من قبل القوات البريطانيّة. ثمة اتفاقيّة شبيهة أيضاً تمّ إقرارها مع الشيخ سلطان بن صقر Suggur، من أجل استسلام الأبراج والمدافع وناقلات الشارقة (الشارجة) وعجمان وأم القيوين Amulgavine وتبعياتها، واشترطت إقامة حاميات عسكرية في رأس الخيمة بكتيبة من القوات البريطانيّة، والتي رُحّلت إلى قشم (كشم) Kism في الثامن عشر من تموز، حيث فُكّكت الدفاعات ودمّرت.

سنة 1823 طالب الشيخ سلطان بن صقر بفرض سيادته الكاملة على جميع موانىء القواسم. تعترف الحكومة البريطانيّة بسلطته شريطة أن يقبل بها الزعماء الآخرون. رفضت عجمان هذا الاقتراح في البداية، لكنها قدّمت الولاء له لاحقاً.

تخلّص الشيخ سلطان بن صقر من شيخ الرمس the Ramse وخلفه محمد عبد الرحمن ابن الشيخ السابق، الذي أزاحه حسين بن علي (نائب الزعيم الوهابي). يموت شيخ قضيب Guzeeb بن حمد شيخ جزيرة الحمرا يخلفه محزم بن عبد الرحمن عندما مات خلفه ابنه محمد الذي تخلّص منه القائد القاسمي، بعد أن أساء له. حلّ محله أحمد بن عبد الله.

سنة 1824 عملية قرصنة، ترافقت بأعمال وحشيّة، قام بها قاربان من الشارقة (الشارجة) على بغلة Buggalow يعود لسقطرة. تشدّد الرقابة على القاربين بغية القبض عليهما في طريق العودة. يتخلى طاقم أحدهما عن القارب في تشاراك Charrak ويلجأ الآخر إلى مُطرة Muttra. تمضي عدة شهور دون أن يتعرّض إليهم أحد، وتنتهي المسألة عند هذا الحد.

يفتح الزعيم القاسمي قناة اتصال مع الوهابيين الذين حقّقوا نجاحات كبيرة على الأتراك، كان دافع الزعيم القاسمي الحفاظ على حياته.

سنة 1824 ـ 1825 بسبب شخصية الزعيم القاسمي المؤامراتية وسلوكه

المتقلب، تبرز إلى السطح عداوات بينه وبين الشيخ طحنون Tahnoon زعيم أبو ظبي لتشكل مناسبة للقيام بأعمال الفوضى. يتمّ التوصّل إلى توافق ودي في تشرين الأول عبر نفوذ الإمام(1).

سنة 1827 يتفجّر العداء من جديد بين القواسم وبني ياس Beniyas بعد أن استولى هؤلاء الأخيرين على دبي، لكنّ سرعان ما يستتبّ السلام.

سنة 1828 يقوم أحد قوارب القواسم بواحد من أكثر أعمال القرصنة بشاعة وفظاعة، بقيادة مسلم بن رشيد على قارب تابع لصحار يدمّر القارب بعد أن يتمّ سلبه. يحتج المندوب، ويساق مسلم مع القسم الأكبر من طاقمه كسجناء، بعد عملية سريعة، نفذها قارب أرسله الزعيم القاسمي الذي أعدم مسلم لاحقاً.

تمّت استعادة ناقلة القراصنة، مع كل بضائعها المسلوبة وسلمت إلى الإمام.

سنة 1821 لدى زيارة السفينة البريطانيّة سنبيري Sunberry الشارقة، يتمّ التعامل مع قبطانها وطاقمه على نحو مهين، نتيجة قيامها بزيارة إلى أبو ظبي التي كانت في حالة حرب مع القواسم (الجواسم). يُنزل علم السفينة ما يشكّل مزيداً من الإهانة. في حركة منه لنيل رضى البريطانيين وكسب ودّهم يحرق سلطان بن صقر Suggur القارب الذي هاجم السفينة ويجلَد الشخص الذي أنزل العلم.

سنة 1831 بعد أن يتلقّى زعيم القواسم إعانة ماليّة من الإمام، يعده بأن يساعده ضدّ صحار Suhar، ولكن وبسبب شخصيته غير المستقرة كما أسلفنا يخلف بوعده. وأمّا شيخ عجمان، وبعد أن تلقّى إعانة ماليّة شبيهة بتلك التي منحت لزعيم القواسم ينضم إلى سموه، لكن ولدى هزيمة حشود هذا الأخير،

(1) المقصود به إمام مسقط سعيد بن سلطان حيث حكم مدة 50 عاماً من عام 1806 ـ 1856. [شبَّر]

يعلن-شيخ عجمان عن تأييده لشعب صحار Suhar، ويوجّه سلاحه ضدّ حلفاء الأمس. تسلب جماعة من بني ياس ـ أرسلها الشيخ طحنون شيخ أبو ظبي ـ بلدة شيخ عجمان وتدمرها وتتعرّض بساتين النخيل للمصير ذاته، خلال فترة تغيّبه عنها. ونتيجة لذلك يكشف العداء عن وجهه بين القواسم وبني ياس. يتمّ التوصّل إلى سلام من جديد عبر وساطة قام بها محمد بن قضيب Guzeeb زعيم لنجة يشير سلطان بن صقر Sugger إلى نيّته في إعلان الحرب على إمام مسقط، والبدء في إشعال فتيل العداء. قبل أن يتلقّى رداً من المندوب، وقبل وصول قوة بحرية بريطانيّة إلى مسقط، لمساعدة الحكومة الحالية، يسيطر على موانىء خورفكان Khore وفكان Fukaun وخولا Khulla ودبا Dibbah على ساحل البطانة Batinah بمباغتتهم أو عن طريق الحيلة. يقوم رشيد بن حمد زعيم منطقة عجمان بغزوات جريئة تضمّنت أعمال نهب وسلب على تجارة صحار ومسقط. استغلّت بعض أفخاذ القواسم (الجواسم) حالة الضعف للعديد من المناطق الواقعة بالقرب من بوشهر Bushire بعد أن تعرضت تلك المناطق للمحن التي سببتها لتغزو بلدات بندر ديلم Bunder Dillum ويندر ريغ (ريج) Bunder Reigh. ولم يسلم من أيديهم قارب كان عائداً من كنغون إلى بوشهر.

سنة 1832 بعد أن طُلب من الشيخ سلطان بن صقر أن يقدّم تعويضات على الانتهاكات وأعمال العنف التي اقترفها أتباع شيخ عجمان، أنكر أيّ سلطة له على ذلك.

وكان قد أنكر قبل ذلك برسالة، أيّ نفوذ له على شيخ أم القيوين Amulgavine.

سنة 1832 لدى رؤيته قوة بحرية أمام مينائه يسارع الشيخ راشد، شيخ عجمان إلى دفع التعويض عن غزوه مسقط وناقلات أخرى (لم يشمل التعويض ناقلات صحار التي كان في حالة حرب معها).

في تشرين الثاني حتى كانون الأول سنة1832 يصل أسطول ضخم من الناقلات القواسم تحت إمرة سلطان بن صقر إلى بوشهر على أمل أن يساعد

الشيخ ناصر حاكم بوشهر المورّث والذي طردته سلطات شيراز التي حاصرت الميناء. بحسب الاتفاقيّة السابقة، كان غزو الميناء مكافأة لهجوم ناجح.

السلطات البريطانيّة تمنع القواسم من تنفيذ مخططهم.

سنة 1833 يقوم أحد قوارب القواسم بقرصنة غير ذات شأن، لكنها تشير إلى روحهم الفوضويّة والعدوانيّة. يفلح طاقمه في الاستيلاء على قسم صغير من أحد المعسكرات في كورغو Corgoo التابع لمؤسسة المندوبيّة البريطانيّة التي جعلت من هذه الجزيرة مستقراً لها خلال الحرب. يتمّ إرسال إحدى الناقلات الحربيّة في إثر القارب، لتلحق به في المحمرة Muhumrah. تطالب السفينة بتسليم المعتدين وما غنموه ويتمّ لها ذلك، وتعود بهم إلى بوشهر. لكنها تطلق سراحهم بعد أن حقّقت هدفها.

سنة 1833 ـ 1834 بعد هزيمته إثر هجوم شنّه على أبو ظبي، يعود سلطان بن صقر مع أسطوله تصحبه قوارب من لنجة وعجمان ودبي ويحاصر المكان. يقطع حلفاءه وفرق من تابعيه طرق الإمدادات والمعونات براً. بعد أن حُرم الطرفان من فوائد وأرباح تجارة اللؤلؤ وباتا في حال يرثى لها، سُرا في التوصّل أخيراً إلى سلام قام بدور الوسيط فيه سعود بن قضيب شيخ لنجة.

لم يكن تأثير الوهابيين لصالح بني ياس كافياً لمنع هذه الإجراءات من جانب القواسم.

سنة 1835 ينطلق الشيخ سلطان بن صقر بأسطول ضخم متوجهاً إلى أملاكه على ساحل باطنة Batinah. الهدف المعلن من وراء ذلك كان مساعدة سلطات مسقط في أعمال شغب محليّة بدأت هناك (هذا ما كان منسجماً مع رغبة الإمام عندما غادر إلى أملاكه الإفريقيّة). لكن الهدف الحقيقي من ذلك تجلّى في الاستفادة من حالة الفوضى لتعزيز مصالحه الخاصة على حساب أيّ من الفريقين. لم يكتفِ أسطوله في الإغارة على صحار ومسقط، بل تعداها إلى الناقلات التي وقفت على الحياد. وبسبب اعتداءاته على تلك الناقلات

أجبرته الحكومة البريطانيّة على دفع التعويضات. لكن حكومة مسقط التي كانت تخشى أن تجلب على نفسها مزيداً من عدائه، ولجعله يتوجّه بأنظاره إلى قضية خصمهم حمود Humood بن عزان Azan شيخ صحار، تجاهلت الأمر، حتى أنها أيّدت إجراءاته.

سنة 1835 يتحول شيوخ رأس الخيمة وعجمان وأم القيوين Amulgavine إلى أطراف في الهدنة البحرية.

سنة 1837 يتقدّم الشيخ سلطان بن صقر بطلب للسماح له للذهاب لمساعدة شيخ تاروت Towarah والذي كان في نزاع مع شيخ سويق Soweik. يقع كلا المكانين على الساحل الفارسي، يرفض طلبه بسبب المعارك التي خاضها، ولأسباب أخرى.

يقوم سكان الحيرة Heera وهي تبعيّة قاسميّة، بقرصنة على قارب تابع لبندر عباس. أمّا الشيخ سلطان بن صقر وبقرار طوعي منه يجبر مرتكبي هذا العمل على إعادة الغنائم بشكل كامل، بعد أن عاقبهم.

سنة 1838 يخلف الشيخ سلطان بن صقر شقيقه صالح في حكومة الشارقة (الشارجة)، ويعيّن ابنه، صقر مكانه.

يموت راشد بن حمد Humeed شيخ عجمان، ويخلفه ابنه حمد.

ينفذ شقيقان قاسميان، سلطان ومحمد بن صحار (Sohar) قرصنتين تطال إحداهما قارباً للكاراك Karrak، وكان على متنه أحد رعايا قبيلة كعب Chaab والذي كان في طريقه إلى المحمرة Mohumrah مع الكثير من الأملاك، أما القرصنة الأخرى فتطال قارباً تابعاً للباطنة Batinah. يتم العثور على سلطان ويقبض عليه في لنجة ويوضع تحت تصرف المندوب الذي يرسل به إلى الشيخ سمور[1] Samur زعيم قبيلة كعب Chaab. أما محمد ونوخذه Nakhoda قاربه،

---

(1) كان شيخ كعب خلال هذه الفترة هو ثامر، وفي هذا العام هاجم علي رضا باشا والي بغداد ميناء المحمرة وسيطر عليه. [البدو ج 4 ط 1]. (ماجد شبّر).

فيلجآن إلى عجمان، لكنهما يسلمان بناء على مطالبة بهما. بعد أن قاسيا الكثير جرّاء احتجازهما في الشارقة (الشارجة)، يطلق سراحهما لقاء دفع مئة كراون. لدى خشيتهم من تهديدات الشيخ سمور Samur نتيجة لما اقترفه سلطان بن صحار Sohar من أعمال قرصنة، بدأت قوارب لنجة ورأس الخيمة التي تزور البصرة ومحمرة كل عام من أجل التمور، تبحر في جماعات كي تصد أي عدوان تتعرّض له. يتحدث المندوب إلى شيخ كعب Chaab ويسوي سوء التفاهم فيما بين الأطراف المتنازعة.

سنة 1839 يقرّر الشيخ سلطان، بعد أن خاب أمله في محاولاته العدوانيّة على اليابسة أن يضعف قبيلة النعيم Naeem في مناطق خصب Kassaab وكمزة ورأس مسندم Ras Musseldom التي لم تقر بسيادته، أن يرسل قوة بحرية لمحاصرة موانئهم، لكنه خشي من النجاحات السريعة للمصريين وأداتهم الأمير خالد. لذا يتخلّى عن نواياه العدوانيّة، وسرعان ما يرسى السلام.

سنة 1840 يستقبل الشيخ سلطان بن صقر Sugger التابع (الوكيل) المصري ـ الوهابي، سعود بن مطلق Mootluk في أراضيه والذي يقنعه بأن يدعو بني نعيم في منطقة البريمي Brymee لتسليم حصنهم إليه، لكنهم رفضوا بكل جرأة، وتهيؤوا للمقاومة.

رفضت تسوية على شكل ديّة دم لجريمة قتل بحق رجلين من دبي قامت بها مجموعة من ستة أشخاص اثنان منهم من رعايا أم القيوين، تنكب لها ذلك الزعيم. يستأنف شيخ دبي غاراته على جيرانه في أم القيوين، لكنه يهزم، ويقع في الأسر ستة من رجاله. يُرفض طلب شيخ الشارقة (الشارجة) بتحرير السجناء، لينضم بعد ذلك إلى شيخ دبي. تزحف قوات الشيخين المشتركة ضدّ أم القيوين التي خدع سكانها وتقدموا إلى مسافة معيّنة بسبب هروب مزعوم من جانب القوات المشتركة، وفجأة هوجموا وتمّ التغلّب عليهم وأجبروا على التراجع وقتل لهم عشرين رجلاً والعديد من الجرحى.

أرسي السلام، ووافق شيخ أم القيوين على تحرير السجناء الستة، وعلى أن يدفع نصيبه من دية القتل للمغدورين من دبي.

سنة 1840 يُوفد الكابتن همرتون إلى البريمي Brymee، بغية جمع معلومات عن البريمي وسكانها والاستفادة منها فيما يتّصل بسلطته. نتيجة لمكائد الزعماء القواسم وشيخ دبي الذي وضع جميع العقبات منعاً لمواصلة مهمة الكابتن. بالطبع لم يتمّ ذلك من دون صعوبات جمة وتأخير. لم تنجح مهمة الكابتن إلى أن وافق شيخ البريمي على مرافقته طواعية، ليبدأ بالانطلاق إلى هدفه.

قبل رحيل الكابتن، وعلى أمل أن يجمع القوة وموارد القبائل المناطق الداخليّة، يدعو المندوب زعماء تلك القبائل إلى مؤتمر في عجمان. وزّعت عليهم مبالغ قليلة من النقود، وباستثناء سوء تفاهم بسيط بين قبيلتي الظواهر Zowahir وبني قتب (كتب) Kuttub سويت جميع الخلافات.

سنة 1840 يباغت شيخ الحيرة Heerah، حميد بن عبد بن سبت Subt مع مجموعة من بني نعيم، عجمان ويستولون عليها. للوهلة الأولى يرفض الشيخ صقر بن سلطان التدخّل، لكنه وبعد أن أخذ بالحسبان احتمال جرّ استياء الحكومة البريطانيّة، يرسل ابنه صقر، مع مكتوم من دبي اللذين يطردان شيخ الحيرة ويحرقان بلدته، انتقاماً للخسائر التي ألحقها بسكان عجمان.

في أيار سنة 1840 مباشرة وبعد انتهاء الهدنة البحرية، وقبل أن يتمّ اتخاذ أي خطوات في سبيل تجديدها، يهاجم الشيخ سلطان بن صقر، بالاشتراك مع ابنه، شيخ الشارقة (الشارجة) ومكتوم شيخ دبي، أم القيوين والتي أُضعفت إلى درجة كبيرة. لدى وصول المندوب البريطاني، أصلح ذات البين بين الأطراف، وأرسى سلاماً وتمّ التوصّل إلى معاهدة يلزم أحد بنودها شيخ أم القيوين بعدم بناء أيّة دفاعات جديدة، وألا يضيف جديداً على قديمه.

يتمرّد صقر بن سلطان، شيخ الشارقة بتحريض من مكتوم شيخ دبي على والده ويرفض الاعتراف بسلطته.

يتفادى هذا الأخير اللجوء إلى الإجراءات العنيفة، يتظاهر بالموافقة، ويوافق أن يمتلك ابنه الشارقة (الشارجة) مدى الحياة وأن يدفع له مبلغاً سنوياً يتمّ الاتّفاق بشأنه، بدلاً من كونه حاكماً لها ويتقاضى مرتباً عن ذلك كما كان الحال من قبل.

في كانون الأول سنة 1840 يدعو صالح بن صقر وكبار أعيان الشارقة (الشارجة) الشيخ سلطان لاستعادة سلطته الضائعة، يستقدمونه سراً إلى الحصن، وينصبونه بدلاً من ابنه الذي يرسلون به مخفوراً. لكنه يتدبّر أمره ويهرب من حراسه، ويلجأ إلى دبي التي يرفض شيخها تسليمه.

يحقّق الشيخ سلطان مصالحة مع زعماء أبو ظبي وأم القيوين الذين باتوا الآن قانعين بمساعدته ضدّ دبي. تمّ الاتّفاق على تدميرها بالكامل عندما يتم الاستيلاء عليها. عند هذه النقطة، وبسبب خوفه الشديد، بدأ الشيخ مكتوم يجاهر بالولاء والخضوع وتعهّد بدفع مبلغ 1000 كراون كرشوة، والتي لم يكن الشيخ سلطان بقادر على أن يقاوم سحرها. وكعادته ينقض العهود التي التزم بها مع حلفائه الجدد، ويسوي خلافاته مع الشيخ مكتوم ويستبدل ابنه صقر في حكومة الشارقة (الشارجة).

سنة 1840 ـ 1841 يتمّ سلب قارب قاسمي (جاسمي) تابع لرأس الخيمة من قبل بعض الخارجين عن القانون من بدع Bidda من بينهم العجوز سيئ الصيت جاسم بن جبر رگراك. عُدّ سلمان Salmin بن ناصر، حاكم تلك المنطقة والذي تستّر على جاسم وحماه لعدة سنوات، مسؤولاً عن أفعاله. وعلى الفور تذهب ناقلتان من الكتيبة تصحبهما فرقاطة بخاريّة بغرض المطالبة بالتعويض، لكن سلمان Salmin بن ناصر لم يذعن إلى طلباتهم إلّا بعد إحدى عشرة قذيفة أطلقت على المكان. (لم تكن هناك خسائر في الأرواح، كما لم

تحدث أضراراً على الشاطىء). يغتصب الشيخ عبد العزيز السلطة من أخيه حميد ويستولي على حصن عجمان.

سنة 1842 ـ 1843 يصرّ الشيخ عبد الله بن راشد، شيخ أم القيوين، خلافاً للمعاهدة، على بناء دفاعات بلدته وتجديدها، معارضاً الاحتجاجات المتكرّرة للمندوب، وبناء على تصريحات الشيخ سلطان بن صقر، رافضاً بشكل قاطع أن يسيء إلى اتفاقيته. في النهاية أُبلغ، أنه ما لم يوافق على أن يدمّر ما بُنِي أو ما تمّت إضافته لاحقاً على إرساء السلام بينه وبين الزعيم القاسمي، سيُعدّ عدواً، ويعامل تبعاً لذلك. كان لهذا العمل الأثر المرجو، لكن في الفترة التي سبقت تدمير الدفاعات. بعد أن وافق الشيخ سلطان بن صقر على وجود الدفاعات، تمّ تجاهل مطالب الحكومة البريطانيّة. قبل استخدام القوة، أُبلغ الطرفان أنه وبناءً على إساءة شيخ أم القيوين إلى مواثيقه، سيكون حراً بأن يبني ما يريد من الدفاعات، وستُعدّ المعاهدة منذ ذلك الحين لاغية وباطلة. تترسّخ الهدنة البحرية، لمدة تمتد إلى عشر سنوات[1].

---

(1) عند الانتهاء من هذه الهدنة دخل زعماء ساحل جزيرة العرب في معاهدة سلام دائمة في الرابع من أيار عام 1853 من خلال وساطة قام بها المندوب الكابين إي. بي. كيمبال ـ
Vide pages 88 and 89 of the selection. Editor

التاريخ الداخلي لإمارة الشارقة (الشارجة)
(الشيوخ)[1]

في التلخيص القصير التالي نودّ أن نشير إلى شؤون الأسرة الحاكمة في الشارقة (الشارجة)، بالإضافة إلى الأحداث التي لها دلالات داخلية فقط.

الشيخ صقر بن راشد 1777 ـ 1803

في سنة 1777 تنازل الشيخ راشد بن مطر شيخ رأس الخيمة وزعيم القواسم (الجواسم) عن رئاسة القبيلة لابنه صقر بعد أن ظلّ بها ثلاثين عاماً، وتزوج الشيخ صقر ـ فيمن تزوج ـ ابنة الشيخ عبد الله المعيني شيخ قشم (كشم).

الشيخ سلطان بن صقر 1803 ـ 1866

أخلاق الشيخ سلطان بن صقر ومحل إقامته:

في سنة 1803، على وجه التقريب، خلف الشيخ صقر ابنه سلطان الذي قدّر له أن يحكم القواسم أكثر من جيلين كاملين، وأن يشهد في حياته كل عملية التغيير والانتقال من القبيلة إلى التحضر في الخليج. ونحن لا نعرف شيئاً عن الأحداث الداخلية في إمارته بقدر ما نعرف عن أحداثها الخارجية،

---

(1) هذا الفصل هو من الجزء الثاني القسم التاريخي لدليل الخليج من 1146 ـ 1157 تأليف ج.ج لوريمر. ويشمل ص140 ـ 151 من هذا الكتاب.

بل ولسنا نعرف على وجه اليقين ـ بعد أن ضمّت إليه رأس الخيمة في سنة 1820 ما إذا كان يقيم فيها أو يقيم بالشارقة (بالشارجة). فحتى موته كان يطلق عليه «شيخ الشارقة (الشارجة)» وأحياناً «شيخ رأس الخيمة» دون تمييز[1]، ويبدو أن الحكم المباشر في المدينتين كان يتولاه شباب من أقاربه تحت أوامره، ولا يتولاه هو مباشرة وشخصياً. وبإجماع الذين عرفوه كان أهم ما يمتاز به الشيخ سلطان هو قدرته الفائقة على الخداع والإقناع به. وأدّى به هذا المسلك لأن يفقد ـ في نهاية حياته ـ ثقة الجميع، لكن خداعه هذا لم تنتج عنه ـ على وجه العموم ـ مساوىء كثيرة.

حكام رأس الخيمة والشارقة (الشارجة)، 1803 ـ 1804:

وفي بداية حكمه كان الشيخ سلطان يستعين بأخوته ـ ثم بأبنائه فيما بعد ـ كممثلين عنه في الحكم المباشر لمدينتي رأس الخيمة والشارقة (الشارجة)، فكان يحكم رأس الخيمة في سنة 1823 محمد بن صقر شقيق الشيخ سلطان، وربما ظل حاكماً لها حتى موته حوالي سنة 1845. وقبل سنة 1838 كان يتولى أمور مدينة الشارقة (الشارجة) صالح بن صقر شقيق الشيخ سلطان أيضاً، وكان صالح ـ رغم أن أمه من الإماء ـ من أذكى الناس الذين عرفهم الساحل المتصالح في ذلك الحين، وقد أسفت السلطات السياسية البريطانية كثيراً لعزله عن حكم مدينة الشارقة (الشارجة) وتولية صقر ـ ابن الشيخ سلطان من امرأة قاسمية (جاسمية) ـ مكانه.

تآمر الشيخ صقر بن سلطان على أبيه 1840:

وفي 1840 ـ وبتحريض من الشيخ مكتوم شيخ دبي الذي كان متآمراً لا يقرّ له قرار قام صقر بن سلطان بمحاولة ـ قصيرة لكنها ناجحة ـ للاستقلال بالشارقة (بالشارجة) عن أبيه وحكمها حكماً مستقلاً، وقد التفّ حوله الأنصار

---

(1) يمكن ملاحظة ذلك في الاتفاقية التي عُقدت بين الحكومة البريطانية وشيوخ منطقة الساحل المتصالح سنة 1853 (ماجد شبّر).

لأنه وعد بتخفيض الضريبة المفروضة على غواصي اللؤلؤ، والتي كان أبوه قد رفعها إلى 7 روبيات عن الرجل الواحد في السنة، وهمَّ الناس بالقيام إلى السلاح لكن الشيخ سلطان وافق أخيراً - وبعد تردد طويل - على أن يأخذ من ابنه الجزية وألّا يتدخل في شؤون الميناء الداخلية. وفي كانون الأول 1840 كان للشيخ صالح الحاكم السابق للشارقة بعض الأنصار أسخطهم ازدياد نفوذ شيخ دبي وسيطرته على شيخهم الجديد فجمعوا أنفسهم ليضعوا حداً لهذا المتمرّد، ونجحوا في ذلك بأن ألقوا القبض على صقر وهو نائم ثم حملوه إلى أبيه، وحاول الشيخ سلطان تدبير الأمر بإبعاد ابنه إلى رأس الخيمة، لكن صقراً استطاع - وهو في الطريق إلى المنفى - أن يتخلّص من أغلاله ويلجأ إلى شيخ دبي. والعمليات العسكرية التي تلت ذلك موجودة في تاريخ عمان المتصالحة، وبعد أن خان الشيخ سلطان حلفاءه وعقد اتفاقية مع شيخ دبي، بل عاد ووضع صقر على حكم الشارقة (الشارجة) دون أن يأخذ منه تعهداً بألا يضايق الشيخ صالح وغيره من الموالين له في مدينة الشارقة (الشارجة).

إدارة مدينة الشارقة (الشارجة)، 1840 - 1855:

وظل الشيخ صقر على حكم الشارقة (الشارجة) حتى موته في معركة مع شيخ أم القيوين سنة 1846 - ويبدو أن خلفه عبد الله، وهو ابن آخر للشيخ سلطان كانت أمه من عائلة آل علي التي تقيم في تافونش على الساحل الإيراني، وتميّزت فترة حكم عبد الله بمحاولة انقلاب للسيطرة على قلعة عجمان في سنة 1848 لكنه استمرّ في مكانه حتى لقي مصرعه أثناء اشتباك حدث في الحمرية سنة 1855.

تمرد شيخ الحمرية 1854 - 1855:

وفي سنة 1854 حدثت الحلقة الأولى في سلسلة التمردات التي قام بها أهل الحمرية - وهي مدينة على الساحل - ضد سلطة شيخ الشارقة (الشارجة) حاكمهم الشرعي. وكان سبب الاضطرابات، هذه المرة، خلافاً دموياً شبّ بين الهولة في مدينة الشارقة (الشارجة) وعدد من الشويهيين المهاجرين مؤخراً

إلى هذا المكان، وكان عددهم يزيد على 500 مقاتل. وبنصيحة مغرضة من أحمد السديري ممثل الوهابيين في عمان المتصالحة سارع الشيخ سلطان بن صقر بتحويل الشويهيين إلى منطقة الحمرية، ومن هناك بدأوا يتعاونون مع عبد الرحمن بن سيف شيخ القرية لتأكيد استقلالها عن الشارقة (الشارجة). وحين زار كابتن كيمبال، المقيم السياسي البريطاني، عمان المتصالحة أثناء جولته السنوية في أيلول 1854، تقدم منه الشيخ سلطان بطلب منع أهل الحمرية من القيام بأعمال بحرية، لكن كابتن كيمبال ـ على الرغم من رغبته في عدم تشجيع المتمردين ـ أبلغ الشيخ أنه ما دامت منظمة الحمرية واقعة بين عجمان وأم القيوين، فإن مثل هذا الإجراء من جانبه قد يؤدّي إلى إقحام شيوخ هذين المكانين معاً في الخلاف.

وبعد هذا اللقاء أرغمت الحالة في لنجة ـ التي كان يحكمها خليفة بن سعيد القاسمي ـ الشيخ سلطان على أن يبقى مقيماً على الساحل الإيراني عدة شهور، وخلال رحلته، سارع بوضع أمور الحمرية بين يدي أحمد السديري ممثل الوهابيين. وحاول هذا الرجل الشرير ـ بعد أن ادّعى أنه يتوسّط بهدف تصفية الخلاف ـ أن يضع حامية وهابية تابعة له في حصن الحمرية، وبعد فشل خطته أقنع الشيخ سلطان ـ الذي كان قد رجع من رحلته ـ بأن يقود عمليات برية وبحرية ضد هذه المدينة العاصية. ووجد كابتن كيمبال لدى وصوله إلى الحمرية على السفينة «كليف» في 21 أيار 1855 أن هذا المكان قد تمَّ احتلاله بالفعل قبل خمسة وعشرين يوماً دون أن يصل خطاب واحد إلى المقيمية بذلك، وإن كان الشيخ سلطان زعم أنه أرسل خطاباً ولعله لم يصل.. وكانت القوة المحاصرة، بشكل أساسي، تضمّ جانباً من أنصار شيخ القواسم و150 رجلاً تحت قيادة ممثل الوهابيين، وفرقة من عجمان تتجاوز 3000 رجل، ومدفعيتهم تضم 5 مدافع جيء باثنين من لنجة واثنين من الشارقة (الشارجة) عن طريق البحر، والخامس عن عجمان. ولم تزد القوة المحاصرة عن 800 رجل فقط، لكنهم كانوا مؤيدين ـ وإن لم يكن بعون فعلي ـ من جانب شيوخ دبي وأم القيوين الذين كانت مضايقاتهم لشيخ الشارقة (الشارجة) القوي مصدر

خلاف للمتمردين. وكان القتال عنيفاً بشكل غير مألوف، ومالت كفّته إلى صالح المحاصرين، ففي حين خسر المهاجمون 60 قتيلاً من بينهم الشيخ عبد الله ابن شيخ القواسم إلى جانب ضعف هذا العدد من الجرحى أيضاً لم تزد خسارة الحامية على 10 قتلى. وفي هذه الظروف الحرجة طلب الشيخ سلطان بإلحاح عون المقيم وكان يأمل أنه يستطيع، بهذا العون، التراجع دون انتقاص من كرامته وهيبته لكن كابتن كيمبال ـ رغم رفضه المطلق بأن يضمن تنفيذ أيّة اتفاقية يتمّ التوصل إليها ـ فقد أبدى استعداده للتوسط لكن كبار المسؤولين في الحمرية ولاجئي الشويهيين اغترّوا بدفاعهم الناجح من ناحية، وبتحريض شيخ أم القيوين من الناحية الأخرى فرفضوا أن يلقوا بالاً لأية اقتراحات للسلم، لكنهم أخيراً ـ وحين هدّد المقيم العام بإحكام السيطرة والرقابة على العمليات البحرية مما يؤدّي إلى قطع خطوط إمداداتهم ـ وافقوا على أن يدفع المتمردون مبلغ 500 ريال لشيخ الشارقة (الشارجة) أمارة لخضوعهم، وأنه بعد انقضاء موسم اللؤلؤ، فعلى الشويهيين مغادرة الحمرية والاستقرار في أي مكان يشاؤون. وأرسل وكيل المقيمية، حاجي يعقوب، إلى البر ليشهد خضوع المتمردين رسمياً للشيخ، وظلّت سفينة الشركة المعظمة «كونيستانس» باقية هناك عدة أيام أخرى حتى رفع المهاجمون خيامهم وتراجعوا. ومن استقرار عدد كبير من الشويهيين اليوم في مدينة الشارقة (الشارجة) نستطيع أن نفهم أن الشيخ سلطاناً قد نجح أخيراً في إقناع هؤلاء المتمردين بالعودة لبلاده.

حكام رأس الخيمة والشارقة (الشارجة)، 1855 ـ 1866

وفي 1860 ـ وربما قبلها بوقت قصير ـ كان يحكم رأس الخيمة إبراهيم بن سلطان، ابن الشيخ سلطان من زوجة تنتمي لقبيلة المرازيق، وفي سنة 1855 عين مشاري ـ ابن إبراهيم ـ نائباً لحاكم دبي، لكنه لقي مصرعه هناك بعد قليل على يد جماعة من الشيوخ، وحين مات الشيخ سلطان في سنة 1866 كان إبراهيم لا زال يحكم رأس الخيمة وبمقتل عبد الله بن سلطان في العمليات على الحمرية سنة 1855، تولى إدارة مدينة الشارقة (الشارجة) بعده

محمد بن صقر حفيد الشيخ سلطان، لكن عمه خالد بن سلطان سرعان ما بدأ في التآمر لإبعاد هذا الفتى الصغير عن حكم المدينة. ويبدو أن شيخ القواسم المسن ـ الذي كان قد فقد السمع والذاكرة معاً ـ لم يعد له وزن كبير في الخلافات الدائرة بين أعضاء أسرته غير المخلصين له ـ وحوالي سنة 1859 كان للشيخ خالد حزب قوي من الأنصار في الشارقة (الشارجة)، وأصبحت المدينة منقسمة بينه وبين الشيخ محمد، ولم يكن لمثل هذه الحالة أن تستمر طويلاً، وفي سنة 1860، أو أوائل 1861، استدرج الشيخ خالد غريمه محمداً إلى مكان بعيد عن الشارقة (الشارجة)، في رحلة صيد، وهناك أطلق عليه الرصاص بنفسه ثم ألقى جثته في بئر قريب. وأثناء زيارة كابتن فيلكس جونز[1] للساحل طلب الشيخ خالد لقاءه، لكن هذا رفض فهو لا يستطيع «أن يقابل رجلاً أو يتباحث معه، كان هذا مسلكه منذ قليل».

وفي أوائل سنة 1860 استنجد شيخ الشارقة (الشارجة) ـ ولم يكن يطيع أوامره في هذا الوقت لا الشيخ خالد ولا الشيخ محمد ـ بشيخ الحمرية لمساعدته في حملة برية على قرى الخان وأبو حيل المتمردة. وتهور عبد الرحمن بن سيف فسارع إلى مكان هذه العمليات بحراً يحمل الأسلحة والذخائر، ولهذا عاقبه

(1) جميس فليكس جونس (جونز): مستشرق ومساح انكليزي، أرسلته الحكومة الانكليزية بالهند ليقوم بمسح طبوغرافي لمجرى النهروان القديم وتحديد مساره غير أن التقرير الذي أعدّه لحكومة بومباي كان من الشمول والتفصيل ما تجاوز الغاية التي قدم من أجلها إلى العراق، حيث تضمّن جداول تفصيلية عن جميع ما يتصل بالحياة اليومية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل ما له علاقة بالفرد والمجتمع فضلاً عن المسح الطبوغرافي الذي شمل دجلة والفرات. وقد التحق به لمساعدته في إنجاز المهمة وخاصة في مجال إعداد الخرائط اللازمة إعداداً دقيقاً مجموعة من العسكريين العاملين في البحرية الهندية. وتُعدّ خريطة عن مدينة بغداد التي رسمها وأعدها فليكس من أندر الخرائط لمدينة بغداد في العصر الحديث، وقد قامت شركة الورّاق بطباعة هذه الخريطة بطريقة فنية عالية الجودة وعلى نوع من القماش الخاص المعروف بالكنفوس المصنّع الخاص للرسوم واللوحات الفنية. [ماجد شبر].

المقيم العام بفرض غرامة عليه قدرها 250 روبية، وتمّ دفع هذا المبلغ عقب أن قدم القائد كراتندن (Commodore Cruttenden) طلباً لدفعه.

الشيخ خالد بن سلطان 1866 ـ 1868

بعد موت الشيخ سلطان في سنة 1866 وقد تجاوز الثمانين من عمره خلفه ابنه الشيخ خالد الذي سبق أن قتل ابن شقيقه محمد ـ في مشيخة الشارقة (الشارجة)، على حين ظل إبراهيم بن سلطان مواصلاً إعلان استقلاله برأس الخيمة. وفي أيار 1867 قام الشيخ خالد بهجوم ناجح على رأس الخيمة فطرد منها إبراهيم وأعاد ضم المدينة وما حولها إلى إمارته التي يحكمها من الشارقة (الشارجة). وفي 1865 ـ مات الشيخ خالد متأثراً بجراح أصابته من مبارزته لشيخ أبو ظبي، وكان ذلك يوم 14 نيسان من السنة المذكورة.

الشيخ سالم بن سلطان 1868 ـ 1883

احتلّ سالم ابن الشيخ سلطان من إحدى جواريه مكان الشيخ خالد الذي كانت أمه من القواسم (الجواسم)، وعهد بحكم رأس الخيمة إلى ابن شقيقه حمد بن عبد الله الذي أعلن استقلاله برأس الخيمة عن الشارقة (الشارجة) في سنة 1869 وظل كذلك حتى نهاية حياته.

وفي نيسان 1869 وصل وكيل الوهّابيين في البريمي إلى الشارقة (الشارجة)، بزعم التوسط في بعض الخلافات الناشبة على الساحل، وبدأ يضع خطة التآمر للقبض على الشيخ سالم وسجنه، وإعادة شقيقه إبراهيم إلى حكم رأس الخيمة، وجاء الشيخ حمد بن عبد الله من رأس الخيمة إلى الشارقة (الشارجة)، وحدث هرج في المدينة، وجاء مصرع ممثل الوهابيين بطلقة نارية لينهي هذا الهرج. وبادر الشيخ سالم ـ بهدف إفشال سياسة ممثل الوهابيين والقضاء على ما بقي من نفوذ أنصاره ـ بإعلان استعداده للتنازل عن الحكم لشقيقه إبراهيم، وظلّت العلاقات بين الأخوين طيبة، ولم يحدث أي تنازل فعلي عن الحكم، وبعدها بعدة شهور ـ ولم يبد على الوهابيين أنهم

سيقومون بعمل ما في هذا الصدد ـ عاد الشيخ سالم يتولى الحكم بشكل رسمي.

هجوم الشيخ سالم وإبراهيم على رأس الخيمة وتدخل المقيم البريطاني في 1869:

وفي نفس الوقت، أي أوائل أيار سنة 1869، حين كان الكولونيل بيللي المقيم السياسي في الخليج في طريقه من مسقط إلى «دالهوزي» تلقى معلومات في لنجة بأن القواسم (الجواسم) إلى جوار رأس الخيمة يهددون بارتكاب اعتداء خطير على السلم البحري، فاستقل القارب المسلح «هج روز» فوراً وعبر الخليج إلى رأس الخيمة، وحين وصلها في 12 أيار وجد الشيوخ سالم وإبراهيم من الشارقة (الشارجة) قد خرجوا بالفعل إلى البحر لطرد حمد بن عبد الله من رأس الخيمة فأنزلوا إلى جوار المدينة 1500 رجلاً من القوارب، وتمكّنوا من احتلال موقع على البر يحمون به أسطولهم الراسي في الخليج والذي كان يتكوّن من 32 سفينة، وقد أرسل شيخ أم القيوين حوالي 500 رجل عن طريق البحر لنجدة حمد بن عبد الله، وحدث القتال بالفعل في جزيرة الحمرا وفي مواجهة مدينة رأس الخيمة معاً. وفي ليلة وصوله تلقى الكولونيل بيللي خطاباً وهو على ظهر السفينة من شيخ رأس الخيمة أكّد فيه أن هدفه الوحيد من هذا الهجوم هو وضع الشيخ إبراهيم على حكمها، وفي يوم 13 أيار، وبعد لقاء مع قادة الجانب الآخر أمر الكولونيل بيللي الشيوخ سالم وإبراهيم بسحب أسطولهما وقواتهما قبل غروب الشمس، وظل المقيم في هذا المكان حتى غروب الشمس، وكانت السفن آنذاك قد انسحبت جميعاً من الخليج فسار إلى مسقط حيث كان وجوده ضرورياً هناك ـ وقد وافقت حكومة الهند فيما بعد على هذا العمل «السريع والحاسم» من جانب الكولونيل بيللي.

تحالف شيخ رأس الخيمة والشيخ سالم في مواجهة الشيخ إبراهيم، 1871 ـ 1873:

وفي 1871 يبدو أن الخلاف ظل قائماً بين الشيوخ سالم وإبراهيم في

الشارقة (الشارجة) وقد انتهز الأخير منهما فرصة غياب الأول في أبو ظبي فطلب عون ابن شقيقه حمد بن عبد الله من رأس الخيمة وعون شيخ أم القيوين واستطاع بمعونتهما معاً أن يصبح السيد غير المنازع في الشارقة (الشارجة). وبعدها مباشرة عزز حمد وضعه في رأس الخيمة بأن ضم إليها قرى شالام ورامس وشيمبل في صور التي ظلّت زمناً ما منفصلة عن إماراته. وفي 1873 تردد أن الشيخ سالم قد وجد بعض الصعوبة في الوفاء بالتزامات مالية كانت على «سلفه»، وهذا التعبير ربما كان يسري في هذه الحالة على الشيخ إبراهيم.

انفصال الحمرية عن الشارقة (الشارجة) 1875:

وفي 1873 ـ وعلى نحو ما أشرنا في تاريخ عمان المتصالحة ـ انضم شيخ الحمرية، وهو في ذلك الوقت سيف بن عبد الرحمن ـ إلى تحالف عام بين الشيوخ ضد شيخ الشارقة (الشارجة)، ثم انسحب منه في سنة 1874، وعاد في 1875 أو 1876 ليقوم بدور الوسيط بين هذه الأطراف. أو ما بقي منها، ثم رجع بعدها مباشرة ـ وفي 1875 أو 1876 ـ ليعلن استقلاله عن الشارقة (الشارجة) مما أدّى إلى قيام بعض المصاعب والمطالب المضادة بين هذين المكانين.

الشيخ صقر بن خالد من 1883 ـ 1909

الشيخ صقر بن خالد يستولي على الإمارة في آذار 1883:

في نهاية آذار سنة 1883 مضى الشيخ سالم إلى جزيرة بو موسى حيث كانت خيوله ترعى العشب ـ بهدف تغيير الجو، وفي نفس الوقت سار شقيقه أحمد في رحلة إلى رأس الخيمة، وهنا قام واحد من أبناء إخوتهما وهو شاب لم يتجاوز العشرين من عمره، بل لعله دونها، هو صقر بن خالد ـ كانا قد تركاه مسؤولاً عن الشارقة (الشارجة) ـ بانتهاز الفرصة وأعلن نفسه حاكماً عليها، وسرعان ما اعترف بهذا الحاكم الجديد كل من شيوخ رأس الخيمة وأم القيوين وعجمان ودبي، كذلك أيّده محمد بن علي شيخ بدو بني نعيم،

والمطوع خازاواني (غزواني) قائد جماعة قطاع الطرق من بني قتب (كتب).
وقد سهل نجاح هذا التمرد عدم شعبية الشيخ سالم ويرجع هذا بدوره إلى تأثير بعض رجال الدين من ناحية، وإلى لا مبالاته بمصالح رعاياه من الناحية الأخرى، لكن سالم على أي حال لم يكن أسوأ من خلفه الذي سرعان ما تكشف ضعفه وعدم وفائه بالعهود التي يقطعها على نفسه. وظل الشيخ سالم مسيطراً على جزيرة بو موسى، وقام في شهر أيار بزيارة للشيخ يوسف أحد شيوخ القواسم في لنجة، وانتقل في تموز إلى دبي حيث تمّ هناك عقد تسوية بينه وبين ابن شقيقه المتمرّد ضمن تنفيذها شيوخ رأس الخيمة ودبي، وبمقتضى هذه الاتفاقية كان على سالم أن يعترف بابن أخيه شيخاً في مقابل حصوله على مكافأة سنوية قدرها 600 روبية، وأن يستردّ أملاكه الخاصة في الشارقة (الشارجة) ويقوم صقر بسداد الديون المستحقّة عليه في الشارقة (الشارجة).

تدخل الممثل السياسي البريطاني 1884:

وفي 1884 كانت هناك شكاوى من الجانبين بأن هذه الاتفاقية ليست موضوعة موضع التنفيذ، وقال الشيوخ الذين ضمنوا تنفيذها إن الخطأ من جانب سالم الذي تبيّن أنه لا زال يعيش في جزيرة أبو موسى، وفي نفس الوقت أظهر الشيخ صقر إلى شيخ رأس الخيمة أنه متحالف معه. حتى هنا كان المقيم لا يتدخّل أي تدخل في هذه المنازعات رافضاً أن يقدم نصائح أو تعليمات للشيخ صقر، أو يأخذ على الشيخ سالم تعهداً خاصاً بعدم خرق السلم في البحر، ولكن في حزيران 1884 ـ وحين ظهر الشيخ سالم في عجمان استطاع وكيل المقيمية في الشارقة (الشارجة) أن يرتب لقاء ودياً بينه وبين الشيخ صقر في عجمان وتمَّ توقيع اتفاقية يتلقى الشيخ سالم بمقتضاها من الشيخ صقر مكافأة سنوية قدرها 440 دولاراً إلى جانب عائد جزيرة سيروا بو موسى الذي كان يصل إلى حوالي 200 دولار كل سنة، ومبلغ 250 دولاراً عن السنة المنقضية.

إخفاق الشيخ صقر في استعادة الحمرية:

وفي نيسان 1884 قام الشيخ الجديد في الشارقة (الشارجة) بمحاولة مباغتة لاستعادة الحمرية التي يبدو أنها ظلت متمتعة باستقلال فعلي منذ سنة 1875، وكانت الخطة الموضوعة تقضي باستدعاء الشيخ سيف بن عبد الرحمن شيخ الحمرية إلى الشارقة (الشارجة)، وبمجرد وصوله إليها يرسل شقيقه محمد بن عبد الرحمن ليتولى حكم المنطقة باسم شيخ الشارقة (الشارجة)، وتمَّ تنفيذ الخطة كما وضعت، غير أن الشيخ عبد الرحمن تمكّن من طرد شقيقه من الحمرية بعد عودته مباشرة ودون أية صعوبة.

حملة شيوخ رأس الخيمة والشارقة (الشارجة) 1885:

وفي كانون الأول 1885 تمرّدت شعم ضد شيخ رأس الخيمة، وقام هذا الشيخ ـ بمعاونة ابن عمه شيخ الشارقة (الشارجة) ـ بالسير إلى المكان حيث تمكّن من إخضاعه وفرض عليه غرامة مالية قدرها 1600 روبية دفع جانب منها مباشرة.

أعمال الشيخ المطرود سالم:

وظل الشيخ المطرود سالم ينتظر الفرصة المؤاتية للحصول على شروط أفضل من تلك التي حصل عليها من خليفته الناجح. وفي حزيران 1886 ـ وبعد تحالف عُقد بين شيوخ دبي وعجمان والحمرية ضد شيخ أم القيوين ـ نزل سالم مرة أخرى في عجمان، ولما لم يجد الفرصةَ مؤاتية لتحقيق أطماعه في الشارقة (الشارجة) عاد بعد فترة قصيرة إلى جزيرة بو موسى. وفي 1888 قام سالم بزيارة لشيخ دبي الذي كان على عداء مع شيخ الشارقة (الشارجة) في ذلك الوقت، لكن الصلح تمّ بين الشيخين وأخذ شيخ دبي وعداً على سالم بألا يتعرّض لابن شقيقه شيخ الشارقة (الشارجة) في مقابل استمرار المكافأة السنوية التي كانت قد قُطعت عنه. وفي نيسان 1889 قام ـ رغم ذلك ـ بإعداد

حملة لمهاجمة الشارقة (الشارجة) لكنه عجز عن تنفيذها. ومرة أخرى ـ بعدها بقليل ـ تصالح مع الشيخ صقر الذي كرّمه هذه المرة وجعله وزيراً له.

اتحاد إمارتي رأس الخيمة والشارقة (الشارجة) مرة ثانية 1900:

وفي 2 آب سنة 1900 عزل الشيخ حمد بن عبد الله شيخ رأس الخيمة بضربة عنيفة مفاجئة، وبادر الشيخ صقر بن خالد في الشهر التالي بضم مدينة رأس الخيمة وما حولها إلى إمارته في الشارقة (الشارجة) دون أن يلقى أقلّ مقاومة. ووضع الشيخ صقر في البدأية ابن عمه حمد بن ماجد حاكماً على رأس الخيمة، لكنه لم يرضَ عن مسلكه بعد عدّة شهور فعزله وجعل ابنه هو «خالد» حاكماً للمدينة.

تاريخ منطقة الشميلية[1]

تقع منطقة الشميلية على سواحل خليج عمان ولأسباب تاريخية يمكن اعتبارها تمتد من دبا (Dibah) إلى خور كلبا (Khor Kalba) وتشملهما أيضاً[2]، وقد مرّت بها في القرن الماضي تقلّبات سياسية كثيرة منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي حتى أن تاريخها ليصعب سرده متصلاً بتاريخ أية إمارة أخرى. وعلى ذلك نذكر فيما يلي مذكرة موجزة عن أحداثها.

تاريخ سياسي غير محدد ما بين سنتي 1798 ـ 1850

القواسم (الجواسم) في دبا سنة 1798:

كان القسم الشمالي من منطقة الشميلية في أواخر القرن الثامن عشر تحت حكم القواسم (الجواسم) أو على الأقل موضوع ادعائهم؛ وذلك أنه في فترة نزاع بين السيد سلطان حاكم مسقط والشيخ القاسمي حوالي سنة 1798 قام الأول بإغارة بحرية على دبا ويبدو أن المدافعين عنها كانوا من قبائل الشارقيين والنقبيين فاستطاعوا رد العدوان رغم أنهم تحمّلوا خسائر فادحة في ذلك.

وبعد ذلك بسنوات عديدة ـ كما جاء مفصلاً في تاريخ سلطنة عمان ـ

---

(1) هذا الفصل من القسم التاريخي لدليل الخليج الجزء الثاني ص 1181 ـ 1192 تأليف ج. ج لوريمر. ويشمل من ص 152 إلى ص164 من هذا الكتاب.

(2) هذا الوصف خاطىء بالنسبة لدبا فقط، إذ تقع مباشرة خارج حدود المقاطعة المسماة «الشميلية».

امتلك الشيخ سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة، خورفكان (Khor Fakaun) وهو من أهم المواقع على ساحل الشميلية وأقام القواسم (الجواسم) فيه قاعدة للقرصنة.

وفي سنة 1808 استولى السيد سعيد حاكم مسقط الشاب على هذا الخور من قبضة القواسم وأعانه على ذلك عمه قيس بن أحمد حاكم صُحار (Sohar) والشيخ محمد بن مطر حاكم الفجيرة. لكنه قبل أن يتمكّن من تشديد قبضته على هذا الموقع تمكّنت قوات بقيادة الشيخ سلطان بن صقر من هزيمته.

احتلال الوهابيين للفجيرة والباطنة وخورفكان سنة 1809 ـ 1810:

وفي السنة التالية عندما أخضع الوهابيون لسلطانهم المباشر ساحل القراصنة يبدو أنهم قاموا باحتلال حصون الفجيرة والباطنة وخورفكان في الشميلية بقواتهم أو قوات من مؤيديهم، وفي نفس الوقت استولوا على بلدة شناص (Shinas) في الباطنة وقد كانت تابعة لمسقط.

وفي أوائل سنة 1810 استعادت حملة بريطانية عمانية مشتركة بلدة شناص من الوهابيين؛ على أن ذلك الإجراء كان قليل الجدوى بالنسبة للسيد سعيد الذي قامت الحملة لصالحه إذ رغم القرار السابق بإخضاع خورفكان فإنه لم تتم أي محاولة لذلك، ومن المظنون أن يكون الوهّابيون قد استمروا في سيطرتهم الكاملة على الشميلية.

السيد حاكم مسقط يسترد دبا وخورفكان في تاريخ غير معروف بالضبط:

وبعد فترة من هذه الأحداث يحتمل أنه كان من النتائج غير المباشرة للحملة البريطانية إلى رأس الخيمة وإخضاع القواسم في سنة 1819 ـ 1820 أن استطاع حاكم مسقط استرداد سلطانه على الشميلية بأكملها[1] لأننا نجد أنه

(1) يلاحظ أن القوات التابعة لحاكم مسقط كانت في فترات وسط هذه المدة تسيطر على خورفكان ثم طردت منها في سنة 1817.

في سنة 1831 تمَّ اتفاق بين الشيخ القاسمي سلطان بن صقر وسعيد حاكم مسقط على تنازل الأول للثاني عن دبا أو خورفكان مقابل مساعدة الثاني في محاولة الاستيلاء على صحار (Sohar).

استيلاء الشيخ القاسمي على الشميلية بأكملها سنة 1832:

وفي العام التالي 1832 انتهز الشيخ القاسمي فرصة غياب السيد سعيد لسفره إلى شرق أفريقيا واندلاع ثورة ضده في عمان فاستولى على دبا وخورفكان وغالة (Ghallah) وبذلك أخضع لنفسه منطقة الشميلية بأكملها. وكان نجاحه في ذلك يوصف خطأ في بعض الأحيان على أنه ضمٌّ نهائي لمنطقة الشميلية إلى إمارة الشارقة (الشارجة).

وفي سنة 1835 سار الشيخ سلطان بن صقر في أسطول قاسمي إلى دبا وخورفكان، وتقدمت شكاوى إلى السلطات البريطانية عن حصول اعتداءات قرصنة على السفن التابعة لمسقط وسفن أخرى مما دعا إلى تدخل السلطات البريطانية كما جاء ذكر ذلك في مكان آخر.

استعادة حاكم مسقط لنفوذه على الشميلية الجنوبية في تاريخ غير محدود بالضبط:

وبعد ذلك بفترة عادت خورفكان وغالة والأرض الساحلية بينهما إلى ملكية حاكم مسقط على أنه ليس هناك ما يؤكد الزمن أو الكيفية التي تمّ بها ذلك؛ ولم يتوقف شيخ الشارقة (الشارجة) عن المطالبة بهذا الإقليم بأكمله، وفي سنة 1849 نصحه أصدقاؤه وحالوا بينه وبين إرسال حملة لاستعادة هذه الأراضي.

وفي سنة 1850 انتهى التنافس على ملكية هذا الإقليم ما بين العمانيين والقاسميين عندما سارع الشيخ سلطان بن صقر إلى مساندة قيس بن عزان أمير صحار (Sohar) فاستولى الحليفان على شناص (Shinas) في الباطنة وعلى غالة

وخورفكان في الشميلية ثم اقتسماها فيما بينهما، ومما لا شك فيه أن الشيخ القاسمي وضع يده على البلدتين الساحليتين في الشميلية.

وفي سنة 1851 عند وصول السيد سعيد شخصياً سحب الشيخ سلطان تأييدهُ عن السيد قيس وبذلك طرده السيد سعيد لا من شناص وحدها، بل أيضاً من صحار (Sohar) وبقيت الشميلية كاملة في ملكية شيخ الشارقة (الشارجة) الذي كان حياده ـ كما كان متوقعاً ـ مقابل تعهّد من السيد سعيد حاكم عمان أن يبقى الوضع الحاضر وقتئذ على ما كان عليه.

الشميلية تحت حكم سلطان بن صقر 1850 ـ 1866

ثورة في بلاد الشحوح قرب دبا سنة 1855:

كان الحادث الوحيد الذي له أهميته في الفترة ما بين ضم الشميلية نهائياً إلى الشارقة (الشارجة) ووفاة الشيخ سلطان بن صقر هو ثورة سنة 1850 في منطقة الشحوح بجوار دبا.

ذلك أن مشاري ابن الشيخ إبراهيم حاكم رأس الخيمة وحفيد الشيخ سلطان نفسه، عندما عُيّن حاكماً على دبا سرعان ما طغى على الشحوح في جواره ويحتمل أن يكون طغيانه امتدّ إلى البيعة فنصب له أهل هذه القبيلة كميناً وقتلوه وهو في رحلة من دبا إلى رأس الخيمة. على أن هذا الحادث لم يتم إلّا بعد أن لم يؤبه إلى شكاوى الشحوح إلى الشيخين سلطان وإبراهيم بن مشاري؛ وقد أدّى ذلك إلى نشوب حرب عامة بين القواسم (الجواسم) وقبيلة الشحوح وقد ورد وصف ذلك في تاريخ رأس الخيمة.

الشميلية في حكم الشيخ خالد بن سلطان 1866 ـ 1868

ثورة في الشميلية سنة 1866:

بوفاة الشيخ سلطان بن صقر وتولي ولده خالد في سنة 1866، امتنع زعيم بلدة الفجيرة عن دفع الجزية (الخوّة) إلى الشارقة (الشارجة)، وهناك ما

يدعو إلى الظن أن الشميلية جميعاً أعلنت عصيانها في ذلك الوقت، ولم تخمد الثورة إلّا بعد وفاة خالد؛ على أن هذا الأمر هو من باب التخمين وليس من باب اليقين.

الشميلية في حكم الشيخ سالم بن سلطان 1868 ـ 1883

عصيان في الشميلية:

تولى الإمارة بعد خالد أخوه سالم، وبعد فترة أرسل قوة إلى دبا بقصد استعادة منطقة الشميلية بأكملها أو القسم الذي لم يكن خاضعاً لسلطانه. إلا أن الشارقيين وقد تذوقوا طعم الاستقلال تجمّعوا تحت قيادة زعيم الفجيرة لمناهضة محاولة سالم وتحالفوا مع الشحوح بقيادة صالح بن محمد شيخ البيعة وكانوا يعتبرون من رعايا مسقط.

نتج عن ذلك حصار قوات القاسميين في دبا بقوات من الشارقيين والشحوح. فلما عجز الشيخ سالم عن إرسال نجدات من الشارقة (الشارجة) بالطريق البري إذ إن جميع الممرات بين الجبال كانت في أيدي الشحوح؛ أرسل أحد إخوانه لعمل تسوية ودّية، وفعلاً نجح المبعوث وخضع الشارقيون ووعدوا بدفع الجزية.

تجدد الثورة في الشميلية 1876:

ولم يمض على ذلك زمن طويل فقد حدث أن سجن مندوب شيخ الشارقة (الشارجة) في دبا اثني عشر رجلاً من الشارقيين من الغرايفة فقام تحالف جديد بين الشارقيين والشحوح الذين أغلقوا الممرات القريبة فحوصر القواسم (الجواسم) مرة ثانية في دبا، فأرسل الشيخ سليم خمسين رجلاً بمعدّاتهم وذخائرهم بالبحر إلى دبا وأرسل بعض الذين سبق سجنهم، إلى الشارقة (الشارجة) بطريق البحر.

وبوصول السفينة الحربية البريطانية «عرب» إلى دبا توقف القتال هناك،

غير أنه في نفس الوقت كانت قد وصلت قوة مؤلفة من ثمانمائة رجل من القواسم (الجواسم) من جهة شناص واستولت على قلعة عند الغرايفة وقتلت ستة وثلاثين رجلاً وأسرت ثلاثين أسيراً من الثوار.

وكان من المظنون أن هذه المشاكل في الشميلية قد دبّرت لمصلحة مسقط.

تمرد عقيم في الفجيرة 1879:

وفي ربيع سنة 1879 ثار أهل الفجيرة وطردوا سرور (Sarur) الذي عيّنه حاكم الشارقة (الشارجة) والياً عليهم ووضعوا محله رجلاً اسمه مرزوق. وفي نفس الوقت أرسلوا وفداً إلى الشارقة (الشارجة) ليخبر الشيخ عن عملهم ولكن الشيخ سالم لم يسكن غضبه إزاء تصرّفهم هذا وسجن أعضاء الوفد وأرسل قوّة برية إلى قلعة الفجيرة فاستولى عليها وسكنها البلوش ونقل بعض الأسرى إلى جزيرة بو موسى.

مطالبة سلطان عمان بالفجيرة سنة 1879:

وقد ادعى أهل الفجيرة أن الشيخ هاجمهم من جهة البحر بمساعدة أعدائهم من الخارج وهذا الادعاء واضح الخطأ. عند ذلك هرب حمد بن عبد الله زعيم الفجيرة. ومن الواضح أنه الشخصية الفعّالة في موضوع الثورة، هرب إلى مسقط حيث وصلها في نيسان وطالب سلطان عمان بوضع الفجيرة مستقبلاً تحت حمايته شخصياً.

وتلا ذلك مباحثات بين السلطان والسلطات البريطانية طالب فيها السيد تركي بالسيادة على الفجيرة ولكنه أخيراً وافق على أن تدفع الجزية إلى الشارقة (الشارجة)، ولكنه اعترض على التدخّل الظالم من الشيخ القاسمي (الجاسمي) في الشؤون المحلية.

وفي هذه المناسبة اتّضحت واقعة غريبة هي أن السيد تركي سبق له أن أعطى في سنة 1871 سنداً إلى شيخ الشارقة (الشارجة) بأن الساحل من خور

كلبة إلى الشارقة (الشارجة) ـ باستثناء خصب (Khasab) تابع للقواسم (للجواسم)؛ ولكنه عاد الآن فرفض هذه الإتفاقية على أساس أنها عملت قبل تولّيه السلطنة، وأنها كانت مشروطة بتنفيذ بعض الخدمات يؤدّيها الشيخ القاسمي (الجاسمي) غير أنه لم ينفذ مطلقاً أي شيء منها.

تمرد ناجح في الفجيرة، 1879 ـ 1880:

لم يطل الزمن على استقرار ملكية القواسم للفجيرة. ففي نهاية سنة 1879 أو أوائل 1880 عند عودة حمد بن عبد الله بحراً من مسقط بطريقة سلمية تزعم ثورة في الفجيرة طردت فيها الحامية القاسمية من القلعة بعد مقتل ثمانية رجال منها.

أما موضوع اختلال الأمن البحري الذي صاحب شؤون الشميلية في سنة 1876 ثم في سنة 1880 فقد ورد في تاريخ عمان المتصالحة لأنه من المسائل العامة المهمة.

ونحن في هذه المناسبة بصدد ما حدث سنة 1881 من شيخ الشارقة (الشارجة) عندما لم يلق تشجيعاً على رغبته في استعادة الفجيرة فتقدم بمجموعة من الطلبات هي:

* أن تسمح له حكومة بريطانيا بالقيام ببعض العمليات البرية.

* وأن تساعده بريطانيا على الفجيرة بسفينة حربية.

* وأن يمنع سلطان عمان من تأييد حمد بن عبد الله.

ولكن المقيم السياسي البريطاني الكولونيل روز (Political Resident, Colonel Rose) الذي زاره الشيخ في بوشهر أقنعه في النهاية بالموافقة على تحكيم شيخ رأس الخيمة، وهذا ما كان يقبله أيضاً أهل الفجيرة.

ويبدو أن النزاع انتهى أخيراً بهذه الطريقة على أساس خضوع شيخ الفجيرة لشيخ الشارقة (الشارجة) واعترافه بسيادته مع دفع الجزية العرفية إليه

وتحرر بذلك سند كتابي من حمد بن عبد الله سنة 1881 ـ فيما يبدو ـ حيث قبل فيه التبعية لشيخ الشارقة (الشارجة).

وكان من رأي الكولونيل روز أن استقلال الفجيرة كان يجعلها دائماً في الماضي هدفاً لمطامع الشارقة (الشارجة) أو مسقط فكان من الصالح العام أن لا تكون مستقلة.

الشميلية في حكم صقر بن خالد بعد سنة 1883

استقلال الفجيرة عملياً سنة 1884:

عندما تولى صقر بن خالد إمارة الشارقة (الشارجة) سنة 1882 وجد أن الشميلية تنقسم إلى قطاعين أحدهما متّصل بدبا، وكان الشيخ سالم قد أعطاه لأخيه أحمد والثاني يحيط بخورفكان وأعطاه لأخيه ماجد، ولم يحاول الشيخ صقر إجراء تعديل مباشر على ذلك بإبعاد أقاربه عن مكانيهما، إلا أنه حرص حمد بن عبد الله زعيم الفجيرة صاحب الطبع الثائر لا ليستولي على الغرايفة الواقعة على الساحل فقط، ولكن ليستولي أيضاً على قلعة الجبل المهمة في الباطنة في وادي حام (Wadi Ham) وهي تتحكم في الطريق الوحيد المباشر بين الشميلية وساحل عمان المتصالح. ولم يلبث زعيم الفجيرة أن بادر إلى الهجوم واستولى على المكانين دون انتظار لإشارة ثانية وزاد على ذلك فغزا الزبارة إذ كان أهلها قد هبّوا لنصرة أهل البطنة.

وبدلاً من الاعتراف بفضل امتلاك هذه المواضع الجديدة للشيخ صقر ووضعها تحت تصرفه فإن حمد بن عبد الله تقرَّب إلى شيخ رأس الخيمة طلباً لحمايته، ولمّا لم يكن شيخ الشارقة (الشارجة) راغباً في الإساءة إلى هذه الشخصية البارزة فإنه لم يحرك لذلك ساكناً.

استمرار الشميلية في حكم سلطان عمان 1886:

وفي شهر حزيران سنة 1886 أرسل والي صحار إلى سيده السيد تركي حاكم مسقط أن أهالي خورفكان ودبا والمناطق المجاورة يرغبون في أن

يكونوا تحت حماية سلطنة عمان؛ فطلب السلطان مشورة الكولونيل مايلز الذي كان فيما سبق معتمداً سياسياً في مسقط والذي أصبح وقتئذ القائم بأعمال المعتمد المقيم في الخليج، فأجابه بأن التدخل في شؤون الشميلية في الوقت الحاضر أمر غير مرغوب فيه إذ قد يؤدّي إلى صدام مع الشيخ القاسمي الذي كان السلطان معه في وئام. وقد يؤدّي ذلك إلى الإضرار بمصالح السلطان نفسه.

وكان هذا الجواب (وقد اعتمدته حكومة الهند) كافياً لإقناع السيد تركي بالعدول عن تلك الرغبة: فأعطى تعليمات بذلك إلى والي صحار.

اضطرابات بسيطة في الشميلية سنة 1893 ـ 1896:

في سنة 1893 قام بعض رجال قبائل الشحوح بالإغارة على قرية حير بتحريض من شيخ أبو ظبي حيث قتلوا عدداً من السكان ودمّروا القلعة..

وفي السنة التالية كان في عزم شيوخ الشارقة (الشارجة) ورأس الخيمة إعادة تعمير حير لولا مشاغبات الشحوح التي كان لتجاهلها أثر في تأخير ذلك.

وفي سنة 1896 ـ 1897 قتل أحد رجال القواسم (الجواسم) في الفجيرة فأرسل شيخ الشارقة (الشارجة) وشيخ رأس الخيمة حملة إليها وانتهى الأمر بدفع دية القتيل.

ثورة جديدة في الفجيرة، 1900 ـ 1901:

وفي سنة 1900 توفي شيخ رأس الخيمة فأضيف ذلك المكان وملحقاته إلى مشيخة الشارقة (الشارجة) تحت حكم صقر بن خالد، وكانت الشميلية، لا تزال مقسمة إلى قطاعين، شمالي وجنوبي، بولاية راشد بن أحمد وحمد بن ماجد، وكان الثاني يحصل من الفجيرة على ضريبة قدرها حوالي 2000 شلن سنوياً بما فيها 150 جلداً من التمر و12 قنطاراً من الحنطة وعشرة جنيهات ذهبية نقداً.

ويعود سبب تمرّد زعيم الفجيرة ـ كما يحكي هو نفسه ـ إلى أن الشيخ صقر بن سلطان كان قد عجز عن الحصول على تعويض عن سرقة بعض أهالي لنجة المقيمين في الفجيرة قام بها بدو العوامر وبنو قتب (كتب) وأنه عندما استغاث حمد بشيخ دبي غضب لذلك شيخ الشارقة (الشارجة) وسلّط على الفجيرة بدو المزاري (Mazari) والجلاجلة (Jalajilah)[1] واضطر الجلاجلة إلى تحويل تجارتهم من الفجيرة إلى ميناء غالة.

تدخل السلطات السياسية البريطانية سنة 1902

وفي نيسان سنة 1902 شكل الشيخ صقر بن خالد قوة من 250 بدوياً لمهاجمة الفجيرة ثم ظهر ميل شيوخ دبي وعجمان لمساعدة حمد بن عبد الله فرأى المقيم البريطاني الكولونيل كيمبال (Colonel Kemball) أن يحاول تسوية هذا النزاع فزار الميجور كوكس (Major Cox) الفجيرة وتلاه المعتمد السياسي في مسقط فأبدى له حمد اعتراضه بأن الاتفاقية المبرمة سنة 1881 ووقعها هو، لا تشمل بلدة الفجيرة وأبدى عدم اعترافه بسيادة شيخ الشارقة (الشارجة) في أي شكل أو وضع؛ وأعطى شيخ دبي تحذيراً من التدخل ومنع السيد فيصل بن تركي سلطان عمان من مساعدة رئيس الفجيرة الذي كان ذهب شخصياً إلى مسقط طالباً المعونة.

هكذا كان الوضع عندما كلف الكولونيل كيمبال وكيل المقيم في الشارقة (الشارجة) ليبدأ في تشكيل مجلس صلح. وكان شيخ الشارقة (الشارجة) رغم إعلانه عدم القدرة على منع البدو من مهاجمة الفجيرة، فقد كان راغباً في قبول قرار عام يصدره المقيم البريطاني بينه وبين حمد بن عبد الله وأن يعطي خصمه صك أمان ليظهر في الشارقة (الشارجة)، وفي الجانب الآخر كان رئيس الفجيرة غير موافق على هذا الاتفاق وأبدى عدم رغبته في حضور اجتماع الشارقة (الشارجة)، وكان من الواضح أنه لم يقبل

---

(1) الجلاجلة من الكباكبة من السودة من هذيل ـ كما يدعي بعض أفراد من هذه القبيلة (م. شبّر).

التسليم لأي تسوية، وكان هناك شك في أنه كان يلقى تشجيعاً على ذلك من الشحوح في البيعة ومن والي صحار في سلطنة عمان.

وفي تشرين الأول سنة 1902 بناء على طلب من السلطات السياسية البريطانية أرسل السيد تركي حاكم مسقط أوامره إلى الشحوح بالبيعة للامتناع عن تأييد حمد بن عبد الله وفي الوقت ذاته أعلن الشيخ صقر بن خالد عن أسفه لموقفه الودّي. وفي تشرين الثاني دبر لمقتل اثنين من أهالي الفجيرة في طريق عودتهم من عجمان إلى مساكنهم.

وفي تشرين الثاني قام مستر جاسكن (Gaskin) مساعد المعتمد السياسي في البحرين إلى المنطقة على ظهر السفينة الحربية «لورانس» لعمل تسوية إذا أمكنه ذلك وقد لحق به الشيخ صقر على ظهر السفينة في الشارقة (الشارجة) يوم 27 كانون الأول. وفي يوم 28 وصلت السفينة إلى الشاطىء مقابل الفجيرة.

وانقضى يومان في المفاوضات إلا أن تصرفات أتباع حمد بن عبد الله المسلحين كانت تحمل طابع التهديد وتقرر وقف محاولة الوساطة.

وفي هذه الظروف قررت حكومة الهند أنه لا داعي للتدخل بين الأطراف المتنازعة بشرط أن يعلم كل طرف بضرورة صيانة الأمن في البحر وبذلك ترك لهما التصرف بالطرق التي يراها كل طرف ضد الآخر.

حوادث أخرى سنة 1903:

وفي نيسان سنة 1903 أرسل شيخ الشارقة (الشارجة) حملة إلى الفجيرة فوصلت إلى الباطنة. وقد علم أن حمد بن عبد الله رغم إعادة تلقيه المساعدة من شيخ البيعة فقد أرغم على قبول المسالمة وعلى قبول التبعية وعلى أن يوقع اتفاقاً مؤقتاً غير أن هذا الاتفاق كان شكلياً فقط ولم يغيِّر شيئاً من الواقع.

وقد وجّه لورد كرزون (Gurzan) نداءه إلى شيوخ المنطقة المتصالحة وهو على ظهر السفينة «داربار» (Darbar) الراسية مقابل الشارقة (الشارجة) ونصح

بضرورة حل موضوع الفجيرة بالطرق الودّية إلا أن توجيهه ذلك لم يلق آذاناً واعية.

اعتراف الحكومة البريطانية بتبعية الشميلية لمشيخة الشارقة (الشارجة) سنة 1903:

وفي أوائل سنة 1903 عند اتخاذ إجراءات لتأمين وضع أسطول بريطانيا في الخليج أعلنت حكومة بريطانيا بناءً على توصية حكومة الهند أن إقليم الشميلية من دبا إلى خور كلبا يعتبر تابعاً لشيوخ الشارقة (الشارجة) على أنها ليست إمارة مستقلة أو ذات علاقة بسلطنة عمان.

اعتبار الشميلية رسمياً في صحار تابعة للشارقة سنة 1905:

وفي أثناء عمل بعض الأبحاث الطبوغرافية والسياسية على يد كاتب هذه السطور[1] أثناء رحلة إلى صحار في شهر آذار 1905 تمَّ الحصول على تأييد بصحة وجهة النظر هذه؛ ففي جمع حاشد ضم نائب والي سلطان عمان في صحار تقرر بالإجماع ـ دون معارضة صوت واحد ـ أن الساحل من خور كلبا إلى دبا ويشمل هذين البلدين أصبح تابعاً لشيخ الشارقة (الشارجة).

الوضع في الشميلية 1905 ـ 1907:

وحتى عام 1905 كان شيخ الشارقة (الشارجة) فقد كل أمل في إخضاع رئيس الفجيرة وإعادته إلى طاعته، وفي تلك السنة تأكد أن حمد بن عبد الله استولى عنوة على الباطنة والغرايفة ومربح (Marbah) والقربة (Qaraiya) وجدفا (Qidfa) وسقمقم (Saqamqam) وصفد (Sufad). وفي نيسان سنة 1906 ـ كما جاء في التاريخ العام لعمان المتصالح ـ ذكر شيخ أبو ظبي في اتفاقية مكتوبة بينه وبين شيخ أم القيوين أن رئيس الفجيرة ضمن رعاياه سياسياً ولم يحتج على ذلك شيخ الشارقة (الشارجة).

---

(1) المقصود هو لوريمر.

الفصل الثالث

قبيلة العتوب العربية (البحرين)

HISTORICAL SEITCH

OF THE

UTTOOBEE TRIBE OF ARABS;

(BAHREIN);

FROM THE YEAR 1716 TO THE YEAR 1817;

PREPARED BY

MR. FRANCIS WARDEN,

MEMBER OF COUXCIL AT BOMBAY.

WITH

CONTINUATIONS OF THE SAME,

FROM THE YEAR 1817 TO THE CLOSE OF THE YEAR 1831,

BY LIEUTENANT S. HENNELL;

FROM 1832 TO AUGUST 1844,

BY LIEUTENANT A.B. KEMBALL;

AND FROM THE LATTER PERIOD TO THE CLOSE OF THE YEAR 1853,

BY LIEUTENANT H.F. DISBROWE,;

SUCCESSIVE ASSISTANTS TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية[*]

البحرين من عام 1716 حتى عام 1817

إعداد: السيد فرنسيس واردن

عضو المجلس في بومباي

مع تتمات للموضوع ذاته

من عام 1817 إلى نهاية عام 1830

أعدها الملازم إس. هينيل

ومن العام١٨٣٢ إلى آب عام 1844

أعدّها الملازم إي. بي. كيمبال

ومن تلك الفترة إلى نهاية عام 1853

أعدها الملازم إتش. إف. ديسبرو

قبيلة العتوب[1]

---

(1) يذكر العالم أوبنهايم أن قبيلة العتوب تعود إلى عنزة.

(*) ترجم هذه المقالات الأستاذ صخر الحاج حسين من ص169 ـ 245 من هذا الكتاب.

قبيلة العتوب[1] البحرين

(1) يدرج علم الأنساب عنزة في عداد عرب الشمال، وأنهم من ربيعة. تقول شجرة نسب القبيلة: هو عنزة بن أسعد بن ربيعة. وتبيّن نظرة إلى الجدول الذي وضعه فوستنفيلد أن عنزة أقدم بستة أجيال من بكر وتغلب، الممثلين الرئيسين لربيعة. هكذا يضفي علماء الأنساب طابعاً مشخّصاً على عمر القبيلة.
أقرب معلومات متوفّرة لدينا عن القبيلة تعود إلى العصر السابق مباشرة للإسلام. كانت عنزة آنذاك موزّعة على منطقتين، الأولى في الشمال الشرقي على حدود الفرات، والثانية في اليمامة، قلب شبه جزيرة العرب. كانت عنزة الشمال قبائل رحلاً، أما في وسط جزيرة العرب فكان قسم منها على الأقل مستقراً. ولم يكن للمجموعتين احتكاك سياسي فيما بينهما. كما جرى تاريخهما لاحقاً في دوائر منفصلة أيضاً، فتحوّلت عنزة الشمال إلى أسلاف للقبيلة الحديثة، وذابت عنزة اليمامة في قبائل شرق ووسط جزيرة العرب المستقرين. (مبرد كامل، الجزء الأول ص97. الأغاني، الجزء الحادي عشر ص154. لسان العرب. فوستنفيلد: أماكن سكن وترحال القبائل العربية، ص20. فرايتاغ: أمثلة الجزء الثاني ص17).
كان بنو هزان (فوستنفيلد، الجدول أ، 11) القبيلة الرئيسة من عنزة في جزيرة العرب، وكانت منطقتهم تقع جنوب المكان الذي يخترق فيه وادي حنيفة جبل طويق، بين واحة الخرج الحالية وحريق (الهمداني، ص 161. ياقوت: الجزء الرابع، ص 417. يتبدّى وضع الأماكن التي سكنوها، وهي المجازة ونعام، من خلال المعطيات حول معوان ووادي برك، والمكانان كلاهما مرسومان على خارطة فيلبي). فيما بعد، يرد ذكر عنزة في مناطق أبعد جنوباً، حيث لا تزال ذكريات حكم قبيلة عنزة حية إلى اليوم في الأفلاج (فيلبي: قلب الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص 108 بالإنجليزية)، بل إن قرى عنزة وجدت إبان العصر الوسيط حتى وراء منطقة طويق، في عمق الطائف (ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص 113. تابع بكري في فهرس فوستنفيلد، ص 130)، وقد اندثرت تلك القرى عام 597 هـ/ 1200 م بسبب الطاعون، عدا اثنتين منها. أما اليوم فليس هناك أي شخص من عنزة، التي اختفى أبناؤها (الجميلة) مجدداً من الأفلاج، وإن ظلّت بقية منهم في هدّار في أعالي أرض طويق دون غيرها (فيلبي، الجزء الثاني، ص 249). في حين هاجر الآخرون إلى الشاطىء =

ـ حوالي عام 1716 دخلت ثلاث قبائل عربية كبيرة وهي بنو صباح، والجلاهمة وآل خليفة، تدفعهم المصالح والطموحات في تحالف واستولوا على بقعة من الأرض تقع في الشمال الغربي من شاطىء الخليج، تدعى الكويت. كان بنو صباح في ذلك الوقت خاضعين للشيخ سليمان بن أحمد، وبنو الجلاهمة لجبر بن عتب، وبنو خليفة لخليفة بن محمد.

ـ قوّى الزعماء الثلاثة الأواصر فيما بينهم في هذه المستوطنة الجديدة من خلال الزيجات المختلطة من بنات العشائر الأخرى، بغية تعزيز أحلافهم لمقاومة هجوم بني خالد وهي قبيلة بالغة القوة.

ـ عزمت القبائل الثلاثة على امتهان التجارة والزراعة وتقاسم الأرباح. كما شكّلت إدارة، تمَّ الاتفاق من خلالها على أن يمارس بنو صباح المهام الحكومية، وأن يشرف الجلاهمة على الملاحة، أما بنو خليفة فقد كان من نصيبهم التجارة ومسائل أخرى.

ـ في سياق خمسين عاماً (1766)، ومن خلال سياسة حكيمة وحذرة، وصلت المستوطنة الجديدة إلى درجة كبيرة من الوفرة لكن تراكم الثروة شجّع آل خليفة المشتغلين بالتجارة على الانسحاب من الحلف الأصلي بغية التنعّم بالثروات لوحدهم.

ـ لجأ آل خليفة إلى المكائد لتحقيق مآربهم. تولى خليفة بن محمد،

= الشرقي لجزيرة العرب، وخاصة منهم فرع بني عتبة (العتوب)، الموجود في الكويت وقطر وجزر البحرين، وينتمي إليه البيتان الحاكمان في الكويت والبحرين (محمد بن خليفة النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية، ص 70. تابع كذلك دليل الجزيرة العربية، الجزء الأول، ص 313). بالمقابل، بقي بنو هزان تحت اسم الهزازنة في منطقتهم القديمة، وبالتحديد في واحة حريق (فيلبي: الجزء الثاني، ص 286)، حيث يتكرر ذكرهم في الصحائف الوهابية التي تقول إنهم قاتلوا حتى عام 1913 م ضد حكّام جزيرة العرب الحاليين (قارن: عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص 303. عرف اسم شاعرهم محسن الهزاني من خلال فيتشتاين. ويوجد له قصائد كثيرة في ديوان وسط الجزيرة العربية الذي أصدره سوسين ـ شتومّه) المصدر ـ أوبنهايم، البدو، ج1، تحقيق ماجد شبّر (شبّر).

وهو زعيم محنك وداهية الأمر، وأغرى الطرفين الآخرين بمشاهدة الثروة التي تنتظرهم على شواطىء الخليج حيث الوفرة في اللؤلؤ. بعد أن تمَّ إغراؤهم، غادر زعيم بني خليفة الكويت، مع قسم من قبيلته، واستقروا في الزبارة Zobara، على الشاطىء العربي. سرعان ما نال حصة الأسد من صيد اللؤلؤ، ومكّنته حكمته وأريحيته مع زعماء القبائل العربية المجاورة، ومع حلفائه السابقين، من أن يأتي بما تبقى من قبيلته إلى مستعمرته الجديدة. في النهاية انفصل عن حليفيه الآخرين، وأسس تبعيته المستقلة في الزبارة Zobara.

ـ اكتشف أبناء صباح والجلاهمة في وقت متأخر الدوافع الحقيقية لآل خليفة، لكنهم بقوا على صمتهم.

ـ أحست العشيرة الأقوى، آل الصباح، بعد أن غابت خاصرتهم التجارية، بالعجز في مواردهم المالية ما جعلهم ينكرون على الجلاهمة نصيبهم من العائدات، ليطردوهم بعد ذلك من الكويت.

ـ طلبت قبيلة الجلاهمة حماية أقربائها في الزبارة Zobara الذين لبوها وخصصوا لهم كل حسب منزلته، دخل يكفيه. بعد عدد من السنوات أخذ الجلاهمة يطالبون بأملاكهم بحسب الاتفاقية الأولى. لكنهم لم يكونوا في وضع يمكنهم من فرض مطالبهم هذه.

ـ مدفوعين بالضرورة وإحساسهم بالظلم، ترك الجلاهمة الزبارة Zobara واتخذوا رافش Raviesh موطناً لهم، وهي بقعة جرداء تقع على مسافة قريبة إلى الشرق من الزبارة Zobara، وأولوا عنايتهم الكاملة للتنمية وحماية أسطولهم، متحينين فرصة الانتقام من جيرانهم الخونة. بدأوا أعمال سلب ونهب كبيرة في البحر وبثّوا الرعب في نفوس بني خليفة وانضمت إليهم أعداد كبيرة من المرتزقة كما زرعوا قطاع الطرق في كل مكان. أدّت الثروات التي كدّسها الجلاهمة، والإحساس بالحقد والعداء بين الطرفين، إلى صراع مرير. أدّى مقتل زعيم الجلاهمة إلى انتصار أعدائهم. ولم ينج من المجزرة التي تلت ذلك سوى عدد قليل من الأطفال النساء.

في خلال سنتي 1775 ـ 1776 تزايد نفوذ وقوة بني خالد على نحو سريع بعد تلك الأحداث. فقد حصدوا الثروات وتبوأوا الاحترام، عندما هاجم الفرس البصرة Bussora. في أثناء ذلك تقهقر أحد شيوخ القرين Grane إلى الزبارة Zobara، مع العديد من كبار الأعيان وبعض التجار. وبحسب ذلك تركز الجانب الأكبر من تجارة اللؤلؤ والتجارة الهندية في الزبارة والقرين Grane خلال الفترة التي احتلّ فيها الفرس الزبارة Zobara وتلك الأماكن تزايدت في قوتها وأهميتها. أثار الازدهار والوفرة مخاوف الشيخ ناصر، زعيم قبيلة بومهيري Bomeheere والذي كان أيضاً شيخ بوشهر Bushire والبحرين، والذي مكّنه سيده الفارسي من إضعاف الزبارة Zobara. جرت عدة محاولات فاشلة لإضعاف ذلك المكان بين عامي 1777 ـ 1801.

ـ مستفيدين من حالة الحرب التي سادت الخليج بين عام 1782 ـ 1783 لدى موت كريم خان، باغت عرب الزبارة Zobara جزيرة البحرين، وبعد قتال استمرّ لبعض الوقت، أجبروا الشيخ ناصر على التراجع إلى الحصن، بعد أن تمّ سلب وتدمير البلدة، عادوا إلى الزبارة Zobara، آخذين معهم أحد (غاليفات) نوع من أنواع السفن Gallivate بوشهر Bushire الذي أرسل إلى البحرين لينقل الجزية السنوية إلى بلاد فارس.

ـ تنفيذاً لأوامر صدرت من علي مراد خان، حضر الشيخ ناصر لحملة ضد الزبارة Zobara بغية تدمير خصمه القوي الذي مدّ له شيوخ بندر ريغ (ريج) Bunder Reig وجنوى Genowa وعربستان Dushistan يد العون. أبحر الأسطول من بوشهر Bushire مع ألفي رجل من عرب عربستان Dushistan إلى البحرين، تحت قيادة الشيخ محمد، وهو ابن شقيق الشيخ ناصر ورغم أن القوة كانت كافية للهجوم على الزبارة Zobara، فقد ظهر بأن هدف الشيخ ناصر هو أن يصلح ذات البين فيما بين العرب من خلال فرض الحصار على مينائهم، ولهذا الغرض، فقد استمر الأسطول الفارسي يبحر بين الزبارة Zobara والبحرين.

ـ عرض العتوب، العاجزين عن مقاومتهم، وعبر مير غوني Gunneeh،

أن يعيدوا كل ما سلبوه في البحرين، مقابل السلام. وبما أن هذا الأخير برهن على فشله في مفاوضاته، فقد تدخّل الشيخ رشيد زعيم جلفار Julfar لتسوية النزاعات، ما أرضى الطرفين.

- فشلت هذه المفاوضات أيضاً، ونزلت القوات الفارسية إلى بر الزبارة Zobara، بغية الهجوم على الحصن. رغم ذلك، لم يكد الفرس ينزلون إلى اليابسة، عندما هاجمتهم قوة فاقت توقعاتهم كانت قد انطلقت من الحصن. وبعد قتال شديد، تخلّى الفرس عن أسلحتهم، وهربوا، وصعدوا على متن غاليفاتهم (سفنهم) Gallivat. قتل في المعركة الشيخ محمد، وابن شقيق الشيخ راشد وبعض الرجال ذوي الشأن تابعون للشيخ هرمز Ormus. بعد أن ثمل عرب الزبارة Zobara بالنصر، أعاقتهم ندرة وسائل النقل من مهاجمة البحرين.

- وصل أسطول القرين Grane والذي يضم ست [سفن] غاليفاتات Gallivats وعدداً من القوارب المسلحة، في اليوم ذاته إلى البحرين، وأشعلوا النار في البلدة بعد أن نهبوها، وأجبروا حاميتها على العودة إلى الحصن.

- بعد هذه المحاولة الفاشلة، انطلق الشيخ ناصر، مع الشيخ راشد إلى أسيلو Asseloo بغية تجهيز قوة جديدة وشن هجوم آخر على الزبارة Zobara. لعب الشيخ ناصر دوراً فاعلاً ضد العتوب، رغم أنه كان وسيطاً من قبل، ورغم استيلائهم على أحد قواربه، وقتل ثمانية عشر من طاقمه. على أي حال عاد الشيخ ناصر إلى بوشهر Bushire في الثاني عشر من حزيران، وفي الخامس من آب وصل الشيخ راشد مع الحامية الفارسية إلى البحرين، والتي اضطرت إلى الاستسلام في الثامن والعشرين من تموز.

- بعد أن سمع آل الصباح الذين واصلوا زيادة قوتهم وتوسعوا في ممتلكاتهم في الكويت، بالضيق الذي يعاني منه حلفاؤهم السابقين، استعدوا لنجدتهم. وفي طريقهم إلى الزبارة Zobara اعترضوا قارب صيد صغير، كان الشيخ ناصر قد أرسله إلى ولده في البحرين، لإعلامه بهزيمته، آمراً إياه برباطة الجأش واليقظة في الدفاع عن الجزيرة إلى أن تصل المساعدة إليه. أدّت

المعلومات التي وصلتهم إلى اتخاذ تدابير حاسمة وسريعة. فقد أبحروا إلى البحرين على جناح السرعة، واحتلّوا الحصون الرئيسة. بعد أن وصلت أنباء هذا النجاح إلى الزبارة Zobara، بذل آل خليفة كل جهدهم ليجمعوا أعوانهم بغية إخضاع الجزيرة، وهذا ما أفلحوا به.

ـ لدى إخضاعهم البحرين، شرعوا يكافئون رفاقهم الذين مدّوا لهم يد العون. وكان من بين هؤلاء أبناء جابر بن عتب الأربعة الذين طلبوا من زعيم آل خليفة التمتع بالحقوق السياسية والاستقلال في إقليمهم، من دون أن تفرض عليهم طبيعة حياتهم ذلك، ومن دون أن يحسنوا استغلالها، وحتى من دون القوة التي بدا بأن والدهم يمتلكها. عندما رفضت مطالبهم تركوا الجزيرة قرفاً، وواصلوا الحياة التي نشأ عليها أسلافهم، وحافظوا عليها منذ ذلك الحين[1].

في سنة 1783 أجرى شيوخ جلفار Julfar وهرمز Ormus استعدادات كبيرة للانضمام إلى الشيخ ناصر في هجوم آخر لعرب الزبارة Zobara والقرين Grane، حيث كان من المفترض أن يستعينوا بقوة من ستة آلاف رجل وعدهم علي مراد خان بها في نهاية العام. رغم ذلك تمّ التخلّي عن جميع الخطط للانطلاق في حملة ثانية لبعض الوقت.

سنة 1785 من جديد تمَّ الاستعداد للهدف في نهاية العام التالي، وفي الثاني عشر من شباط عام 1785، انطلق الشيخ ناصر إلى كنغون Gongoon براً وأبحرت أساطيل بوشهر Bushire وبندر ريغ (ريج) Bunder Reig إلى ذلك المكان في الحادي والعشرين من الشهر ذاته، حيث كان انضم إليهم شيوخ هرمز Ormus وجلفار Julfar. وصلت قوة صغيرة قادمة من شيراز إلى كنغون Congoon للانضمام إلى الحملة. لكن موت علي مراد خان أوقف العمليات الحربية ضد العتوب.

---

(1) احتلّ آل خليفة أو قبائل العتب العربية القرين Grane، لمعرفة المزيد عن تاريخهم انظر «خور حسان» في القسم اللاحق من هذه الدراسة.

في سنة 1799 تركت النزاعات على الخلافة في بلاد فارس والتي ساهم فيها الشيخ ناصر، زعيم بوشهر Bushire، العتوب في سيطرة تامة على البحرين، وغاب ذكرهم حتى عام 1799، عندما انطلق إمام مسقط، استجابة لرغبة بيغليربغ Beglerbeg فارس، بأربع سفن وست دوات Dows وغاليفاتات Gallivats مسلحة، لمهاجمة العتوب، وإخضاع البحرين. كان للعتوب ثلاث سفن محملة بالبضائع كانت في رحلات تجارية إلى الهند آنذاك وكان الإمام استولى عليها في طريق عودتها.

- كتب العتوب في البحرين في هذه المناسبة إلى الشيخ ناصر في بوشهر Bushire، مؤكدين أن الجزيرة تابعة في الأصل إلى الحكومة التركية، لكنهم يرغبون بالخضوع إلى ملك بلاد فارس، كما أنهم سيدفعون الجزيرة له عن طيب خاطر. استثمر الشيخ ناصر هذه الدعوة، وانطلق إلى البحرين سراً وأخذ الجزية عن العام السابق.

- في عام 1800 أضعف إمام مسقط جزيرة البحرين، وأرسل جميع أعيانها، بمن فيهم خمس وعشرون عائلة إلى مسقط. انطلق شيوخ العتوب إلى الزبارة Zobara مع أتباعهم، والتمسوا حماية الوهابيين. وفي العام اللاحق، هاجم العتوب البحرين واستعادوها، ساعدهم في ذلك أتباع الوهابيين في مقاطع قطر Khutter. وبعد أن أجبروا حاكم الإمام وابنه على مغادرة الجزيرة مع أمتعتهم الخاصة فقط، ونتيجة لمساعدة شيوخ الفرس سعود سلطان في إضعاف البحرين، جعلوا من كل ناقلة فارسية أو تابعة للبصرة Bussora تقع في أيديهم، غنيمة.

- بات العتوب في الزبارة في تلك الحقبة، ومعهم جميع قبائل الشاطىء العربي في الخليج، تحت سيطرة الوهابيين. انضم القواسم إلى العتوب، بالرغم من أنهم كانوا في حالة حرب مع عرب مسقط مذ فقد سعود سلطان حياته في معركة معهم.

خلال عام 1804 ـ 1806

ـ من الصعوبة بمكان أن يقتفي المرء أثر السياسة المتغيرة لمختلف القبائل في الخليج، والذين أثّرت فيهم تلك التغيرات التي لامست مصالحهم، وذلك في حقبة لم تشهد الاستقرار. في عام 1805 أخذ العتوب يؤيدون خطة رسمها سعود بدر، إمام مسقط، لتدمير القواسم (الجواسم)، والتخلص من عسف الوهابيين. وعبر الكابتن سيتون عن وجهة نظره حيال هذا بأن هذا الائتلاف سوف ينجح، ويجب أن نشجعه، بما أن الوهابيين، في إحرازهم السطوة، سوف يوجهون المسقطيين لنهب كل ناقلة يلتقون بها، كما أجبر العتوب والقواسم على القيام بذلك.

ـ بعد أن أصدرت الحكومة البريطانية الأوامر بالهجوم على ناقلات القواسم في الخليج. سأل شيوخ الزبارة Zobara والقرين (الكويت) Grane الحكومة البريطانية إن كانت تشملهم تلك الأوامر. وأوضحوا أن شيخ الوهابيين يمارس الضغوط عليهم ويشجعهم على ارتكاب أعمال قرصنة على الناقلات المتّجهة إلى الهند، لكنهم تملصوا من الاستجابة لرغباته، وظهر بأنه خضع لرغباتهم، بما أنه (الزعيم الوهابي) يفتقر إلى القوة البحرية، ويخشى من رحيلهم عن الزبارة Zobara إلى البحرين. لكن وبما أن الوهابيين قد نحّوا زعيم القواسم جانباً، وعيّنوا ضباطاً لهم في إمارة صير Seer، أدركوا بأنهم سيجبرون على الانخراط في أعمال القرصنة تلك. طلب هؤلاء الشيوخ رداً مباشراً من الحكومة البريطانية مستفسرين إن كانت ستمدهم بالدعم الذي يمكّنهم من البقاء آمنين في البحرين، ملتمسين ناقلة أو اثنتين، في حال تراجعهم من البر وانسحابهم من الولاء للوهابيين.

ـ أكّد الكابتن سيتون على الفوائد التي يمكن أن تنجم عن شأن هذا الارتباط الذي سيضمن الهدوء في الخليج. إن موقفهم من القواسم ومن مسقط، منع كل رؤية مستقبلية لاختبار هذا النظام الجديد المدمر، الذي نشأ من جشع وتعصب قبيلة يائسة في قلب نجد أضعفت جيرانها وجعلتهم في حال من الفقر والبؤس، وحوّلتهم إلى أدوات كارهة للصوصيتهم وقرصنتهم، وهذا

ما يجعل المرء يفترض أن الحكومة البريطانية قد فقدت رؤيتها لتلك النواميس النبيلة التي كانت توجّه سياساتها، ما يجعلها في عيون الآخرين فاقدة لمصداقيتها ومتعامية عمّا يمكن أن تؤول إليه الأمور فيما يتّصل انجذاب أولئك التجار إلى ممارسة اللصوصية.

ـ شرح الكابتن سيتون في هذه المناسبة بأن العتوب الناشطين في التجارة من البحرين إلى الهند، من دون الاحتكاك بمسقط بغية التملّص من نصف ما يدفعون من مكوسهم جعل سعود سلطان يهاجم البحرين في عام 1800. بعد ذلك الهجوم نشد العتوب حماية الوهابيين الذين عانوا القدر الكبير من طغيانهم، ما جعلهم يسعون إلى استرضاء حكومة مسقط وباتوا يكررون زيارتهم إلى الميناء، ويدفعون المكوس شأن الدول الأخرى. وبدا الإمام يظهر لهم الود والأفضلية، كانت العقبة الوحيدة التي وقفت في وجه إرساء اتفاقية حازمة بين العرب والعتوب، وعرب مسقط، كانت الافتقار لمن يضمن تنفيذها من كلا الجانبين.

ـ أضمرت حكومة بومباي شكوكاً تتّصل بالدرجة التي سيتم فيها إقناع الفرس على المضي بهذه الخطة بما أن إمام مسقط، نأى بنفسه عن كل تدخل.

ـ أظهر العتوب الميول ذاتها عام 1807، عندما أخذ الشيخ الوهابي، وبعد أن رسّخ نفوذه على القواسم ومسقط، يدفعهم للانطلاق ضد القرين Grane والبصرة Bussora، وهذا ما رفضوه.

ـ اغتصب الوهابيون في عام 1810 حكومة البحرين والزبارة Zobara، وعيّنوا عبد الله بن عفيصان Oofeysan وكيلاً عليها، بالإضافة إلى مقاطعة القطيف وكامل مقاطعة قطر Khutter.

ـ استمر العتوب في إدارة الجزيرة، ورغم ذلك كانوا مجبرين على دفع الجزية إلى الوكيل الذي كان يقيم في البحرين بهدف تحويل العتوب إلى المذهب الوهابي.

ـ أضعف التقدم الناجح للقوات التركية تحت قيادة إبراهيم باشا، حاميتي الزبارة Zobara والبحرين. انتهز الإمام هذه الفرصة للهجوم على هذه الأمكنة، فقد حرق الأول منها، وعند نزوله على بر البحرين، أُسر الوكيل الوهابي، عفيصان واستعاد العتوب سيطرتهم على الجزيرة.

ـ اندلعت في عام 1811 معركة يائسة بين العتوب وأرحمة (رحمة) Rahmah ابن جابر الذي كان على صلة مع الوهابيين، وانتصر فيها العتوب.

ـ عرض زعيم العتوب البحرين في عام 1813 التعاون مع أسطول يتراوح عدده ما بين خمسة عشر مركباً شراعياً إلى عشرين، مع ألفي رجل، في حملة عزم الإمام على القيام بها ضد رأس الخيمة، واقترح أن ينضم إلى سموّه في ميناء حيزة Heza العربي والذي يقع إلى الشرق من أبو ظبي.

ـ خلال عام 1814-1815 ميلادي بعد أن انطلق السيد بروس إلى البحرين بغية التأكيد على نحو أكثر صحة على المواثيق ووجهات النظر لعرب البحرين والجسميين حيال الإمام الذي كان في طريقه لحملة كبيرة، وهذه الحملة لإضعاف أولئك العرب كي يصبحوا موالين له، وصل بروس إلى تلك الجزيرة في التاسع عشر من شهر تموز. استقبله الشيخ عبد الله بن أحمد بود لافت والذي كان مهيئاً على نحو كامل لمواجهة أية قوة محلية يرسل بها الإمام ضده.

نظر بروس إلى زيارته إلى الجزيرة على أنها شيء يدعو للتفاؤل ذلك أنه وجد الانطباع الذي خلفه الإمام في عقول القبيلة ضدنا كبيراً جداً، كما مارس تأثيره عليهم من خلال اعتقاد مفاده أننا عزمنا على أن نتبنى قضيته (إمام مسقط) وندعمه إلى أقصى درجة ممكنة. وبأنه وانطلاقاً من قناعة كاملة بأنه يتوجّب علينا أن نستولي على جميع ناقلاتهم إن زاروا موانئنا، كانوا يفكرون بالانضمام إلى القراصنة الجسميين كشكل من أشكال إثبات الوجود وهذا ما لم يتم لحسن الحظ. قال الشيخ عبد الله شارحاً قضية النزاع بينه وبين الإمام: «إن سيد سعيد نقض عهده معهم بطريقة ملؤها الخيانة وإنه لا يرغب بأن يكون

على وفاق إلا مع دولة مسقط، كما أنه لم يفعل لا هو ولا أي فرد من قبيلته ما يخالف وجهة النظر هذه، وإن سيد (سعيد) استولى على خمسة عشر مركباً شراعياً من ناقلاته المحملة من الهند». وذات مرة وعندما اعتقدوا (أي شيوخ البحرين) بأنه (أي السيد سعيد) يضمر الود لهم بما أنهم استخدموا مسقط على أساس الثقة برسالة سيد التي وجهها إلى الشيخ عبد الرحمن المسؤول عن الأسطول عندما جاء قبالة الميناء، والذي (أي شيخ البحرين) لم يكن قانعاً بهذا، فقد كتب الزعيم الوهابي بشكل خاص قائلاً إن زحفَ هذا الأخير (أي إمام مسقط) وهاجم البحرين بحراً بناقلاته فإنه هو سيهاجم (أي مسقط) براً وإن الزعيم الوهابي هو الذي بعث بالرسالة مع عروض تتضمن كافة أشكال المساعدة التي يطلبها لدعمه ضد الإمام وبأنه استفاد من هذه العروض وهو ما أجبره عليه سلوك الإمام سيما وأن أرحمة (رحمة) بن جابر كان الشخص الذي انضم إلى الإمام والذي نوى أن يجعله مسؤولاً عن الجزيرة إن هو استولى عليها، لكن في هذا الموضوع كانت ثقته بالله كبيرة بأنه لن يفلح في هذا، بما أنه كان على أتم استعداد لمواجهه سموه (أي حاكم مسقط) بأي قوة يأتي بها وبأنه يملك الآن 7000 رجل مسلح وبإمكانه أن يتدبر أمر المزيد منهم من خلال الزعيم الوهابي وبأن شخبوط من قبيلة بني ياس بالإضافة إلى زعماء آخرين على الساحل الفارسي رفضوا الانضمام إلى سيد سعيد الذي تقدم نتيجة لذلك بطلب إلى أمير شيراز بأن يمدّه بالحشود، لكن هذا الأمر لم يكن يقلقه (أي شيخ البحرين). بعد ذلك توجه (شيخ البحرين) بسؤال مباشر، هل سيعتبرنا أعداء له أم أصدقاء. وعندما تساءل السيد بروس عن سبب ارتيابه بصداقتنا أجابه إن سيد سعيد أعلن بأننا تبنينا قضيته وعزمنا على الانضمام إليه مع أربع أو خمس من السفن للمساعدة في إضعاف الجزيرة، وبأنه لم يدرك بأنه قام بأي شيء ضدنا، خلافاً لمبادئ الصداقة الصارمة أو إن كانوا سيقومون بذلك، وبأنه ابتهج بوصول السيد بروس بما أنه كان على وشك أن يرسل له رسالة إلى بوشهر ليتأكد من صحة تقارير الإمام. وبأننا إن كنا ننوي مساعدته فسيعترف على نحو صريح بأنه لم يعد قادراً على أن يواجهنا، لكن وفيما يتصل بأي قوة

محلية لم يكن قلقاً، فموانئه كانت دائماً مشرعة لنا ويجب أن تبقى كذلك وستقدم كل مساعدة إلى ناقلاتنا أنّى وصلت، وسألنا إن كنا سنسمح لناقلاته أن تزور الهند حسب الشروط المتفق عليها، ابتهج عندما سمع موافقة السيد بروس وقال إنه لم يعد يهتم فيما يتصل بالإمام فما سمعه أقصى ما كان يتمناه. قال إن الإمام قد أعلن دائماً أنه ومن خلال توسطه سمحنا للولايات العربية أن تزور الهند. وبغية إقناعه بتوجهاتنا الودية حياله قال السيد بروس وبالرغم من أنه ليس مفوضاً من قبل الحكومة، فسيمدد بعض بنود الاتفاقية وليس هناك من شك بأنها ستحصل على مصادقة وقبول من الحكومة البريطانية. وهنا فاق رضاه كل التوقعات. ومن ثم أبلغ السيد بروس بأن القائد الوهابي وجّه حملة كبيرة لتزحف ضد مسقط براً تحت قيادة أحد أشقائه وتجبر الإمام على العودة، وبأنه سيجهز بعد ذلك ناقلاته وقواربه وينطلق لحصار مسقط، وربما يعتمد على أوامر صارمة أصدرها تلزم قواربه باحترام العلم البريطاني من أكبر سفينة إلى أصغر قارب. كان يأمل أن تتردد ناقلاتنا إلى البحرين أكثر مما فعلت حتى الآن، وألمح بأن هناك ميداناً كبيراً مشرعاً لنا بما أنهم كانوا وحتى ذلك الحين يتلقون القسم الأكبر من بضائعهم الهندية عبر مسقط والتي يمكن الآن أن نزودهم مباشرة من قبل سفننا خصوصاً مادة الأرز وحمولات عدد من السفن كانت تذهب كل عام إلى داخل جزيرة العرب وتأتي من البحرين عبر مسقط.

- ومن التقارير التي تتصل بالبحرين، ستتمكن الحكومة من الحفاظ على الود والصداقة مع سكانها، عندما يكون ميزان التجارة في صالحنا، فنحن نقدم منتجات أرضنا وعملنا لقاء نقود ولآلىء.

- في ذلك الوقت كان الإمام في طريقه لمهاجمة البحرين، وفي رسالة إلى الحكومة البريطانية صرّح بأن العتوب دفعوه إلى هذا الإجراء وانضموا إلى القراصنة، وأقرّوا بخضوعهم للوهابيين. وأضاف سموّه: «أنه وعندما أضعفت تلك القوة الجزيرة، التمس العتوب ملجأ في مسقط، وسلموه بلدهم. وبناء على ذلك، مضى مع أسطوله وجيشه، وانتزع البلاد من سيطرة الوهابيين،

وأعطى العتوب مكاناً يأوون إليه، شريطة التزامهم بميثاق يقضي بخضوعهم لسلطته، لكنهم نقضوا العهد معهم، وانضموا إلى الوهابيين مرة أخرى».

ـ بعد أيام من مغادرة السيد بروس للبحرين، وصل سمو الإمام إلى الجزيرة. وهبطت الحشود في أراد[1]، وبدأوا هجومهم يدفعهم بعض الأمل في النجاح، لكنهم تعرّضوا في النهاية إلى هزيمة منكرة، رافقتها خسائر كبيرة، فقد قتل آنذاك اثنان من أقاربه وكبار تابعيه سردار[2] Sirdars في المعركة.

ـ انطلق الإمام بعد هزيمته إلى كنغون مع كامل أسطوله، بغية الحصول على تعزيزات كان أمير شيراز قد وعد بها، شريطة أن يتعهّد الإمام بتحمّل نفقاتها ودفع بيشكوش Peshkush سنوياً إذا ما انسحبت الحشود وتمَّ التخلي عن الحملة، ولكن إن هبطت على البر وأضعفت البحرين، فإن على الإمام أن يدفع 10000 تومان سنوياً لحكومة شيراز.

ـ تمَّ التخلي عن الحملة، واكتشف الإمام أن ثمة دافعين وراء خيانة الحكومة الفارسية، وأخذ يدرس الاستيلاء على شيراز مع زعماء مختلف القبائل العربية، ويحملهم إلى هناك.

ـ في العام التالي، أعلن السيد بروس بأن زعيم البحرين يمدّ القواسم بأقصى ما يستطيع من الحبوب، والإمدادات من كل نوع، والذين كانوا يترددون إلى موانىء الجزيرة، وبأن مراكب القراصنة قد أبقت علىٰ اتصالات مع البحرين التي نقلوا إليها كل الغنائم التي استولوا عليها، كما وجدت كميات كبيرة منها طريقها عبر بوشهر Bushire والموانىء الأخرى على الجانب الفارسي من الخليج، على مراكب تابعة لقرين (الكويت) Grane التي كانت تتاجر مع الجزيرة.

---

(1) وهي جزيرة تفصلها عن البحرين قناة ضيقة تعبر منها القوارب.

(2) سردار كلمة فارسية تعني السيد أو الكبير أو العظيم وكان شاهات إيران يمنحون هذا الاسم للأشخاص المقرّبين لهم وكلمة سردار باللغة الهندية تطلق على أصحاب العمائم الكبيرة من فرقة السيخ (ماجد شبّر).

ـ تعارض السلوك غير الودّي لشيخ البحرين، عندما أخذ يتحدّى قوتنا مع الروح الودية التي ميّزت سلوكه لدى لقائه بالسيد بروس. عُدّ التشجيع والحماية التي قوبل بها القراصنة في ذلك الميناء، موضوعات سيتم البحث عنها من قبل المندوب في بوشهر Bushire.

ـ نوّه السيد بروس إلى أن القراصنة لم يختبروا فقط السوق الجاهزة لتلقّي الغنائم التي سلبوها في البحرين، لكنهم اشتروا كميات كبيرة من التمور والأرز وجميع المؤن الضرورية لناقلاتهم، وجيء بها إلى البحرين بكميات وفيرة على متن سفن يملكها عرب يقيمون في بومباي.

ـ بات من المستحيل في ظل هذه الظروف أن ينظر المرء إلى البحرين إلّا بوصفها ميناء للقراصنة، رغم أنهم لم يرتكبوا قرصنات، لكن المساعدة التي قدموها للقراصنة كانت تقوم بالدور ذاته، وفي الواقع فإن جلّ طواقم مراكب القراصنة كانوا من سكان تلك الجزيرة.

تتمة للّمحة عن العتوب حتى عام 1831

الملازم إس هينيل BY LIEUTENANT S. HENNELL

أنهى السيد واردن تقريره عن هذه القبيلة في عام 1817 بالإشارة إلى ما كان يفكر به السيد بروس والقائل رغم أنهم ليسوا متورطين على نحو كبير في أعمال القرصنة، لا يمكن عَدّهم سوى قراصنة، بما أنهم كانوا يقبلون ويشترون الحصة الأكبر من الغنائم المسلوبة من قبل القواسم، وبأنهم لم يكتفوا بتسهيل الدخول إلى موانئهم، بل كانوا يزوّدوهم بكل أنواع المؤن والإمدادات. رغم الهزيمة اللافتة التي لحقت بالإمام في هجومه على الجزيرة، بقي العتوب ولبعض الوقت في حالة من الريبة، نتيجة انطلاق سموّه مع أسطوله إلى كنغون Congoon لينتظر التعزيزات التي وعدته بها حكومة شيراز، بغية القيام بمحاولة ثانية. لكن مخاوفهم كانت قد ذهبت أدراج الرياح بوصول رسول اسمه اسكندر خان الذي أرسل من قبل بلاط إلى البحرين وذاك يعرض الصداقة والوفاق إلى الشيوخ، وهذا ما قبلوه، وتمَّ تبادل الهدايا.

في شهر شباط من عام 1819 وبعد ورود تقارير تقول بأن عدداً من النساء الهنديات جلبن من رأس الخيمة، وتمَّ بيعهنّ علناً في بازار البحرين، انطلق الكابتن لوك، قائد عدن، سفينة جلالته، تصحبه خمس ناقلات حربية إلى تلك الجزيرة لتحريرهن. وبعد بعض المفاوضات، نجح الشيخ البحريني في إقناع السلطات البريطانية بأن تلك المعلومات لا أساس لها من الصحة. ودخل الكابتن لوك في اتفاقية ألزم نفسه من خلالها بمنع بيع أي من الغنائم البريطانية في إقليمه، وهذا ما عُدّ تعهداً. بناء على طلب الكابتن لوك، تمَّ فتح

اتصالات مع حسين بن رحمة، زعيم رأس الخيمة، وعرض من جانب الحكومة البريطانية أن يحرر عدداً من السجناء القواسم بدلاً من عدد من النساء اللواتي أسرن على يدي القراصنة. تمّت الموافقة على هذا المقترح واستعادت سبع عشرة امرأة هندية حريتها.

في السابع عشر من كانون الثاني من عام 1820، وبعد الاستيلاء على رأس الخيمة، وتدمير أسطول القواسم (الجواسم)، بحملة قام بها السير دوبليو. ج. كير، سلم شيخ البحرين الناقلات التابعة إلى القراصنة الذين كانوا في موانئه، إلى الكابتن لوك، بغية تدميرها. وفي الوقت ذاته تمَّ الاتفاق على عدم استقبال أي قوارب مشبوهة في موانئه إلى أن تسمح الحكومة البريطانية بذلك. تمَّ التوقيع على المعاهدة العامة بين الحكومة البريطانية والزعماء العرب، والتي دخل في مفاوضاتها الجنرال كير، أولاً في رأس الخيمة من قبل وكيل شيوخ العتوب، وفيما بعد من قبلهم هم في البحرين. بعد أن تأثروا بنجاح القوات البريطانية، وتنامي الثقة التي أحرزها الإمام من تعاونه معهم، عدّ آل خليفة (شيوخ البحرين) أنه من الحكمة اتخاذ إجراءات لتفادي الهجوم الذي كان الإمام يحضر له بالتنسيق مع أمير شيراز، ضد جزيرتهم. وتبعاً لذلك فقد أرسلوا وكيلاً إلى مسقط أرسى اتفاقاً، ومن خلاله ألزموا أنفسهم بدفع 30000 كراون ألماني للإمام كل عام، كما اشترط الطرفان أن تكون الحكومة البريطانية هي الضمان لذلك. وهذا ما لم يلبَّ. وبالمقابل، تعهّد سموّه بتحرير بعض شيوخ العتوب الذين احتجزهم، وإعادة جميع الناقلات والغنائم التي للبحرين، والتي وضعها تحت حظر في طريقها من الهند. ومن هذه الجزية فإن مبلغ 12000 كراون كان قد حسم.

في نيسان من عام 1822 طلب وكيل زعيم البحرين من جانب زعمائه، بأن تتوسط الحكومة البريطانية من أجل حل النزاع بينهم وبين أرحمة (رحمة) بن جابر. تمّت الموافقة على ذلك، وأُصدرت الأوامر بهذا الخصوص إلى المندوب في بوشهر Bushire مع تحفظ صارم، بألا تلزم الحكومة نفسها بأي

طريقة كانت لفرض تحقيق الشروط. وبعد وقت قصير من انطلاق الشيخ عبد الله بن أحمد إلى باسيدو Bassadore حاملاً طروحات غير منطقية تتصل به وبرحمة Rahmah بن جابر، فشل الوكيل السياسي في تسوية نزاعهم.

في حوالي نهاية هذا العام تمّ الاستيلاء على بتيل (سفينة) Buteel تابع لتاجر بحريني في نهر البصرة Bussora من قبل السفينة صوفيا التابعة لصاحب الجلالة، بتهمة القرصنة على أحد قوارب بوشهر Bushire. نقل البتيل [سفينة] Buteel والطاقم إلى بومباي لكن تهمة القرصنة لم تثبت في محكمة القاضي البريطاني، وبناء عليه فقد حررت مع طاقمها، وتمَّ تقديم تفسير حول ملابسات الموضوع لزعيم البحرين، الذي أدان الإجراءات التي قامت بها السفينة البريطانية.

في شباط من عام 1824 استعدّ الشيخ عبد الله بن أحمد لنزاع مع أرحمة (رحمة) Rahmah بن جابر (عبر وساطة المندوب في الخليج) بناء على العديد من الشروط من بينها إلزام زعيم البحرين بالسماح له بمعاقبة أبو سميط Aboosemate التي هربت من إقليمه، ولجأت إلى الدمام، من دون أي تدخل من جانب الشيخ رحمة Rahmah لصالحهم[1].

بعد أن فشل الشيخ محمود بن شخبوط، شقيق الشيخ طحنون، في

---

(1) الشيخ رحمة بن جابر بن عذبي: يقول بكنجهام [أرحمة (رحمة) بن جابر هو أنجح قرصان في الخليج، ولربما كان أنجح قرصان ظهر على وجه البحار، أما مسقط رأسه فكان مدينة القرين (الكويت)، حيث يحكم المدينة الآن أحد أبناء عمومته. كان رحمة أحد أبناء أربعة لجابر بن عذبي، وهم عبد الله وكان أكبرهم، ثم محمد وشعبان. ولما تمَّ للعتوب مجتمعين احتلال البخرين عام 1782/ 1783، لم ينل أبناء جابر بن عذبي الأربعة ما يرضيهم من غنائم الفتح، غادروا البحرين غاضبين فترة من الزمن أقاموا خلالها في بوشهر وجزيرة خارج، ثم عادوا إلى خور حسان في وقت لاحق. وفي وقت مبكر دار صراع بين الأخوة، حيث مات عبد الله في مسقط ويذكر أيضاً أنه قتل من قبل أمير شيراز، أما شعبان فقد مات في خور حسان ومحمد قتل في خور حسانَ أيضاً. (تاريخ الكويت ج 2، قسم 1، أحمد أبو حاكمة، ط 1977، الكويت ص 46 ـ 47) (ماجد شبّر).

مساعيه للحصول على مساعدة من قبيلة المحاربي [المحاربة] Mohariba في الهجوم على أبو ظبي من جديد، طلب حماية شيخ البحرين واستقر في الهولة Huailah التي تقع ضمن مناطق الزعيم العتوب، والتي لا سيطرة له عليها إلا على نحو محدود. في بداية عام 1824 كتب المندوب تقريراً بأنه حصل على معلومات عن قرصنة تمَّ ارتكابها على قارب من دبي (وهي بلدة دخلت في حلف كامل مع الشيخ طحنون بن شخبوط) من قبل محمد بن شخبوط. طلب المندوب في الخليج من الشيخ عبد الله بن أحمد بوصفه الزعيم المزعوم للهولة Huailah بأن يعاقب من تسبب في الحادث وبأن يستعين بفرقة في الخليج إذا ألفى نفسه غير قادر على أن يقوم بذلك لوحده. عبّرت الحكومة عن وجهة نظرها التي تقول إنه من الأفضل أن يجري مزيداً من التحقيقات في المسألة قبل استخدام القوة. وفي الوقت ذاته فصل الأسباب التي جعلت من القضية المعنية قضية ضغائن من أجل السيادة أكثر منها قضية تتعلّق بالقرصنة. اعتبر ما ورد في المحضر بناء على ذلك، لا أساس له من الصحة. في عام 1825 توفي سلمان بن ناصر وهو الشقيق الأكبر للشيخ عبد الله وخلفه في أملاكه ونفوذه السياسي ابنه الأكبر الشيخ خليفة الذي شارك في الدخل الذي يعود على الجزيرة مناصفة مع عمه. وبالرغم من هذه التدابير، ظلت السلطة التنفيذية وجميع الصفقات والتعاملات التجارية والأعمال العامة في يد الشيخ عبد الله. في ذلك الوقت، قام المندوب بمحاولة لإرساء المصالحة بين قبيلة بو سميط Aboodemate وزعيمهم السابق (حاكم البحرين) لكنها لم تنجح.

بعد أن وصلت معلومات إلى بومباي بأن سموّ الإمام اقترح أن يدعم مطالب أبناء الشيخ الراحل التي تقول بالسلطة المطلقة في البحرين، وبأنه كان ينوي الاستيلاء على الجزيرة لنفسه، وجّه الحاكم رسالة تحذير شديدة اللهجة إلى سموّه، مشيراً إلى العواقب الوخيمة التي يمكن أن تنجم عن هذا التصرف. كما جرى إقناعه بعدم التدخل بأي طريقة كانت في النزاعات الفعلية لتلك الجزيرة طالما امتنعت القوى الأخرى عن ذلك.

في أواخر هذا العام هوجم قارب بحريني في طريقه إلى مسقط من قبل ناقلتين تابعتين للشارقة قرب أنجار Anjar. لم تكتف الناقلتان بسلب كل ما عليها من دولارات، بل قتلت ثلاثة من بحارتها أيضاً. ورغم أن الشيخ عبد الله لم يفضل في أن يعلن أي شكوى أو احتجاج في هذه المناسبة، فقد ارتأى ممثل السلطة البريطانية أن يطلق تحذيراً شديداً، وعليه فقد قامت التحضيرات على قدم وساق بغية فرض التعويض من خلال حصار ميناء الشارقة (الشارجة). كان لهذا الإجراء الشديد أثره المرجو، واتخذت التدابير من قبل الزعيم القاسمي ما أرضى حاكم البحرين.

في آب من عام 1825 نقل المندوب في موكا Mocha إلى الحكومة، بأن بعض التأخير قد حدث في تلك البلدة فيما يتّصل بحسم مطلب يتعلق بمبلغ 400 دولار سيق ضد تجّار بعينهم من قبل نوخذ Nakhoda بغلة (سفينة) Buggalow تابع للبحرين. فقد تمّ الصعود على متن ناقلة تابعة لمخا Mokha كانت راسية في الميناء، وبعد أن أُصيب رجل بجروح وأوثق ما تبقى من أفراد الطاقم، تمَّ الاستيلاء على 20 كيساً من البن، تابعة لسمسار الشركة. بعد أن أُعلم ممثل السلطة البريطانية في الخليج.

في بداية عام 1826 كاد عبد الله بن أحمد أن يتورط في نزاع خطير مع طحنون، شيخ أبو ظبي، نتيجة سماحه لبعض رعايا زعيم بني ياس أن يستقرّوا في البدع Biddah ومن هناك بدأوا يتحرشون بتجارة أبو ظبي. وعندما أشار المندوب إلى الموضوع، تنصّل من أفعالهم وأعلن بأنهم غادروا منطقته، ووعد بأن يقبض عليهم إن رجعوا.

وفي الوقت ذاته تقريباً، حدث شرخ علني بين شيخ العتوب وأرحمة (رحمة) بن جابر بعد أن عششت النوايا السيئة في علاقتهما لوقت طويل إثر مقتل ثلاثة من تُبّع أرحمة (رحمة) بن جابر على أيدي سكان البحرين، بعد أن اشتبهوا بهم بأنهم حاولوا إضرام النار في البلدة. وانتقاماً لهذه الفعلة، استولى أرحمة (رحمة) على قارب بحريني، وأعدم أحد أفراد طاقمه، ورمى باثنين

آخرين في البحر. على أي حال، منع وجود طرادات إنكليزية (كانت راسية قبالة الدمام لحماية تجارة قطيف من اعتداءات الشيخ أرحمة (رحمة Rahmah) الزعيمين من الاستمرار في اعتداءاتهما المتكررة ضد بعضهما بعضاً، وبما أنهما لم يكونا مستعدين لحرب فعلية (بسبب ضآلة قوّة أرحمة (رحمة)، وبسبب مخاوف شيخ العتوب على سلامة ناقلاته التجارية التي كانت في الهند)، فقد قنعا بهذا الإجراء وتمَّ تحذيرهما من تحريك ناقلاتنا الحربية، وهذا ما اتفق مع أوامر حكومة بومباي. جرت محاولة من قبل كلا الطرفين لعقد هدنة لفترة يتمّ الإعلان عنها، لكن ممثل السلطة البريطانية رفض التدخّل في أيّة تدابير لا تميل إلى إعادة ترسيخ السلام الشامل. ونتيجة لذلك، استمرّ العداء حتى نهاية عام 1826 عندما تمّ الهجوم على بغلة (سفينة) Bugallow تابعة للشيخ رحمة من قبل ناقلة بحرينية من الحجم ذاته. وبعد معركة يائسة استمرّت لبضع ساعات، وبعد أن وجد ابن جابر بأن لا فرصة لديه سواء للنصر أو الهروب، أضرم النار في مستودع الذخيرة، وفجّر نفسه، والناقلة والطاقم.

وفي شهر أيار من عام 1827 تمَّ ارتكاب قرصنة جريئة على بتيل (سفينة) Buteel تابع لبوشهر Bushire خارج قبالة جنوا (گنيوه) Gunowa بينما كان في طريقه إلى بندر دلم Bunder Dillum، من قبل شخص من قبيلة المناصير Monasir اسمه عبد Obed أو عبد الله بن مهنا Muhnnah كان قد استقرّ مؤخراً في البدع Biddah تحت حماية عبد الله بن أحمد، زعيم البحرين. أعدم العديد من الرجال الذين كانوا على متن الباتيل (نوع كبير من السفن) Buteel أما ما تبقى منهم فقد جرّدوا من ملابسهم وأنزلوا على الساحل الفارسي قرب بورداكان Bordakhan.

بذلت المساعي الحثيثة من أجل تعقب المجرمين، واستعادة الغنائم، لكن قليلاً من النجاح أصاب جهودهم تلك. تمَّ التأكد أن من قام بتلك الجريمة ما هو إلا عبد الله بن مهنا Muhunnah، وحسين بن جاسم، وهو مواطن بحريني، ونتيجة لذلك تمَّ استعادة بعض الغنائم المسلوبة التي وجدت

على تلك الجزيرة، وسلّمت لأصحابها. ورداً على طلبنا القاضي بالقبض على الشخصين المذكورين وتسليمهما، أجاب الشيخ عبد الله بأنه لم يكن بوسعه أن يفعل ذلك، بما أنهم غادروا أقاليمه.

على أي حال، لم يكفّ ممثل السلطة البريطانية عن بذل جهوده وتساؤلاته وانتهز فرصة لقائه مع زعيم البحرين في نيسان من عام 1828 وأشار إلى عقاب المجرمين.

باتت قبيلة بوعينين التي تستوطن البدع Biddah وتنشر روح المقاومة العنيدة، بعد أن احتجز زعيمها محمد Mahomed بن خميس على يد شيخ العتوب في أيار من عام 1828، وذلك لطعنه أحد مواطني البحرين، والذي كان تسبب في تدميره حصنهم، وبالتالي تهجير جميع السكان إلى الرويس وفوارة، تحت سيطرة شيخ العتوب المباشرة.

قبل وقت قصير من اتخاذ هذه الإجراءات ترك سويدان بن زعل وسيف بن ثيخان Thykhan سيئا الصيت واللذين هجرا سلطة الشيخ طحنون، ولجآ إلى زعيم العتوب، بدع Biddah وعادا إلى موطنهما الأول في أبو ظبي.

في شهر أيلول من عام 1828، أبحر عبد Obed بن محمد، زعيم القراصنة الذي اعتدى على بتيل Buteel تابع لبوشهر Bushire في عام 1827، من جديد في قارب كبير مع عدد كبير من أتباعه. وبعد أن استولوا على شحنة ناقلتين أو ثلاثاً قرب البحرين، انطلقوا إلى الساحل الفارسي قرب زيرا Zeerah حيث نزلوا إلى البر، بغية الاستقصاء عن المكان الذي توجّه إليه بغلة (سفينة) Buggalow صغير، ومن ثم رسوا هناك، لكن شكوك السكان المحليين التي استثيرت من خلال تقرير مفاده أن قاربه كان مليئاً بالرجال المسلحين، جعلتهم يأسرونه بعد مقاومة عنيفة.

بعد أن وجد طاقم ناقلته وكان معظمهم من أفراد قبيلة المناصير Monasir، بأن زعيمهم قد اعتقل، بذلوا ما بوسعهم كي يصلوا إلى أبو ظبي

القريبة على الساحل العربي، سالبين في طريقهم حمولة لآلىء وشحنات أربعة من قوارب أسيلو Aseeloo قرب صير بني ياس دفع الشيخ طحنون التعويض كاملاً نتيجة هذا الاعتداء.

احتجز عبد Obed بن مهنا لبضعة أيام في زيرا Zeerah ومن ثم أرسل إلى بوشهر Bushire بناء على طلب ممثل السلطة السياسية، وبعد تحريات تمَّ التأكد بأنه الشخص الذي خطط ونفّذ الهجوم على بتيل (سفينة) Buteel ابن مشاري في عام 1827. بعد وقت قصير، وبناء على طلب تقدم به الشيخ عبد الرسول بأن يسلم السجين له، من أجل التحقيق في قتل وسلب رعاياه، سلّم إليه على الفور من قبل المندوب المنفذ. لكنه تمكّن من الهرب أثناء حالة الفوضى التي سبّبها هجوم الأمير ميرزا في تشرين الثاني من عام 1828 على بوشهر Bushire.

بعد أن انتشرت تقارير عن تحضيرات يقوم بها الإمام للهجوم على البحرين، استخدم زعيمها كل قدراتها لملاقاة العاصفة الوشيكة، ولم يوفر جهداً في وضع نفسه في أفضل موقع تسمح به مصادره. اتخذت الناقلات صغيرة ومتوسطة الحجم مواقعها حول المحرق Muharag، وتجمّعت بغلات Buggalows في خور فشت Khore Fasht، ورممت الحصون، وجلبت تعزيزات من العرب، خيّالة وراجلين من كل الأنحاء. لقد كان المصدر الأساسي لقلق شيخ العتوب هو انضمام الشيخ طحنون إلى الإمام ضده، وسعى، متوسلاً بهدايا نفيسة، واستجداء حقيقي، بأن يحثّ ذلك الزعيم على أن يبقى على الحياد لكن عبثاً. رغم أن الأحداث اللاحقة أثبتت بأن خيانة من طرف زعيم بني ياس هي من سبب فشل مغامرة سموّه. وبعد أن ضربت عاصفة هوجاء عنيفة أسطول الإمام في السابع عشر من تشرين الأول، دخل إلى ميناء البحرين في الحادي والثلاثين من الشهر ذاته، أرسى أسطوله في سوترا خارج خور كيلا. وانطلق خليفة بن سليمان ابن شقيق شيخ البحرين، بقواته واتخذ موقعاً قبالة ناقلات سموّه، ونتيجة لذلك، أرسل طرف آخر، تحت قيادة ابن الحاكم لدعمه. وبعد أن بقي هناك ثلاثة أيام من دون أية أحداث تذكر، تلقى أوامرَ

بأن يتّخذ موقعاً بالقرب من حوار، إلى الشرق من المنامة. وخلال الأيام الأربعة الأولى بعد وصولهم، سُخّر السكان التابعين للإمام في فتح ممر خور كيلا، الذي سُدَّ بمراكب غارقة امتلأت بالحجارة. وبعد أن تمّ الأمر، دخلت من الممر ناقلتان صغيرتان وأحد عشر بغلة (سفينة) Buggalow ولكن قبل أن يقع ما هو حاسم، جرت محاولة من قبل شهير Shuheer زعيم مكلا Mahulla، لحث عبد الله بن أحمد على أن يوافق على هذه التدابير بما أن ذلك سيوفر إراقة الدماء. سواء تمّ ذلك بمعرفة سموّه أم لم يكن، بقي ذلك طي الكتمان. وبالتالي كان التحدي هو الرد الوحيد. في ليلة الخامس من تشرين الثاني، نزل قسم من حشود الإمام إلى البر قرب حصن صويتا Sutteah واستولت على ذلك المكان، وفي اليوم التالي قام عدد من ناقلات سموّه برشق بلدة المنامة وحصن كيلا بالمدافع، لكن ذلك لم يفلح. وبقيت المسائل على حالها حتى التاسع من الشهر، عندما علم الإمام بأن بني ياس، وتحت قيادة الشيخ طحنون، كانوا ينزلون إلى البر من دون أية أوامر. مذعوراً من العواقب المحتملة من هذا الإجراء المتهور، جمع سموّه جميع القوات التي كانت بمتناوله، وأسرع إلى الشاطىء يصحبه عبيده النوبيون، لكنه وصل في وقت شهد فيه هزيمة كاملة لأنصاره على يد قوات العتوب، تحت قيادة الشيخ عبد الله بن أحمد، الذي زحف من المنامة واتخذ موقعاً قبالة حشود الإمام، عندما وجد تلك البلدة مهددة. كان بنو ياس هم أول من هربوا وقيل بأنهم وجّهوا أسلحتهم ضد حلفائهم، ولم يكتفوا بسلبهم فقط، بل سببوا خسائر كبيرة في الأرواح، من خلال منع الذين هربوا من الاحتماء بقواربهم. أُخرج سموّه من المعركة على أيدي عبيده النوبيين، لكنه أُجبر على أن يسبح إلى مسافة كبيرة وهناك تلقّى جرحاً من سهم في باطن قدمه. لدى رؤيتهم لهذه المقاومة غير المتوقعة، بدا وكأن ذعراً كبيراً قد استولى على الأسطول بأكمله، الذي خرج من الميناء مخلفاً وراءه شراعية بصاريين وبغلة (سفينة) Bugallow اللذين وضمن حالة الفوضى والارتباك، أسرعا إلى الشاطىء، ووقعا في أيدي الأعداء. هجر العتوب بغلة Buggalow، لكن الشراعية وبعد أن جرّدت من كل شيء، أضرمت

فيها النيران خلال الليل من قبل بعض تابعي الإمام. قيل بأن الإمام فقد في هذه المعركة الكارثة ما يقرب من خمسمئة رجل. بعد أن قام بعدّة محاولات لم تفلح في إرساء السلام مع شيوخ البحرين، أبحر في الحادي والعشرين من تشرين الثاني مع كامل أسطوله إلى مسقط، ما أبهج العتوب وجلب لهم الخزي والعار. بدا سموّه وكأنه فقد القرار، والقوة، والحكمة، والمهارة. إن ما حدث كان كافياً لجعله يتخلى عن مشروعه العزيز على قلبه والذي كان ينتظره طويلاً.

اقتنع شيوخ البحرين بأن سموّه تخلّى عن أي مخططات في غزو جزيرتهم، حتى أنهم قرروا الهجوم فقد أجروا التحضيرات لتجهيز أسطول يشتمل على سبع ناقلات ضخمة أبحرت لاحقاً في الحادي والعشرين من آذار عام 1829 تحت قيادة الشيخ عبد الله بن أحمد الشخصية، باتجاه مسقط، بغية الإبحار ضد مناطق الإمام. أرسل سموّه فرقاطتين للقاء الأسطول البحريني، وفي طريقهما التقيا بغلة (سفينة) Buggalow للعتوب يسمى سيار Syar، حاولوا الاستيلاء عليه دون جدوى. وفي النهاية عادوا أدراجهم إلى مسقط من دون أن يحققوا أي شيء.

لدى عودتهم إلى الخليج، التقوا بغلة (سفينة) Buggalow كبيرة تابعة لعدوهم العنيد شيخ أسيلو Asseloo، وبعد عدة ساعات من القتال العنيف هزموا ووصلت البغلة Buggalow إلى مينائها بسلام. بعد أن أبحر لبعض الوقت في جوار مسقط، هاجم أسطول البحرين بغلة Buggalow تابعة لمرباط Morbat وأسره، وهو مكان يقع بين مسقط وموكا لا يمتّ إلى الإمام بصلة. ومع هذه الغنيمة انطلقوا في طريق عودتهم إلى البحرين، لكن وعندما وصلوا قبالة رأس مبارك اعترضتهم سفينتان حربيتان من سفن سعود سعيد. وعلى الفور اتجه العتوب إلى المياه الضحلة ووضعوا الناقلة التابعة لمرابط في موقع يجعل منها غطاء لهم من مدافع فرقطات الإمام. في البداية نقلوا إلى البغلة (سفينة) Buggalow الذين يملكون كل شيء، ومن ثم أغرقوها، واستفادوا من عتمة

الليل لتبديل مسيرهم، وبعد أن تجنّبوا بهذه الوسيلة محاربي مسقط، وصلوا إلى البحرين بعد ذلك بوقت قصير.

خلال هذه الفترة، كان ممثل السلطة البريطانية يبذل ما بوسعه لحثّ الدول المتحاربة على إنهاء النزاع، لكن زعيم البحرين أعلن بأنه لن يصنع سلاماً من دون أن تضمنه الحكومة البريطانية. بعد أن أصمَّ الشيخ عبد الله أذنيه عن كل نصح، امتنع المندوب عن أي تدخل آخر.

بينما كانت الاتصالات لإنهاء حالة العداء بين مسقط والبحرين مستمرة، كان ممثل السلطة السياسية في الخليج منهمكاً في نقاش آخر مع الشيخ عبد الله بن أحمد، هذا النقاش الذي اتخذ جانباً خطيراً. عند العودة في الذاكرة نجد أن أسطول البحرين أسر ناقلة قبالة مسقط، تابعة لمرابط وسلبها ودمّرها. وبما أن ذلك عُدّ عمل قرصنة من كل النواحي، فقد استُدعي من قام بالاعتداء وطلب منه إعادة القارب، وهو مطلب، تمَّ التملّص منه تحت ذرائع عديدة، إلى أن أرسل المندوب ناقلتين حربيتين، وأعلن عن إجراءات قاسية في حال عدم الاستجابة. أحدث هذا التهديد أثره المرتجى، فقد سلّمت بضائع وصلت قيمتها إلى مبلغ Rs 8000 (بما أن الغنائم لم يتم بيعها ولم يتم التصرف بها)، مع كمية كبيرة من البضائع التي تخصّ أناساً يقيمون في البحرين أعيدت إلى أصحابها. وفي هذه المناسبة، استفسر ممثل السلطة البريطانية من الحكومة، إن كان هناك ضرورة لاتخاذ مزيد من الإجراءات لإجبار شيخ البحرين على أن يدفع نقداً لقاء جزء من الشحنة المسلوبة. وفي الوقت ذاته، أُعلن، أنه ومن أجل تنفيذ هذا الهدف، سوف يكون من الضروري أن تتم محاصرة الميناء بأربع سفن حربية، وتدمير حمولات السفن بالقذائف وصواريخ كونغريف. على أي حال، وبما أن الحكومة كانت راضية بالتعويض الذي تمّ الحصول عليه قررت بألّا تتّخذ مزيداً من الخطوات فيما يتصل بذلك.

في الثاني من شهر كانون الأول من عام 1829، أرسي السلام بين زعيم البحرين وإمام مسقط، من خلال وساطة قام بها الشيخ محمود بن ناصر،

شريطة أن يتوقف دفع الجزية التي كان يدفعها العتوب لسموّه، وبألّا يجري أي تدخّل مهما كان في شؤون أحدهما الآخر. أما إذا تمَّ تهديد مسقط أو البحرين من طرف آخر، عندها لزام تقديم المساعدة. لكن هذا الشرط الأخير لم يوثّق كتابة، فقد كان لفظياً فقط. واعترف بالشيخ طحنون طرفاً في المعاهدة، لكن قبيلة بو سميط Aboosemate (التي تستقر بشكل رئيسي في أسيلو Aseeloo) كان شيخ العتوب قد أقصاها.

بدت جزيرة البحرين هادئة حتى نهاية عام 1830 عندما استدعي الشيخ عبد الله بن أحمد من قبل الزعيم الوهّابي لدفع الزكاة السنوية أو العشر بالإضافة إلى 4000 كراون ألماني، وهي القيمة المزعومة لعدد الجياد التي تركت في رعايته من قبل الوهابيين منذ سنين خلت. كما طولب أيضاً بتسليم حصن الدمام إلى بشير بن أرحمة (رحمة) بن جابر.

بعد أن أدرك مدى سعادة الإمام إن انضم إلى الشيخ تركي مع أسطوله في أي هجوم يقع على البحرين، سعى زعيم العتوب على جعل ممثل السلطة البريطانية في الخليج أن يقف إلى جانبه. لكنه وبعد أن ألفى الحكومة عزمت على عدم التدخل في الشؤون الداخلية، أرسل بأحد أقاربه إلى الرياض لينتظر الشيخ الوهّابي، وأن يضع أفضل الشروط في صالحه. وبعد قليل من نقاش، تمَّ ترتيب الأمر على النحو التالي: وجوب الإقرار بتسيّد الشيخ تركي بن سعود، وأن يدفع العتوب الزكاة مقابل وعده لهم بالحماية، وبهذا فإن أي bana fide في تصريحاتهم سوف يضع حداً لخطط الإمام على إقليمهم.

رغم ذلك، ما زال زعماء العتوب، يرتابون فيما يمكن أن يضمره الشيخ تركي بن الله سعود فيما يتصل بهم. إن ترسيخ بشير، ابن العدو الراحل رحمة بن جابر، على الدمام، بمصادقة من الشيخ الوهابي، سبّب لهم أكبر إساءة.

تتمة عن العتوب حتى العام 1844

الملازم إي. بي. كيمبال BY LIEUTENANT A. B. KEMBALL:

علمنا من النقطة التي توقف عندها الكابتن هينيل، أن ترسيخ بشير بن أرحمة (رحمة) بن جابر في الدمام، من خلال نفوذ الزعيم الوهّابي وإمام مسقط وسلطتهما، سبّب إساءة كبيرة للعتوب، وما فاقم الأمر وجعله يزداد سوءاً هو ازدياد عدد أتباع ذلك الزعيم والذين كانوا في جلّهم من قبيلة أبو سميط Aboosemate والذين كان العتوب في نزاع معهم. بدت وجهات نظر مناصري بشير بأنها تقربه مع البحرين وهذا ما سيُوظف كاختبار للعتوب، ويؤدي إلى إنجاز تعهدهم في دفع الجزية السنوية. وبالنسبة لبشير، كان عليه أن يكسب نصيراً مفيداً ومخلصاً إن أراد الهجوم على البحرين من جديد.

على أي حال، فشلت المحاولة في كانون الثاني من عام 1832، بعد أن اشتبك بشير مع سكان القطيف، دمر الحصن الذي كان قد بناه لتوّه، وغادر مع أتباعه إلى مسقط. نظرت سلطات الخليج إلى هذا الحدث بعين الرضا فقد أزال سبباً للنزاعات وسوء الفهم في تلك الأنحاء.

تمَّ الاستقصاء عن قرصنة لم ينتج عنها ما هو خطير تمَّ ارتكابها في تشرين الثاني من عام 1832 في خليج هيليلة Hallilah Bay على يد شخص اسمه حسوم Hussoom من منطقة الفوارة Fowarah (وهي إحدى تبعيات البحرين)، على قارب صيد تابع للكنغون Congoon، أُعيد إلى أصحابه. رُفض لجوء القرصان إلى ساحل جزيرة العرب، بدا بأن حسوم Hussoom ولدى

مغادرته خليج هليلة، انطلق إلى عجير Ajeer حيث حاول أن يباغت قارباً بحرينياً، لكن وبما أن طاقم القارب كانوا يقظين، أُسر، مع ثمانية من رجاله. وبعد أن احتجزوا لبضعة أيام، تمكّن السجناء من الهروب وانطلقوا إلى هليلة Hallilah حيث استعيد القارب المستولى عليه من القرصان، ورفضوا مع رجاله الدخول إلى أي من موانىء المناطق التي تقع تحت السيادة البحرينية.

سنة 1833

قرر الشيخ عبد الله بن أحمد، والذي بقي لبعض الوقت في أملاكه على ساحل قطر بغية مراقبة إجراءات الوهابيين، والذي رفض الآن أي تحالف معهم، وحاول الانتقام منهم. خطوته الأولى تمثلت في حضّ إمام مسقط على عدم التدخل في حال حدثت أي مواجهات بين البحرين والشيخ تركي، وتالياً أن يتّحد مع القبائل العربية التي تميل إلى وجهات نظره وخطط معارضته لتوسيع نفوذ الوهابيين، وحضّهم، بالوعود والمال، بأن يغزو كل أقاليمهم.

أخذ يحرّض سراً قبيلة العمايرة. غادرت منطقة القطيف، واتخذت سكنى لها في الدمام، وفرضت حصاراً قوياً على الميناء السابق، مستولية على جميع الناقلات التي حاولت الاقتراب، بالإضافة إلى قتل كل من وجد على قارب من سكان قطيف كائناً من كان.

وسنة 1834

في هذا الوقت أهان أبناء الشيخ عبد الله الحكومة البريطانية في شخص وكيلها المحلي. بدا أن سبب النزاع هو مبلغ من النقود يستحق على الوكيل بسبب بعض الصفقات التجارية مع الشيخ عبد الله رغب أبناؤه في الحصول على المبلغ خلافاً لرغبة والدهم. تمادى أبناؤه في توجيه الإهانات أثناء قيام الوكيل بواجباته الرسمية، بعد أن ترك مخبأه بغية الصعود إلى متن ناقلة بريطانية كانت في الميناء آنذاك. حثّت قوة كبيرة، والتهديد باللجوء إلى إجراءات رادعة، الشيخ على الاستجابة إلى المطالب التي فرضت عليه وقضت

بأن يزور ابنه ناقلة الضابط الأكبر خيلوت Khelut ومعه لباس مراسم الوكيل، ويجلد الأشخاص الذين اشتركوا في إهانة الوكيل، إما على متن الناقلة، أو على متن واحد من قواربه، بحضور الطاقم.

لدى موت تركي بن سعود، وبغياب ابنه وخليفته فيصل عن القطيف، خلفه الشيخ عبد الله بن أحمد، من خلال الرشوة، في الاستيلاء على حصن تاروت Tirhoot، وهي تبعية من تبعيات القطيف، تنتج سنوياً من بساتين النخيل، ومن الضرائب المعتادة، دخلاً يبلغ 30000 دولار.

قام طرف من قبيلة العمايرة (كنا قد ذكرناها سابقاً، والذي انضم إلى شيخ البحرين) تحت قيادة أحد المشرفين، لاستعادة ممتلكاته في لحسا (الإحساء) Lahsa والقطيف، لكنه اصطدم بعمر بن عفيصان Oofeysan حاكم لحسا (الإحساء) Lahsa الوهابي، لكنه هزم ووقعت خسائر كبيرة، وأجبر هذا الطرف على التقهقر بقوة سلاح تاروت (سفينة) Tirhoot التي استولت عليها البحرين.

وفي سنة 1835

لدى طرد عبد الله بن مشاري وفشل المحاولة التي قام بها الوهابيون لاستعادة تاروت Tirhoot استمر الشيخ عبد الله بن أحمد في فرض حصار شديد على القطيف وعقير (عجير) Ajeer وبدأ يسلب وينهب القوارب التابعة لتلك الأمكنة.

وبينما كانت الحرب مستمرة، لم يفلح أي من الأطراف في الحصول على مكاسب مادية، وهنا التفت عبد الله بن أحمد إلى الشقاقات الداخلية في عائلته، وبين أقاربه.

لم يكتف زعماء هولة الذين كانوا تابعين وحتى عهد قريب لسلطته، بمعارضته، بل دخلوا في مفاوضات ذات نزعة عدائية لمصالحه مع الإمام ومع الزعيم الوهّابي. وعلاوة على ذلك، انضموا من خلال أحد أبناء الشيخ

العجوز، الذي بعد أن حصل على مساعدة من عدة مئات من الوهابيين، تحدّى سلطة الوالد واستولى على عدد من القوارب التابعة للبحرين، على مسافة قريبة من تلك الجزيرة. فرّ أحمد، وهو الابن الآخر من الساحل القطري وانطلق إلى مسقط بهدف معلن وهو توسل دعم سموّ الإمام لقضيته، وتزويده بالعدد والعدّة. قام أحمد ببعض الهجمات بحراً، ما جعل السلطات البريطانية ترسل خلفه من أجل دفع التعويضات وهو مطلب لم يتردد في الاستجابة له. لم يكتف سمو الإمام بالانخراط في أي نزاعات بين شيخ البحرين وعدد من أفراد عائلته، بل أرسل ابنه سعود هلال في واحدة من فرقاطاته للتوسط بين الأطراف المتنازعة. باءت جهود هذا الأخير، في سعيه لإحلال المصالحة، بالفشل من خلال إجراءات لأبناء الشقيق ومناصري الشيخ عبد الله بن أحمد الذي بعد أن رسخ السلام من جديد، حرّض قسماً من قبيلة البو كوارة Gowarah على أن ينطلقوا ضد الهولة Huailah حيث أغرقوا قارباً وقتلوا أحد أتباع عيسى بن طريف، أحد أعيان الطرف المعادي، والذي تذمّر من خرق الاتفاقية، الذي دخل فيها مؤخراً[1] زعيم البحرين. لذلك، انسحب من البحرين يرافقه بني سليم Bin Sulemah وأتباعهم، ولجؤوا إلى أبو ظبي ومن هناك طلب الإذن من السلطات البريطانية في أن تستمر حالة النزاع ضد التجارة وضد أقاليم سيده السابق، وهو طلب أُنكر عليه، على أرضية أنه رسخ نفسه في ميناء حيادي هذا إن لم يكن في ميناء صديق، ويجب على زعيمه أن يكون مسؤولاً عن تصرفاته.

في حوالي منتصف عام 1836 قرر عبد الله بن أحمد، بعد أن خشي من إحياء مزاعم فارس نتيجة تلقي اتصالات من معتمد Mootamid شيراز تلك الشخصية الفاعلة، والذي طلب منه، بوصفه أحد رعايا الفرس، أن يقدم

(1) تقضي البنود الرئيسة لهذه الاتفاقية بأن على كل طرف منهم أن يحافظ على المنافع التي حصل عليها خلال الحرب، وبأن على قبيلة الهولة أن يتم إجلاؤها وتدميرها، وبأن على السكان أن يعودوا إلى البحرين، في ظل ضمانات تتصل بسلامتهم يتعهّد بها الإمام.

خضوعه إلى الشاه الذي كان يحكم آنذاك، واحتمال تعاون الإمام في أي هجوم على الجزيرة، أن يستعدّ للقتال مع العرب على البر الرئيس، ومن خلال خضوع للزعيم الوهابي، ليشرك دعمه ومساعدته في حال الغزو. وتبعاً لذلك تمّ الاتفاق على الشروط التالية أن يدفع عبد الله بن أحمد الجزية السنوية الصغيرة البالغة 2000 دولار، وأن يتعهد الزعيم الوهابي من جانبه بإمداده بالمقاتلين لصدّ أي غزاة على البحرين، وبألا يطلب نجدة أي ناقلات من تلك الجزيرة في حال صمّم على مهاجمة مسقط. لذلك أُعيد فتح الاتصالات مع القطيف والعجير Ajeer.

نتيجة للاضطهاد الكبير الذي مارسه أبناء شيخ العتوب وأبناء أشقائه، غادر العديد من أثرياء السكان، بعد أن وجدوا أنه لم يعد هناك من أمن سواء على حياتهم أو على أملاكهم، ليستقروا في أصقاع أخرى من الخليج. أما الشيخ العجوز نفسه، الذي لم يكن ليغفر أي سلوك مناهض، فقد قرر الانطلاق مع عائلته وأتباعه من الخُلّص إلى خور حسان Khore Hassan لكنه أقنع بالعدول عن نيّته، من خلال تعبيرهم عن بالغ أسفهم وندمهم للإساءات السابقة التي ارتكبوها، واعدين بالطاعة وإصلاح ما يمكن إصلاحه في المستقبل.

رغم ذلك كان الشيخ، مدركاً تماماً للنتائج المحتملة من هذه الانقسامات في عائلته، وكان ما يمكن أن يحدث عندما تأتي القوات من البر الرئيس، بغية إعادة ترسيخ سلطته، ومشهد إراقة الدماء وأعمال السلب والنهب. لذا لزم جانب الحيطة.

سنة 1837

بعدئذ تهيأ الشيخ لرحيله إلى خور حسان Khore Hassan عندما أرسل اثنتين من زوجاته مع عائلتيهما، ما سبّب خوفاً وذعراً شديدين لأبنائه وأقاربه، فقد تركهم في حيرة من أمرهم فيما يتصل بالإجراءات الخفية التي كان يضمرها.

بدت قبيلتا العمايرة والهواجر (تسكن الأخيرة منهما الدمام في ظل حكم زعيم العتوب) مستفيدتان من حالة الفوضى في نجد، نتيجة الصراع على السلطة بين الأمير فيصل وخالد المطالب بالسلطة، أعمال سلب ونهب منظمة طالت جميع القوارب التي تتبع القطيف بما في ذلك قوارب للبحرين. ولهذا السبب فقد طلب الشيخ عبد الله بن أحمد مصادقة المندوب، وحصل عليها، بغية تأديبهم، وهذا ما فعله من خلال استيلائه على قاربين لهم بالقوة، وقتل على إثر ذلك خمسة أشخاص من الطواقم.

رغم أن الشيخ عبد الله بن أحمد كان توّاقاً إلى عودة الحكام العلي وعجمان إلى سلطته، والذين انسحبوا مع قبائلهم إلى أبو ظبي، لم تبدر منه أية إشارة تؤدّي إلى وفاق. وعلاوة على ذلك احتجّ (في تشرين الأول من عام 1838) على السماح لهم، على قدم المساواة معه، في حال رغب في اللجوء إلى النزاع، متناسياً أنه وعبر احتجاجات المندوب والجهود التي بذلها، مُنعت قبيلة العلي لثلاث سنوات من الانتقام للأضرار التي تكبدوها على يديه، ومن الواضح أنه كان يتوهّم في أنه حرّ في تبني خيارات رادعة ضد قبيلة العلي في الوقت الذي يحرم عليهم الدفاع عن حقوقهم.

فشلت جميع الوساطات ومحاولات الإقناع، وأُعلم الطرفان بأنه لن يكون هناك بعد الآن تدخلات، وسيعتبرون في حالة حرب في نهاية شهر رمضان عندما يختتم موسم صيد اللؤلؤ. كما أن الخيار يعود إليهم فيما يعدّونه حقوقهم العادلة، رغم ذلك عليهم أن يعرفوا بأن منطقة حمراء يجب ألّا يتجاوزوها.

قبل انقضاء المهلة المحددة، أرسل الشيخ عبد الله وزيره المؤتمن على أسراره إلى بوشهر Bushire، وحمّله رغبته في «التوصل إلى تدابير ودّية على نحو مشرّف متجنباً الإقرار ببعض الحقوق التي تؤدّي إلى تفاهم، في الوقت الذي كان لا يزال فيه متشبثاً بعناد بالشرط الذي كان يعدّه فيما مضى sine qua non لعودتهم إلى البحرين، وكان مدركاً فيما يتّصل بذلك بأنهم اتخذوا قراراً على

نحو نهائي ولن يوافقوا على ذلك الشرط، وسيعدلونه بما يتّفق مع مصلحتهم، مع وعد بأن أمنهم، ومطالبهم القانونية يجب أن تضمنها الحكومة البريطانية ـ هذه الضمانات التي لا يمكن تقديمها. بعد ذلك، عرض عليهم ساحل قطر كمستقرّ لهم. قبلوا بذلك تجنّباً للأوضاع البائسة التي خلّفتها الحرب. وضع المندوب البريطاني ناقلة حربية تحت تصرف زعيم البحرين بغية التفاوض مع اللاجئين في أبو ظبي. رُفضت خدمات تلك الناقلة لدى وصولها إلى البحرين، مفترضين عدم الالتزام بالشروط التي يمكن أن تُقترح من قبل الطرف الآخر. نادوا بضمانة من الحكومة البريطانية، لذلك كانت الحرب أمراً محتماً.

في ذلك الوقت أظهر الشيخ العجوز بعض الاعتراضات على ما سمي «بحدود الحرب». لقد حصد أتباعه فوائد كبرى من هذه الحدود، أكبر مما جناه خصومه. بناء على ذلك فقد أُلغيت تلك الحدود.

ظهر من خلال سلوك الشيخ خلال تلك الفترة (اتضح أنه لم يكن راغباً في خوض الحرب) بأنه يصادق على الاقتراح معتقداً أن السلطات البريطانية كانت مهيئة لأن تذهب إلى أبعد مدى، مما يمكن أن تذهب إليه النزاعات بينه وبين أبو ظبي.

سنة 1839

لدى سقوط الحاكم الوهابي، الأمير فيصل، طلب قائده، عمر بن عفيصان Ofeysan اللجوء إلى البحرين وحصل عليه. طالب باستسلامه شيخ العتوب عبر خالد، المغتصب للزعامة، كما طالب أيضاً بتسليم حصن الدمام إليه. أنزلت هذه المطالب الذعر عند الشيخ عبد الله، الذي تملّص من الاستجابة إليها، بالإضافة إلى المطالب السابقة التي تتصل بالجزية، واستسلام تاروت [سفينة] Tirhoot، تحت زعم ارتباطه بالحكومة الفارسية وخضوعه لها. تجلّت مخاوف الزعيم العتوب، في أن الامتيازات ستؤدي إلى مزيد من المطالب غير العادلة، وفي النهاية إلى فقدان كلّي لسلطته، وتأكد هذا عندما أعلن خورشيد باشا، القائد المصري، في رسالة إلى ممثل السلطة البريطانية،

عن عزمه مهاجمة الجزيرة وإخضاعها. من نافل القول، إن الأرضية التي بنى عليها قراره كانت باطلة ولا أساس لها.

بسبب قوة الاقتراحات التي قدمها الزعيم العتوب إلى الحكومة الفارسية، اختير حاجي قاسم، وهو مسؤول سابق عن حمولة وشحن ناقلة تجارية، كرسول من أمير شيراز إلى البحرين، يحمل رقوم Rukum وملابس تشريفات لزعيمها، يصحبه حرس يتألف من عشرة من السيرباز Sirbaz. وصدرت أوامر تقضي في بقائه في البحرين بوصفه وكيلاً فارسياً، وأن يكون وسيلة لتلقّي الجزية السنوية وإرسالها إلى السلطات الفارسية التي أقنعت أيضاً زعيم البحرين بأن يدفعها للحصول على حمايتهم.

في تلك الأثناء، كانت النزاعات مستمرة بين البحرين وقبيلة العلي في أبو ظبي ما نتج عنها حال من الضيق عانى منها سكان البحرين. أما التجار الراغبون باستتباب الهدوء والسلام، فقد توسلوا تدخل المندوب الذي أرسل بمساعده، في مسعى منه لإرساء المصالحة. لكن شيئاً لم يثمر عن مهمته تلك، بما أنه ليس هناك من شروط يمكن الركون إليها لا تحظىٰ بضمان الحكومة البريطانية. رغم ذلك، فقد تمَّ التحقق من أن زعيم بني ياس لا يملك النية في أن يقيم اتفاقاً مع عيسى بن طريف ـ وبالفعل، لم يعد هذان الطرفان على وفاق، بما أن زعيم بني ياس كان يطلب من عيسى بن طريف أن يغادر بلده، أو أن يستقر هناك على نحو دائم بوصفه رعية مسالمة. تمَّ تبادل الكياسات والمجاملات السياسية، على شكل هدايا بين البحرين وزعماء بني ياس، ودخلوا بعد وقت قصير في معاهدة سلام، وبالطبع هذا ما حرم عيسى بن طريف من أن يتحالف مع زعماء بني ياس، ووضع حداً لاعتداءاته المستمرة ضد البحرين، من ميناء أبو ظبي الذي بات ميناء صديقاً، وبناء على ذلك قرر أن يغادره في نهاية موسم صيد اللؤلؤ، مع موافقته بالطبع على تعليق النزاعات إلى نهاية تلك الفترة.

برّر الشيخ دخوله أي اتفاق مع خورشيد باشا بأنه وبعد أن قطع كل أمل

له في الحصول على الدعم والعون من البريطانيين، وتخيّل بأنه سيبقى من دون موارد تكفيه، ومهدد بحرب مع أبو ظبي، وتجارته تتعرض لاعتداءات عيسى بن طريف، ورعاياه من البدو الذين يقطنون الداخل ينصرفون عنه بأعداد كبيرة، ويخضعون لخورشيد باشا، والذي كان حينذاك يلوح بالغزو ـ بالإضافة إلى صعوبة الدفاع عن البحرين من أي هجوم يمكن أن يأتي من الساحل المقابل، بما أن هناك العديد من الأماكن التي سمحت لأسطول من مئة مركب أن يشق طريقه في غضون ساعات، من دون أي إمكانية اللحاق به بسفينة أو البغلة [سفينة] Buggalow، بسبب المياه الضحلة. لقد ارتأى أنه من الأفضل لمصالحه أن يدفع 2000 دولاراً سنوياً، ليضمن وحدة أقاليمه ورسوخ سلطته عليها. واشترط بألّا يستقر في البحرين أي وكيل من وكلاء الباشا. كما أوضح بأنه والعرب الآخرين، يمقتون أي ارتباط بالمصريين. كما أعلن أنه في حال منحته الحكومة البريطانية تعهداً مكتوباً ومؤكداً لحمايته وحماية ممتلكاته من أي هجوم أو اعتداءات، سيسقط من حسبانه أي تعامل مع المصريين، ويعلن نفسه تابعاً لبريطانيا العظمى، لكنه رفض أن يثبت ما أسلفه كتابة، بذريعة أنه لا يستطيع أن يلزم نفسه جدياً إلى أن يتلقّى تأكيداً كاملاً ومقنعاً من الحكومة البريطانية بحمايتها له.

ساهم الخطر الوشيك الذي يتهدد أفراد عائلة زعيم العتوب في فضّ النزاعات بينهم. وعندما وجد الشيخ عبد الله بن أحمد، أن رؤوس وأعيان القبيلة لن تشترك معه في هجومه على أبنائه وأبناء أشقائه خشية، لجأ إلى استضافة عدد من الرجال التابعين إلى قبيلة البدو المستقلة التي تقطن في الداخل، بغية إرهاب أقاربه المتمردين.

كان القرف الذي أحدثه سلوكه المتردد في عقول سكان البحرين شديداً، أضف إلى ذلك الابتزاز الذي كان يمارسه عندما بدأ يفرض الضرائب الثقيلة، ما جعل قبيلة البو كوارة Boo Gowarah والتي يصل عدد رجالها إلى ألفي رجل والتي كانت تستوطن في فوارة، رغبت في الرحيل ووضع نفسها تحت حماية

الحكومة البريطانية، وكان السكان الأكثر نفوذاً يريدون مجرد قائد يوحّدهم كي يزيحوه من على رأس السلطة.

لم يكد عيسى بن طريف هو والجانب الأكبر من أتباعه يستقرون على جزيرة كين Kenn، حتى ألحّت عليهم الرغبة في الانتقام للخسائر التي منيوا بها على يدي زعيم البحرين، وقد عبّر الشيخ عيسى أكثر من مرة عن رغبته في السماح له بأن يبحر ضد تجارة تلك الجزيرة، وأن يستولي من شيخ دبي على بتيل Buteel كان يخصه فيما مضى وصادره الشيخ عبد الله بن أحمد. وبالرغم من أن عقبة أزيحت بعد جلاء خورشيد باشا والجيش المصري عن نجد، من وجه تجدد النزاعات ضد البحرين. وأُفهم الشيخ عيسى عندما كان في مسقط، بأنه وطالما بقي في كين Kenn، عليه أن يتخلّى عن أي فكرة في شن حرب عدوانية ضد أي جزء من ساحل جزيرة العرب.

أثبت أن مشروع محمد بن خليفة في توطيد نفسه في القطيف ولحسا (الإحساء) Lahsa والذي دعمه الاستياء الذي نجم عن السلوك القمعي لوكيل خورشيد باشا، بأنه يقع في تعارض تام مع وجهات نظر الشيخ عبد الله بن أحمد، الزعيم الأقوى، كما لاح في الأفق خطر صدام مفتوح بين الطرفين. رغم إرساء المصالحة بين الأطراف، وتمَّ تفادي الخطر الوشيك في التصدع في العلاقات لبعض الوقت، فقد كان من الواضح، أن ذلك لم يكن سوى إعلان فرغ من مضمونه من الجانبين، خصوصاً من جانب الزعيم الشاب، محمد بن خليفة الذي وجّه رسالة فيما بعد يعرض خدماته إلى الحكومة البريطانية، ويلتمس المساعدة ضد عمه الأكبر. بعد ذلك بوقت قصير، انطلق إلى الساحل القطري أسس لنوع من المعارضة ما أقلق زعيمه إلى حد كبير.

في بداية العام المنصرم وقعت قرصنة على قارب كويتي قبالة بو سيف، وفشلت كل الجهود التي قامت بها السلطات البريطانية والوكلاء في الخليج بغية اكتشاف من قام بهذا الاعتداء، إلى آب من عام 1841، عندما عثر على دليل يميل إلى تجريم شخص اسمه سعود بن عزيز، أحد أتباع الشيخ مبارك

(ابن الشيخ عبد الله بن أحمد)، المندوب في الدمام. رغم ذلك كان من الضروري أن يعرف عرب البحار بعدم السماح بالإفلات من العقوبة، في أي فترة من الموسم وهذا ما ارتدّ على المتهم المذكور أعلاه، ما فرض على زعيم العتوب أن يدفع مبلغ 274 روبية محمد شاه[1] قيمة ما نُهب، أو استسلام سعود بن عزيز وقاربه. استجيب للمطلب الأول وتمَّ دفع النقود.

حدث اعتداء آخر على ضفاف اللؤلؤ في بداية موسم صيد اللؤلؤ، من قبل بعض سكان البحرين. أحدهم علي بن يوسف، وهو مواطن من لنجة Lingah عندما حمل على متن قاربه في القطيف 250 كيساً من التمور و80 سجادة، وكان في طريقه إلى البحرين عندما لامس قاع البحر على سوبينها Subennha وتقع إلى الغرب من رأس ريكان Reccan. وبينما كان الطاقم منهمكاً في تخليص المركب العالق، خرج خمسة من البكارة[2] Buggarahs يقودهم شخص اسمه جليجي Jallijeh من الشاطىء، وسلبوا من القارب 180 كيساً من التمر و80 حصيراً ما تبلغ قيمته حوالي 240 روبية محمد شاه. انطلق المدّعي إلى المحرق Muharag ليعرض قضيته أمام ناصر بن عبد الله، ابن زعيم البحرين، والذي وعد بأن يستعيد له ما سلب منه، لكنه وبعد أن ألفى نفسه يؤجل من يوم إلى آخر، من دون أي أمل في الحصول على تعويض، عاد إلى لنجة Lingah وأعلم زعيمه، سعود بن قضيب Guzeeb بما جرى، والذي نصحه باللجوء إلى المندوب طلباً للتعويض. فقد عُدّ الشيخ عبد الله بن أحمد مسؤولاً عن دفع التعويض.

عندما أعلن اللصوص أنهم أخذوا من الحمولة فقط ما يجيزه لهم قانون المياه، كونها كانت معرّضة للغرق، فقد اتخذت تدابير على أن تودع قيمة الغنائم المطالب بها بين يدي الوكيل البريطاني، إلى أن يقام الدليل على صحة

---

(1) نوع الروبية.

(2) أغلب الظن أنها قبيلة البكارة.

ما قيل، وذلك من خلال قسمهم بالطلاق Zun Tulaak، بحضور الوكيل المحلي، وهذا ما تمَّ تبعاً للأعراف المتّبعة أمام القاضي، وأعيدت النقود.

باتت الآن سلطة الشيخ العجوز مهددة من قبل أبنائه الذين كان يتبع لكل منهم من مئة إلى ثلاثمئة رجل، مستعدون للقيام بأي شيء. سرعان ما باتت الجزيرة مسرحاً لأعمال فوضى متزايدة، وكنتيجة طبيعية تضاءلت التجارة إلى النصف ضمن السنوات القليلة الماضية.

في هذا الوقت (نيسان عام 1842) جاء الأمير خالد من الدمام إلى خور حسان للقاء الشيخ عبد الله الذي قابله باحترام بالغ، وهذا ما جعله يأمل بأن يمدّ له هذا الأخير يد العون في استعادة القطيف بأقصى ما يستطيع. وبعد أن زار محمد بن خليفة في البحرين، عاد الحاكم الوهابي السابق إلى الدمام.

رغم ذلك، كان زعيم البحرين منشغلاً بالكثير من القضايا التي كانت بين يديه ما منعه من الإقرار بأنه أخلف وعده، ذلك أن النزاعات الخطيرة في أفراد أسرته، والتي سنفصّلها فيما بعد، وصلت إلى درجة اقتضت منه أن يوجّه كل عنايته إليها.

كان السبب المباشر والمعلن للنزاع الحالي هو معارضة زواج أحمد، ابن عبد الله بن أحمد، من إحدى الصبايا، ابنة عبد الرحمن بن رشيد. فقد هدد كل من طلب يد هذه الفتاة باللجوء إلى القوة بغية الزواج بها[1] احتكم الوصي عليها، مبارك بن خليفة، إلى قريبهم المشترك، محمد بن خليفة، ضد الجور والعار الناجمين عن السماح بمثل هذا الانتهاك، بعد أن كان قد اختار في وقت سابق أحد أفراد أسرته زوجاً لها وهو (محمد بن مجيون Moojarrin ابن فايل Fail)، تلا ذلك تهديدات، وفشلت المساعي التي قام بها الزعيم العجوز، الذي جاء إلى خور حسان لهذه الغاية في إرساء تسوية ودّية، وبدأ

(1) استقرّت تلك الفتاة والتي أثارت دوافعها الكثير من الخلافات، في المحرق Muharag، وكانت على وشك أن تبدأ نزاعات كبيرة. لكن بالرغم من ذلك لم تكن هي السبب الرئيسي للنزاعات.

الطرفان يحشدان القوات، واستدعي بدو البر يدفعهم جشعهم. شكّلت مدينتا المحرق والمنامة المستقرين الرئيسين لزعيميهما. تفصل بين المدينتين قناة ضيقة والعديد من المخاضات. وتمكّن عبد الله بن أحمد زعيم المحرق، وهو الأقوى بحراً، من السيطرة على نحو كامل على ميناء المنامة.

وقعت عدة مناوشات بين الطرفين المتنازعين، حيث قتل دعيج Dhyj شقيق محمد بن خليفة، وحفيد عبد الله بن أحمد، محمد بن مبارك، من دون أي حسم لصالح أي من الطرفين. حافظ الطرفان على مواقعهما إلى منتصف شهر حزيران، عندما قام عبد الله بن أحمد، بهجوم في الوقت ذاته براً وبحراً، ما نجم عن هزيمة كاملة لقوات محمد بن خليفة، وبسط سيطرته على مدينته. فرّ الزعيم المهزوم مع عدد من أتباعه إلى ساحل قطر ومن هناك إلى لحسا (الإحساء) Lahsa والرياض، طلباً للمساعدة من الحاكم الوهابي الجديد، ابن ثنيان Sooneyan.

انفلتت قوات البدو الذين استخدمهم عبد الله بن أحمد من عقالها لتعيث فساداً ونهباً في المدينة التي سقطت في أيديهم. وتقاسم الأعداء والأصدقاء المصير ذاته. ونهبت الملكيات على نحو عشوائي، ومن بينها بضائع تعود إلى رعايا بريطانيين.

دخل العديد من الناس والكثير من الأملاك تحت حماية الوكيل البريطاني في الجزيرة دونما تمييز، من بينهم أبناء ورعايا الشيخ حمود عميري الذي اشترك على نحو فاعل في الصراع الأخير.

اتّضح من رواية الوكيل أن زينانا Zenana وأطفال حمود وجدوا ملجأ لهم في بيته. لكن ابنه وأتباعه المباشرين، ولدى اندحار قوات محمد بن خليفة، جاؤوا إليه طلباً للحماية، وبعد أن وجدوا الباب مشرعاً، دخلوا إلى البيت من دون إذنه، والأمر كذلك، رفض أن يستخدم القوة ضدهم.

وصل عبد الله بن أحمد بعد ذلك بوقت قصير، مع أتباعه المظفرين،

وطالب بأن يتم تسليم من لجأ إلى بيت الوكيل إليه، مهدداً، في حال الرفض، أن يسوّي المنزل بالأرض، ويقتل وينهب كل ما يقع بين يديه من بشر وأملاك. بلغت القوة التي كانت تحت إمرة الوكيل ألف رجل، بينما تراوح تعداد قوة عبد الله بن أحمد ما بين الثلاثين والأربعين ألفاً من الكيرونيز Keroonees. خشية وضع عبد الله بن أحمد تهديده موضع التنفيذ، وحفاظاً على حياته وحياة أسرته والعدد الكبير من الأبرياء، وجد الوكيل من الصواب بأن يقذف الأشخاص المطلوبين من أعلى بيته، والذين لم يصلوا إلى الأرض إلّا أشلاء.

بدا عبد الله بن أحمد بأنه اكتفى بالتهديد والاحتجاجات بغية تحقيق مأربه، بما أنه أدرك جيداً مقدار جبن وبلاهة الوكيل الراحل. وعندما تمَّ استدعاءه، قدم التبرير التالي:

«في بداية الأزمة، أوفد إلى الوكيل رجالاً، وخيّره أن يأتي مع عائلته وأتباعه، ليستقروا مؤقتاً في المحرّق Muharage، أو أن ينطلقوا على متن ناقلة بريطانية كانت في أثناء ذلك راسية في الميناء، زاعماً بأنه لا يستطيع السيطرة على البدو المرتزقة. وكان لدى الوكيل من الأسباب ما جعله يخشى على نفسه وبيته، بالإضافة إلى أنه لم يوافق على تدابير عبد الله بن أحمد، وعاد إلى المنامة، وأمّن حمايته للقدر الكبير من أملاك الأفراد، ولدى سقوط المكان في يديه، وجد صعوبة بالغة في لجم بداته من أعمال السلب والنهب، لكنه وبعد أن وجد أن أتباع حمود بن عميري، من قبيلة العمايرة، والذي كان على رأسها، والذين كان يبغضهم على نحو خاص، بسبب قتلهم لقريبه ـ لقد لجؤوا إلى بيت الوكيل، أوفد من يشرح هذه الظروف، وطلب استسلامهم، ولم يكد يتم تلبية طلبه، حتى كانت أشلاء الأشخاص المعنيين قد تناثرت على الأرض.

لم يكن من الممكن تبرئة الشيخ، والذي كان قد طالب هو نفسه في propria persona باستسلام ضحاياه، مهدداً الوكيل وعائلته وأصدقائه بالموت الفوري في حال رفضهم. وبما أن حضوره بدا، رغم ذلك، بأنه يهدف ضمان منع أي اعتداء على الوكيل البريطاني وأكّدت جميع التقارير الأخرى ذلك.

بعد أعمال السلب والنهب التي تعرّضت إليها المنامة، اقتضى التمرّد عقاباً شديداً، ما جعل الشيخ عبد الله الذي فقد شعبيته ينطلق مع بداته إلى خور حسان، الواقعة على اليابسة، والتي عرّضها إلى أعمال السلب والنهب، وبغية التركيز على موارده وتدعيمها على الساحل القطري، بدأ في إعادة بناء الزبارة المهجورة، والتي كانت المستقر الرئيس للعتوب قبل ذلك بنحو أربعين عاماً.

بعد أن قبض عمر بن عفيصان، القائد الوهابي وحاكم لحسا (الإحساء) Lahsa على زعيم بلدة سهات Sohat وهي الميناء البحري، ودمر ذلك الحصن، أما السكان (وفي جلّهم من غواصي اللؤلؤ)، وبتخريض من الشيخ عبد الله بن أحمد، انسحبوا إلى البحرين.

لقد أعاق سجن الشيخ شافي، زعيم الهواجر، وهو المشايع المخلص للشيخ عبد الله بن أحمد، على يد الحاكم الوهابي، والذي أعلن إطلاق سراحه على أنه sine qua non الاستجابة من طرف الشيخ شافي، لمطالب الحاكم الوهّابي، التي تقضي بتعليق الحصار على موانىء القطيف وسهات Sohat، وأكّد أن الأول متعاطف مع قضية ضيفه، محمد بن خليفة، والذي لم تحرز قوته استقراراً كافياً ليعترف بموافقته، نتيجة لفشل بعض قبائل البدو في خضوعهم لسلطته. وبحسب ذلك، بدأ محمد بن خليفة بجمع القوات على اليابسة، بغية إشعال فتيل الحرب من جديد.

كان الحال كذلك، وكانت كراهية زعيم العتوب قد وصلت إلى أوجها، عندما أضرم عيسى بن طريف، من قبيلة بني العلي، والمندوب في كين، وبشير (مع ما يقرب من ثلاثمئة أو أربعمئة نصير)، وهو ابن أرحمة (رحمة) بن جابر (زعيم قراصنة الدمام المشهور، والذي هزم في معركة في نهاية عام 1826، مع قوة كبيرة من العتوب، بغية تجنّب الأسر، أضرم النار بمستودع البارود، وفجّر نفسه وناقلته)، زاروا بوشهر Bushire مجتمعين، بغية الإعلان للمندوب عن رغبتهم في تسوية المسائل مع زعيم العتوب الشاب الذي دعاهم إلى زيارة قاعدته، وبغية التماس إذنه في شن حرب على البحرين.

إن السبب الذي قدمه زعيم العتوب الشاب مبرراً به انضمامه كطرف في هذا الحلف المهول[1] هو عجزه، نتيجة الحصار الذي فرضه عبد الله بن أحمد، على أن يأخذ غلة أملاكه التي ورثها عن أبيه في الدمام.

بعد أن صادق المندوب على حرب معلنة، تمَّ تذكير هؤلاء الزعماء بالخط الأحمر الذي يجبرهم على أن تقتصر عملياتهم العسكرية على البحر فقط، كما أوفد مساعد المندوب لزيارة الجزيرة بمفردها بغية اطلاع شيخ البحرين على الخطط العامة لأعدائه، وإعلانهم الحرب عليه.

تلقّى شيخ العتوب المعلومات بخوف ودهشة، وخشي من أن الأطراف المتحالفة منحت الإذن والسماح. وصرّح بأنه تلقّى الأنباء في وقت متأخر، وبأن جلّ ناقلاته وأتباعه غادروا في رحلاتهم البحرية التجارية، وبالتالي فإن بلاده مجرّدة من قواتها، فقد غابت وسائل الدفاع، ورجا وكله أمل بعد السماح ببدء الهجوم إلى حين عودتهم، وبأنه ومهما كان حجم احتقاره عظيماً لقوّة كل منهم بمفرده، فإن عيسى بن طريف، وبشير بن أرحمة (رحمة) بن جابر، بوصفهما ضئيلي الشأن، وبما أن الشيخ الوهابي تنقصه وسائل الشحن والمواصلات، فلن يكون بمقدوره أن يواجههم متّحدين، ملمّحاً إلى ضرورة أن يكون على وفاق مع الشيخ الوهابي.

بدأ الحاكم الوهابي من جديد، فتح اتصالات مع زعيم البحرين، وتصرف بوصفه وسيطاً، ونصح بالسلام مع ابن شقيقه الأكبر. كما حرّر شافي الذي وعد لدى وصوله إلى الدمام، أن يبذل أقصى ما يستطيع من نفوذ لتحقيق السلام.

---

(1) لقد أسلفنا موجزاً للسبب الذي كان وراء استياء عيسى بن طريف، شاع رأي يقول إن الاضطرابات الأخيرة في البحرين كان هو من حرّض عليها وأثارها، والذي بما أنه لا يملك وسيلة كافية لشن هجوم على الشيخ عبد الله، فقد أجبر تدريجياً على الاقتناع بأن الهدف الكبير لطموحه، هو ائتلاف قوي ضد عدوّه.

على أي حال، تعامل الشيخ عبد الله، مع قدرة ووسائل محمود بن خليفة الذي كان يعتبره خصماً جديراً بالازدراء، أو أنه وضع قليلاً من الثقة، في إخلاص الحاكم الوهابي، فقد تعامل مع جهوده في الوساطة، بقليل من انتباه. وبالفعل استخدم إلى حدّ ما لغة تهديد، ليحثّه على التزام الحياد الكامل.

وفي الوقت ذاته (أي في كانون الثاني من عام 1843) أثبتت التصريحات التي أطلقها أعيان أقاليمه في قطر على اليابسة، التي تتصل بعدم قدرته على الدفاع عن أنفسهم ضد أي هجوم يقوم به محمود بن خليفة، بأن ذلك الزعيم لم يقلل من تحضيراته للمعركة، والتي كان يمدّ لها يد العون فيها الزعيم الوهّابي سراً، والذي كان من المؤكد أنه سيتخلّى عنهم.

سقط حصن المزير Meezeer الصغير، في قطر، في يدي محمد بن خليفة، الذي سبق خصومه إلى احتلاله. بعد أن ألفى خصومه، أن الحصن بات تحت سيطرة محمد بن خليفة، انسحبوا على الفور. بناء على ذلك، جرت اتصالات مع الأصدقاء في كين. أثارت بعض القوارب التي جاءت من تلك الجزيرة، مخاوف الشيخ عبد الله بن أحمد الذي نقل طلباً للمرة الثانية (في شباط من عام 1843) إلى السلطات البريطانية، يشبه ما جاء في الطلب الأول، بعد أن أشار إلى إجراءات عيسى بن طريف وبشير بن أرحمة (رحمة)، لكن وبما أن تقاريرَ وصلت إلى البحرين من كين Kenn على متن قارب من مسقط تقول بأن هذه الأطراف تخلّت عن أهدافها إيماناً منهم أن الحاكم الوهّابي قد سحب تأييده من القضية التي تتصل بالزعيم الشاب لصالح الزعيم الأكبر سناً، فقد أدّى إرسالها بوشهر Bushire إلى الافتراض أنه لم يعد هناك من جدوى التقدم بطلب[1] وبناء على ذلك، فهو لا يحتاج إلى رد.

---

(1) اعتبر هذا الطلب بأنه رد ورد في التقرير الذي أعدّ لاحقاً من قبل الوكيل البريطاني لحديث جرى بينه وبين الشيخ عبد الله بن أحمد، ونقل من جديد في تقرير الوكيل في الثالث والعشرين من الشهر ذاته، وضُمّن أيضاً في رسالة الشيخ في العشرين من آذار عندما أبلغ بأن ليس هناك من رد =

في سياق العمليات الحربية التي تلت، قام أتباع عبد الله بن أحمد بقرصنة (في آذار من عام 1843) على غونشا (سفينة) Goonchaa يحمل العلم

= غير الذي قدّمه المندوب المساعد عندما التقاه.

تم التركيز على هذه الإشارات هنا، ذلك أن الزعيم السابق عزى مصائبه إلى أنه أقنع بالأمان من هجوم قوات التحالف، نتيجة وعد زعم بأنه قُطع له من قبل المندوب المساعد، عندما أعلن ذلك الضابط الذي أوفد إلى البحرين في تشرين الثاني من عام 1842، بأنه لا يمكن السماح ببدء المعارك إلى أن تعود قواربه ومناصريه من رحلاتهم التجارية.

إن المقاطع التالية هي من رسالة من الزعيم السابق أرسلها في التاسع والعشرين من كانون الأول في عام 1843، ومن ردّ الكابتن هينيل في الثلاثين من الشهر ذاته تتصل بهذا الموضوع «عندما أبلغت رسولكم حاج جاسم أن في نيتي الانطلاق بقواربي وأخذ زمام المبادرة مع سكان قطر وكين Kenn قبل أن أتعرض لهجوم من قبلهم، منعني، قائلاً بأن الإنكليز لن يسمحوا بذلك. وهذا يعرفه جميع سكان البحرين وبوشهر Bushire. عندما قدم مساعدك إلى البحرين أبلغني بأن عيسى بن طريف وبشير بن رحمة قد حصلا على الإذن لبدء الهجوم ضدي، وسألا فيما إذا قمت بأي اعتداء عليهم. أجبت بالنفي. ومن ثم تساءل، ما هو دافع عدائهم أجبت بأن فيصل بن سعود يرغب في أن يوطنهم في البدع Biddah بغية الشروع بأعمال السلب والنهب. في هذا الوقت، وعندما تشتّتت جميع سفني في بومباي وملبار Malabar واليمن، أبلغني مساعدكم أنه منع كلا الطرفين من القيام بالهجمات حتى عودة سفني، وبأن أمراً سيرسله المندوب إلي. كان وكيلكم حاج جاسم موجوداً عندما جرى هذا الحديث. عند ذلك لم أرسل أي رجال كما أنني لم أحصل على أي منهم، وبدلاً من أولئك الذين كانوا غائبين في ناقلاتي، أدرك رعاياي الذين يسكنون الساحل القطري بأن بلادي مجرّدة من العدة والعتاد، دفعتهم روح السلب والنهب على الانقلاب علي. والآن وقد تبيّن لكم كل شيء صار بإمكانكم مساعدتي.

الردّ: «بعد أن لمسنا شكواك بأن مساعدي أقنعك بأنه من غير المسموح لعيسى بن طريف وبشير بن أرحمة (رحمة) بدء هجوم عليك، وخلاف ذلك مما ورد في رسالتك، أود أن أشير بأنك مخطىء تماماً، ذلك أن الكابتن كيمبال لا يمكن أن يقطع هكذا وعد. كما تدرك أن الهدف الوحيد من زيارة البحرين هو تحذيرك بأن ابن طريف وبشير بن أرحمة (رحمة) قد طلبا الإذن والسماح وحصلا عليهما لبدء الهجوم ضدك، وكل ما فعله هو أنه نقل رغباتك إلى الكولونيل رووبتسون. وعندما لم يصلك رد من الكابتن كيمبال، كان عليك أن تعرف بأنه لا يستطيع الاستجابة لمطلبك القاضي حظر العمليات الحربية المؤقت إلى أن تعود ناقلاتك.

البريطاني، وعلى متنه رزمة رسائل وبعض المستودعات موجهة إلى الكومودور في باسيدو Bassadore. بدا أن الزعيم قد أصدر أوامره بعد السماح للناقلات بأن تبقى راسية في مرفأ المنامة.

قبل الأعمال العدائية بوقت قصير جداً، والتي أضاعت البحرين على الزعيم العجوز تعرض قارب جارك (تشارك) Charrak (كان يبحر تحت علم فارس المحايد)، والذي وصلت إليه لتوّها بضائع من بومباي، كانت مرسلة إلى تاجرين من بانيان[1] Banyan من البحرين، واللذين نقلا إلى سفينة أخرى، إلى السلب في مرفأ المنامة من قبل رجال قبيلتي الهواجر والسلطة Suloota، وهم من تابعيهم. على أي حال، ألقى أولئك الرجال الذين انتقلوا إلى جانب المنتصر، وباتوا تحت سيطرته، بمسؤولية ما قاموا به عليه (ربما المقصود هو عبد الله بن أحمد)، وبالتالي إلزامه بالتعويض عن قيمة ما تمَّ سلبه والذين حصلوا منه على نصيبه. من المجحف أن يلزم محمد بن خليفة بالدفع، في الوقت الذي بدا فيه أن النزاع مشكوك بأمره، وفي الوقت الذي لا يمكن فيه إلزام خصمه بدفع تعويض على قدم المساواة، انطلاقاً من أن دولته كانت تنهار، وما نجم عن ذلك من افتقاره إلى الوسائل. لذلك، لم يرغم على التعويض عن قيمة ذلك الجزء من الأملاك المنهوبة من قبيلة السلطة Suloota، وهذا مطلب لم يتردد في قبوله، إلّا في شباط من العام التالي، عندما ترسخت سلطة الأول.

بدأ عبد الله بن أحمد بالقيام بنهج أخذ يسبب مضايقات لتجارة البحرين. أرسل الحلفاء (في حزيران من عام 1843) عدداً من الناقلات لفرض حصار على الدمام، واحتجاز مراكبه ضمن حدود مرفئه.

هيأت الخلافات الأخيرة بين الزعماء المتنافسين، وموقفهم المريب، الفرصة والذريعة، للحاكم الوهابي الشرعي، الأمير فيصلْ الذي أفلح في إعادة

---

(1) البانيان هم الهنود الهندوس. [شبّر]

ترسيخ سلطته في نجد، أن يتدخل. وبالفعل، التمس الطرفان عونه وتأييده وسرعان ما مارس نفوذاً هاماً في شؤون الجزيرة، وفي تبعياتها على الساحل القطري المقابل، من منظور شبه واثق في استعادة دفع الجزية السنوية التي لم يتم اقتطاعها، منذ الأيام الأولى من حكم والده، تركي بن سعود.

لقد ظهر أن فيصل لم ينس ولم يغفر نزاعاته ومعاركه القديمة، مع الزعيم العجوز الذي كانت الأفضلية له بشكل عام. ومنذ البداية كان يميل إلى تأييد قضية الزعيم الشاب.

تطوع الشيخ جابر، حاكم الكويت[1]، والصديق المشترك للزعماء المتنافسين (في الفترة الراهنة، أي في آب من عام 1843) بتقديم خدماته كوسيط. وبعد أن أدرك، أن تحقيق سلام دائم بينهم، أمر ميؤوس منه، بسبب الآراء المتضاربة ومصالح الأصدقاء من جانب، والأبناء والتُّبّع من جانب آخر، والذين وقعت فيما بينهم كراهية مستعصية. وبما أنه لم يكن راغباً في الانخراط في هذه القضية على نحو فعلي، فقد امتنع عن أي تدخل.

على أي حال، عندما ألفى زعيم الكويت، أن الشيخ العجوز وصل إلى الرمق الأخير، ولم يعد بإمكانه أن يقاوم، أظهر رغبة حقيقية في حفظ ماء وجه هذا الأخير، وإن تمكّن، فلسوف يحثّه على العودة معه إلى الكويت، بدا بأن هذا هو هدفه في حال لم يكتب النجاح لوساطته. في ظل هذه الظروف، لم يلق وضع هدفه موضع التنفيذ أي اعتراض، كما نُقل عن اتصالاته بهذا الشأن مع ممثل السلطة البريطانية، الذي نصحه أن تقتصر مساعيه على الوساطة فقط، وبألا يسمح لتلك المساعي أن ترتدي ثوب العداء اتجاه محمد بن خليفة، والذي بات الآن حليفاً للحاكم الوهابي، هذا إن لم يكن تابعاً له بطريقة ما، والذي أفلح في أن يضمن العون والتشجيع من الحاكم الوهابي، عبر وعده

---

(1) ترفع القوارب الكويتية العلم التركي، ويعترف سكانها بالتبعية للحكومة التركية.

بدفع الجزية السنوية من جديد، كما كان والده، تركي بن سعود، يقتطعها في السابق من زعيم البحرين.

وتبعاً لذلك انطلق الشيخ جابر إلى البحرين، يصحبه أسطول من ثمان ناقلات ضخمة، وهناك عقد مباحثات مطولة مع حاكم الأمر الواقع، نجم عنها إرسال قارب للبحث عن الزعيم السابق، ودعوته إلى مؤتمر. على أي حال، فإن هذا الأخير وإدراكاً منه أن الوساطة وليس التدخل الفاعل، هو ما سيجري، ترك المكان ومضى إلى بوشهر Bushire، ومنعه كبرياؤه من أن يقبل أو أن يمنح شروطاً لأولئك الذين بدا بأنه يعتبرهم تُبّعاً له، رغم أنهم ومن دون أي شك، كانوا مخوّلين في المشاركة في السلطة على البحرين، بالوراثة. وبما أن زيارته كانت من دون طائل وبأن احتجاز ناقلاته ومنعها من رحلاتها التجارية أضرّت بمصالح أتباعه وجارت عليهم، عاد الشيخ جابر إلى الكويت، من دون أن يحقق غرضه ولا بأي طريقة كانت.

بعد أن خرج محمد، وهو أحد أبناء عبد الله بن أحمد، مع الحاج بو شهاب، وزير هذا الأخير، من الدمام، والتي كانت لا تزال واقعة تحت حصار محكم، بغية جمع قوارب على الساحل المحاذي، قبض عليهم حاكم القطيف الذي اعتقل أيضاً علي، وهو ابن آخر من أبناء الزعيم السابق، والذي جاء لتوه من لنجة Lingah مع دعم صغير من قبيلة بو سميط Aboosemate، لينضم إلى والده.

جرت محاولة من جانب أبنائه، الذين زاروا ساحل عمان بهذا الغرض، بغية الحصول على مساعدة سلطان بن صقر، وابنه صقر، ومكتوم بن بطيّ Butye من دبي، في قضية والدهم. بعد أن فشل أولئك الزعماء، تهرّبوا (على الفور، لكنهم تمسّكوا بآمال استجابة نهائية ـ في نهاية موسم صيد اللؤلؤ ـ) شريطة ألا تمنعهم الحكومة البريطانية، أو الحاكم الوهّابي. زار الزعيم السابق بوشهر Bushire شخصياً، بغية الحصول على الموافقة من ممثل السلطة البريطانية من أجل انضمامهم إلى قضيته.

نُقل أن الزعماء المعنيين، رغم أنهم بدوا صادقين وجديين، أرادوا فقط ذريعة لتخليص أنفسهم من إلحاحات الزعيم السابق، والتنحّي عن التدخّل، انطلاقاً من معرفتهم بأن الأصدقاء لم يبخلوا في مساعيهم لترتيب حلف مضاد مع شيوخ بني ياس وأم القيوين Amulgavine، بهدف مواجهة الأزمة الوشيكة. واستُهلّت مراسلات بين عيسى بن طريف وخليفة بن شخبوط، وزار عبد الله بن راشد كين Kenn شخصياً، وتلقّى هدية قيمة.

وأُبلغ الزعيم السابق، رداً على طلبه، بأن الحكومة البريطانية، رغم أنها مهيأة للعب دور الوسيط، من دون تقديم ضمانات، لم تتمكن إلى الآن من التدخل من أجل إعادة تنصيبه، كما أنها لم تسمح لشيوخ عمان من الاشتراك في أي حرب، ليس لهم فيها أي مصلحة، بما أنهم مرتبطون باتفاقيات مع الحكومة البريطانية، وبمعاهدة فيما بينهم ضمّنتها الحكومة البريطانية، بأن يمتنعوا عن أية أعمال عدائية من أي نوع في البحر، في الوقت الذي يؤدّي فيه التعهد بمساعدتهم من قبل الأطراف المتنازعة إلى حالة من الفوضى في الخليج وإلى أعمال عدائية بين القبائل أنفسها.

بدا بأن الشيخ سلمان، ابن شقيق مجتهدي Mujtahid بوشهر Bushire، وهو شخص ليس لديه سلطة قانونية، أو أي موقع في الحكومة، بدأ مراسلات مع الشيخ عبد الله بينما كان هذا الأخير لا يزال محاصراً في الدمام، ونفح فيه آمالاً بالمساعدة التي يمكن أن تأتيه من فارس في العدة والعتاد لاستعادة البحرين، ولهذا السبب، تعزى زيارته إلى بوشهر Bushire. في الواقع لم يكن على قناعة أن بمقدور الحكومة الفارسية أن تصادق وتنفذ عرض الشيخ سلمان Sulman غير القانوني، لكن وبما أنه توقع عدم استجابة من طرف السلطات البريطانية للطلبات التي كان عليه أن يقدمها، أمل في أن يحول وجود شأن هذه المقترحات إلى ميزة في الدفاع عن قضيته، والحث على القبول، ووفقاً لذلك، أعلن لهم (في تشرين الأول من عام 1943) بشروط بسيطة وواضحة، بأنه إذا لم تؤخذ مطالبه بعين الاهتمام، فسيرمي بنفسه في أحضان الفرس.

أُرسلت نسخة من اتصالات الشيخ سلمان إلى طهران، وأُبلغ الزعيم السابق بأن أي إعلان للحرب من جانب فارس ضد البحرين يجب أن يصدر عن الملك أو الحكومة، ويجب أن يكون معلناً، وصريحاً. عاد الزعيم السابق، بعد استراحة قصيرة في بوشهر Bushire، إلى الدمام، ومن هناك انطلق إلى نابند Nabend، على الساحل الفارسي، لينتظر مسيرة الأحداث.

أما عيسى بن طريف والذي أُلمح له، أنه وطالما كان مستمراً في الاستقرار في كين Kenn، من غير المسموح له، ولأسباب جلية، أن يمارس مزيداً من التدخل في شؤون الساحل المقابل، جلا عن تلك الجزيرة، وفقاً لرغبته في نهاية موسم صيد اللؤلؤ، وانطلق مع قبيلته إلى البدع Biddah على الساحل القطري، وهو تدبير عُدّ مرضياً من جميع الزوايا، بما أنه يضعه ضمن حدود الخط الأحمر، ووضع ذلك الميناء (الذي من شبه المتعذر الوصول إليه) تحت سيطرة الزعيم، الذي منح كل ثقة من خلال رغبته الصادقة في إخماد نار القرصنة البحرية، هذه الميول كانت مختلفة تماماً عن تلك التي كان يضمرها سلمان بن ناصر سويدان، الشيخ السابق للبدع Biddah والذي تركت إجراءاته، كما فصّلنا سابقاً، مساحة للارتياب بأنه شجع سراً مجرمين، لم يتردد قط في مشاركتهم غنائمهم.

زار زعيم البحرين السابق بوشهر Bushire مرة أخرى في كانون الأول من عام 1843 تصحبه ست ناقلات، مجهزة بالرجال والسلاح، بغية لقاء المندوب، لكنه وعندما رفض أن يلتقي هذا الأخير على متن إحدى الناقلات الحربية التي كانت حينئذ في رودس Roads، خطرت له فكرة مفادها أن رغبته في زيارة المندوب على الشاطىء، كانت مجرد ذريعة لإخفاء هدفه الحقيقي، والذي كان يتمثل في إجراء اتصالات شخصية مع الشيخ سلمان، وبأنه إن كان يرغب حقاً في اللقاء، فيجب ألّا يعترض على الترتيبات التي تمَّ إرساءها على وجه حق. إن هدفه الحقيقي كان في السعي للحصول على المساعدة من

الحكومة الفارسية، التي كان يكيل لها هذا الشخص المتآمر الكثير من الوعود غير الرسمية.

رغم ذلك، وبرسالة منه ألحّ على مطالبه التي تتمثل في تدخل الحكومة البريطانية لصالحه، ومدّ يد العون له، على أرضية رفضه مقترحات الزعيم الوهابي، فيصل، وبوصفه أيضاً طرفاً في الاتفاقية العامة لعام 1820، تلك المطالب التي لم يتم الإقرار بها، بما أن رسالة الأمير فيصل إليه والتي نقلها هدفت إلى عدم إثارة أي اضطرابات بحراً، بدت بأنها تعرض رغبة صادقة في تعزيز الهدوء والسلام، وتكريس المصالحة بينه وبين ابن شقيقه الأكبر، وكما أشارت المعاهدة، فقد كان هدفها الوحيد هو قمع أعمال السلب والنهب والقرصنة، ولم يدرس أي تدخل في حرب شرعية وقانونية، شريطة ألّا تؤدي مثل هذه الحروب إلى اعتداءات على حيوات وملكيات الذي ليس لهم من مصلحة فيها.

وبينما كان الزعيم السابق لا يزال في بوشهر **Bushire**، تلقّى اتصالاً من خصمه، متذمراً من أن أحد البتيلات (سفينة) **Buteel** التابعة لابن جابر بن بشير، من البحرين، تمَّ الاستيلاء عليها من قبل أتباع الأول في أسيلو **Aseeloo** أو نابند على الساحل الفارسي، وبالتالي ضمن المنطقة المحايدة، واستدعى المندوب من أجل اقتطاع التعويض. وعليه فقد أفلحت الاحتجاجات في سحب التفويض من الزعيم السابق إلى حاكم نابند **Nabend** من أجل استعادة البتيل **Buteel**.

وقبل أن تصل هذه الوثيقة، التي نقلتها ناقلة بريطانية إلى هدفها، تمَّ تبادل بين الحكّام في ذلك الميناء، ورفض الحاكم الجديد الاستجابة لتعليماته، ولم تتم إعادة القارب إلى مالكه، إلّا بعد مماطلات وتأخير كبيرين، واتصالات مطولة (في تموز من عام 1844)، قبل هذا الوقت مباشرة، استولى الشيخ بشير بن أرحمة (رحمة) زعيم البدع **Biddah** على بتيلين **Buteel** تابعتين لنابند **Nabend** واحتجزهما انتقاماً لاستمرار احتجاز الناقلة المشار إليها، لكنه

لدى تلقّيه رسالة احتجاج من المندوب ضد التدخل غير المبرر في قضية، كانت تسوّى من قبل الحكومة البريطانية. تمَّ تلقّي اتصال آخر في كانون الثاني من عام 1844 من الزعيم السابق، وفيه يلحّ على مطالبه من أجل تدخل الحكومة البريطانية، ويتوسّل عونها، بسبب المصائب التي نجمت عن مباغتته في وقت عَدّ نفسه آمناً تماماً، نتيجة إيحاء السلطات البريطانية له بأنها لن تسمح للحلفاء بمهاجمته إلى حين عودة القوارب والرعايا من رحلاتهم البحرية، وكان الرد بالرفض حاسماً.

أخيراً، وصلت القوات النجدية البرية التي وعد بها طويلاً، لتفرض الحصار على الدمام التي عانت حاميتها نقصاً في المؤن والعتاد. وفشلت معونات أرسلها زعيم الكويت في الوصول إلى وجهتها، ووقعت في أيدي الأعداء، الذين أرسلت حاميتهم التي كانت تفرض الحصار، والتي وصلت معلومات فيما يتصل بالقاربين، في الوقت المناسب، وفيهما حملت المعونات في خور بلبل، ومن هناك كانت سوف تنقل على ظهور الجمال إلى الحصن المحاصر، قوة لتعترضها وتجعل منها غنائمَ. ورغم أن شرعية الحصار لم تكن موضع تساؤل ولو للحظة واحدة، وبما أن الاستيلاء قد تمَّ ضمن مقاييس الحرب المحددة، لم تستدعِ الحكومة البريطانية إلى التدخل ولا بأي طريقة من الطرق للإصغاء إلى شكاوى زعيم الكويت القاضية بأن على الحكومة البريطانية أن تلزمهم بتحرير القاربين، واستعادة ما سلب منهما، رغم ذلك، كان ما يزال من المستحسن اللجوء إلى محمد بن خليفة، بغية عدم تعريض أنفسهم لسوء فهم ذلك الزعيم القوي، والوصول إلى تفاهم يقضي بعدم التدخل في النزاع، وعدم مساعدة الدمام وتزويدها بالمعونات. بعد بعض التردد، تمَّ القبول بهذه النصيحة الحكيمة.

بعد عدة أيام من وصوله إلى بوشهر **Bushire**، نزل الزعيم السابق إلى اليابسة، واتّخذ مستقراً له في موقع حصين كان قد أُعد وزوّد بكل وسائل الراحة، بينما نصبت الخيام من أجل استقبال أتباعه الكثر، جلب معه ناقلاته

إلى الشاطىء. استقبل بحفاوة بالغة واهتمام مميز من قبل السلطات المحلية: فقد تمّت تحيته بثلاث رميات من البنادق أطلقت تكريماً له من قبل حامية سيرباز Sirbaz التي قامت باستعراض عسكري في هذه المناسبة. من غير الممكن إظهار علامات الاحترام تلك، لو لم تصدر بأوامر من أمير شيراز، وقد أُشيع بأن الشيخ عبد الله بن أحمد طلب مده بقوة عسكرية قوامها 100 فارس و500 من جنود المشاة، وقد تحمل كافة النفقات لتجهيزها، كما عرض أن يقدم جزية سنوية كبيرة إلى الشاه، وبأن يترك ابنه رهينة من أجل أن يحقق مراده على نحو كامل في تلك المعركة.

بعد ثلاثة شهور أمضاها ينتظر رداً، أو إشارة تدل على أن اقتراحه يدرس بعين الجد، وبعد أن وجد بأن ذلك كله إن هو إلّا مضيعة للوقت والجهد، قرر الزعيم السابق الرحيل.

بعد أن زار المندوب، صرّح بأن هدفه الرئيسي يكمن في رغبته بلقاء يعبّر فيه عن خالص أمله بأن تشمله صداقة وتشجيع الحكومة البريطانية، والتي كان يتمتع بها في ما مضى من أيام ولسنوات طويلة، وبأنه كان يثقل على قلبه فقدان حظوته لدى السلطات البريطانية وبأنه لا ينشد عوناً ولا تأييداً من أجل استعادة حقوقه العادلة، بل يأمل أن يحصل على التأييد الذي كان له في السابق، وبأن الحكومة البريطانية لن تجد نصيراً لها أكثر إخلاصاً منه. وفي الرد، لم تخف الحكومة البريطانية عدم رضاها عن إجراءاتها، ولا رفض الاقتراح الذي جُعل لدعمه في مواجهة ترسيخ سلطة محمد علي باشا على البحرين، وانتهاك مقر الوكيل البريطاني بالقوة، وذبح الأفراد الذين لجؤوا إلى ذلك المكان، وسلب بضائع أحد الرعايا البريطانيين على يد أتباعه، خلال الهجوم على المنامة، والاستيلاء على الأملاك البريطانية من قارب يحمل العلم البريطاني، والسرقة بالإكراه لناقلة جارك (تشارك) Charrak من قبل خُلَّصِة من قبيلة الهواجر، ذلك كله ومن دون ريب نزع إلى إنهاء مشاعر الودّ حياله. وأضاف، بأن السبب الوحيد الذي دعاه إلى القدوم إلى بوشهر Bushire كان

طلباً للجوء مؤقت، بينما ينضج خططه، وبأنه كان مدركاً تماماً لخواء تصريحات السلطات الفارسية في مدِّه بالعون بغية استعادة البحرين، لكنه جعل منهم فرصة مناسبة تتماشى مع غرضه.

لم يكن هناك من شك بأن الشيخ كان صادقاً في رغباته للتخلص من أي انطباع سلبي لدى الحكومة البريطانية، لكن لم يكن هناك من تفسير فيما يتصل بدوافعه التي أدّت به إلى القدوم إلى بوشهر Bushire.

لقد عُجل في رحيل الزعيم السابق ربما من خلال المعلومات التي وصلت والتي تفيد بأن حامية الدمام، بالكاد مارست ضغوطاً من أجل الحصول على المؤن، قد أُجبرت على أن تقترح على الأمير فيصل استسلام الحصن، بشروط محددة وهذا ما تمَّ رفضه. لدى رحيله عن بوشهر Bushire، انطلق مباشرة إلى الأماكن المجاورة للبحرين، وحاول أن يرسل قارباً لهم على متنه مستودعات ومخازن أسلحة ومؤن، لكن القوة المحاصرة كانت يقظة، وبعد أن أفلحت في أسر القارب المعني، أرسلت أربعة بتيلات Buteels في إثر الزعيم السابق. لكنهم لم يدركوه، ووجد ملجأ مؤقتاً في الكويت. واشترطت حامية حصن الدمام وبعد وقت قصير من استسلامه، سلامتها، والسماح لها أن تحمل معها أمتعتها الشخصية. عاد ناصر بن عبد الله وشقيقه الأصغر إلى البحرين، لكن الشقيق الأكبر، مبارك بن عبد الله، الحاكم، هرب مع شافي، زعيم الهواجر، لينضم إلى قبائل البدو، باتجاه البدع Biddah. ومن الكويت التي لجأ إليها، عاد الزعيم السابق إلى زيارة البحرين، وبناء على طلبه الخاص، التقى بالمندوب على شاطىء البحر، على بعد حوالي ثلاثة أميال من البلدة، حيث لم يرغب، من دون أن يقدم الأسباب، أن ينزل إلى اليابسة. هدفه الظاهر كان استشارة المندوب فيما يتصل ببعض المقترحات المحددة ذات الطبيعة الإيجابية.

وفي الرد لم يتلق أي تشجيع، بل، وعلاوة على ذلك، أكّدت له

الحكومة البريطانية بأنها لا تبغي أي نزاع إقليمي في تلك الأصقاع، وبأن لديها هدفاً واحداً فقط، وهو قمع القرصنة، والحفاظ على الهدوء في تلك المياه.

في آب من عام 1844 استقر الزعيم السابق في نابند، على الساحل الفارسي، وتمركز معظم أبنائه في المحرق Muharag، من دون أن يتمتعوا، رغم ذلك، بأي نصيب من الحكومة. وأفيد بأن الشيخ مبارك بن عبد الله، عاد إلى قطر بغية لقاء محمد بن خليفة، وبغية التوصّل إلى تدابير ودّية، لكن هذا الأخير رفض وعلى نحو قاطع أن يثبت أو ينفذ الاتفاقية التي دخلها مع أبناء الزعيم السابق، بحضور الأمير فيصل، ووافق فقط على عودة الزعيم السابق ليستقر في الجزيرة بشكل خاص، شريطة أن تضمن سلوكه الحكومة البريطانية ـ شرط كان يدرك بأنه لن يقبل على الإطلاق. بدا من غير الممكن بأن محمد بن خليفة وأشقاءه، الزعماء الحاليين للبحرين، سيقتنعون بإعادة توطيد سلطة عمهم الأكبر الشيخ عبد الله بن أحمد في البحرين، وفي الوقت ذاته، فإن القوة والوقفة المستقلة لعيسى بن طريف، الذي كانت تدرسه عائلة خليفة، والرغبة المتنامية لمقاومة انتهاكات وتجاوزات أمير فيصل[1] يمكن أن تحثهم ليمنحوا موافقتهم على التدابير التي، في ظل ظروف أخرى، كانوا سيعارضونها بكل وسيلة يستطيعون.

(1) إن المطالبة بمتأخرات ومستحقات الجزية، مرتين 1844 غير المدفوعة has not up to this time.

خاتمة عن قبيلة العتوب حتى العام 1953

الملازم إتش. إف. ديسبرو BY LIENTENANT H.F. DISBROWE

اتخذ عبد الله بن أحمد، المتغطرس ذو الشخصية الجامحة، وكما وردنا من الكابتن كيمبال في ختام سرده عن قبيلة العتوب، موقعه في مكان يدعى نابند Nabend على الساحل الفارسي. إن مطالب الخصوم التي تهدف إلى توزيع السيادة بينه وبين ابن شقيقه الأكبر الشيخ محمد بن خليفة، لا تزال مستمرة، وقد تمَّ اللجوء لكل خطة ممكنة من قبل الزعيم اللاجىء لحثّ الحكومة الفارسية على مناصرة قضيته. أما هم ومن جانبهم، فقد كان من الواضح أنهم درسوا بنوايا حسنة المقترحات التي قدّمت إليهم، وأظهروا من خلال الموكب والاحتفالية التي استقبلوا بها زائرهم، بمناسبة قدومه إلى بوشهر Bushire في بداية العام 1844، بأن هناك على الأقل رغبة، إن لم تكن نية في أن يمدّوا له يد المساعدة. لقد كان المندوب يراقب وبدراية كبيرة إجراءات السلطات الفارسية، وكان ينقل كل تحرك إلى سلطته العليا. تمَّ الاعتقاد أنه من الصواب، في البداية إيقاف هذا التصريح الذي لا ضرورة له من جانب الحكومة الفارسية، فقد صدرت التعليمات بحسب ذلك من قبل حكومة جلالتها إلى الكولونيل شيل، تطلب منه أن يطلع الوزراء الفرس أنه ما لم يكن للشاه مبررات قوّية في اشتراكه في النزاعات مع المطالبين بملكية البحرين فإن الحكومة البريطانية في الهند ستنظر إلى تدخّله بعين الريبة، وربما يؤدّي إلى نقاشات جدّية مع إنكلترا. إن شأن هذا الإعلان، الصادر عن وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة جلالتها، مال ومن غير ريب إلى أن يخمد حرارة

المشاعر الأخوية التي أظهرها فارس إلى عبد الله بن أحمد، كما ألغت في الوقت الراهن على الأقل، جميع الآمال التي عقدها هذا الأخير للحصول على العون من تلك البقعة.

انطلاقاً من تلك الفترة، بدأ الزعيم السابق بالترحال، في البداية أبحر في بتيلاته (سفينة) Buteels إلى جوار البحرين، وفجأة ترك الجزيرة بحثاً عن غزوات، وبعد أن قام بعدد من أعمال القرصنة، عاد إلى ملجئه على الساحل الفارسي. نظر المندوب إلى هذه الإجراءات بعين الاستياء الشديد، وفي النهاية أصدر قانوناً يمنعه من الاستمرار في الأعمال العدائية ضد تجارة وممتلكات البحرين، طالما اختار الاستقرار على شواطىء فارس. رغم ذلك، ولكي نفهم وعلى نحو كامل سياسة الحكومة البريطانية فيما يتصل بالنزاعات المستمرة للزعماء الخصوم، من الضروري أن نراقب حركات وأفعال الفريقين والنهج الذي اتبعه البريطانيون حيالهم. لذلك دعونا نبدأ موجزاً مختصراً لما حدث خلال الصراع الذي طال من أجل السيادة على جزيرة البحرين.

لم يطل بقاء الشيخ عبد الله في نابند قبل أن يشرع في رحلة بحرية مع بتيلات Buteels باتجاه ممتلكاته الضائعة، وانطلق إلى الجوار القريب من البحرين. أوقع وصوله المباغت إلى تلك الأصقاع الرعب والذعر الشديدين بين صيادي اللؤلؤ والآخرين، لم يمض الزعيم السابق في بحثه عن قوارب العلي، والذين كان يرغب في مواجهتهم، وأكّد لصيادي اللؤلؤ بأنه لا نيّة لديه في التحرّش بهم، وبهذا تبددت مخاوفهم. ولكي ينجز هدفه، أبحر إلى البدع Biddah بحثاً عن عيسى بن طريف، لكن وبعد أن وجد عدوّه في يقظة تامة عاد إلى جوار البحرين من دون أن يهاجمهم. وعندما سمع الشيخ محمد بن خليفة بوصوله، أرسل وفداً من تجّار كبار في الجزيرة يدعونه إلى الشاطىء ويرحبون به في ديارهم رغم ذلك فقد كان الرد الذي أرسله عبد الله المتغطرس يقول باستعادة حصن المحرق Muharag إليه، مع مطالب أخرى لا يمكن بأي حال تنفيذها، ما جعل آمال اللقاء بينه وبين قريبه تنتفي. ترك المكان، وأبحر إلى

القطيف، ومن هناك، وبعد أن أرسل أحد أبنائه في مهمة ودّية إلى الأمير الوهّابي، وبعد الاستيلاء على ناقلتين صغيرتين في دابيل شول Dabil Shaol انسحب إلى نبد Nabend. رغم أن الاستيلاء سالف الذكر، لم يخرج عن نطاق الحرب، وبالتالي فإن شرعيته لم تكن موضع مساءلة، ومن موقع خاص للزعيم السابق على التراب الفارسي، سرعان ما اتضح أن محمد بن خليفة سوف يخضع إلى سلسلة من أعمال هجومية ومضايقات من خصمه، من دون أن يكون قادراً على الرد، ذلك أن هذا الأخير، وبحرية تامة في تنفيذ أعماله العدائية ضمن الخط الأحمر، سوف يتحيّن فرصة مناسبة لمضايقة سكان البحرين، وقبل أن تتّخذ الأطراف المتضررة خطوات للقيام بعمل انتقامي، سوف تجعله يهرب خارج حدود الحرب الشرعية. كانت ضرورة ملحة، لذلك، أن توضع المسائل على مساراتها العادلة، وهذا ما لا يمكن إنجازه طالما كان يستقر على الساحل الفارسي، والسماح لشيخ البحرين أن يقتفي أثر عبد الله بن أحمد ومهاجمته إن التقى به. إن الصيغة الأولى تمَّ تبنّيها حيال عيسى بن طريف، زعيم العلي، والذي سعى إلى إقلاق راحة تُبع عبد الله بن أحمد في وقت كان هو شيخ البحرين عندما تمركز على الجزيرة التي كانت موقعها المعزول والسهولة التي تمكّنت فيها الطرادات البريطانية من الاقتراب من المكان، جعلت من عيسى بن طريف مضطراً إلى تقديم تبريرات، بينما في حالة ميناء نبند Nabend والذي كان الوصول إليه صعباً، ولم يكن محمياً من الرياح العاصفة، وكان يشكل جانباً هاماً من البر الرئيسي لفارس، لن يكون هناك من سبيل لمعاقبة المعتدين إلّا باللجوء إلى الحصار، أو بالاعتداء المباشر على الإقليم الفارسي، وذلك من خلال تدمير ناقلاته الموجودة على الشاطىء. لذا، قرر المندوب في حال قدم شيخ البحرين احتجاجاً، وفشلت النصائح لكبح الزعيم السابق، أن يرجعا إلى حكومة بومباي. في البداية حاول جاهداً، كإجراء احترازي، ومن خلال رسالة وجّهها إلى حاكم نبند Nabend أشار فيها إلى المخاطر التي سوف تنجم عن تعريض نفسه لهجمات من زعيم البحرين، إذا ما سمح لضيفه بأن يضايق سكان تلك الجزيرة، ليلجم النزعات

العدائيّة للشيخ عبد الله. كما أنه لم يكتب عبثاً، فقد استجاب له أحمد بن سيف، وبعث برسول إلى الشيخ محمد بن خليفة، يعتذر عن سلوك عبد الله بن أحمد، واعداً إياه أن يفعل ما بوسعه لكبحه. حتى تلك اللحظة كانت الأمور تسير بهدوء، لكن لم يكن في نية الزعيم السابق السماح لهم أن يقيّدوه، فقد دخل في حلف مع قبيلة بني مالك Malij، وكانوا في نزاع مع الشيخ أحمد بن سيف، وليظهر هذا الأخير كم كان يستخف بسلطته، أسرع في الاستيلاء على ناقلتين أخريين تابعتين للبحرين.

بعد أن استشاط الشيخ محمد بن خليفة غضباً من الإهانة التي لحقت به، وزاد في حنقه عدم تمكّنه من التعبير عن امتعاضه، أوفد شقيقه، الشيخ علي بن خليفة، إلى بوشهر Bushire بغية الدفاع عن قضيته لدى المندوب وطلب منه ممارسة ضغوط على الزعيم السابق أو أن يسمح له بالرد بنفسه. أُبلغ الشيخ علي أن رسالة ستنقل إلى عبد الله بن أحمد، جاء فيها ما لم يعيد جميع الغنائم التي سلبها، وما لم يمتنع عن أية أعمال عدوانية في المستقبل فإن عمليات الخط الأحمر سوف تعلّق في الحال، وسوف يترك تحت رحمة أشدّ أعدائه بأساً. في أثناء ذلك، وإلى أن يتلقى رداً على الاتصال السابق، يجب أن تبقى المسائل على حالها هذا. وبالمثل تمَّ إعلام المبعوث البريطاني في العاصمة بكل ما كان يجري، ومن خلال وساطته صدر أمر إلى أمير فارس «يوجّهه فيه بإجبار عبد الله بن أحمد بأن يعيد القوارب التي أخذها في البحرين، وبأن يتّخذ إجراءات لمنع أعمال الفوضى والاضطرابات التي تسيء إلى التجارة في الخليج». بعد أن رأى وبكل بساطة أن رفضه الالتزام بتوجيهات المندوب سوف يضر بمصالحه هو، أطلق الزعيم السابق تأكيداً شفوياً، أنه وطالما بقي ضمن مناطق جلالة الشاه، سوف يمتنع عن أية أعمال عدوانية على تجارة البحرين وأتباعها. بعد هذه النية المعلنة بوقت قصير، وجد الزعيم السابق نفسه مجبراً على الالتزام بها، ذلك أن الحكومة البريطانية وجّهت تعليمات صارمة إلى المندوب، تحثّه بأن يمنع عبد الله بن أحمد من ارتكاب أية اعتداءات على تراب البحرين أو على تجارتها، طالما كان مقيماً

في فارس، وأظهر عبد الله بن أحمد نفوره بأن يؤكد الوعد الذي أطلقه كتابة، وأرسلت على الفور ناقلة حربية لإبلاغه بأنه تحت السيطرة شاء ذلك أم أبى.

قبل أن نتابع سردنا هذا، نجد لزاماً علينا أن نصف قرصنة ارتكبها في بداية عام 1845 حمود بن مجدل، وهو من قبيلة العمايرة، وأن نروي الخطوات التي اتّخذت للحصول على التعويض من ذلك الزعيم الخارج عن القانون.

انطلقت ناقلة كاراك جارك Karrack تحت قيادة عبد الله، بعد أن حَمّلت شحنة من القمح في بندر ريق (ريج) Bunder Reig إلى القطيف. لدى دخوله رصد عبد الله ثلاثة بغلات [سفن] Buggalow قادمة باتجاهه، واحدة منها كانت تتقدم الأخريين، ووصلت إلى ناقلته، وبعد سلسلة من المناورات، صعد إلى متنها، وجعل منها غنيمته. رحبت البغلتان الأخريان، وهما تابعتان للكويت، بناقلة عبد الله في الوقت ذاته، بغية التأكد أي من قواربهم تمَّ الاستيلاء عليه، ليهدد بعد ذلك زعيم العمايرة بأن يقطع رؤوس رهائنه، إذا ما تجرؤوا على أن يتفوّهوا ولو بكلمة. بعد هذا الاعتداء بيومين «وصلوا إلى رأس بو علي، حيث رسوا ونهبوا وسلبوا بغلة [سفينة] Buggarah من كل شيء، الشحن، والأسلحة والملابس ما تصل قيمته إلى 1500 روبية محمد شاه، وعندما أعلن ناخوذة Nakhoda أن الأملاك التي كانوا يسلبونها تابعة لشخص يحميه البريطانيون، سخر منه حميد بن مجدل إلى درجة الاحتقار قائلاً: «ومن هم الإنكليز؟»».

بعد ذلك حرّر الطاقم الأسير، وسمح لهم مغادرة المكان في بغلاتهم Buggarah وشقوا طريقهم عائدين إلى جارك، ورووا هناك كل ما حدث لهم.

بعد أن أُجريت بعض التحقيقات، تأكد للمندوب أن زعيم العمايرة «بعد أن نقض عهود الصداقة مع ذلك الجناح من قبيلته» كان قد أُجبر، وقبل أن يتم ارتكاب القرصنة، على أن يهجر مقر إقامته، جزيرة بو علي، ويلجأ إلى أملاك الشيخ محمود بن خليفة، الذي عامله بود ولطف، وزوّده بالسلاح والذخائر. لم يكد يطل به المقام مع سيده الجديد، قبل أن يُعيد العلاقات مع عدد من

أتباعه، ويتجهوا إلى جزيرة صغيرة تدعى «غنى» Gunna، التي تقع قرب مرسى للسفن وتتوسط جزيرة بو علي وراس دريدا Draeeda. وهناك أقام، بالاعتماد على قوة مركزه، وأخذ يعبّر عن ازدراء كامل لأي مساعٍ يمكن أن يلجأ إليها الإنكليز بغية عقابه.

كانت القرصنة أعمالاً ذات طبيعة علنية ولا يمكن أن يتم التعامل معها برقة لكن «علينا أن نعترف بتسويات كانت تتم فيما يتصل بذلك». في شهر أيار، وتبعاً لذلك، أوفد المندوب مساعده الكابتن كيمبال، مع ناقلتين متخمتين بالخيالة إلى «غنى» Gunna، بغية الحصول على تعويض كامل من حميد بن مجدل. وانطلق الكومودور هاوكنز بنفسه، للإشراف على أي إجراءات يرتئيها الضابط، واشتركت اثنتان من البغلات Buggarah المحليتان مسلحتين بالكامل لمرافقة الحملة. عندما اقتربت القوة البحرية من وكر القراصنة، ودعي حميد بن مجدل لدفع التعويض على الجرائم التي ارتكبها، أرسل رداً متغطرساً يتحدّى فيه الآخرين، وأعلن عن لامبالاته الكاملة لأي خطط يمكن أن تفكر في تبنيها الناقلات البريطانية، وأخذ يستخدم عبارات طنانة يمتدح فيها الأعمال التي قام بها. على أي حال، سرعان ما أعاد الكومودور العازم والجريء الزعيم إلى رشده، ذلك أنه وبالرغم من قوة موقع هذا الأخير، وبالرغم من المياه الضحلة التي أحاطت به ـ وهذا ما جعل من الصعوبة بمكان وصول السفينة كوتي Coote من الاقتراب على بعد خمسة أميال، وحتى المركب كونستانس ذي الصاريين، وبعد أن شقّ طريقه عبر القناة المعقدة، بستة إنشات من الماء تحت كيلاتها Keels، لم تكن قادرة على أن تدخل في مدى إصابة مدافعها ـ حلّ الصباح وباتت البلدة وناقلات زعيم العمايرة، في مواجهة لصيقة مع خط مهول من قوارب المدفعية كان في وضعية القتال، على أهبّة الاستعداد لصبّ حممهم، إذا ما صدرت أي مقاومة، أو رفض دفع التعويض، وسرعان ما تحوّلت نبرة الاحتقار التي كان يبديها القرصان المتغطرس إلى خضوع تام. ومكث ينتظر الكابتن كيمبال، يتوسل

الرحمة، وانتهى به الأمر بتسليم جميع بغلاته[1] Buggalow، بوصف ذلك ضماناً للتعويضات التي سيدفعها.

وهكذا أفلحت العمليات ضد حميد بن مجدل، من دون خسائر في الأرواح، أو إراقة دماء، وبالرغم من أن ذلك لم يستغرق وقتاً طويلاً، إذا أخذنا في الحسبان درجة حرارة الشمس الملتهبة في شهر حزيران، والمخاطر التي يمكن أن تنجم عن ذلك فيما يتصل بتعرّض الناقلات وطواقمها لتلك الحرارة والتي لزام أن نقول بأنها جعلت من الحالة شاقة ومزعجة إلى درجة كبيرة.

نتحول الآن إلى الزعماء المتنافسين.

في تشرين الأول من عام 1845، وصلت رسالة إلى المندوب من عبد الله بن أحمد، يعلن فيها عن نيته ترك الساحل الفارسي، والانطلاق إلى القطيف، بغية تجديد الأعمال العدائية. كانت القطيف في تلك الفترة واقعة تحت سيطرة الحاكم الوهّابي، عبد الله بن سعيد، والذي بالرغم من أنه أبدى مشاعر الصداقة حيال شيوخ البحرين، عرف عنه بأنه يخطط سراً للهجوم على جزيرتهم. ولم يكن هذا ببعيد، فالزعيم السابق الذي تلقّى مؤخراً معلومات من الأمير الوهابي، دعي للانضمام إلى تسوية مع حاكم القطيف، وأن يعيد العلاقات مع جيرانه بغية المساعدة في إزاحة محمد بن خليفة. بدا أن سلوك عبد الله بن سعيد الذي ينم عن كياسة وإعلانه مشاعر الصداقة، أوقظ مخاوف زعيم العتوب، ودفعه إلى نشاط غير مسبوق، ذلك أنه لم يكتف برفض الاعتراف، على نحو قاطع، بصدق بمبادرات الصداقة التي بدأها الوهابيون، لكنه فرض حصاراً على موانىء القطيف وعجير (عقير) Oojeer. كما استخدم أيضاً حميد بن مجدل بوصفه تابعاً له، لمساعدته في مهمته، وهو إجراء غير

(1) استرد البغلات Buggallow في شهر تشرين الأول من عام 1845 بدفع 2,059 روبية محمد شاه بالعملة المعدنية، وإيداع مبلغ 141 روبية محمد شاه تعويضاً للأملاك.

حكيم وغير حصيف، ذلك أن شأن هذا الحليف، حميد بن مجدل، وبالرغم من خسته ودناءته، وبالرغم من استعداده لارتكاب أي شيء يطلب منه، لم يفشل في أن يقود رئيسه إلى حالة بالغة الصعوبة، إما من خلال أعمال العنف الفعلية التي ارتكبها ضد الأصدقاء، أو من خلال المقاومة المفاجئة لسلطة سيده. وبالفعل، عندما نتمعّن في دراسة شخصية الشيخ محمد بن خليفة، ونرصد نبرة سلوكه حيال من هم أدنى منه، لا نستطيع ساعتئذ أن نمتدح عدالته، ولا أن نعجب بسياسته. لقد رأيناه فيما سبق يغدق عدداً لا يحصى من الهدايا على حميد بن مجدل وهو شخص تحركه نوازع شريرة ويبدي استعداداً للتخلي عن قضيته لقاء أي شيء. في هذا الوقت ألفيناه يستقبل على نحو رسمي فاتر حليفاً قوياً وجديداً، يستحق صداقة متبادلة، وهنا أشير إلى عيسى بن طريف النبيل، لقد استقبله ببرود شديد حتى أننا صعقنا في واقع الأمر ودهشنا من ولاء هذا الأخير الذي ناصر به قضية سيده ولوقت طويل.

سنة 1846

بينما كانت الأمور على هذا الحال، اقترب عبد الله بن أحمد خلسة باتجاه القطيف، وبعد أن أنزل في رأس تنورة **Tanoorah** حمله برسائل إلى ابنه مبارك، وإلى عبد الله بن سعيد، يخبرهم فيها بأنه في الجوار، وبأن يكونوا على أهبّة الاستعداد من أجل المعركة. ووعدهم أن يخدع القوة التي كانت تفرض الحصار ويبعدها عن القطيف، من خلال الإيحاء لهم بأنه سيهاجم ناقلاتهم، واستمالتهم إلى مغادرة الميناء لملاحقته، في هذه اللحظة كان يأمل ألا يجد ابنه صعوبة في الهجوم على البحرين. كانت الخطة مقنعة، ولربما كانت لتنجح، لو لم تقع الرسائل التي كان من المفترض أنها سترسل إلى الحلفاء. فقد وقعت الرسائل في أيدي العمايرة الذين سلّموها إلى الشيخ علي بن خليفة، وكشفت عن المؤامرة التي هدفت للإطاحة بشقيقه. أجريت الاستعدادات على قدم وساق من دون أي تأخير بغية إحباط أي هجوم يمكن أن يقع على الجزيرة، وأرسلت الناقلات من دون حماية المرفأ، لتكمن

وتواجه الأسطول المتقدم لعبد الله بن أحمد. ظهر عبد الله بن أحمد في الوقت المتوقع، لكنه سرعان ما وجد نفسه مجبراً على الانسحاب، ذلك أنه أدرك وقبل أن يصل ميناء القطيف بوقت طويل أن ثمة استعدادات وتحركات عسكرية تبحر باتجاهه. والأمر كذلك، انسحب على جناح السرعة وأفلت من بين أعدائه. بعد أن وجد بأن خططه جميعها قد فشلت، قرر أن يزور الكويت، وهناك وصل إلى بر السلامة بعد أن أسر غوشه (سفينة) Gooncha تابعة للبحرين التقى بها في طريقه، عندما علم المندوب بما حدث، كتب إلى محمد بن خليفة، أن الحكومة البريطانية ستحمله مسؤولية أية أعمال قرصنة يرتكبها حميد بن مجدل ذلك أنه بات أحد أتباعه، ولذلك فهو خاضع لسلطته. كما خاطب شيخ الكويت معرباً عن أمله بأنه لن يسمح للزعيم السابق أن يقوم بأية اعتداءات على تجارة البحرين طالما هو باق في مقاطعته.

استمرّت الأحوال على هذا المنوال (كان الشيخ عبد الله قد استقر في الكويت، ومحمد بن خليفة لا يزال مستمراً في فرض حصاره على مينائي القطيف وعجير، حتى هلّ صيف 1846 حين وجه حاكم القطيف الوهابي رسالة بمنتهى الجرأة إلى المندوب، يطالبه فيها أن يتّخذ إجراءات ويطرد زعيم العمايرة من الموقع الذي نصّبه فيه، وأن يحثه على أن يعيد إليه السفن وخمسة مراكب أخرى تخص أهل القطيف كان قد استولى عليها، وإلّا فإنه سيعطي الضوء الأخضر لقبيلة بني هاجر وقبائل أخرى قراصنة لارتكاب أعمال قرصنة لا حدود لها. من خلال ردّه على التهديد الذي أسلفنا ذكره، زار طرادان بريطانيان عبد الله بن سعيد، في حركة ودّية تحذره من العقاب الذي يمكن أن يحيق به إذا ما تجرأ ونفّذ تهديده الوقح.

عند هذه النقطة، بدا أن الوزراء الفرس ميّالون من جديد لمؤازرة قضية عبد الله بن أحمد، ورغم الإلحاح الذي تلقوه بأن الحكومة البريطانية في الهند لن تنظر إلى أي تدخل من جانبهم بقضايا البحرين بعين الرضا، فإن الوصي على عرش فارس، مضى إلى أبعد من ذلك عندما دعى الزعيم السابق في

حزيران من عام 1846 للعودة إلى بوشهر وهناك دعاه إلى الإقامة في ضيافة سموّه إلى أن تنضج خططه، ويحين وقت المعركة. من الصعب القول سواء كان لدى جلالة الشاه نية في إحياء حق بالسيادة على البحرين، أم أن الوصي على عرش فارس كان قد دعا الزعيم السابق على أمل أن يكون قادراً على أن يعرف منه مقدار الجزية، كما أنه أيضاً من المنحى الذي أخذته الأحداث، ثمة مسألة، وهي أن عبد الله بن أحمد الذي تأثر من دون شك بالاستقبال والحفاوة التي لقيها من الشيخ جابر (زعيم الكويت)، ومدعوماً ربما بأمل على الحصول المساعدة من ذلك الزعيم، لم يبد ميلاً في أن يثق في حماية الفرس له من جديد، وكان يعرف بأنهم لن يستطيعوا دعمه ولن يفعلوا ذلك. لذلك، وفي آب من عام 1846، رفض تلبية الدعوى التي تلقاها على نحو لبق، وطلب المغادرة ليخبر سموه من أن تعقيداً في الظروف منعه من أن يستفيد من العون والضيافة التي قوبل بها.

في شهر أيلول من عام 1846 وبعد وقت قصير من رفضه الدعوة، زار المناطق المجاورة للقطيف، واتخذ مقراً له بجوار الدمام. سبّب ظهوره المفاجىء من جديد حصاراً على ميناء القطيف، الذي شهد في الآونة الأخيرة حقبة مريحة، ليخضع بعدها إلى ضغوطات من جديد ما أدّى إلى اشتباكين بين القوى البرية للشيخ محمد بن خليفة وحاكم القطيف، حيث لم يشترك الزعيم السابق فيهما شخصياً. انتهى الاشتباكان لصالح الفريقين المتحاربين، حيث لا غالب ولا مغلوب. تقدم كلا الطرفين إلى المندوب للسماح لهما بدعوة حلفائهما للانضمام لهم، لكن المندوب رفض الاستجابة لطلبهما. في البداية تقدم حاكم القطيف في شهر تشرين الأول من عام 1846 بطلب للمقيم للسماح لزعماء البحر من عمان لمد يد العون إليه من خلال قواتهم البحرية ضد محمد بن خليفة. وبالطبع لم يكن من الممكن أن يوافق المندوب على طلبه، فقد عدّت الحكومة البريطانية جميع الزعماء مستقلين، كما أن جميعهم كانوا أطرافاً في معاهدات، وبذلك فإن كلّاً منهم ألزم نفسه بالحفاظ على السلام، وبعدم تعكير صفو الهدوء في المياه. بات الآن من الواضح أنه إذا

أراد أي فريق أن يلتحم مع حاكم القطيف، والفريق آخر مع شيخ البحرين، وهذا ما أثبتت صحته، فإن الحرب ستندلع فيما بينهم، وبالتالي ستخلق حالة من الفوضى في المياه. بناء على تلك المعطيات رفض المندوب أن يسمح لأي من الشيوخ بأن ينطلقوا لمساعدة عبد الله بن سعيد، وللأسباب ذاتها أيضاً، تمَّ رفض طلب تقدم به الشيخ محمد بن خليفة بعد وقت قصير، عندما طلب مساعدة شيخ دبي في تشرين الثاني من عام 1846.

في بداية السنة اللاحقة أي في عام 1847، وفي وقت عندما كان فيه عبد الله بن أحمد يقيم في تاروت Tirhoot، من دون أتباعه، وكانت الحرب لا تزال متأججة بين القطيف والبحرين، حدث نزاع فيما بين الشيخ محمد بن خليفة وزعيم العمايرة، انتهى بانسحاب كامل لهذا الأخير من سلطة سيده. مضى بعض الأعيان إلى نجد ليصلحوا ذات البين مع الحاكم الوهّابي، وافتتح آخرون اتصالات مع حاكم القطيف بغية إرساء مصالحة معه، وفي الواقع فإن كل قبيلة العمايرة تخلّت عن قضية زعيم البحرين، ووحدت نفسها مع الوهابيين ما دفع محمد بن خليفة ليتوجّه إلى المندوب يبلغه أن حمد[1] بن مجدل قد تخلّى عن حلفائه، ولم يعد بالإمكان أن يتحمل أي مسؤولية لأي من الاعتداءات التي يمكن أن يرتكبها ذلك الزعيم (حمد بن مجدل).

بعد ذلك بوقت، في شهر آب أي في موسم الصيد، تمَّ الدخول في اتفاق ودّي بين الأمير فيصل وحاكم البحرين الذي تعهد الأمير من خلال بنود ذلك الاتفاق، رغم أنه وضع عبد الله بن أحمد تحت حمايته، ومنحه ملجأ في لحسا (الإحساء)، بعدم مدّ العون وعدم تحريض الزعيم السابق على القيام بأي أعمال يمكن أن يتبناها فيما يتّصل بإعادة ترسيخ سلطته. أما الشيخ محمد بن

---

(1) يعود أصل حمد بن مجدل ـ وليس حميد بن مجدل حيث إن حميد غير شائع بين عرب ساحل الخليج ـ إلى بني خالد حيث يذكر أنه حمد بن مجدل بن درباس بن مانع بن حمد المجدل شيخ العماير من بني خالد ـ المصدر شبكة طعس العربية (شبّر).

خليفة فقد تعهّد من جانبه بدفع مبلغ أربعة آلاف دولار للوهابيين، وبهذا ينهي حقبة من الزمن طال فيها النزاع بين شيخ البحرين والأمير فيصل.

رغم ذلك، لم يكد عبد الله بن أحمد يستقر في لحسا (الإحساء)، منضوياً تحت جناح الأمير حتى بدأت روحه العدائية الساخطة تصرخ من جديد تتوق إلى العودة إلى سابق عهدها. فجأة ترك المكان، وعاد إلى الدمام وانطلق إلى واحدة من سفنه، مع نية الذهاب إلى كين، بغية الدخول في اتحاد مع العتوب الساخطين في تلك الجزيرة ضد محمد بن خليفة. وسرعان ما برزت مخاوف هذا الأخير، فقد سيطر عليه القلق، وبدأت تلاحقه صور الهجمات والمؤامرات التي تُحاك للتخلص منه، ولم تنتف تلك المخاوف بالردة المفاجئة لتابعه، عيسى بن طريف، الذي استاء من بعض الإجراءات التي قام بها سيده، شكّل حلفاً مع «عدوه السابق اللدود، الزعيم السابق، وطلب من الشيخ محمود بن خليفة استعادة الناقلات وأملاك عمه الأكبر الشيخ عبد الله بن أحمد».

جرت الاستعدادت على قدم وساق من قبل كلا الطرفين بغية اللجوء على نحو فوري للأعمال العدائية في البحر، وكان لا بد من حدوث الصدام، لولا وصول الكومودور لوي على السفينة إلفينستون، والذي منع أي اشتباك في البحر إلى حين الحصول على مصادقة وموافقة من المندوب. وفي الوقت المناسب منح المندوب الإذن ببدء المعارك، وبالفعل اشتعل القتال من جديد. بدأت معركة في البر قرب فوارط Fowarit بين قوات عيسى بن طريف وقوات الشيخ محمد بن خليفة. انتهت المعركة بهزيمة ودمار كاملين لقبيلة العلي التي خسرت زعيمها. أياً كانت مشاهد الانتصار والنجاح التي كانت حتى تلك اللحظة لصالح عبد الله بن أحمد، لا بد وأنها ذبلت تماماً الآن، ذلك أنه لم يحرم فقط من خدمات حليفه القوي والقادر من خلال موت عيسى بن طريف، لكنه خرق تعهّده للمقيم أيضاً، وذلك من خلال انطلاقه إلى الساحل الفارسي

بحثاً عن تعزيزات، وبتلك الوسيلة تخلّى عن كل حق في متابعة حربه ضد البحرين، وجعل ناقلاته عرضة لهجوم الطرادات البريطانية.

سابقاً على المعركة التي أشرنا إليها سابقاً، عبّر الشيخ محمد بن خليفة للمقيم عن خوفه من هجوم تتعرض له جزيرته على أيدي زعماء متحالفين، وطلب أن يسمح له أن ينطلق ضد العتوب المتمركزين في جزيرة قيس Ges وأن يعيدهم إلى حظيرته من جديد، أو أن يضمن له المندوب بأن تمنع الحكومة البريطانية أي اعتداء على أملاكه من طرف أعدائه. تلك كانت مسائل على جانب كبير من الأهمية، من وجهة نظر المندوب، ولا يمكن البتّ فيها من دون اللجوء إلى نصح واستشارة سلطة أعلى منه، لذا فقد أحيلت إلى الحكومة بغية النظر فيها، والتي كان ردّها عبارة عن تعليمات، أنه في حال القيام بأي محاولات تستهدف البحرين، فستقاومه القوة البحرية في الخليج. إن معلومات على جانب كبير من الأهمية تقع في مصلحة زعيم البحرين، لم يكن من الصواب نشرها، ذلك أن الشيخ محمد بن خليفة، تحرر من مخاوفه من جديد بموت عيسى بن طريف، ومن خلال الفشل الذريع لمحاولات عبد الله بن أحمد لحث لاجئي العتوب في قيس Ges على مناصرة قضيته، فقد ساد الاعتقاد أنه وفي اللحظة التي يطمئن فيها إلى دعم البريطانيين له ساعة الخطر، فسوف تهدأ مخاوفه ويركن إلى حالة من السلامة والهدوء، ويكفّ عن القلق الذي يمكن أن يدفعه إلى تبنّي إجراءات ضرورية دفاعاً عن أقاليمه.

وصلنا الآن إلى نقطة بات فيها سردنا للأحداث أكثر إمتاعاً وتشويقاً.

بدت جزيرة البحرين الصغيرة والخصبة بأنها تستثير وفي مختلف الفصول والمواسم مطامع وشهوات أمم من صيادي اللؤلؤ. فقد أظهر جلالة الشاه، أو من يقع في سلطانه، كما رأينا سابقاً، في مناسبتين منفصلتين نزوعاً لتأكيد حقه على سيادة البحرين. وكان إمام مسقط توّاقاً ومنذ عهد بعيد إلى السيطرة على تلك البقعة الخصبة، وألفينا الآن أن السلطات التركية تتآمر وتسعى إلى تحريض الشيخ محمد بن خليفة أن يتخلّى عن استقلاله وأن يعلن تحالفه مع

الباب العالي. وُجهت رسالة إلى محمد بن خليفة يدعوه للاعتراف بتبعيته إلى السلطان، وبأن «يزوّده بقائمة بناقلاته وطواقمه بغية تجهيز السجلات الأساسية وإرسالها». زار مركب شراعي تركي بصاريين الخليج، ورغم أنه لم يتوجه إلى البحرين، وربما من الأفضل له أنه أخفى توجهه، بدا بأن محاولات كان يقوم بها الباب العالي لمدّ نفوذه وسيطرته على القبائل العربية في الخليج. أرسل الشيخ محمد بن خليفة، رداً مراوغاً على الاتصال الذي تلقاه من متسلم البصرة، رغم ذلك، من نبرة الحديث الذي جرى بينه وبين المندوب، تذمر من أن مكوساً مضاعفة قد أُخذت من ناقلات أتباعه، ورعاياه من سلطات الجمارك في بومباي، وأردف أن ناقلات وسفن أولئك الذين تحالفوا مع الشاه أو مع إمام مسقط، لم تفرض عليها مثل هذه المكوس، وبأنه إن لم تمتنع السلطات البريطانية عن فرض ضرائب إضافية ورسوماً جمركية على شعبه، سيكون مجبراً على أن **يحذو حذو شيخ الكويت، وأن يضع نفسه تحت إمرة الباب العالي**، وبدا جلياً، إن رغبت الحكومة البريطانية في الهند في الحفاظ على أكبر نفوذ لها في مياه الخليج، عليها أن تتبنى إجراءات تصحح فيها الأخطاء الراهنة، من خلال التوصل إلى تفاهمات سريعة مع زعيم البحرين. لقد فرضت رسوم الميناء التي أشار إليها الشيخ محمد بن خليفة نتيجة عدم حصول ناقلاته على أذون المرور الأساسية، لإظهار مدى عدم رغبة السلطات البريطانية في إبعاده أو إيذاء مشاعره، فقد أُعيدت المبالغ إليه، وتمَّ إبلاغه أنه وفي المستقبل يجب أن تُزوّد جميع ناقلات البحرين التي تغادر الخليج بسجلات يوقعها المندوب «وإلّا فإنهم سيعرضون أنفسهم إلى مكوس إضافية تقتطع من الناقلات الأجنبية التي تدخل ميناء بومباي».

كما أن تعليمات صدرت للمقيم تقضي بأن يتحقق من مشاعر الشيخ محمد بن خليفة وإن كان ميالاً للدخول في ارتباط وثيق مع البريطانيين، وأيضاً لتفادي جميع الحوارات مع السلطات التركية فيما يتّصل بخططهم التي تهدف إلى توطيد سيادتهم على الجزيرة، بما أن هذا الموضوع قد أُحيل من أجل البتّ فيه من قبل السلطات في الوطن.

كتب القنصل الفارسي في بغداد رسائل قوية النبرة يشجّع فيها عبد الله بن أحمد، ويؤكد له دعم الشاه إزاء إعادة ترسيخ سلطته في مناطقه التي خسرها، ويرجوه أن يستعدّ لتنفيذ الخطط التي يدرسها، مهما كانت درجة خطورتها، ومهما كانت كبيرة، فالمساعدة التي ستأتيه من فارس ستكون هائلة، وسوف تحظى بقبوله بكل تأكيد. ثمة رسالة أخرى وجّهها القنصل ذاته إلى شيخ الجزيرة زخرت بتأكيدات وتطمينات كاذبة حملت في طياتها مشاعر الودّ التي يكنّها جلالة الشاه، رسالة أراد بها القنصل خدعة تعمي بصيرة الشيخ محمد بن خليفة.

تمّ توضيح هذه الهجمات على استقلال البحرين للوكيل السياسي في جزيرة العرب التركية، والذي كتب في ردّه بأن ميرزا جبار (القنصل الفارسي في بغداد)، وبتجاهل تام للعلاقات الكائنة بين حاكم البحرين والحكومة البريطانية، اعتقد بأنها قضية واجب من طرفه ليقوم ما بوسعه لتعزيز آراء عبد الله بن أحمد، الذي ومن اليوم الأول لسقوطه عومل باحترام بالغ من قبل الحكومة الفارسية، لكنه بات الآن مدركاً لمدى اهتمام البريطانيين بالبحرين، وسوف يمتنع عن أي تدخل بشؤون الجزيرة. لم تمض شهور على ما حدث، حتى عبّر الشيخ محمد بن خليفة عن رغبته للمقيم بأن على بريطانيا أن تضع البحرين تحت وصايتها. أما المندوب، الذي دعي لإعطاء وجهة نظره فيما يتّصل بمدى صحة الفكرة، أو فيما يتّصل بالدخول في حلف مع حكّام تلك الجزيرة، مال في البداية لأن يقف ضد هذا الإجراء، لكن العرض التلقائي للّواء بات الخيار الذي يفضله الشيخ محمد بن خليفة، مقترناً بظروف أخرى، قاد ذلك الضابط إلى تغيير وجهة نظره، ولأن ينصح بقبول فوري للعرض الذي أطلقه ذلك الزعيم. بعد التفكير ملياً، وبعد أن ارتأت الحكومة الهندية أنه من غير الملائم إجراء أية تغييرات في طبيعة العلاقات القائمة بين الحكومة البريطانية وزعيم البحرين وحكومة الوطن التي تتفق في وجهة النظر هذه، صدرت توجيهات للمقيم في بوشهر في أيلول من عام 1849 لرفض لطلب زعيم البحرين، مؤكدين له في الوقت ذاته استمرار العلاقات الودّية والطيبة من

جانب الحكومة البريطانية. وبهذه الطريقة أنهي جدال طويل استمر لأكثر من عامين، مع الإبقاء على احترام حلف مع شيخ البحرين.

ثمة أحداث جدير ذكرها، تمَّ تجاهلها بمقتضيات الضرورة خلال سردنا لأحداث أخرى استحوذت على انتباهنا، لكن إيجازها لزام قبل أن نأتي إلى الأحداث المستقبلية.

في نهاية العام السابق، قام الشيخ محمد بن خليفة بمحاولة لم تنجح لحث شيخ جارك (تشارك) Charrak على طرد اللاجئين البحرينيين من كين Kenn. كما أن سلوكه لم يكن مناسباً في قضية تتصل بأحد أفراد عائلة الخليفة من قبيلة القبيسات كان قد ارتكب عدداً من أعمال القرصنة، من بينها هجوم على ناقلة تخص رعاياه، والذي بالرغم من أن الشيخ احتجزه لبعض الوقت، عندما أُطلق سراح الوكيل البريطاني أخيراً، قبل وصول رد على تلميح إلى الموضوع صدر عن حاجي جاسم. هذا الإجراء الذي هو في واقع الأمر، مجرد انتهاك مباشر لاتفاقية تمّ دخولها مع الوكيل البريطاني، شجبه الكولونيل هينيل وبشدّة، ما أدّى إلى اعتذار شديد من جانب الشيخ عن سلوكه المشين، والذي أطلق وعداً بأن سوف يبذل قصارى جهده ليقبض على خليفة وناقلته ويحجزهما.

ومن اليوم الذي تقلّد فيه الشيخ محمد بن خليفة مقاليد الحكم، بدأت المخاوف والآمال تتلاشى، لكنه لم يكد يتخلص من وطأة قلق أو كارثة وشيكة حتى تجمّعت الغيوم من جديد، وأحاقت به مشكلات جديدة.

في ذلك الوقت توفي في مسقط عبد الله بن أحمد، الذي مرّ في ذلك الميناء في طريقه إلى زنجبار، حيث كان متّجهاً في زيارة إلى عدوه اللدود في السابق إمام مسقط، وكان يأمل أن يتمكّن من إقناع سموّه بمد يد العون له في استعادة أملاكه التي ضاعت. شأن هذا الحدث، دفع ومن دون ريب، إلى تبديد مخاوف الشيخ محمد بن خليفة. رغم ذلك لم يستمر هذا الارتياح طويلاً، ذلك أن أربعة من كبار تجّار جزيرة البحرين، سئموا كما أُفيد، من

إجراءات الشيخ العشوائية، ما جعلهم يهربون سراً في كانون الثاني عام 1849 إلى الساحل الفارسي، ويستقرون في جزيرة كين ويجدون أنفسهم ضد العتوب الساخطين، الذين كانوا أقوياء عدداً وعدّة، بما أن أطرافاً لها ثقلها ووزنها شأن هؤلاء، باتوا يشكلون أعداء مهولين، وتزايد خوف الشيخ إلى درجة كبيرة ما جعله يوفد شقيقه الشيخ علي إلى بوشهر، لطلب المساعدة والنصح من المندوب. أبلغ الشيخ علي لدى وصوله، أنه وبالرغم من أن الحكومة البريطانية لن تسمح لحملة أن تنظم انطلاقاً من الساحل الفارسي بغية الهجوم على البحرين، وبأن الطرادات البحرية سوف تسيطر أو تدمّر أياً من الناقلات المسلحة التي تكتشف بأنها تنطلق بمثل هذه النية، رغم ذلك، تعالت صيحات عديدة طلباً لخدمات هذه الناقلات، فقد كان من الملحّ أن يبقي الشيخ محمد عيناً ساهرة، وأن يستعدّ لصدّ أي هجوم مفاجىء يمكن أن تتعرض له مناطقه أثناء تغيّب السفن الحربية. كما نصحه المندوب بأن يناضل، من خلال إجراءات استرضائية يحثّ فيها من انسحب على العودة ويستقر في الجزيرة. إلى أي مدى استجاب إلى نصيحة المندوب بقي طي الكتمان، لكن من خلال تدخل ذلك الضابط أرسيت مصالحة بعد ذلك بين شيخ البحرين ويوسف بن إبراهيم، أكثر التجار الأربعة نفوذاً الذين هجروا الجزيرة. نُقل هذا الشخص مع اثنين آخرين من الذين انسحبوا (وهما الشيخ محمد بن سعيد والشيخ جاسم بن محمد) إلى البحرين على متن ناقلة بريطانية، وبعد نقاش وتردد، تمّت تسوية المسائل على نحو ودّي في حزيران من عام 1849 بينهم وبين الشيخ محمد بن خليفة.

في العام التالي (1850) حدثت قرصنة قام بها بعض من بدو قبيلة الهواجر على غونشا (سفينة) تابع لمنطقة جارك (تشارك). وفي نهاية شهر حزيران «غادرت الناقلة الأخيرة جارك (تشارك) مع طاقم يتألف من ستة رجال، وشحنة من القمح والشعير، إلى القطيف». ولدى وصولها قبالة رأس تنورة، هاجمت مجموعة تتألف من ستة وعشرين رجلاً من قبيلة الهواجر، نوخذة عبد الرحمن على حين غرة كانوا عائدين من ديارهم في بوغارا تابعة

للبحرين، وبعد مقاومة، أجبرت الناقلة على الاستسلام وبات طاقمها تحت رحمة القراصنة الذين أخذوهم إلى اليابسة وجرّدوهم من كل ما يملكون.

كان المندوب قد حذر زعيم البحرين مراراً، من أن الحكومة البريطانية ستحمّله تبعات ومسؤولية أي قرصنة يقوم بها بدو قبيلة الهواجر، ذلك أنه لم يكن مرتبطاً بهم من خلال الزواج، بل سمح لهم أن يترددوا إلى البحرين بأعداد كبيرة، وعلاوة على ذلك فقد أُشيع عنه أنه كان يشجعهم سراً على مواصلة انتهاكاتهم. وبحسب ذلك فقد فرض على الشيخ محمد بن خليفة دفع مبلغ 100 تومان كتعويض للنوخذة وطاقمه، وصدرت تعليمات إلى الكومودور بورتر للاتصال بذلك الزعيم، وحثّه على ضرورة الاستجابة الفورية لطلبات المندوب. في تلك المناسبة لم يكن من الضروري اللجوء إلى إجراءات عنيفة، ذلك أنه وبالرغم من التأكيدات المتواصلة للشيخ محمد بن خليفة، بأنه لا يعد نفسه مسؤولاً عن أفعال قبيلة الهواجر، فقد دفع مبلغ التعويض من دون أن يعترض، وبهذا أسرع في تسوية الأمر.

لم يكد الشيخ محمد بن خليفة يسوي المسألة، من الواضح أنه فعل ذلك برغبة أقل مما كان معتاداً على أن يظهرها في حالات كان يطالب فيها بتعويضات مماثلة، حتى أقحم نفسه فجأة في تطرّف آخر وتبنّى نهجاً متغطرساً وغير مبرر حيال الحكومة البريطانية. تلقى عدداً من الرسائل من المندوب فيما يتصل ببعض الشكاوى كان قد قدمها إلى الوكيل البريطاني تتعلق بموت أحد رعاياه، وأساء إلى مضامين تلك الاتصالات، من خلال رسائل إلى الكولونيل هينيل، عبر حاجي جاسم «امتلأت عبارات مهينة وغير لائقة» ليس بحق الكولونيل هينيل فقط، بل بحق الحكومة البريطانية أيضاً. طولب الشيخ بتفسير لتصرفه هذا وأرسلت ناقلة حربية لهذا الغرض. نادماً على رعونته تلك أوفد الشيخ محمد شقيقه الشيخ علي، إلى بوشهر يقدم أشدّ الاعتذار، ويطلب الصفح من المندوب. وبالفعل أعلن هذا الأخير عن رغبته في الصفح عنه في شهر تشرين الأول من عام 1850 فيما يتصل بالإساءات التي وجّهت إلى

شخصه، أما فيما يتصل بالعبارات التي وجهها الشيخ محمد بن خليفة بحق الحكومة البريطانية وبحقه، فقد عَدّ الكولونيل هينيل، أن الأمر يعود إلى كرامة الحكومة البريطانية، ذلك أنه وفي أول مناسبة يتوجّه فيها الكومودور إلى البحرين على زعيم العتوب أن يزوره على متن سفينته، ويعبّر عن أسفه الشخصي عن كل شيء صدر عنه في لحظة طيش، وعلى هذا الاقتراح وافق الشيخ علي نيابة عن شقيقه».

الآن بتنا في عشية أحداث جسيمة، ذلك أن الاضطرابات عادت لتظهر من جديد بين الشيخ محمد بن خليفة والأمير الوهابي. وظهرت مضاعفات وتعقيدات الحالة، فقد نجم عنها مشكلات جديدة اتّخذت أشكالاً جديدة وعنيفة ذات طبيعة خطرة في ذلك الوقت، فقد اهتزّت جزيرة البحرين، وغدا سقوطها كضحية للهجمات المشتركة على استقلالها وشيكاً.

قبل ثلاث سنوات أُرسي سلام سوف يبقى في الذاكرة، بين زعيم العتوب والأمير فيصل. اتخذ هذا السلام نهجاً سلساً من دون أي عوائق، وقد ألزم كل فريق نفسه ببنود السلام حتى وقتنا الراهن، إلى أن برزت مشكلة صيادي اللؤلؤ لتولّد إحساساً بالغيرة والعداء، والذي أدّى بعد وقت قصير إلى قطع للعلاقات.

في شهر نيسان من عام 1850 مضى سعود بن مطلق إلى منطقة تجاور البحرين، ولدى وصوله أوفد ابنه في زيارة إلى الشيخ محمد بن خليفة، الذي استقبل ضيفه ببرود شديد، وتركه يغادر الجزيرة من دون أن يظهر له أي احترام. بالرغم من التصرف الأحمق الذي صدر عن الشيخ محمد بن خليفة، ومن إمكانية أن ينجم عنه نتائج خطيرة، لا نستطيع أن نلومه على تصرفه هذا، ذلك أنه وقبل وقت قصير من هذا، أرسل الأمير فيصل محمد بن عبد الرحيم في مهمة إلى الشيخ محمد بن خليفة، وتركّز اهتمام كبير وعناية قصوى بالرسول الذي غادر البحرين محمّلاً بالهدايا، وبتيه المعاملة التي قوبل بها. عندما عاد إلى القطيف جُرد من جميع الهدايا التي تلقّاها، ومن الاهتمام الذي

قُوبل به، وبأمر من الأمير وضعوا محمد بن عبد الرحيم في السجن بسبب قبوله ما سلف ذكره. لذلك لم يكن من الممكن، أن الشيخ محمد بن خليفة، بعد تلك الإهانات التي وُجّهت إليه ومرغت بالأرض كرامته أن يستقبل أشخاصاً يرسلهم الوهّابيون إلى جزيرته بعد الآن. احتجّ الشيخ محمد بن خليفة بعد أن تعرّض لتلك الإهانات بقوة للأمير وذهب إلى أبعد من ذلك حين هدد بفرض حصار على القطيف ما لم يتم إطلاق سراح الرسول الذي تسبب الشيخ في سجنه وعلى الفور، وما لم تقدم اعتذارات مناسبة على التصرفات غير المبررة التي صدرت عن الأمير.

كان هذا هو الحال في ربيع 1850 وبقي الأمر كذلك حتى بداية العام التالي، عندما بدأت المخاطر تزداد، وأخذ الشيخ محمد يخشى على سلامة مناطق نفوذه. وصل الأمير فيصل على بعد محطتين من بلدة البدع، هجر سكان البلدات التي تقع على الساحل القطري (فواريط Fuwarit والوكرة Wukra والدوحة Doah) جانب حاكم البحرين، ومضوا إلى الجانب الوهابي، فشلت المفاوضات التي استمرّت لوقت طويل، عبر تدخل المندوب، لحثّ أبناء الزعيم السابق للقبول بحصة سنوية وأن يبقى بأمان وسلام على جزيرة كين. وبالفعل وصلت الأمور في شهر تموز إلى أزمة وشيكة. عرض الشيخ محمد بن خليفة، وذلك خلافاً لرأيه السديد، على الأمير تسوية الأمور العالقة، وذلك من خلال دفع جزية سنوية صغيرة، لكن هذا العرض رفض باحتقار بالغ، ودعي أبناء الزعيم السابق لترك الساحل الفارسي، والانضمام إلى الزعيم الوهّابي. لا نرى ضرورة للخوض في تفاصيل هذه القضية، بل يكفي أن نقول إنه وفي نهاية شهر تموز من عام 1851، أرسي السلام، عبر النوايا الطيبة للشيخ سعود بن طحنون، بين الأمير فيصل والشيخ محمد بن خليفة. وأُعيد حصن بيدا أيضاً إلى الشيخ محمد بن خليفة، وعاد الأمير الوهّابي إلى لحسا (الإحساء).

ما تبقى من روايتنا، رغم أنها تمتد لفترة تقارب العامين، يمكن أن

نختصرها بقليل من كلمات. فهي بالكاد تحتوي على جديد، بل هي تكرار لمشاهد قديمة ومخاوف أقدم. فلدينا إنزال البتيلات [سفن] إلى المياه وتوقع الهجمات، وطلب نصح المندوب، والتحدث عنه بانتقاص لأنه يسدي النصح، واضطهاد الرعايا، وهروب المضطهدين، وإيفاد الرسل، المفوضين بسلطات كاملة لإرساء الاتفاقيات، وعودة الرسل من مهامهم كي يلاموا بعد ذلك على الاتفاقيات التي أبرموها، هذا كله كان يشكل طبيعة أفعال الشيخ محمد بن خليفة خلال ما تبقى من سردنا هذا، وبعد أن خضنا بتفاصيل كاملة فيما يتّصل بما حدث خلال صراعه الأخير مع الوهابيين، ومع أعداء آخرين، وبما أننا سنتعامل بشكل رئيس مع الأعداء ذاتهم، لا نرى ضرورة أن نقوم سوى بوصف موجز جداً لبعض الأحداث التي بقيت من دون سرد.

كان السلام الذي أرسي خلال صيف عام 1851 مهدداً بخطر اندلاع الاضطرابات من جديد في بداية السنة اللاحقة (1852) بسبب السلوك المتهور للشيخ محمد بن خليفة الذي بدأ يرفع صوته متذمراً منددا بمرارة بالأمير فيصل بسبب توطين هذا الأخير لأبناء عبد الله بن أحمد الذين نجوا في جزيرة الدمام. وقال بأنه لن يبدد قرشاً واحداً من الجزية، كما لن يسمح لأقاربه أو للوهابيين أن يعبثوا به. بدأت الأمور تتّخذ لبوس اضطرابات من جديد، والتي ستثبت في النهاية خطورتها، ما لم ينصحه الكابتن كيمبال، المندوب الفعلي، وبشدة على تبنّي نبرة تهدئة بغية تحييد الوهّابيين من دون أن يتحداهم. «وبذل شقيقه الشيخ علي، وهو زعيم بكل ما في الكلمة من معنى، بالإضافة إلى أنه أكثر حكمة واعتدالاً منه، كل ما بوسعه لكبحه، وأفلح في إقناعه بأن يدفع ما ترتب عليه من الجزية، التي باتت مستحقة، وأوفد شخصاً من جانب الأمير كي يأخذها. هدأت العاصفة ومرّت بسلام، وأظهر شيخ العتوب تعقلاً وحذراً. أوفد شيخ العتوب رسلاً إلى بوشهر ليبث إلى المندوب مخاوف كان يشعر بها بأن ائتلافاً قوياً كان يشكل في السر ضده، وبأن إمام مسقط كان يخطط للهجوم على جزيرته، وبأن الشيخ سعود بن طحنون، والذي لم يكن قد انقضى وقت طويل مذ كان حليفاً، كما أن أقرباءه المتمردين كانوا جميعهم

على استعداد للانضمام إلى ذلك الحلف لضمان سقوطه. أفلح الكابتن كيمبال من خلال تدابيره الذكية أن يبدد مخاوف شيخ العتوب، لكنه نصحه في الوقت ذاته بألا يستكين وبأن يدافع عن أقاليمه، وبأنه بالفعل لا يخشى من أن تظهر شأن تلك الاحتمالات التي ذكرناها، رغم ذلك كان مجبراً إلى حد بعيد لأن يتجهّز لصدّ أي اعتداء مباغت يمكن أن تتعرض له أقاليمه.

كما عرض الرسل الذين أرسلهم، قضايا أخرى، وأعادوا إحياء موضوع التسوية المقترحة بين الشيخ محمد بن خليفة، وأبناء الزعيم السابق، كما التمسوا مساعي المندوب لحث يوسف بن إبراهيم للعودة والإقامة بينهم في الجزيرة.

وفي ردّه بدأ الكابتن كيمبال بالتعبير عن دهشته واستغرابه للتعامل الذي لقيه مؤخراً من قبل زعيم البحرين. وكما عبّر عن ذلك الكابتن كيمبال فإن شيخ العتوب، توسّل إليه والتمس وساطته لتهدئة الأمور ودياً بين أقربائه المتمردين، كما أنه استخدم عبارات، بحضور الوكيل البريطاني، مهينة ولا مبرر لها بحق ممثل السلطة البريطانية.

دعونا نلخّص بكلمات قليلة ما حدث: قدم الشيخ علي، وهو آخر الموفدين نفوذاً وتأثيراً، وبعد أن تمَّ تذكيره باللغة المهينة التي استخدمها شقيقه شيخ العتوب، وثيقة مكتوبة محدداً أن شقيقه الشيخ محمد يوافق على أي شرط، وبأنه سيسمح لأقربائه أن يقيموا في أي مكان، كما رجا المندوب أن ينسى الماضي، وأن يقبل بأن يكون وقوفه لصالح شقيقه.

وافق الكابتن كيمبال، بالرغم من تمرد الشيخ محمد بن خليفة آخذاً بالحسبان مصلحة السلام التي ستنجم من خلال تهدئة الأمور ودياً، على إعلان مشاعر أبناء الزعيم الراحل عبد الله بن أحمد، وأن يجري الاستعدادات، إذا كان ذلك ممكناً من دون مفاوضات أو تعاون الحكومة البريطانية. لم يكد شيخ العتوب يتأكد من تفاصيل اللقاء الذي تمَّ بين شقيقه والمندوب، ويطّلع على نتيجة المهمة التي كللت بالنجاح، حتى أظهر ميلاً للانسحاب من الشروط التي

تمَّ الاتفاق بشأنها. وبالطبع لا نرى ضرورة أن نضيف بأنه وفي النهاية لم يتم الاتفاق بشأن التسوية، فقد استمر أبناء الراحل عبد الله بن أحمد في الإقامة في الدمام، حيث استضافهم الحاكم الوهّابي ووضعهم على أكفّ الراحة.

بقي أن نضيف نقطة أخرى. فقد رفض يوسف بن إبراهيم العودة إلى دياره ما لم يحصل على وعد من المندوب «بأن يحميه من أي مضايقات في المستقبل»، وبما أن الكابتن كيمبال لم يكن ليقبل على الإطلاق بمثل هذا المقترح، فقد تخلّى عن فكرة العودة نهائياً.

بقي الشيخ يوسف في بوشهر لبعض الوقت، ليغادر بعد ذلك إلى لنجة، حيث وقع فريسة المرض وتوفي هناك في صيف عام 1853.

العتوب[1]

مفردها «عتبي» Atbi وهي القبيلة الحاكمة في إمارة البحرين، والمتميزة عن القبائل الأخرى، ويقال إنها أقواهم عدداً، وتنتمي العائلة الحاكمة في البحرين إليها، ويوجد قليل منهم في الكويت.

الأقسام والأعداد:

فيما يلي أهم أقسام العتوب:

القسم	الفرع	عدد المنازل	الموقع	الملاحظات
آل فاضل	000	35	في مدينتي المحرق والمنامة	كان آل فاضل أكثر عدداً مما هم عليه الآن
الجلاهمة	يوجد لهم فرع يسمى آل زايد	40	في مدينة المنامة والمحرق وخمس عائلات في الكويت	

(1) هذا الفصل من كتاب دليل الخليج القسم الجغرافي الجزء السابع ص 3682 ـ 3685. ويشمل الصفحات التالية (246 ـ 248) من هذا الكتاب

القسم	الفرع	عدد المنازل	الموقع	الملاحظات
آل خليفة	آل عبد الله	25	في البحرين ولحسا (الإحساء) وقطر	خمس عائلات فقط وهم على علاقة طيبة مع شيخ البحرين ويعيشون تحت حكمه، وهناك عشرون آخرون من المتقدمين في العمر على خلاف مع الشيخ ويوجد منهم بدو في لحسا (الإحساء) هم بنو هاجر، وشيخهم في قطر هو ناصر بن مبارك وهو على صلة بالشيخ جاسم شيخ المعاضيد في قطر
آل خليفة	آل سلمان	850	في المحرق والمنامة والرفاعية وبسيتين وحالة أم البيض	هو شيخ البحرين في الوقت الحاضر وتنتمي أسرته لهذا الفرع
آل صباح		30	مدينة الكويت	شيخ الكويت في الوقت الحاضر وتنتمي أسرته لهذا الفرع

وبناءً على ما ورد في الجدول السابق يمكن تقدير قوة العتوب بنحو 5000 نسمة تقريباً، ولا يشمل هذا العدد العتوب الموجودون في الكويت الذين ربما يبلغ عددهم نحواً من 1000 نسمة تقريباً.

الديانة والحرف:

العتوب من المسلمين السُّنة على المذهب المالكي، وعتوب البحرين يعملون بالزراعة وصيد اللؤلؤ وزراعة النخيل وتجارة اللؤلؤ والملاحة في الخليج حتى الهند وزنجبار.

المهاجرون والوضع السياسي:

ويقال إن العتوب بصفة عامة من عنزة Anizah[1]، ولكن الأصل السابق على هذه الحقيقة غير معلوم لنا. وأول ظهور لهم كان في الكويت، حيث استقرّوا بها سنة 1716 تقريباً، وآل صباح لم يغادروا الكويت، ولكن في سنة 1766 تقريباً بدأ آل فاضل والجلاهمة وآل خليفة، بدؤوا في توزيع أنفسهم على الساحل الشرقي للجزيرة العربية فيما بين الكويت والحدود الجنوبية لقطر. ويقال إن مركز إدارة شيخهم من هذه الفروع ـ وقد كان هو نفسه من آل خليفة ـ كان في قرية الزبارة في قطر حتى سنة 1783. وقد استقرّ جزء كبير من العتوب بعد ذلك في البحرين، ولكنهم أخضعوا لفترة قصيرة من الزمن لحكم سلطان عمان، وقد اضطروا نتيجة لذلك للاعتراف بالأمير الوهّابي والحكّام الأتراك والإيرانيين.

ولا يوجد الآن عتوب في مدن أو قرى لحسا (الإحساء) وقطر، وقد ظل عتوب الشمال في الكويت غير مهاجرين ولا موزعين. ولا زالت هنا كعلائق نسب فيما بين عتوب الشمال وعتوب الجنوب.

---

(1) راجع هامشنا في صفحة 169.

الجزيرة	المدن	سكان المدن		قرى سنّية	عدد سكان القرى السّنية	قرى شيعية	عدد سكان القرى الشيعية
		السُّنة	الشيعة				
البحرين	المنامة	9800	15,000	10	6275	73	19,450
	البديّع	8000	—				
المحرق	المحرق	19,000	1000	8	7775	3	2750
	الحِدّ	8000	—				
أم نعسان	—	—	—	—	—	—	—
النبي صالح	—	—	—	—	—	2	375
سترة	—	—	—	1	150	7	1500
المجموع		44,800	16,000	19	14,200	85	24,075

وتحتوي الإمارة حينئذ على مثل هذا التقدير كما أنها تعتبر مكوّنة من 4 مدن جملة سكانها 60,800 نسمة و104 قرية يبلغ سكانها 88,275 نسمة. ويجب أن يضاف إلى هذه حوالي 200 من غير المسلمين في المنامة تجعل عدد السكان جميعهم 99,275 كسكان مقيمين. والرحل الوحيدون هم بدو نعيم الذين يفدون إلى الجزيرة في أعداد مختلفة وقليل من الكعبان الذين ليست لهم إقامة ثابتة[1].

ومن مجموع السكان الذي يبلغ حوالي 100,000 نسمة نجد حوالي

(1) هذه الصفحات من كتاب دليل الخليج الجزء الأول القسم الجغرافي من الصفحة 336 ـ 342 لوريمر. ويشمل من الصفحة 246 ـ 254 من هذا الكتاب.

60,000 نسمة من سكان المدن بصفة أساسية من السُّنَّة وحوالي 40,000 نسمة معظمهم من القرى من الشيعة.

ومع أن السُّنّة أكثر المواطنين عدداً إلا أن البحرانيين يؤلفون مجتمع الشيعة في المدينة وأكثر من ثلاثة أخماس السكان الريفيين، أما باقي السكان (باستثناء قليل من الأجانب كالإيرانيين. وسكان البصرة العرب والهندوس واليهود إلخ)، ينتمون إلى طبقات أو قبائل سنية التي تظهر أعظمها أهمية ـ أما من حيث العدد أو لأسباب أخرى ـ في الجدول الآتي:

الاسم	عدد المنازل	الموقع	الملاحظات
آل بوعنين	95	مدن عسكر والمحرق	تنتمي إلى مذهب المالكية من السنّيين
آل بن علي	500	مدن المحرق والحد	سُنّة
العمامرة	140	مدن البديع والمحرق	من السنّة
الدواسر	1000	بديع والزلاق	من السنّة
آل ضاعن	10	مدينة المحرق	من السنّة
الهولة	2080	مدن المنامة والمحرق والبديّع والحد وحالة ابن أنس	من البحرانيين الشيعة (والهولة هي جماعة وليست قبيلة) وجميعهم من أهل السنّة بعضهم مالكي وبعضهم شافعي المذهب
الجناعات	3	المنامة	ينتمون إلى مذهب المالكية من السنّيين
آل كعبان	60	نصفهم من الجزيرة والنصف يتجول قرب جبل الدخان	من السنّة

الاسم	عدد المنازل	الموقع	الملاحظات
بنو خالد من قسم الدواودة	50	الجسرة	تنتمي إلى مذهب المالكية من السنيّين
الكبسة	8	جسيرة والرفاع الغربي	كالسابق
آل بو كوارة	20	مدينة المحرق والحد	كالسابق
المضاحكة	160	بوستين	كالسابق
آل بن مقلة	100	حالة أبو مهير	كالسابق
المنانعة	120	قليل ـ مدينة المحرق، والحد	كالسابق
المعاودة	20	مدينة المحرق	كالسابق
مريخات	15	حالة أم البيض	كالسابق
المسلّم	25	مدينة المحرق، الحد وحالة أبو مهير	كالسابق
نعيم	رحالة	معظمهم رحّل ولكن 154 عائلة منهم مستقرة توجد في حالة النعيم، أم الشجر، أم الشجرة، حالة السلطان، الرفاع الغربي	
حالة العبيد (أحرار)	860	المنامة، المحرق، بديع وحالة أبو مهير الرفاع الشرقي	يوجد عبيد أحرار في أمكنة أخرى أيضاً ولكن في القرى يعاملون كالطبقة أو القبيلة التي يعيشون معها وحوالي 50 فقط من العبيد الأحرار في البحرين ينتمون لأسيادهم الشيعة سابقاً وأصبحوا هم الآن من الشيعة

الاسم	عدد المنازل	الموقع	الملاحظات
عبيد (غير أحرار)	1160	البدع ومدينة المحرق وحالة أبو مهير والمنامة والرفاع الشرقي	العبيد الزنوج، في أمكنة أخرى غير هذه المذكورة لم يميزوا في جداول القرى من القبيلة التي ينتمي إليها أسيادهم وعددهم حوالي 20 فقط. من العبيد الزنوج في البحرين يملكهم الشيعة وهم شيعة أنفسهم.
قمارة	10	مدينة المحرق	ينتمون إلى المذهب المالكي من السنّيين
آل بو رميح	115	الجاو والبسيتين ومدينة المحرق	كما سبق
السادة	150	الحد	ينتمون إلى المذهب الحنفي والشافعي من السنيّين
السودان (السويدي)	10	كما سبق	ينتمون إلى المذهب الحنبلي من السنيين
السّلطة	10	حالة السلطة	ينتمون إلى المذهب المالكي من السنيين
العتوب	930	مدينة المحرق والمنامة، وكلا الرفاعين وشريبة والبسيتين (تصغير بستان) حالة أم البيض	كما سبق

الاسم	عدد المنازل	الموقع	الملاحظات
بنو ياس من آل بو فلاسة	190	معظمهم في الحد وقليل منهم في حلة السلطة، والبسيتين وأم الشجر وأم الشجرة ومدينة المحرق والصلبة	نفس الشيء
آل بني ياطيل	10	»	»
الزياينة	150	مدينة المحرق	»

وإلى جانب ما ذكره أعلاه يوجد 59 نسمة من الهندوس في البحرين لا تصحبهم عائلاتهم ويزداد عددهم في فصل صيد اللؤلؤ إلى حوالي 175 نسمة.

وإن كان البحارنة من حيث العدد هم أقوى طبقة إلا أنهم لم يكونوا مهمين من الناحية السياسية وفي الواقع كان وضعهم أحسن قليلاً من وضع العبودية وإن معظم زراعة النخيل والزراعة في الجزر هي في أيديهم ولكنهم أيضاً يعتمدون وإن كانوا في ذلك أقل من إخوانهم السنيين على صيد اللؤلؤ وعلى أعمال ملاحية أخرى والهولة هم أكبر مجتمع من السنيين في العدد ولكنهم جميعاً من سكان المدن يعيشون على التجارة ولا تضامن بينهم ونتيجة لذلك فإنهم ليسوا مهمين إلّا من الناحية التجارية. إن العتوب والسادة والدواسر هي القبائل التي لها أعظم نفوذ في البحرين فالفئة الأولى بسبب اتصالها بالعائلة الحاكمة والسادة لأصلهم الطاهر والدواسر لأنهم أغنياء نسبياً ومتّحدين ومطيعين لرؤسائهم. وربما من جهة أخرى لأنهم أحدث المهاجرين من نجد؛ فهم يتمتعون بامتياز خاص. وباقي السكان السنيين معظمهم يقيمون

على الساحل أو قريباً منه ويعتمدون بصفة أساسية على البحر في معاشهم وعلى الزراعة بدرجة قليلة.

والأجناس التي تقطن البحرين هي بصفة عامة غير هامة في مظهرها ولا يوجد شيء ملحوظ في خلقهم. ويبدو أن مجموعات صيد اللؤلؤ في مجتمعهم تتميز بضعف الإبصار وعمق الأصوات. والأكواخ التي يعيش فيها مجموعة السكان الريفيين تُبنى من الحصير وجريد النخل أو البوص ولها سقوف هرمية (تشبه الجمالون) وختاماً لهذه الفقرة يمكننا أن نلاحظ أنه وإن كان العبيد عديدين في البحرين إلا أن الدم المختلط من دم العبيد والعرب أقل انتشاراً عمّا هو موجود في موانئ عمان وساحل عمان المتصالح. وتحليل السكان الذي أوضحناه يبين أن هنالك تقريباً خمسة آلاف من العبيد الأحرار وستة آلاف من العبيد الرقيق في الإمارة. ومن المحتمل أن هذه الأرقام أقلّ كثيراً حيث إنه من المستحيل إلّا في الأماكن الكبيرة أن تميّز العائلات الزنجية من المجتمعات التي تعيش بينها أو المجتمعات التي تتملك هذه العبيد، والسبب في عدم اختلاط الدم هو أن العبد الأصيل في البحرين له أهمية وقيمة أكبر من الابن الموَلّد (مختلط الجنس) وخدمات العبيد يستأجرها أصحابهم في صيد اللؤلؤ وفي الشتاء يترك العبد وعائلته يعولون أنفسهم. وفي بعض الحالات يتزوج العبد من امرأة حرة فلا يهتم السيد بهذا الأمر. وفي حالات أخرى يقدم السيد للعبد جارية (عبدة). ويكون له الحق في امتلاك الأولاد منها.

قبيلة العتوب العربية[1] ـ البحرين

أعدت هذه المادة من قبل الليوتنانت اي. بي. كيمال ـ المندوب المساعد في الخليج Lieutenant A, B. Kemball[2].

سنة 1716 اجتمعت قبائل بني آل الصبّاح تحت قيادة الشيخ سليمان بن أحمد والجلاهمة Yalahimah تحت قيادة جبر Jaubir بن العتوب Uttoobee وآل خليفة تحت قيادة خليفة بن محمد شيخ القبيلة العربية المعتبرة، واستولت على الكويت التي كانت تابعة للفرس.

سنة 1765 ـ 1766 عبر خليفة بن محمد مع فرع من قبيلته واستقرّ في الزُّبارة Zobara وهناك وبعد أن سحب على نحو تدريجي ما تبقى من قبيلته عزل نفسه نهائياً عن القبيلتين الأخريين، ورسخ استقلاله[3].

أمّا قبيلة الجلاهمة وبعد أن طردهم بنو صبّاح من ميناء مدينة الكويت بوقت قصير، لجأوا وحصلوا على حماية أقاربهم في الزبارة Zobara. وبعد أن اختلفوا معهم بعد سنوات من حياتهم المشتركة، تركوا الزبارة Zobara وبدأوا سكناهم في رافيش Raveish في بقعة جدباء على مسافة قصيرة شرقي الزبارة Zobara.

---

(1) انظر المفصل عن العتوب ضمن كتاب البدو ـ لماكس أوبنهايم الصادر عن شركة الوراق.

(2) ترجم المقال الأستاذ صخر الحاج حسين ويشمل من ص 255 ـ 275 من هذا الكتاب.

(3) وردت في النص الأصلي ports. أخشى أن يكون ثمة خطأ لتصبح The Sublime Porte.. Parts أي [الباب العالي].

نشأ نزاع مرير وطويل بين القبائل انتهى بدمار يكاد أن يكون كاملاً لقبيلة الجلاهمة.

سنة 1776 لدى مهاجمة الفرس البصرة Bussora تراجع بعض التجّار هناك وأحد شيوخ الكويت مع عدد من أعيانه إلى الزبارة Zobara وسرعان ما تزايدت سلطة وثروة ونفوذ بني خليفة.

وفي سنة 1777 استثيرت مخاوف وغيرة الشيخ ناصر، الحاكم الفارسي لبوشهر Bushire والبحرين. وأمّا مساعيه المتكرّرة في إضعاف الزبارة Zobara فلم تكن ذات جدوى.

سنة 1782 ـ 1783 لدى موت كريم خان، وما تلا من نزاعات وحالة فوضى، نزل عرب الزبارة Zobara على البحرين وأجبروا الشيخ ناصر على التقهقر إلى الحصن، وعادوا إلى الزبارة بعد أن دمروا وسلبوا وعاثوا في البلدة خراباً..

قوة عسكرية بأسطول ضخم انطلقت من الساحل الفارسي وحاصرت الزبارة Zobara وبعد بعض المفاوضات التي لم تفلح ولم تثمر عن شيء من جانب العرب التي شارك فيها الشيخ راشد شيخ رأس الخيمة، هبطت القوة إلى اليابسة لتجتاح المكان، لكن قوة مهولة عازمة لم يكن الفرس يتوقعونها هاجمتهم وأجبرتهم على إلقاء السلاح والنجاة بأنفسهم إلى قواربهم. قتل في المعركة العديد من الأعيان. وفي اليوم ذاته يصل أسطول كويتي إلى البحرين، ويفتح النيران على البلدة ويغزوها.

سنة 1783 يستولي عرب الزبارة بمساعدة من أقربائهم من الكويت على البحرين من بين أيدي الفرس في الثامن والعشرين من تموز. يترك أبناء جابر Jaubir بن العتوب Uttoobee الأربعة الجزيرة بعد أن امتعضوا من المكافآت والمناصب التي عينوا فيها نتيجة لهذه المعركة، وبعد عدة سنوات أمضوها في

السفر والترحال، وطّنوا أنفسهم في خور حسان Khor Hassan وشرعوا في تنظيم أعمال القرصنة.

سنة 1800 يضعف إمام مسقط جزيرة البحرين ويرسل كل القادة بمن فيهم خمس وعشرين عائلة إلى مسقط. يعود العتوب إلى الزبارة ويلتمسون حماية الوهابيين الذين يؤمنونها لهم بغير ما تردّد.

في أوائل هذا العام يستعيد العتوب البحرين بمساعدة من الوهابيين البحرين.

سنة 1809 يستنكر العتوب Uttoobees غضب الحكومة البريطانيّة، ويناشدونها إعفاءهم من العقاب العام الذي فُرض على القراصنة على يد القوات البريطانيّة، ويتوسلون الحكومة البريطانيّة ضبط النفس في التخلّص من جور الوهابيين، والتخلّص من زعيمهم، كما طالبوا أيضاً ببعض الدعم البسيط بغية تمكينهم من الاستقرار في البحرين. لكنّ الحكومة البريطانيّة امتنعت عن التدخّل.

سنة 1810 يغتصب الحاكم الوهابي الحكم في البحرين والزبارة Zobara، ويعيّن عبد الله بن عفيصان وكيلاً على تلك المناطق، وعلى مقاطعات القطيف Kateef وقطر Gutter لتحويل العتوب Uttobees إلى المذهب الوهابي. يستمر العتوب في الإدارة لكنهم يدفعون الجزية إلى الوكيل.

سنة 1811 ـ 1815 الإمام يهاجم الزبارة Zobara ويحرقها ويغزو البحرين، مستفيداً من انشغال الحاكم الوهابي في تفقّد غزو الحشود التركيّة تحت قيادة إبراهيم باشا. يسجن الوكيل الوهابي عفيصان ويستعيد العتوب الجزيرة.

سنة 1811 تدور معركة حامية بين أسطول أرحمة (رحمة) Ramah يصحبه أسطول من القوارب التابعة إلى قواسم عجمان، وبين عتوب البحرين والتي ينتصر فيها العتوب.

سنة 1815 ـ 1816 الإمام [مسقط] يهاجم البحرين. وتحطّ حشوده في عراد Arad وتدمّر كلياً، مع خسائر فادحة، ويقتل اثنان من أقاربه من رؤوس السردارات.

في تشرين الأول سنة 1816 يأمر الزعيم الوهابي بالاستيلاء على أملاك الشيخ أرحمة (رحمة)[1] بن جابر بعد أن انضمّ هذا الأخير إلى إمام مسقط، ويأخذهم إلى ديرة Deriah ويهرب بهم إلى بوشهر Bushire بصعوبة بالغة.

سنة 1818 ينطلق أرحمة (رحمة) بن جابر ويحط مع بعض المدافع في القطيف التي يهاجمها بالتنسيق مع إبراهيم باشا، ويبدأ في إعادة بناء حصنه القديم في الدمام التي دمرها الوهابيون في عام 1816.

سنة 1819 أسر قراصنة رأس الخيمة سبع عشرة امرأة هندية وأطلق زعماء البحرين سراحهن. وحرروا عدداً من السجناء القواسم بالمقابل، تزامن ذلك مع وجود الكابتن لوك Lock قبطان الناقلة عدن Eden سفينة جلالته على متنها والتي كانت تزور الجزيرة، تصحبها خمس ناقلات حربيّة أخرى، بغية التحقّق من التقارير التي أفادت بجلب عدة نساء هنديات من رأس الخيمة، وبيعهن علناً في سوق في البحرين، وهذا ما أثبت بأنه غير صحيح.

سنة 1819 ـ 1820 تبلّغ السلطات البريطانيّة أرحمة (رحمة) بن جابر بألا يسمح لناقلاته مغادرة قطيف لتشنّ حرباً نظاميّة ضدّ سكان البحرين، ما لم تنسّق مع دولة معتمدة.

في شباط سنة 1825 ينطلق أرحمة (رحمة) بن جابر مع ناقلاته الثلاث إلى بوشهر Bushire، بغية الاشتراك في حملة خطّط لها أمير شيراز ضدّ البحرين. وفي طريقه إلى تاوزي Tauzee تتحطّم (سفينة) بغلة على مياه بيردستان الضحلة وينجو مع رجاله بصعوبة.

---

(1) رحمة أو أرحمة كما يكتبها المؤرخ راشد بن فاضل البنعلي (آل بن علي) في كتابه مجموع الفضائل. تحقيق د. حسن آل ثاني. ط2 الصادر سنة 2007 (ماجد شبّر).

في نيسان سنة 1820 يرفض أرحمة (رحمة) بن جابر أن يصبح طرفاً في المعاهدة العامة متذرعاً بكونه تابعاً للحكومة الفارسيّة. وبما أنّ حاكم بوشهر Bushire لفت الانتباه إلى كونه مسؤولاً عن السلوك السلمي في المستقبل، تمّت الموافقة على الذريعة.

بعد أن استولت الحملة البريطانيّة على رأس الخيمة يسلّم شيخ البحرين الناقلات التابعة للقراصنة التي كانت في مرفئه.

يتمّ التوقيع على المعاهدة العامة في رأس الخيمة أولاً من قبل وكيل شيوخ العتوب ومن ثمّ من قبل الشيوخ أنفسهم.

سنة 1821 ـ 1822 يوافق زعماء البحرين على دفع مبلغ 30000 كراون ألماني كجزية سنوية إلى إمام مسقط، والذي سيحرّر بعضاً من شيوخ العتوب المتعلقين لديه بالمقابل، وأن يعيد جميع الناقلات والأملاك التي تخصّ البحرين والتي وضعها تحت الحظر وهي في طريقها من الهند. لاحقاً أعيد مبلغ 12000 كراون من الجزية.

رغم ذلك استمرّ أرحمة (رحمة) بن جابر في اعتداءاته على التجارة في البحرين (مشيراً بذلك إلى ضمان شيخ بوشهر Bushire لسلوكه المسالم في المستقبل. يشتكي الزعيم العتوبي إلى ممثل السلطة البريطانيّة ويتمّ تقديم احتجاج لحكومة شيراز التي تأمره بالحضور لإعطاء تفسيرات، واحتجاز ابنه وعائلته كرهائن. في أثناء ذلك الوقت يغادر أرحمة (رحمة) Ramah بوشهر Bushire ويضع نفسه تحت حماية الإمام لكنه يعود إلى بوشهر Bushire في تشرين الثاني. يتنصّل الإمام منه ويعلن أنه غير أهل للثقة.

سنة 1823 يقيم أرحمة (رحمة) بن جابر في الدمام، بهدف، مواصلة نزاعه العنيد والمتأصل ضدّ شيوخ البحرين. رغم فقدانه لبصره وتقدّمه في العمر.

سنة 1824 يتمّ التوصّل إلى سلام بين زعماء البحرين والشيخ أرحمة

(رحمة) بن جابر زعيم خور حسن والدمام، من خلال وساطة قام بها المندوب.

يحاصر الشيخ أرحمة (رحمة) القطيف بهدف استعادة الجزية التي كانت تُدفع سابقاً له، ويفلح في ذلك.

سنة 1825 يستمرّ أرحمة (رحمة) في اعتداءاته على تجارة القطيف Kateef ينهب القوارب ويقتل الطواقم. تفشل احتجاجات ممثّل السلطة البريطانيّة. وتتمركز ناقلتان حربيتان قرب الدمام لحماية التجارة الآمنة. تمّ إصدار الأوامر، رغم ذلك، بعدم التدخّل طالما اقتصرت اعتداءاته على سكان القطيف Kateef، وانسحبت السفن من جديد.

سنة 1825 ـ 1826 تفجّرت العداءات من جديد بين أرحمة (رحمة) بن جابر Ramah bin Jauber والعتوب. تتقدم الأطراف المعنيّة بطلب إلى المندوب البريطاني لإعلان الهدنة، لكن أرحمة (رحمة) يرفض أن يشارك سكان القطيف فيها، وهذا الموظف رفض أيّ تدخل، إلّا إذا أدّى شأن هذا التدخّل إلى تهدئة عامة.

سنة 1826 يتابع أرحمة (رحمة) إلى بوشهر Bushire ويفشل في إقناع المندوب البريطاني في التدخّل لصالحه، يتلقّى على متن سفنه تعزيزات من البلوش Beloochees ويعود إلى الدمام، يطلق النار تحدياً واستهزاءً. يهاجمه أحمد بن سليمان ابن شقيق الشيخ الحاكم في ناقلته. وتقع معركة حامية الوطيس. يطلق أرحمة (رحمة) النار على مستودع ذخائره هو، ويتطاير أشلاء هو وطاقمه في السماء.

سنة 1826 يسلم بشير بن أرحمة (رحمة) الدمام من دون شروط. يعفى عنه ويطلق سراحه، ينطلق إلى مسقط حيث يمنحه الإمام (سفينة) بغلة Buggalow يمكنه من الحصول على مصدر عيش من التجارة.

ومن خلال نفوذ الإمام، يسمح زعيم الوهابيين لبشير أن يبني حصناً في

دارين Dareen وهي منطقة في تاروت Tirhoot الجزيرة التي تقع مقابل القطيف، وهناك ينضمّ إليه العديد من أفراد قبيلة البوسميط Aboosemate الأعداء اللدودين للعتوب.

يموت سليمان بن أحمد الرفيق والشقيق الأكبر للشيخ عبد الله، ويخلفه في أملاكه ونفوذه السياسي ابنه الأكبر، الشيخ خليفة والذي ينال حصته من ريع الجزيرة على قدم المساواة مع عمه الذي كانت له السلطة التنفيذيّة بالإضافة إلى جميع التعاملات الأخرى، على أيّ حال كان التعاون مع ابن شقيقه يعدّ ضرورة له.

سنة 1827 قرصنة يقوم بها عبد Obed أو عبد الله بن مهنا وهو أحد سكان البدع[1]، وهي تابعيّة بحرينيّة على قارب بوشهري Bushire مقابل جونارا Gonara.

سنة 1828 يوضع زعيم البدع Biddah في السجن لدى طعنه مواطناً بحرينياً. وبناء على ذلك يتحول السكان إلى متمردين، ويرحلون إلى رويس Rowees وفوارة Fowarah اللتين تقعا تحت سلطته المباشرة، ويدمّر حصنهم من قبل ممثّل السلطة ذاتها.

يقوم عبد Obed بن مهنا بمزيد من أعمال القرصنة، لكنه وبعد مقاومة شديدة، يؤسر لدى نزوله إلى اليابسة في زيرا Zeerah على الساحل الفارسي، كي يقوم باستطلاع فيما يتّصل بوجهة بغلة (سفينة) Buggalow الذي كان راسياً هناك. بعد أن أدانته السلطات البريطانيّة، يسلّم إلى شيخ بوشهر Bushire الذي عانى رعاياه من قرصناته الأخيرة لكنه يفلح في الهروب. ويغيّر طاقمه وهم في طريقهم إلى أبو ظبي على أربعة مراكب أسيلو Aseeloo. يدفع الشيخ طحنون Tahnoon تعويضاً كاملاً عن هذا العمل.

---

(1) البدع هو الاسم القديم لمدينة الدوحة الحالية. [ماجد شبّر]

سنة 1828 يهزم زعماء البحرين حملة الإمام ضدّ الجزيرة على نحو كامل.

في آذار سنة 1829 ينطلق أسطول بحريني تحت قيادة الشيخ عبد الله بن أحمد في جولة للتحرّش بتجارة الإمام وشواطئه. يرسل سموّه فرقتين لملاقاته، وبعد محاولة غير مجديّة للاستيلاء على سفينة بغلة (السيار) Buggalow للعتوب والذي التقوا به، يعودون إلى مسقط من دون إحراز أيّ شيء.

يخفق الأسطول البحريني في الاستيلاء على بغلة Buggalow تابع (لأسيلو) Aseeloo الذي صدّ الهجوم على نحو كامل. يقومون بقرصنة على ناقلة مرباط Morebat (وهي محايدة)، ويتملصون من ناقلتين حربيتين تابعتين لمسقط يلتقون بهما، ويعودون إلى البحرين سالمين. يُدفع تعويض محدّد للقرصنة التي استهدفت ناقلة مرباط Morebat.

في الثاني من كانون الثاني - يتمّ إرساء السلام بين الإمام والعتوب والذي جاء لصالحهم، وكفوا عن دفع الجزية، كما لم يعد هناك من تدخّل في شؤون بعضهم بعضاً.

سنة 1830 ـ 1831 الزعيم الوهابي[1] يطالب الشيخ عبد الله بدفع زكاة أو جزية سنوية بالإضافة إلى مبلغ 40000 كراون ألماني بوصفهما ثمناً للجياد التي تركها الزعيم الوهابي في رعايته منذ سنين خلت. وفي الوقت ذاته تمّت المطالبة بتسليم حصن الدمام إلى بشير بن أرحمة (رحمة) Ramah بن جابر Jauber. يرسل الشيوخ أحد أقربائه الخلّص لينتظر الحاكم الوهابي في الرياض Riaz وتجرى ترتيبات على أن يتمّ الاعتراف بسيادة الأمير تركي آل سعود في البحرين ويدفع العتوب الزكاة، مقابل وعده لهم بالحماية.

سنة 1831 ينظر إلى الحاكم الوهابي نظرة ارتياب من خلال ترسيخ

(1) لقد تولى إمارة الدولة الوهابية في هذه الفترة تركي بن سعود، والذي اغتيل عام 1834، وتولّى من بعده ابنه فيصل مقاليد الحكم. [م .شبر].

سلطة أرحمة (رحمة) بن جابر Jauber في دارين Dareen، والذي كان معه على خلافات شديدة.

سنة 1832 يبدأ بشير نزاعاً مع سكان القطيف Kateef يدمّر الحصن الذي كان يُبنى، ويغادر مع تابعيه إلى مسقط.

سنة 1832 يتعرّض قارب من كنغون في خليج هليلة Hailliah إلى قرصنة يعزى إلى حسوم الفوارة Hussoom Fowarah وهي تبعيّة بحرينيّة، وتتمّ استعادة القارب.

سنة 1833 يرفض شيخ البحرين الولاء للوهابيين، ويقرّر أن يصدّ كل محاولات الاعتداء. ويقطع الإمام له عهداً بعدم التدخّل في النزاع. يحرّض قبيلة العمايرة Amayir، التي كانت تغادر المنطقة المجاورة القطيف Kateef وتتّخذ موقعاً لها في الدمام وتفرض حصاراً قريباً جداً من الميناء السابق.

سنة 1834 يتعرّض الوكيل البريطاني إلى معاملة سيئة بل إنه يتعرّض إلى إهانة كبيرة على أيدي الشيخ عبد الله بن أحمد الذي لم يبذل أيّ جهد في التحقّق من الأمر. يجبره ظهور قوة بحريّة كبيرة في الميناء على تقديم اعتذار شديد للبريطانيين. يفلح الشيخ عبد الله بن أحمد بالرشوة في الحصول على حصن تاروت Tirhoot على جزيرة يحمل الاسم ذاته، لدى موت تركي، وفي غياب ابنه عن قطيف.

في 21 أيار سنة 1843 يموت خليفة بن سليمان، ابن شقيق عبد الله بن أحمد وزميله، ويخلفه ابنه محمد الذي رغم ذلك لم تكن لديه القوة التي كان والده يتمتّع بها في الحكومة.

تقوم فرقة من قبيلة العمايرة بقيادة أحد المشرفين، بمحاولة لاستعادة ممتلكاتها في لحسا (الإحساء) Lahsa وقطيف، لكنها تهزم على يد القائد الوهابي عمر بن عفيصان وتجبر على الاختباء تحت وابل مدافع تاروت Tirhoot.

سنة 1835 يفشل الوهابيون في الهجوم على تاروت Tirhoot. يستأنف الشيخ عبد الله بن أحمد حصاره الشديد على قطيف والعقير (عجير) Ageer. تدبّ الخلافات الداخليّة في البحرين لتتّخذ طابعاً خطيراً. يتآمر زعماء الهولة Huailah تُبّع الشيخ عبد الله بن أحمد، ضدّ سلطته، ويدخلون في مؤامرات مع الإمام ومع الزعيم الوهابي. علاوة على ذلك، ينضمّ إليهم أحد أبنائه، والذي ضمن ولاء مجموعة من الوهابيين، يعلن سلطته بتحدّ، ويغير على تجارة البحرين. بعد أن استولى على بعض الناقلات المحايدة، يجبره المندوب البريطاني على دفع تعويضات. يتابع تقدّمه إلى مسقط طلباً للمساعدة. لم يكتفِ سمو الإمام بعدم المشاركة في هذه النزاعات المدنيّة، بل يرسل ابنه هلال في إحدى فرقاطاته في مسعى منه في إحلال المصالحة، لكن جهوده لم يُكتب لها النجاح بسبب السلوك العدواني وغير المنظّم للمرؤوسين، ما أدّى إلى تقهقر اثنان من أعيان البحرين مع أتباعهما، الذين لجأوا إلى أبو ظبي.

سنة 1835 يطلب عيسى بن طريف الإذن بأن يستمر بالأعمال العدائيّة ضدّ مقاطعات سيده الراحل وتجارته، لكن طلبه يرفض، بعد أن وطّد نفسه في ميناء محايد إن لم نقل في ميناء صديق.

في أيار وحزيران سنة 1836 يصلح عبد الله بن أحمد علاقاته مع الوهابيين بعد خشيته من تهديد الدولة الفارسية التي من الممكن أن يتعاون الإمام معها، ويعد أن يدفع الجزية السنوية الصغيرة البالغة 2000 دولار يتعهّد الزعيم الوهابي بتأمين قوات لصدّ أيّ غزو للبحرين، وبألّا يستدعي أيّة ناقلات من تلك الجزيرة في حال الهجوم على مسقط.

تتصاعد حالة التوتّر والاضطرابات على الجزيرة نتيجة للسلوك العدواني والقمعي من قبل أفراد تابعين لعائلة الزعيم.

سنة 1837 تبدأ قبيلتا الهواجر Huwajir والعمايرة Amayir غزوات منظّمة على جميع المراكب التابعة للقطيف، والتي كانت تطال أحياناً المراكب البحرينيّة، مستفيدين من حالة الاضطرابات في منطقة نجد نتيجة للصراع على

ممثل السلطة بين الأمير فيصل Fysul وخالد الطامح بها. يفرض الشيخ عبد الله بن أحمد عقوبات على الطرفين ويعيدهما إلى رشدهما.

سنة 1838 يقوم عيسى بن طريف[1] وابن سلامة Salameh بمساع لإنفاذ مصالحة بين زعيم البحرين وقبيلة العلي، لكن دون جدوى. رغم ذلك، ترجأ حالة العداء بين الطرفين.

سنة 1839 لدى سقوط الأمير فيصل Fysul يلجأ قائده عمر Omr بن عفيصان إلى البحرين. يطالب الأمير خالد باستسلامه، وبأن تعطى الدمام إليه. وكان قد طالب بالجزية وباستسلام تاروت Tirhoot قبل ذلك.

يتملّص الزعيم البحريني من الامتثال لطلبه، بذريعة ارتباطه مع الحكومة الفارسيّة وخضوعه لها. يؤكّد خورشيد باشا الآمر المصري للسلطة البريطانيّة نواياه بمهاجمة البحرين وإضعافها. تعترض هذه الأخيرة وتحتج، وتذكره بتعهدات كان قد أطلقها سموّ محمد علي باشا إلى حكومة جلالتها.

سنة 1839 يُرسل حاجي قاسم، وهو موظف شحن سابق لناقلة تجاريّة من بوشهر Bushire بوصفه مبعوثاً من حكومة شيراز إلى البحرين، ومعه عشرة مرافقين من السيرباز Sirbaz ليقيم في الجزيرة على أنه معتمد فارسي، وأداة لتلقي الجزية السنوية وإرسالها والتي كانت الحكومة الفارسيّة تتباهى بكون زعيم البحرين ميالاً لدفعها لقاء تسامحها معه وحمايتها له. تستمر حالة العداء بين قبيلة العلي في أبو ظبي وسكان البحرين والتي عانى منها تجار البحرين

---

(1) من هو عيسى بن طريف: هو ابن حسين بن حمد بن طريف من قبيلة البنعلي ولعب دوراً مهماً بتاريخ قطر والبحرين يقول راشد بن فيصل البنعلي في كتابه مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل: بعد أخذ البحرين اختار ابن طريف مع جماعته البدع [الدوحة حالياً] وأحاط البدع بسور. وفي سنة 1847 ميلاديّة حدثت واقعة أم سوية ببئر وقتل فيها عيسى بن حمد بن طريف، إنّ خلافاً حدث بين محمد بن خليفة بن سلمان ومع ابن طريف يقول المؤرخ البنعلي أدى إلى قتل ابن طريف وثمانية من قبيلته واثني عشر من العبيد. ص [76 - 78]. الناشر دار بدر - بيروت. [ماجد شُبّر]

على نحو كبير. يُرسل المندوب المساعد من أجل المصالحة. وبما أنه لم يتمّ التطرّق إلى شروط تكفّل ضمانة الحكومة البريطانيّة، باءت مهمته بالفشل.

تنقطع أواصر الودّ والصداقة بين عيسى بن طريف وزعيم أبو ظبي والذي كان على علاقة جيدة مع زعيم البحرّين يطلب منه مغادرة بلاده، أو أن يستقر هناك بشكل دائم كأحد الرعايا المسالمين. لذلك يضطرّ للتخلي عن مواصلة اعتداءاته.

يصبح عبد الله بن أحمد تابعاً للمصريين، رغم أنه قطع وعداً بأن يستشير المندوب قبل أن يضع نفسه تحت حماية أيّ من القوى الأجنبية الأخرى، كونه مدركاً للضوء الأخضر الذي رأت من خلاله الحكومة البريطانيّة الإجراءات التي قام بها خورشيد باشا والتشجيع الذي وجده منهم لتأكيد حقوقه والحفاظ على استقلاله. على أيّ حال يعلن بأنه قطع عهداً على نحو واضح بألّا يستقر أيّ معتمد للباشا في البحرين. تصاعدت حدّة النزاعات والخلافات بين أفراد عائلة الزعيم العتوب على نحو أكثر خطورة. يأتي بعدد من المرتزقة البدو من البر الرئيسي، ما يثير اشمئزاز السكان من سلوكه الذي إن دلّ فعلى ضعف وتردّد. يرحل عيسى Esai بن طريف وتابعوه عن أبو ظبي لدى انتهاء (صيد اللؤلؤ)، ويستقرون في جزيرة كين Kenn ومن هناك يتمّ تحذيره بأن سيمنع من مواصلة حروبه العدوانيّة ضد أي طرف.

سنة 1840 يستدعي محمد Mohamed بن خليفة، زعيم البحرين الشاب ليتولّى مقاليد ممثّل السلطة في لحسا (الإحساء) Lahsa وقطيف، لكنه يواجه بمعارضة الزعيم الأكبر. يتمّ الحؤول بمشقة بالغة دون وقوع صدام مفتوح بين الطرفين، تتمّ مصالحة هشة بينهما. يوجّه محمد Mohamed بن خليفة رسالة إلى السلطات البريطانيّة، عارضاً خدماته، وملتمساً العون ضدّ عمه الأكبر. ومن ثمّ ينطلق إلى ساحل قطر ويبدأ بإثارة الفوضى والمعارضة لزعيمه.

سنة 1841 يتمّ التوصل إلى هوية شخص قام بقرصنة في العام السابق

على قارب كويتي، وهو أحد أتباع الشيخ مبارك بن عبد الله بن أحمد. يجبر الوالد على دفع تعويض عن الأملاك التي نهبت.

سنة 1842 يقع صدع في العلاقات بين الأطراف، السبب المباشر والظاهر للنزاع هو طلب يد فتاة للزواج تقدم به شخص من الطرفين. يطرد محمد بن خليفة من المنامة (المدينة التي استسلمت للغزو على يد عبد الله بن أحمد وأتباعه المنتصرين، ولم تسلّم الأملاك التابعة للتجار البريطانيين من النهب أيضاً) ويهرب إلى البر. وينطلق من هناك إلى لحسا (الإحساء) Lahsa والرياض Riaz لطلب مساعدة الحاكم الوهابي عبد الله بن ثنيان Soneyan[1].

بعد أن وجد عبد الله بن أحمد بأنّ ابن حمود بن العميري Omeree وأتباعه، وهو الشخص الذي يمقته أيّما مقت، لجأوا إلى بيت الوكيل البريطاني، يطالبون باستسلامه وبالفعل يستسلم بعد أن هددوه باللجوء إلى وسائل عنيفة. تميّز سلوك الوكيل في هذه القضية بالتردّد حتى وصل إلى حدّ الإدانة وصُرف من الخدمة بناء على ذلك. رغم ذلك وقع عتب ولوم على شيخ العتوب وانطلق عبد الله بن أحمد إلى خور حسان Khor Hassan التي لم تسلم من الغزو أيضاً. لم يكن عبد الله بن أحمد على علاقات حسنة مع الحاكم الوهابي، نتيجة رفضه إطلاق سراح المخلص شافي Shafee زعيم قبيلة الهواجر Huwajir كون هذا الأخير ناصر قضية محمد Mohamed بن خليفة. يطلب كل من عيسى Esai بن طريف وبشير Busheer بن أرحمة (رحمة) Rahmah الإذن من المندوب البريطاني لمناصرة قضية محمد Mohamed بن خليفة ويحصلان عليه. يتمّ الإلماح إلى الشيخ عبد الله بن أحمد إلى هذا المتحالف.

---

(1) عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم آل سعود : من فرع الثنيان بن سعود (جد آل سعود) ابن محمد بن مقرن، تولى الحكم (الرياض) سنة 1841 بعد أن أزاح خالد بن سعود المدعوم من قبيل القوات المصرية وقد استمر في الحكم في 1843 حين استعاد فيصل بن تركي من الحكم بدعم من عبد الله الرشيد أمير حائل، وكان فيصل قد أطلق المصريون سراحه سنة 1840 بعد معاهدة لندن فاستقر في حائل لدى آل رشيد وأودع ابن ثنيان السجن حيث توفي خلال شهرين [ماجد شبر].

يوطّد محمد Mohamed بن خليفة من سلطته على الساحل القطري Gutter الذي يميل سكانه إليه، ويبقى على الاتصالات مع شركائه.

يسعى الحاكم الوهابي إلى التوسّط فيما بين الأطراف، لكن عبثاً. يطلق سراح شافي Shafee الذي يعده بأن يستخدم نفوذه من أجل المصالحة. يستخدم زعيم العتوب على نحو أخرق لغة التهديد مع الحاكم الوهابي، لدفعه على التقيد بالحياد.

سنة 1842 يستمر محمد بن خليفة عملياته الناجحة على البر.

يتعرض قارب يحمل العلم البريطاني إلى قرصنة في ميناء المنامة على يد أتباع قريبين من عبد الله بن أحمد.

سنة 1843 ينزل محمد بن خليفة مع قوة على الجزيرة وسرعان ما يستولي على المنامة التي لم تبدِ أيّة مقاومة.

يتمّ غزو قارب جارك (تشارك) Charrak في ميناء المنامة على يد بعض أفراد من قبيلتي السلوط (السلوطة) Suloota والهواجر.

في نيسان سنة 1843 تنضم قوى الحلفاء من كين Kenn. ويهاجمون المحرّق Muharag ويهزمون قوات عبد الله بن أحمد، ويجبرونه على اللجوء إلى حصن صغير بالقرب من البلدة. يستسلم هذا الأخير من غير شروط، ويسمح له بمغادرة الجزيرة، مع أتباعه وأملاكه. بينما يسمح لأبنائه البقاء في الجزيرة.

ينطلق عبد الله بن أحمد إلى الدمام، وهو المكان الوحيد الذي ما زال يعترف بسلطته والذي كان يدير شؤونه ابنه الأكبر مبارك.

في حزيران سنة 1843 يبدأ عبد الله بن أحمد بمضايقة تجارة البحرين. ونتيجة لذلك يفرض الحلفاء حصاراً على الدمام.

يبدأ كلا الطرفين بتقديم عروض إلى الحاكم الوهابي.

ينطلق الشيخ جابر، شيخ الكويت مع أسطوله إلى البحرين بهدف التوسّط لإرساء السلام بين الزعماء المتنافسين لكنه يفشل في مسعاه.

يعتقل حاكم القطيف محمد وعلي أبناء عبد الله بن أحمد وحاجي بو شهاب الموظف الكبير عنده والذي يضعهم تحت-تصرف الحاكم الوهابي.

يسعى عبد الله بن أحمد لطلب المساعدة من زعماء رأس الخيمة والشارقة (الشارجة) ودبي الذين يحيلونه إلى المندوب للسماح له. يأتي الزعيم السابق شخصياً إلى بوشهر لهذا الغرض. يقدم الشركاء اقتراحاً بغرض ضمان مساعدة شيوخ أبو ظبي وأم القيوين Amulagvine. يرفض ممثّل السلطة البريطانيّة ولأسباب واضحة، أن يعطي مصادقته.

في تشرين الأول 1843 يقدّم أحد أفراد البوشهر، وهو الشيخ سلمان عروضاً غير رسميّة بالمساعدة العسكرية إلى الزعيم السابق، من طرف الحكومة الفارسية التي مارست عليه نفوذها كي يقتنع. يغادر الزعيم السابق بوشهر Bushire وينطلق إلى نابيند على الساحل الفارسي.

يهجر عيسى بن طريف وتابعوه كين Kenn ويستقرون في البدع Biddah وهي تبعيّة للبحرين.

في كانون الأول سنة 1843 يعاود الزعيم السابق زيارة بوشهر Bushire بغية لقاء المندوب، لكنه يرفض دعوة الأخير للقائه على متن ناقلة حربيّة. بدا غرضه الحقيقي هو سعيه للحصول على المساعدة، الذي وعده بها الشيخ سلمان على نحو غير رسمي. يشفع طلبه برسالة إلى المندوب من أجل تدخّل ومساعدة الحكومة البريطانيّة لصالحه، وهذا ما لم يتحقّق.

يستولي أتباع الزعيم السابق على قارب بحريني قرب أسيلو Aseeloo، وبعد العديد من الرسائل المتبادلة، تتمّ استعادة القارب في تموز من عام 1844.

في كانون الثاني سنة 1844 كان الزعيم السابق ما يزال في أحواض بوشهر للسفن ومن جديد يطالب بالمساعدة التي ترفضها الحكومة البريطانيّة على نحو قاطع.

تصل القوى البريّة التي طال انتظارها تحت قيادة الحاكم الوهابي،

وتفرض حصاراً على الدمام، التي كانت تحت حصار فرضه عليها أسطول زعماء القبائل التي اندمجت مع بعضها بعضاً.

يتم الاستيلاء على قاربين أرسلهما زعيم الكويت وشعبها تحمل مؤناً للدمام، في خور بلبول Khore Balbul من قبل بعض الناقلات التي تحرّرت من الأسطول الذي كان يفرض الحصار عليها. وبالرغم من أنّ هذه الحركة قانونيّة وعادلة، أُقنع محمد Mahomed بن خليفة لاحقاً بأن يستعيد القاربين بدلاً من أن يجازف بخوض حرب مع شيخ الكويت القوي. ينزل الزعيم السابق إلى اليابسة، ويستقبل بالتهليل والهتافات، وتجعل له إقامة على الشاطىء، وتتزايد آماله بوصول المساعدات العسكريّة من الحكومة الفارسيّة، لكن وبعد انتظار دام ثلاثة شهور من دون أيّ إشارات تنم على نيّة في التعاطف مع قضيته، يقرّر الرحيل ويزور المندوب.

سنة 1844 يتابع باتجاه الدمام، ويسعى إلى إدخال المعونات إلى الحصن الواقع تحت الحصار، والذي كان في أشدّ الحاجة إليها، لكنه يفشل، ويلاحق هو نفسه، ويلجأ إلى الكويت.

الدمام تستسلم، وتقيم فيها حامية من العسكر الوهابيين.

في نيسان سنة 1844 يعاود الزعيم السابق زيارة بوشهر Bushire ويلتقي بالمندوب على شاطىء البحر. على بعد ثلاثة أميال من البلدة ويدور الحديث حول اقتراحات محدّدة عرضها عليه الحاكم الوهابي. يرفض المندوب البريطاني التدخّل.

ينطلق الزعيم السابق إلى نابند Nabend على الساحل الفارسي.

يطلب من محمد بن خليفة وهو الحاكم الفعلي أن يدفع قيمة ذلك الجزء من الأملاك التي تمّ سلبها من قارب تشارك والتي ذهبت إلى حصة والسلطّة (سلوطة) Suloota الذي تخلى عن قضية خصمه، وبات من مشايعيه. يوافق على ذلك من دون تردّد.

البحرين:

1 ـ اسم الزعيم ولقبه وعمره:

القبيلة المتسيدة هي فرع من العتوب Uttobees والتي هي في الأصل من الكويت. واسم العائلة الحاكمة هو آل خليفة.

محمد بن خليفة بن سلمان بن أحمد بن خليفة زعيم البحرين. يبلغ من العمر واحداً وأربعين عاماً. ويشار إلى هذا الزعيم وأقاربه أو عشيرته عموماً بآل سلمان نسبة إلى جدهم، بغية تمييزهم عن الفرع المنافس للعائلة والذي يسمى اليوم آل عبد الله.

2 ـ أسماء الذكور الشرعيين وأعمارهم:

خليفة بن محمد Mahomed، يبلغ من العمر 18 عاماً. عبد الله يبلغ من العمر 13 عاماً. أحمد يبلغ من العمر 11 عاماً.

3 ـ الشخصيات الرئيسة في البلاط:

علي بن خليفة شقيق الزعيم، يبلغ من العمر 40 عاماً. ويشارك بقسط كبير في حكومة الجزيرة.

أبناؤه:

عبد الله بن علي، يبلغ من العمر 14 عاماً. إبراهيم، يبلغ من العمر 11 عاماً.

راشد بن خليفة شقيق الزعيم لأمه، يبلغ من العمر 47 عاماً. صاحب نفوذ وسلطة أدنى. كما أنه يشغل منصباً أقلّ شأناً.

محمد Mahomed بن سلمان عم الزعيم يبلغ من العمر 45 عاماً.

حمود Humood بن سلمان العم الثاني للزعيم، يبلغ من العمر 35 عاماً.

4 ـ أصحاب النفوذ وموثوقو الزعيم:

مبارك بن خليفة آل فضل Al Fazil يبلغ من العمر 65 عاماً.

حمود Humood بن محمد Mahomed يبلغ من العمر 40 عاماً.

عبد الوهاب بن عبد الله آل خليفة، يبلغ من العمر 50 عاماً.

خليفة بن محمد Mahomed بن عبد الله، يبلغ من العمر 45 عاماً.

خليفة بن محمد Mahomed بن علي، يبلغ من العمر 55 عاماً.

أحمد بن محمد Mahomed بن علي (شقيق خليفة)، يبلغ من العمر 50 عاماً.

وجميعهم يقطنون في قطر Gutter.

5 ـ الفرع المنافس من العائلة: آل خليفة آل عبد الله[1]:

حسن Hassan بن عبد الله بن أحمد آل خليفة ابن الراحل الزعيم السابق للبحرين، يبلغ من العمر 49 عاماً.

راشد بن عبد الله بن أحمد آل خليفة (شقيق حسن) والابن الثاني للراحل الزعيم السابق للبحرين، يبلغ من العمر 20 عاماً.

حمد Humeed بن عبد الله بن أحمد آل خليفة (شقيق حسن وراشد) والابن الثالث للراحل الزعيم السابق للبحرين، يبلغ من العمر 16 عاماً.

وجميعهم يقطنون في البحرين ويقتاتون على معونة ضئيلة خصّصها لهم الزعيم الفعلي.

محمد Mahomed بن عبد الله بن أحمد آل خليفة ابن الراحل الزعيم السابق يبلغ من العمر 37 عاماً.

خليفة وهو الابن الأكبر لمحمد Mahomed بن عبد الله بن أحمد آل خليفة وحفيد الراحل الزعيم السابق، يبلغ من العمر 16 عاماً.

---

(1) خليفة مات سنة 1865 وعبد الله قتل في الدفاع في الغارة التي قام بها محمد بن خليفة وناصر بن مبارك على البحرين سنة 1869 (ماجد شبّر).

ولمحمد ولدان أيضاً يبلغ عمر الأول منهما 12 عاماً والثاني 11 عاماً.

أحمد شقيق محمد Mahomed بن عبد الله بن أحمد آل خليفة وهو الابن الثاني للراحل الزعيم السابق، يبلغ من العمر 38 عاماً.

سلمان بن أحمد بن عبد الله بن أحمد آل خليفة وحفيد الراحل الزعيم السابق. ويبلغ من العمر 18 عاماً.

علي ابن الراحل الزعيم السابق وهو ذو نسب أدنى من جهة الأم. يبلغ من العمر 53 عاماً.

حسين بن علي حفيد الراحل الزعيم السابق، وهو البكر يبلغ من العمر 15 عاماً.

سلمان بن أحمد بن عبد الله وهو الذي هجر جانب الزعيم الفعلي. يبلغ من العمر 35 عاماً.

خليفة بن حمد Humeed بن عبد الله بن أحمد آل خليفة. يبلغ من العمر 34 عاماً.

عيسى بن حمد Humeed بن عبد الله بن أحمد آل خليفة (شقيق خليفة) يبلغ من العمر 32 عاماً.

علي بن ناصر بن عبد الله بن أحمد حفيد الزعيم السابق. يبلغ من العمر 27 عاماً.

حسين بن ناصر بن عبد الله بن أحمد حفيد الزعيم السابق (شقيق علي)، يبلغ من العمر 25 عاماً.

محمد Mahomed بن مبارك بن عبد الله بن أحمد حفيد الزعيم السابق، يبلغ من العمر 16 عاماً.

وجميعهم يسيطرون على الدمام في البر الرئيسي مقابل البحرين تحت

حماية الحاكم الوهابي الأمير فيصل والذي يدينون له بمبلغ سنوي يمكّنهم من الحفاظ على ودِّهم.

خلال الخمسة عشر عاماً الماضية استمر نزاع مرير مع فترات توقف من حين إلى آخر بين هؤلاء المتنافسين على زعامة البحرين ما أدّى إلى دمار شبه كامل للتجارة ولازدهار الجزيرة.

6 ـ البحرين هل هي تابعة أم لا؟ وإن كانت تابعة فلمن؟ مقدراً الجزية السنوية.

يعدّ زعيم البحرين مستقلاً لكنه يدفع الزكاة أو العشر الديني إلى الحاكم الوهابي بمعدل 4000 كراون في السنة.

7 ـ إجمالي الدخل السنوي المقدر:

يبلغ الدخل السنوي 100000 كراون تأتي من محاصيل (إنتاج) ممتلكات الأراضي الممتدة التي تسيطر عليها الأسرة الحاكمة، والضرائب المفروضة على الأرض وعلى القوارب التي تشارك بصيد اللؤلؤ. ليس هناك من جمارك أو رسم تفرض على الصادرات أو الواردات في البحرين.

8 ـ حدود الإقليم والمساحة المقدرة بالميل المربع:

يحتوي إقليم البحرين على جزيرتين تُعرفان بالاسم ذاته، وخط الساحل الذي يمتدّ من أسفل الخليج حيث يتمركزون إلى خور عديد Khore - al - Aded من الجهة الأخرى من رأس تنورة Ras Tanoorah.

9 ـ طبيعة التربة والأسلوب المتّبع في نظام السقاية وملامح عامة عن البلاد:

تُعدّ الجزيرة الأكبر التي تمتد على طول 30 ميلاً، وحوالي 6 أميال في العرض، تعدّ أراضيها منخفضة على وجه العموم، رغم أنه يمكن للمرء أن يرى سلسلة من نجود صغيرة. التربة هناك خصبة، وتروي عطشها ينابيع المياه العديدة التي ترتفع حتى مستوى الأرض. أما الجزيرة الصغرى باستثناء مزرعة

أو مزرعتي نخيل، فتركت دون رعاية. ويتشاطر ساحل قطر Gutter الطبيعة العامة للشواطىء الشرقية من جزيرة العرب الجدباء.

10 ـ المصادر الطبيعية والصناعية:

بالرغم من انخفاض عدد سكان البحرين في السنوات الأخيرة، وتناقص ثرواتها بسبب النزاعات الداخلية المستمرة، فقد حافظت على تجارة مزدهرة يمكن تقدير صادراتها ووارداتها على نحو تقريبي بخمسة أو ستة لاخات من الكراونات، وترسل من 1000 إلى 1200 قارب لصيد اللؤلؤ.

11 ـ وسائل الاتصالات:

إن الوصول إلى ميناء البحرين، يعدّ صعباً وهو ميناء جيد ومحمي، ويسمح للناقلات بالاقتراب من الماء على بعد 16 أو 17 قدماً.

12 ـ المناخ:

المناخ سيئ عموماً.

13 ـ الأمراض السائدة:

تنتشر أمراض الحمى. ويتعرض الغرباء الذين ينامون على الشواطىء للإصابة من آثارها القاتلة.

14 ـ معدل درجات الحرارة:

تشتد الحرارة صيفاً. لا يمكن إعطاء فكرة عن معدل درجات الحرارة، أو معدل سقوط الأمطار.

15 ـ عدد السكان:

يعيش على الجزيرة خمسون ألف نسمة. وليس هناك من تقديرات صحيحة دون مزيد من البحث والاستقصاء فيما يتّصل بسكان تبعيات البحرين على الساحل القطري Gutter.

الفصل الرابع

قبيلة بني ياس العربية

HISTORICAL SKETCH

OF THE

BENIYAS TRIBE OF ARABS,

FROM THE YEAR 1761 TO THE CLOSE OF THE YEAR 1831,

PREPARED BY

LIEUTENANT S. HENNELL;

WITH

CONTINUATIONS OF THE SAME,

FROM 1832 TO SEPTEMBER 1843,

BY LIEUTENANT A. B. KEMBALL;

AND FROM THE LATTER PERIOD TO MAY 1853,

BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE;

SUCCESSIVE ASSISTANTS TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة تاريخية عن قبيلة بني ياس العربية من عام 1761 إلى نهاية عام 1831(*)

أعدها الملازم إس. هينيل

مع ملحق للموضوع ذاته من عام 1831 إلى أيلول من عام 1843

أعدّه: الملازم إي. بي. كيمبال

ومن أيار من عام 1853

أعدّها الملازم: إتش. إف. ديسبرو

وهم معاونو المندوب في الخليج.

(*) ترجم هذه المقالات الأستاذ صخر الحاج حسين من ص 281 ـ 334 من هذا الكتاب.

ياس [1]

هي جزيرة بين أبو ظبي وقطر، وتقع على بعد حوالي 100 ميل جنوب غربي مدينة أبو ظبي وعلى بُعد 18 ميلاً شرق الجنوب الشرقي لجزيرة «دلما»، وعلى بعد 4 أو 5 أميال فقط من ساحل الظفرة عند جبل الظنة. ويقدر طول الجزيرة من الشمال إلى الجنوب بستة أميال ونصف الميل، وخمسة أميال من وسطها، وشكلها بيضاوي تقريباً. وشواطىء جزيرة ياس منخفضة ولكن وسطها يتكوّن من تلال بركانية، ويبلغ أقصى ارتفاع لها عند القمتين أو الرأسين المتجاورين التي يبلغ ارتفاع كل منها 430 قدماً تقريباً. وبها تضاريس تكوِّن ما يشبه المرسى الطبيعي.

ويتردد على الجزيرة في فصل الشتاء بنو ياس وصيادو الأسماك من الظفرة، وأحياناً يحتمي بها غواصو اللؤلؤ عند هبوب العواصف، وشواطىء اللؤلؤ المذكورة فيما بعد موجودة بجوارها وهي:

«غَشِّية Ghashshah على بُعد 3 أميال شمال الزاوية الشمالية الغربية للجزيرة. «البويردة» Buwairdah وعلى بعد 5 أميال إلى الجنوب الغربي من «ظهر الياس» Dahr-al-Yas وعلى بُعد 33 ميلاً من غربي «دلما» ويبدو أن اسمها مشتق من جزيرة ياس، ويمكن الحصول على الماء عقب سقوط الأمطار فقط.

وتتبع جزيرة ياس إمارة أبو ظبي في سحل عمان المتصالح.

---

(1) هذا الفصل من كتاب دليل الخليج القسم الجغرافي، الجزء السابع من ص 3715 ـ 3723 للوريمر ويشمل من ص281 ـ 286 من هذا الكتاب.

قبيلة بني ياس قوية ومترابطة من قبائل ساحل عمان المتصالح، وتمتد لشيوخ إمارتي أبو ظبي ودبي. وهذا سرُّ قوتها.

وفيما يلي يبين هذا الجدول تكوين القبيلة:

اسم الفرع	المنازل والسكان	الملاحظات
آل فلاح Falah (Al)	35 في الظويهر وكيه وشدق الكلب في ليوة	يملك هذا الفرع 2000 نخلة ولا يملكون قوارب لصيد اللؤلؤ ولكن بعضهم يذهب للغوص من بندر دريم في قوارب تابعة لآخرين وأحد فروعهم يعرف باسم آل سعدون
آل بو فلاح	حوالي 10 منازل في مدينة أبو ظبي و5 منازل في كيه Kaiyih ووشاح ليوة	آل بو فلاح أيضاً يعرفون باسم آل نهيان، وهم الفرع الذي ينتمي إليه شيخ أبو ظبي شخصياً ويوجد واحد أو اثنان منهم في ليوة، يذهبون لصيد السمك وغوص اللؤلؤ ولكنهم لا يملكون قوارب، والباقون منهم في ليوا (ليوة) يعملون في حدائق النخيل التابعة لهم التي تقدر بنحو 4000 نخلة، والمفرد: فلاحي Falahi
آل بو فلاسة	440 منزلاً في ساحل عمان المتصالح أي: 400 منزلاً في مدينة أبو ظبي و120 منزلاً في البحرين أي: 100 منزل في الحد والباقي في البسيتين وأم الشريحة وجالات السلطة ومدينة المحرق. و40 منزلاً في فنية على جزيرة تاروت في سنجق لحسا (الإحساء)	ينقسم آل بو فلاسة الذين يعيشون خارج ساحل عمان المتصالح إلى الفروع الآتية مجردة Mijardahومفردها (مجرودي). والرواشد ومفردها راشدي، ويديوات Yidaiwat ومفردها يديوي. وكلهم مسلمون سنّة على المذهب المالكي مثل باقي أفراد القبيلة الموجودون في الأماكن الأخرى وهم يعملون بصيد السمك وغوص اللؤلؤ والملاحة. والمفرد: فلاسي Falasi

الملاحظات	المنازل والسكان	اسم الفرع
يبدو أن هذا الفرع هو فرع البدو الرئيسي والمفرد حميري Hamiri	60 منزلاً في مدينة أبو ظبي و140 منزلاً مع القمزان Qumzan	آل بو حمير Hamir
الهوامل في ليوا (ليوة) يملكون 90 بقارة حيث يذهبون لغوص اللؤلؤ من بندر رديم ويملكون كذلك مائة جمل و8000 نخلة والمفرد Hamili	100 منزل في مدينة أبو ظبي و50 منزلاً بجوارها و190 منزلاً في ليوا (ليوة)	الهوامل Hawamil
يملك المحاربة 40 بقارة حيث يذهبون لغوص اللؤلؤ من بندر رديم، وأهل أبو ظبي من ميناء أبو ظبي ويملك المحاربة 600 نخلة والمفرد محيربي	60 منزلاً في مدينة أبو ظبي و50 منزلاً بجوارها و150 منزلاً في ليوا (ليوة)	المحاربة Maharibah
ويملك المزاريع 20 بقارة ويذهبون لغوص اللؤلؤ من بندر رديم ويملكون كذلك 8000 نخلة ويقال إنهم يملكون عدداً كبيراً من الخيول والإبل أما الماعز فقليل لديهم. والمزارع في ساحل عمان المتصالح ربما لا ينتمون إلى هذا الفرع من بني ياس وقد جاء هذا في مقالة المزاريع المذكورة في غير هذا المكان من الدليل	60 منزلاً في مدينة أبو ظبي و315 في ليوا (ليوة)	المزاريع
يملك هذا الفرع 3000 نخلة وقليل منهم يذهب لغوص اللؤلؤ من المغيرة. وهم يملكون 5 جمال وقليل من الماعز والمفرد قنيصي Qanaisi`	15 منزلاً في ليوا (ليوة)	قنيصات Qanaisat

اسم الفرع	المنازل والسكان	الملاحظات
القصل Qasal	8 منازل في ليوا (ليوة)	يعمل كل الرجال بغوص اللؤلؤ ويملكون 4 قوارب و800 نخلة
القبيسات Qubaisat	75 منزلاً في مدينة أبو ظبي و185 في ليوا (ليوة)	يملك الموجودون منهم في ليوة 10,000 نخلة و60 جملاً ويعمل هذا الفرع بغوص اللؤلؤ ويملكون 40 بقرة في مدينة أبو ظبي و16 آخرين في المغيرة على ساحل الظفرة وكان القبيسات يملكون فيما مضى منازل في خور العديد
آل قمزان Qumzan	50 منزلاً في مدينة أبو ظبي و100 منزل بجوارها وخاصة في ركنه Raknah	يملك هذا الفرع 100 جمل وهم يذهبون لغوص اللؤلؤ من أبو ظبي ويملكون 20 بقرة والمفرد قمزي Qamzi
الرميثات Ramaithat	100 منزل في مدينة أبو ظبي و50 في الأماكن المجاورة	يملك الرميثات 100 جمل و30 بقارة وهم يذهون لصيد اللؤلؤ من مياه أبو ظبي المفرد رميثي Ramaithi
سبايس Sabais	40 منزلاً في دبي	كانوا في الأصل من الطنيج Tanaij ولكنهم الآن أحد فروع بني ياس. والمفرد: سبوسي Sabusi
بنو شكر	80 منزلاً في ليوا (ليوة)	يملكون 4000 نخلة و12 قارباً ومركز عملهم في غوص اللؤلؤ، يوجد في بندر مرفة على ساحل الظفرة. والمفرد: شكري Shukri
آل سلطاني	35 منزلاً في ليوا (ليوة)	وآل سلطان على اتصال مباشر بآل بو فلاح ويملكون 3000 نخلة، ويذهبون لصيد اللؤلؤ من بندر رديم وخور المغيرة والمفرد: سلطاني

ويعتبر «آل بو عميم» Al Bu' Amim من مدينة أبو ظبي ضمن قبيلة بني ياس، وكذلك الهلالمة Halalmah الذين كانوا أحد فروع بني قتب (كتب) وانضموا إلى بني ياس، وكذلك الثميرات الذين كانوا قبل ذلك في الأصل من المرر.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره يوجد فروع صغيرة غير محددة العدد في الجميرة في إمارة دبي، وحوالي 1200 نسمة منهم في جزيرة هنجام.

وتجب ملاحظة أن العدد الكلي للقبيلة في ساحل عمان المتصالح يبلغ نحو 12,000 نسمة، منهم 10,000 نسمة مستقرون والباقون وهم 2000 نسمة من البدو. وكل البدو موجودون في إمارة أبو ظبي. وبالنسبة للسكان المستقرّين فيوجد منهم 2000 نسمة في دبي والباقون وعددهم 8000 نسمة هم من رعايا شيخ أبو ظبي. وبالإضافة إلى السكان المستقرين من بني ياس في ساحل عمان، يوجد 600 نسمة منهم في البحرين و200 نسمة على جزيرة تاروت في سنجق لحسا (الإحساء)، وأكثر من مائة نسمة في قطر بالإضافة إلى الموجودين منهم في هنجام.

وتجب الملاحظة أيضاً أن بني ياس الموجودين في إمارة دبي ينتمون إلى فرع آل بو فلاسة، أما الموجودون منهم في البحرين وفي جزيرة تاروت وفرعهم الموجود في قطر فإنهم متنقلون من فرع إلى آخر ولكنهم منتمون إلى أصل القبيلة.

وقد سبق أن ذكرنا بالتفصيل في الجدول السابق، وفي مقالة الظفرة بيانات كاملة عن الأعمال والحرف التي يقوم بها «بنو ياس» وكذلك مصادر دخلهم، ويقيم معظم «بني ياس» الموجودين في إمارة أبو ظبي في منطقة ليوا (ليوة) إقامة دائمة، وكلهم مخلصون وعلى علاقة طيبة مع شيخ أبو ظبي.

والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو أن فرع القبيسات أرادوا أن يتبعوا فرع آل بو فلاسة ولكن يبدو أنهم في الوقت الحاضر قد عدلوا عن خطتهم.

وأن شيوخهم الرئيسيين الأدنى منزلة من شيخ أبو ظبي هم: بطي بن خادم، شيخ القبيسات والذي يقيم بصفة دائمة في مدينة أبو ظبي.

ولكن شيوخ المزاريع هم «عتّب» Attab و«قرمدة» Qarmidah في ليوا (ليوة). وكذلك حمد بن اغتيل شيخ المحاربة الذي تحت إدارته الضفير وطرق في ليوا (ليوة)، و«راشد بن حمد» شيخ الهوامل الذي يدير حاضي وشاه وسبحة والوزيل في ليوا (ليوة). و«فارس بن علي» شيخ المزاريع الذي يدير خنور وحفيف في ليوا (ليوة) ويعيش هو بنفسه في خنور.

وبنو ياس هناوية سياسياً، ويختلفون في كثير من الأمور عن جيرانهم وهم مسلمون سنّة على المذهب المالكي وليسوا حنابلة، وفي الحاضر لا تربطهم بجيرانهم علاقة صداقة ولا علاقة عداء.

بنو ياس
من عام 1761 إلى نهاية 1831

هذا التقرير من إعداد الملازم أس. هينيل Lieutenant Hennell

لم تلق أبو ظبي وقبيلة بني ياس التي تقطنها، عناية مميزة في اللمحات التاريخية التي أعدّها السيد واردن. تقع أبو ظبي تحت رأس صوفان على جانب من اليابسة تشكل جزيرة تقع بالقرب من مياه راكدة تستضيف القوارب، وهي مخاضة في بقعة تتخلل المياه الضحلة. يُعد الرسو مقابل البلدة عملاً غير آمن: فالناقلات التي تحتاج إلى عمق أربعة عشر قدماً من الماء مجبرة على أن تقبع على بعد ميل وربع من الشاطىء، وهي معرّضة للرياح الغربية الشمالية، وتجعل طبيعة الشاطىء المنخفضة وتسيد الطقس الغائم، من شبه المستحيل الوصول إليها. إن البلدة باستثناء منزل الشيخ، أو حصن صغير، بني بالكامل من الكادجان Cadjant وهي سياسة اتبعها طحنون، بما أنه يعارض بناء أبنية من الحجر ما يجعل تابعوه مستقلين عنه ويجعله مكشوفاً ومعرّضاً لهجوم من الجانب البحري. يقارب عدد السكان الثمانية عشر ألفاً. يزور الضفاف خلال فترة صيد اللؤلؤ أكثر من 600 قارب على متن كل منها ما بين سبعة إلى خمسة عشر رجلاً، التربة جافة، قاحلة أما المياه على الجزيرة فمالحة. وهذا ما جعل أبو ظبي تعتمد على مناطق أخرى من أجل تزوّدها بالمؤن.

تتألف قبيلة بني ياس من عدة قبائل أخرى، مثل المرر Marier والقمزان Kemzan واللتين تتحدران من قبائل بني صقر، والهوامل Hawamul والمجالبة

Mujalibah اللتين تتحدران من قبيلة العلي، وقبيلة السميط Sumeesat التي تتحدر من قبيلة عبيد الله وقبيلة الرمسات التي تتحدر من قبيلة بني حميد والمحاربة Maharibah التي تتحدر من قبيلة بني نعيم، والبو ماهر التي تتحدر من قبيلتي الشبيب والكلازي وقبيلة أبو فلاسة والتي تتحدر من أحد فروع بني ياس، وبني كعب التي تتحدر من قبيلة كعب. لقد اختير حكام هذه المجموعات من القبائل من عائلة البو فلاح Huboo Fulah ومنها يتحدر الشيخ طحنون.

وشأن جميع القبائل العربية كان موطن قبيلة بني ياس في الأصل، منطقة نجد. لكن ولدى مغادرتهم ذلك الجزء من جزيرة العرب استوطنوا أرضاً تمتد من البدع إلى البريمي. وكان القسم الأكبر من القبيلة من البدو، الذين استقروا في الداخل وانصرفوا إلى العناية بقطعانهم ومواشيهم، لكن بعضهم بات في حال من الفقر بسبب فقدانهم لمواشيهم، واتخذوا سكنى لهم على شواطىء الخليج، على امتداد الخط الساحلي بين دبي وعلى مسافة قصيرة من الجزيرة التي تنتصب عليها الآن بلدة أبو ظبي، التي لم تكن مأهولة في ذلك الوقت لكونها تعاني من نقص شديد في المياه. رغم ذلك، كان صيادو بني ياس يأتون إليها من وقت لآخر من أجل أعمالهم. لكن في تلك المناسبات كانوا واقعين تحت رحمة الحاجة لأخذ مؤونتهم من المياه معهم. على أي حال كان أحد أولئك الأفراد والذي ابتسم له الحظ عندما حفر في الأرض ليجد حفرة تمتلىء ماء، وهي لقيا حثت الزوّار على أن يستوطنوا جزيرة أبو ظبي على نحو دائم.

أُقيمت أول مستوطنة (وضمّت عشرين منزلاً) حوالي عام 1761. وانتشر خبر وجود الماء على نحو سريع في القبيلة، وقبل أن يمرّ عامان كان عدد المنازل قد ارتفع إلى 400 منزل. ومنذ ذلك الحين ازداد عدد السكان كما ازداد عدد البيوت على نحو متواصل. اعتاد شيوخ القبيلة المقيمين في الداخل، زيارة أبو ظبي بين الحين والآخر، وتلقّي الهدايا من السكان. وتبعاً

لأحد الآراء فإن مؤسس قبيلة بو فلاح الفعلي كان الشيخ ياس بن عامر بن قيس (جيس) Ghes نزار Nuzur (ويقال إن هذا الأخير يتحدّر من سلالة الرسول الكريم). رغم ذلك أكّد آخرون أن سلف الشيخ طحنون كان زعل Zhelal وهو سلف مباشر لـ Gharrem Zeighee[1]. رغم ذلك فقد بدا بأن ما يتصل بخلفائه بقي مجهولاً حتى بعد موت الجد الأكبر للشيخ شخبوط والد الحاكم الحالي لأبو ظبي. لقد ترك هذا الشخص أربعة أولاد، نهيان وسعدون، ومحمد، وسلطان. وسرعان ما دخل هؤلاء في نزاعات فيما بينهم. أما قبيلة بني ياس وبما أنها انقسمت نتيجة للنزاعات التي وقعت فيما بين الأشقاء الأربعة فقد استمرّ بينهم صراع دموي طال أمده. ولدى موت ثلاثة منهم، خلفهم أولادهم، عيسى بن نهيان، وزايد بن محمد وسلطان بن سعدون الذي استمرّت حالة العداء في حياته على نحو أكثر حدّة. خلف عيسى ابنه ذياب، بوصفه الزعيم الاسمي. بعد أن لاحظ الزعيم الجديد أن معظم أفراد القبيلة يميلون إلى عمه زايد بن محمد، انتهز أول فرصة له وقتله، ومن خلال ذلك وطّد لنفسه السلطة على كامل قبيلة بني ياس. واستمر في حكمه من دون أي قلاقل، إلى أن سعى أحد أحفاد محمد واسمه هزاع بن زايد الذي كان يسكن أبو ظبي، إلى تحريض القبائل المجاورة ضده. في هذا الوقت كان الشيخ ذياب يقطن في الداخل حيث كان يقوم بزيارات بين الحين والآخر إلى عاصمته.

وفي زيارة له في عام 1793 فكر الشيخ ذياب أنه من الأفضل أن يصدر أوامره إلى عائلة هزاع، مع رعاياها جميعهم أن يغادروا أبو ظبي ويستوطنوا الداخل. في ذلك الوقت كان هزاع متغيباً في البحرين، لكن وبعد أن وصلته أنباء ترحيلهم أسرع في العودة، وفي سياق نزاع ساخن مع قريبه ذياب، استلّ سيفه وقتله. ومن جديد زرعت هذه الحادثة بذور الفرقة والانقسام داخل قبيلة بني ياس وحوّلتهم إلى طرفين، الأول منهما دعم هزاع

(1) مراجعة شجرة النسب المرفقة في هذا الكتاب.

بينما ناصر القسم الآخر والأكبر شخبوط (ابن الزعيم المقتول)، وأطال أمد النزاع وأفلح في قتل عشرة أفراد كانوا موجودين لدى مقتل والده. خشية من أن يلاقي المصير ذاته، غادر هزاع أبو ظبي في النهاية مع أتباعه واستقرّ في (جزيرة) أبو علي[1].

سنة 1795 ـ 1819

بعد رحيل هزاع، استولى شخبوط على السلطة في القبيلة سلمياً، واستمر على رأسها حتى عام 1816 حين نجح ابنه محمد في خلعه. بقي محمد هذا بوصفه شيخاً لمدة عامين، عندما عاد شقيقه الأصغر طحنون من مسقط إلى أبو ظبي، وأفلح في طرده في عام 1818 بعد أن تلقّى بغلة (سفينة) ومبلغاً كبيراً من المال من الإمام وبعد أن مدّ والده له يد العون. لم يمض سوى وقت قصير على هذه الحادثة حتى صار الوالد وابنه على رأس القبيلة، لكن سلطة الشيخ طحنون بدأت تتفوّق تدريجياً على سلطة والده. ومع التبدل الذي طرأ على موقعيهما بدا بأن شخبوط اقتنع بأن يذعن بهدوء، واستمرّ في سكناه في أبو ظبي والمناطق المجاورة لها، وكان طحنون يستخدمه دائماً في تسوية قضايا تتصل بمفاوضاتهم مع الأطراف الأخرى. بعد أن هرب محمد بن شخبوط اتخذ من بيدا ملجأ له وطلب حماية عبد الله بن أحمد زعيم البحرين. وحتى ذلك الحين كانت قبيلة بني ياس الحليف الودود للقواسم لكن الروابط التي أقامها الشيخ طحنون مع إمام مسقط أضعفت شيئاً فشيئاً الصداقة القائمة بين القبيلتين، إلى أن حدث تغير كلّي في علاقاتهما، وباتوا من ألدّ الأعداء.

في عام 1820 اعترف بقبائل بني ياس على أنهم أطراف في المعاهدة العامة التي أرستها الحكومة البريطانية مع عرب البحر في الخليج، بغية قمع أعمال القرصنة في ذلك الخليج.

---

(1) هي جزيرة طولها حوالي 12 ميلاً وتقع بعيداً عن ساحل لحسا (الإحساء) بمسافة 16 ميلاً تقريباً إلى الجنوب الشرقي من رأس البدع. [شبّر]

في عام 1822 هرب سويدان بن زعل[1] وهو أحد الأعيان من أبو ظبي حوالي عام 1822 تجنباً لدفع ديونه المستحقة عليه وأخذ عدداً من القوارب التابعة لأبو ظبي معه. بعد أن عاش حياة تنقل وتجوال لبعض الوقت في الخليج (خلال تلك المدة نظرت السلطات البريطانية إلى أفعاله بارتياب كبير) أخيراً استقرّ في البدع تحت حماية شيخ البحرين. أثار هروب سويدان سخط واستياء الشيخ طحنون وبدأ باتخاذ سلسلة من الإجراءات ضده بما في ذلك عمليات ملاحقة، وأفلح في أسر بعض القوارب والغنائم التي تعود ملكيتها إليه. بعد أن عُدّت تلك الإجراءات تهديداً للأمن والسلام في الخليج، وبأنها تؤدّي إلى تجدد أعمال القرصنة، تمَّ الإيعاز إلى سموّ الإمام (الذي كان من المفترض أن يحوز بعض السيطرة على زعيم بني ياس) من خلال الوكيل السياسي، الكولونيل كينت، أنه وما لم يتخلّ الشيخ طحنون عن كل ما استولى عليه، وما لم يمتنع عن أي إجراءات شبيهة في المستقبل، فسوف ترسل ناقلة حربية إلى أبو ظبي لإجباره على التعويض وتدمير حصونه.

في نهاية عام 1823 بعد أن جمع محمد بن شخبوط، شقيق الشيخ طحنون عدداً كبيراً من أفراد قبيلة المناصير، هاجم أبو ظبي وأنزل فيها أعمال السلب والنهب. وعلى الفور زحف الشيخ طحنون مع قوة يبلغ تعدادها 1500 رجل لتخليص البلدة، وبعد معركة استمرت لعدة ساعات، أُجبر محمد على التقهقر بعد أن خسر خمسة وثلاثين من رجاله، ونتيجة لذلك لجأ إلى الشارقة (الشارجة). جمع الشيخ سلطان بن صقر حشوده استعداداً للمقاومة بعد أن أطلق الشيخ طحنون تهديدات في حال لم يستسلم محمد، لكن بعد ذلك بوقت قصير ترك محمد بن شخبوط حماية الشيخ سلطان بن صقر واتخذ من هويلا (هويلة) والتي تقع تحت سلطة الشيخ عبد الله بن أحمد زعيم البحرين، مستقراً له.

في ذلك الوقت 1824 ـ 1825، أرسيت معاهدة سلام بين الإمام

---

(1) كان سويدان زعيم فرع المحاربة من قبيلة بني ياس. [شبّر]

والشيخ طحنون والشيخ سلطان بن صقر، عبر وساطة المندوب البريطاني في الخليج، كان شرطها الرئيسي يتجلّى في تدمير أبراج البريمي بالإضافة إلى حصن درعة وهو حصن صغير يقع بين الشارقة (الشارجة) ودبي، تشغله قبيلة سويدان [السويدي] في ظل زعامة سلمان بن ناصر، بدا بأن عدداً من المؤامرات السرية كانت تُحاك فيما يتصل بأبراج البريمي والتي لا نستطيع الآن أن نحل خيوطها، لكن الشيخ سلطان أظهر الكثير من التردد في تنفيذ الجانب الأكبر من الميثاق، فقد أجرى زعيم بني ياس استعداداته لتجديد حالة العداء الذي تمَّ تفاديه من خلال نفوذ الإمام بالإضافة إلى نفوذ المندوب في الخليج، وتمَّ اتخاذ تدابير في النهاية تجسّدت في إرسال أشخاص تابعين لسلطان بن صقر، للتأكد من تنفيذ شرط الاتفاقية فيما يتصل بتدمير أبراج البريمي. رغم ذلك قد جعل الشيخ سلطان من هذا الإجراء عديم الفائدة، بانتهاكه الاتفاقية ومهاجمة ديرة كان ذلك إشارة لتجدد حالة العداء التي استمرت لبعض الوقت من دون أن يحصل أي من الطرفين على أية منافع مادية على حساب الطرف الثاني. في نهاية عام 1825 وبعد أن وصل الإمام إلى الخليج مع أسطوله، عرض وساطته وقبلت، وأرسي السلام بين زعيم بني ياس وسلطان بن صقر من جديد. كان من الشروط التي تمَّ الاتفاق عليها تدمير حصن ديرة، وإبعاد سلمان بن ناصر مع قبيلة السويدان [السويدي] من مناطق الشيخ سلطان، بينما أرسل فرقة من القوات إلى حصن دبي تحت قيادة ضابط من ضباط الإمام.

في عام 1826 أبحر عبد بن سعدون (وهو أحد أتباع سويدان بن زعل الذي ذكرناه على أنه هرب من أبو ظبي في عام 1822) وسيف بن ذكمان Thykhan من البيدا واستوليا على بغلة (سفينة) تخصّ أبو ظبي، وقتلوا وجرحوا العديد من ركابها. كما استوليا على قارب تابع لأم القيوين الذي قتل فيه شخص واحد، وجرح آخر، لكن بعد ذلك سمحوا للقارب أن يتابع رحلته. كما نهب المجرمان قارباً بحرينياً ونقلا ما غنماه إلى بيدا ومنها انطلقا هاربين. خلقت هذه الأفعال حالة من السخط والاستياء لدى الشيخ طحنون

ضد عبد الله بن أحمد زعيم البحرين نتيجة التشجيع والملجأ اللذين قُدِّما لأتباعه المتمردين. ناشد الشيخ طحنون ممثل السلطة البريطانية بغية التعويض، ومنع من إعلان الحرب ضد شيخ العتوب.

أرسيت شروط الاتفاقية مؤخراً بين القواسم (الجواسم) وبني ياس، فيما يتصل بتدمير ديرة وإزاحة قبيلة سويدان (السويدي)، هذا ما لم يتم تنفيذه من قبل الشيخ طحنون، وتقدم الشيخ القاسمي (الجاسمي) بطلب إلى المندوب في شهر أيلول من عام 1826 للسماح له بأن يستخدم القوة لطرد المحتلين. رغم ذلك وافق على تأجيل ما عزم على القيام به، إلى أن يتم التأكّد من أن شيخ أبو ظبي سيصغي إلى توصيات ممثل السلطة البريطانية فيما يتصل بسحب دعمه وتشجيعه عن قبيلة سويدان (السويدي). رغم ذلك، لم يعر الشيخ طحنون اهتماماً بالتحذيرات التي أطلقها المندوب شخصياً، الذي سعى في سياق لقاء تمَّ في أبو ظبي إلى إقناعه أن الجلاء عن المكان المعني بات ضرورياً للحفاظ على السلام الشامل، الذي كان مهدداً بخطر السلوك المتهور لأتباع سلمان بن ناصر حيال القبائل المجاورة، وبأن سمعته ومصالحه تعتمد إلى درجة كبيرة على التزامه فيما يتّصل بتدمير ديرة، بما أن سمو الإمام والحكومة الإنكليزية صادقا على المعاهدة التي تتضمن هذا البند. بعد أن ألفى ممثل السلطة البريطانية تصلّب زعيم بني ياس، انطلق إلى مسقط وهناك وبعد أن اطّلع سمو الإمام على رفض الشيخ طحنون الانصياع، وعده هذا الأخير بأن يرسل ناقلتين إلى الحصن، لمنع أية مساعدة يمكن أن تصل إليه، في الوقت الذي كانت قوات القواسم (الجواسم) التي قدمت من الشارقة (الشارجة) ورأس الخيمة تحاصرها من البر.

رغم ذلك لم يتم اتخاذ أي إجراءات فيما يتّصل بالمسألة إلى آذار من عام 1827 عندما أبحر الإمام بأسطوله إلى ديرة وأنزل الخراب في المكان. وفي الوقت ذاته، وكنوع من التعويض لكرامة الشيخ طحنون التي جرحت، تمَّ تزويده بالمدافع والذخائر بالإضافة إلى أن الإمام استخدم كل نفوذه لحثّ

سكان دبي على الانصياع لسلطته. قبل ظهور سموّ الإمام، بدأت جلسة مفاوضات من أجل التوصّل إلى سلام بين الشيوخ المتنازعين، والتي انتهت تقريباً إلى نتيجة مشجّعة، عندما جعل وصول الإمام (الذي كان ينظر على الدوام بعين حاسدة إلى اجتماع وتوحّد الزعماء الأقوياء) المسائل في حال من الفوضى التي كانت سائدة في الماضي. أما طحنون، وبعد أن استفاد من الدعم الذي لقيه من الإمام، أفلح في مباغتة دبي بهجوم قوي.

أعلن الشيخ سلطان بن صقر في تشرين الثاني من عام 1827 الحرب على طحنون، بسبب اعتداءاته المستمرة التي كان من بينها الاستيلاء على عدة قوارب لصيد اللؤلؤ تخص الشارقة (الشارجة) من قبل خليفة بن دميثر Dumeethar حاكم دبي، الذي أجبرته الإجراءات الفورية الفعّالة التي اتّخذها الضابط الآمر لناقلة بحرية تبحر على ضفاف اللؤلؤ، لاستعادة الناقلتين والشحن.

نتج عن الإجراءات التي اتبعها دميثر احتجاجات شديدة من جانب ممثل السلطة السياسية على الشيخ طحنون ونتيجة لذلك، وفي لقاء عُقد معه في نيسان من عام 1828، أشار الميجور ولسون إلى الآثار السلبية التي من الممكن أن تنشأ إذا حدث وأن سمح لأتباعه أن يسلكوا هذا السبيل. رغم ذلك، لم يبد بأن الشيخ سلطان قد وقع إعلانه للحرب موضع التنفيذ، كما أنه لم يتّخذ أي خطوات بعد أن أطلقه، وبقيت الأمور كما كانت عليه.

واستجابة للتدابير التي اتخذت سابقاً مع الإمام، انضم الشيخ طحنون إلى سموّه مع قوة كبيرة في تشرين الأول من عام 1828 ورافق حملة ضد البحرين. ومما رشح من معلومات منذ ذلك الحين، ثمة سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن تفاهماً سرياً كان موجوداً بين زعيم بني ياس وشيخ البحرين ذلك أنه وبعد ظهور أسطول أمام تلك الجزيرة، تمَّ إبلاغ السكان وعلى نحو دقيق ومفصّل بكل شيء بينما كان السلوك الطائش والمتمرد للشيخ طحنون وأتباعه هو السبب الرئيس لفشل ذريع أصاب القضية برمتها.

غادر سيئا الصيت سويدان بن زعل وسيف بن ذكمان (ثكمان) Thykhan اللذين استوليا على عدد من قوارب أبو ظبي واللذين هربا إلى بيدا في عام 1822، وبعد أن أرسيا مصالحة مع الشيخ طحنون، المكان وعادا إلى مستقرهما القديم في عاصمة بني ياس.

في تموز من عام 1828 أسر اثنان من بغلات Buggarahs البحرين وأحد بوتيلات [سفن] Buteel الكويت بالقرب من المكان القديم على يد بعض من أفراد قبيلة بني ياس. على أي حال، استعيدت هذه المراكب بعد ذلك، وأُعيدت إلى مالكيها، لكن القراصنة تمكّنوا من الهرب إلى اليابسة ونجوا من العقاب.

في أيلول من عام 1829 انطلق قارب مجهز برجال معظمهم يتبعون قبيلة بني ياس، تحت قيادة عبد بن مهنا، وهو مواطن بحريني، إلى الخليج. لكن القارب عاد مع طاقمه بعد أن احتجز الربان أثناء نزوله في جزيرة زيرا Zeera وهي قرية صغيرة تقع على ساحل الخليج، إلى الجانب العربي منه. وفي طريق عودتهم التقوا بأربعة قوارب تابعة لأسيلو بالقرب من صير Seer بني ياس لينهبوها، ويتابعوا إبحارهم إلى جوار أبو ظبي حيث أسرعت القوارب الأربعة لتعرض شكواهم إلى الشيخ طحنون الذي تصرف على أحسن ما يكون، فقد عوّضهم عن الاعتداء الذي تعرّضوا له وبكل سخاء.

تفجرت حالة العداء من جديد في شباط من عام 1829 بين الشيخ طحنون والزعيم القاسمي وكانت أبو ظبي عاصمة طحنون تعاني من ضيق وكرب شديدين جرّاء الحصار الذي فرضه عليها الشيخ سلطان. على أي حال، شعر الطرفان بعبثية استمرار الحرب فيما بينهما خلال موسم صيد اللؤلؤ، وفي النهاية أرسي السلام بين المتنازعين في شهر حزيران من عام 1829 من خلال مساعي الشيخ محمد بن قضيب Guzeeb حاكم لنجة.

تمَّ قبول الشيخ طحنون، بوصفه حليفاً ظاهراً لسمو الإمام، كطرف في معاهدة أرسيت في كانون الأول من عام 1829 بعد أن تخلّص إمام مسقط

وشيخ البحرين من حالة العداء التي كانت قائمة بينهما، وبعد أن دخلا في علاقات ودّية، رغم أنه لم يتعرض لأي إشارة تدلّ على العداء له من قبل العتوب.

بدا شيخ قبيلة بني ياس هادئاً حتى بداية عام 1831 عندما أرسل عدداً من رجاله إلى مسقط عارضاً خدماته في النزاع الذي كان يقترب بعد أن أعلن الإمام الحرب للمرة الثانية ضد قريبه حمود بن عزّان Azan شيخ صحار. سواء كان مرتاباً بإخلاص شيخ بني ياس، من خلال رصده للنجاحات الضعيفة والمتفاوتة التي صاحبت جميع العمليات الحربية التي اشتركت في جانب منها قبيلة بني ياس، أو لسبب آخر، فقد رفض سموّ الإمام عروض هذا الأخير على نحو قاطع.

بعد أن أساءه رفض الإمام لعروضه وصدّها وربما بسبب خوفه من تزايد النفوذ الذي كان يحرزه خصمه، سلطان بن صقر، نتيجة محاباة الإمام وتأييده لهذا الأخير، بدا الشيخ طحنون بأنه يلقي بنفسه في الجانب المعاكس، وبحملة جاءت بتوقيت مناسب توجّهت إلى مناطق القواسم، منع تلك القبيلة من تقديم أي دعم فاعل للعمليات الحربية التي قام بها سمو الإمام ضد صحار. بسبب هذا الغزو كان إعلان الحرب من جانب سلطان بن صقر، الذي قام باستعدادات كبيرة لفرض حصار على أبو ظبي. لقد أثار مشهد حالة العداء خلال موسم صيد اللؤلؤ الاستياء الكبير في عقول القواسم (الجواسم) وقبيلة بني ياس. نتيجة لذلك لجأ الطرفان ينشدان المساعي الحميدة للشيخ محمد بن قضيب شيخ لنجة، وبعد جولة مفاوضات قصيرة أرسي السلام في تموز من عام 1831 عبر وساطة قام بها ذلك الزعيم. بعد ذلك انطلق أتباع ورعايا الطرفين إلى ضفاف اللؤلؤ.

بعد هذه التدابير قام بعض الأشخاص من الشارقة (الشارجة) بارتكاب قرصنة على قوارب صيد اللؤلؤ التابعة لبني ياس. وانتقاماً لهذا الاعتداء، فرض الشيخ طحنون حظراً على أربعة عشر بوغاراً تخصّ القواسم كانت

بالقرب من أبو ظبي. تمّت إعادة بوغارات القواسم الأربعة عشر، عندما أعاد الشيخ سلطان قاربي بني ياس مع حمولتهما، لكن الشيخ طحنون احتفظ لنفسه باللؤلؤ والعبيد الذين كانوا على متن ناقلات الشارقة (الشارجة)، إلى أن تتم تلبية بعض المطالب والادعاءات التي أطلقها أحد رعايا الشيخ طحنون ضد رجل من دبي (يقيم الآن تحت حماية الزعيم القاسمي). حتى الآن أي في كانون الأول من عام 1831 لا تزال هذه القضية عالقة، ويخشى أن تنتهي بتجدد الاشتباكات.

من عام 1832 إلى عام 1843

أعدها الملازم إي. بي. كيمبال BY LIEUTENANT A. B. KEMBALL

في نهاية عام 1831، وبحسب اللمحات التاريخية حتى ذلك الوقت، علمنا أن الشيخ طحنون زعيم بني ياس كان لا يزال في سياق المفاوضات مع أعدائه، سلطان بن صقر وتابعه زعيم عجمان، فيما يتصل باستعادة كل من الطرفين لقواربه وأملاكه التي استولى عليها الآخر. لقد تمَّ تجنب الحرب التي كانت تهدد بالاندلاع نتيجة اعتداءات الشيخ طحنون وما قام به من أعمال سلب ونهب على مناطق نفوذ خصومه، في وقت كانوا منشغلين فيه مع قواتهم على ساحل الباطنة، عبر وساطة قام بها زعيم لنجة.

كان الإجراء الوحيد الذي اتخذه الشيخ طحنون خلال هذا العام هو الحيطة والحذر. وذلك من خلال إرساله بعض قوارب البغلات (السفن) المسلحة على نحو جيد لمواكبة ناقلاته التجارية، وضمان سلامتها من هجوم قوارب القواسم (الجواسم)، التي كانت تبحر ضد تجارة مسقط.

جر الشيخ القاسمي (الجاسمي) على نفسه غضب السلطة البريطانية وحمَّلته مسؤولية قرصنة وأعمال سلب ونهب تعرّض لها قارب تابع لأحد الرعايا البريطانيين. قبالة الساحل الفارسي اتهم بها ثلاثة من سكان خان، وهي مكان يقع بالقرب من الشارقة (الشارجة)، ويقع تحت نفوذ القواسم (الجواسم)، وعدّت تلك القرصنة إهانة بحقها، على اعتبار أنهم من رعاياه.

رغم أن القرصنة ارتكبت في أيار من عام 1832، لم يكن حتى وقت مبكر من العام التالي، نتيجة تملّص ومراوغات متكررة من طرف الشيخ طحنون، ووسائل عاجلة لفرض التعويض الذي لم يكن متاحاً، بسبب ضغوط لأعمال محتملة في أصقاع أخرى (منها إجراءات قام بها الشيخ ناصر في بوشهر) التي تقتضي الإسراع بخدمات ملاحي فرقة الخليج، ذلك أنه تمّت الموافقة على طلب المندوب من القاضي بتسليم المجرمين أو دفع مبلغ 1500 كراون ألماني، من خلال تبنّي الخيار الأخير. وهكذا ساد الارتياح ولم يعد من مبرر للشيخ سلطان في أن يسبب مزيداً من التأخير في دفع حصته من قيمة الغنائم المسلوبة، وبحسب ذلك فقد دعي لدفع مبلغ ألفي كراون ألماني.

وفي انتزاع الغرامة كاملة، بات من الضروري، من جانب الضابط آمر الناقلات التي أرسلت في المهمة، أن ينفذ تهديده ولو جزئياً وذلك بتدمير بتيل تابع للشارقة، كان يرسو بالقرب من عجمان كان قد عطّله بقصف سطحه، وإطلاق عدد من القذائف في بدنه.

في نيسان من عام 1833 قتل خليفة وسلطان شقيقهما الشيخ طحنون بسبب الطموح والغيرة. كان قد أبعدهما منذ وقت طويل عن أبو ظبي خشية أن يحيكا المكائد ضده وضد سلطته، لكنه استجاب أخيراً إلى مناشدة والدهم شخبوط، وأعادهما من المنفى شريطة ألّا يمارسا أي مهمات في الحكومة وألّا يحملا السلاح. ولم يمض سوى وقت قصير حتى اكتشف تورطهما في حلف مع بعض أعيان القبيلة للقضاء عليه، وبناءً على ذلك أرسل بالأعيان إلى السجن، ولسوء حظ الشيخ طحنون وبعد أن تأذت كرامة ما تبقّى من أعيان وبعد أن دبّ الذعر فيهم، اشتركوا في وضع المؤامرة موضع التنفيذ مع شقيقيه. بحسب ذلك، وبعد أن أخفى الشيخ خليفة مسدساً محشواً تحت ملابسه، انتهز فرصة غياب الحراسة عن شقيقه الشيخ طحنون وأصابه في مقتل في خاصرته، ليكمل عليه سلطان بخنجره. أثناء حياة طحنون كان من الصعوبة

بمكان إجبار القبيلة على الخضوع للزعيم الوهابي، لكن أول عمل قام به المغتصبون هو عرض الحلف ودفع الزكاة، مقابل ذلك أعلن تركي بن سعود للزعيم القاسمي(الجاسمي) بأن الشقيقين باتا تحت حمايته، وبأنه لن يسمح لأي اعتداء أن يصيبهما.

وسرعان ما أثار سلوك المغتصبين للسلطة قرف القبيلة، ما أدّى إلى ولادة مؤامرة جديدة (في شهري آب وأيلول من عام 1833) على أيدي بعض الأعيان، الذين أسرّوا بمخططهم إلى أحد أبناء أخ الشيخ شخبوط، وهو الشخص الذي اختاروه لقتل ابن عمه الشيخ خليفة وليحلّ في الزعامة محله. على أي حال، غدر ذلك الشخص بهم وأفشى بمخططهم إلى الشيخ خليفة الذي كان في حصنه، والذي سارع إلى اعتقال رؤوس المتآمرين، وأعدم ثلاثة منهم، وبالتحديد سلطان بن ماجد، محمد بن رومين Rumeen ومحمد موليفا Muleefa. كما سجن اثنين من التجّار، كان ينوي قتلهما فيما بعد، عندما ثارت ثائرة سكان أبو ظبي، مشفوعة بالتماسات شقيقه سلطان، ما جعله يحافظ على حياتهم. أحدهما كان ابن عيان Iyan والذي بعد أن ضربه وسلبه أملاكه، أرسل به مع عائلته وأقاربه على متن بغلة (سفينة) إلى لنجة ونتيجة للاستياء والقرف الناجم عن تلك الممارسات، قرر فرعان من قبيلة بني ياس بو فلاسة والرمثة (رميثات) Rumsha ومعهما ثمانمئة شخص الرحيل عن المكان في أول فرصة مؤاتية، وبعد ذلك، انطلق ما تبقى من سكان بعد أن خلّفوا ممتلكاتهم في بلدتهم إلى دبي التي استقبلتهم بعد تردد وتلكؤ من قبل حاكم بني ياس، وهناك دعوا وجمعوا من كان على ضفاف اللؤلؤ لينضموا إليهم. لقد أسعدت تلك الخلافات بين بني ياس والتي أدّت إلى تدميرهم، سلطان بن صقر. ولم يضيع وقتاً في الانطلاق إلى الشارقة (الشارجة)، ووافق على مد يد العون إلى ابن عيان Iyan مع قوة كبيرة بغية الهجوم على أبو ظبي. وبعد ذلك، أرسل قاربين، واستدعى رعاياه من ضفاف اللؤلؤ، وأرسل بأوامره لجميع الرجال الذين كانوا تحت تصرفه في رأس الخيمة كي يلاقوه في الشارقة (الشارجة). رفض الشيخ سلطان، تحت وطأة اعتقاده أنه، وفي ظل

الظروف الراهنة، يجب عليه فقط أن ينزل مع عدد من رجاله بالقرب من أبو ظبي لضمان الاستيلاء على المكان.

كان يصيب شعبه من خلال سحبهم من ضفاف اللؤلؤ قبل أن ينقضي نصف الموسم، وإمكانية توريط نفسه مع الإنكليز والوهابيين، واستحسان مشهد تدمير بني ياس وهم يدمرون أنفسهم من دون أن يتدخل.

في السابع من أيلول أبحرت قوة مشتركة تتألف من سبعمائة رجل من قبائل بو فلاسة والرميثات (رمثة) في ثمانين قارباً، وخمسمئة وعشرون رجلاً في اثنين وعشرين قارباً، تحت إمرة سلطان بن صقر وحسين بن رحمة، إلى أبو ظبي معتقدين أن المكان قد هجر، وسيتم الاستيلاء عليه من دون أي صعوبات.

لقد كان للهجوم الذي لوّح به أثر في تسوية النزاعات بين الشيخ خليفة وسلطان والوالد شخبوط وقوة تتألف من 3500 مقاتل من قبائل المناصير وبني ياس كانوا قد اجتمعوا في أبو ظبي. وفي ظهيرة العاشر من الشهر نزلت القوة القاسمية في خور صوفان التي تبعد حوالي أميال عن عاصمة قبيلة بني ياس حيث عزموا على قضاء الليل هناك على أن يبدؤوا هجومهم في صباح اليوم التالي. وعند شروق الشمس استولت عليهم الدهشة عندما ألفوا قوة كبيرة تحاصرهم، يدعمها فرسان على ظهور جياد وجمال، واستولى الذعر عليهم. انكسروا عند إطلاق أول وابل من القذائف، وأسرعوا إلى قواربهم، وبسبب الجزر، فقد لفتهم الحبال وتركوا على هذه الحال بعيداً عن الوصول إلى المياه. أما الشيخ سلطان بن صقر، فقد قفز إلى قارب صغير مع أربعة من عبيده. نجا الشيخ سلطان من الغرق بشق النفس. بلغت خسائره إلى نحو ثلاثين قتيلاً، بمن فيهم شقيق شيخ لنجة، وأسر لهم خمسة قوارب وبتيل. وقتل لحلفائه خمسة عشر رجلاً، وأسر ستون قارباً، بالإضافة إلى احتجاز مئتين وخمس وثلاثين رجلاً، والذين لم يكن لهم من مخرج سوى العودة إلى عائلاتهم في أبو ظبي. انطلقت قوارب بني ياس الثلاثة والتي عُدّت بأنها كانت

تحت إمرة زعيم القواسم (الجواسم)، إلى كيب بوستانا Cape Bostana عندما تملّصت من الكتيبة التي فرضت الحصار أمام أبو ظبي، وهناك استولوا على بوغار يخص عجمان كان يحمل على متنه ثمانية رجال، قتل سبعة منهم. بعد ذلك التقوا ببغلة (بسفينة) تتبع لمسقط باتجاه الغرب، ومنه سلبوا بعض الخارات Kharas المليئة بالتمور ومبلغ 3000 دولار، وكل الأسلحة التي كانت على متنه، وقتلوا خمسة من أفراد طاقمه. لاح الأسطول القاسمي (الجاسمي) الذي كان في إثرهم، وعلى الفور تركوا البغلة (سفينة)، وأسرعوا في الإبحار، وهربوا من مطارديهم، وعادوا إلى أبو ظبي. شنّ الشيخ خليفة بن شخبوط غارة على قبيلة غفيلة (الغوافل) Ghuflah التي مدّت يد العون إلى سكان دبي في قطع المؤن براً، وباغتوا إحدى قراهم، وقتلوا ثلاثة عشر رجلاً وجرحوا أحد عشر، وأخذوا معهم ثلاثمئة رأس من الماشية. بعد أن بث النجاح الذي أحرزه في نفسه القوة والعزيمة، قام بعدد من الغزوات في الداخل، وقتل وسلب مما كان يمضي. دبّ الذعر بين البدو نتيجة أعمال العنف هذه، الذين رفضوا منذ ذلك الحين تقديم أي مساعدة لسكان دبي.

إن التبرير الذي قدّمه شيوخ بني ياس والذي دفعهم إلى القيام بغزو الناقلة التي تخص مسقط، وقبله سكانها (الذين ومنذ ذلك الحادث، قدموا لشيوخ بني ياس هدية، رغبة منهم، ربما في استرضائهم، كقوة معادلة للقواسم (للجواسم)) جعل من تدخل المندوب البريطاني لا ضرورة له.

بعد ذلك بوقت قصير أرسي السلام بين الأطراف المتنازعة، من خلال وساطة قام بها شيخ لنجة، لكن هذا السلام لم يقدَّر له الصمود طويلاً. أدّى اعتداء وحشي قامت به قبيلة المناصير البدوية التي تربطها أواصر حميمة مع أبو ظبي في داخل أقاليم القواسم (الجواسم)، ترافق مع استيلاء قبيلة بو فلاسة من دبي على عشر قوارب لصيد اللؤلؤ تابعة لبني ياس، انتقاماً منهم، والتي تحمل على متنها حوالي ثمانين رجلاً، ولؤلؤاً تقدّر قيمته بأربعة آلاف دولار، على الضفاف، إلى تجدد حالة العداء. بعد أن أُجبر الفريقان على سحب رعاياهم

من الضفاف لتفادي أي انتقام من جهة، ومن أية اعتداءات أخرى من جهة أخرى، ظهر في الأجواء خوف من أزمات مستقبلية تتمثل في حرمانهم من نصيبهم من المحصول السنوي لصيد اللؤلؤ، الذي يشكل المصدر الرئيس للعيش للبحارة العرب في الخليج، بما أنه يشكل تقريباً الوسيلة الوحيدة التي بحوزتهم لكسب قوت يومهم. بعد أن حركته مناشدة والتماسات رعاياه له، أرسل الشيخ خليفة والده شخبوط إلى الشارقة (الشارجة)، والذي أفلح في إرساء السلام مع سلطان بن صقر، تمثل أحد الشروط أن تصبح قبيلة بو فلاسة والتي هي فرع من قبيلة بني ياس تقطن في دبي، تحت سلطة ونفوذ القواسم (الجواسم).

بينما كان سكان دبي في منتصف عام 1834 يشنون اعتداءات على التجارة العامة، ظهرت روح القرصنة عندهم، هاجم بعض الأفراد من قبيلة سويدان (السويدي) والذين كانوا قد أتوا من عجمان في وقت سابق والذين باتوا يقطنون في أبو ظبي، بتيل مطاريش Mootarish من مطرا Muttra وسلبوا غنائم منه تقدر قيمتها بألف دولار، ولحسن الحظ نجا من المركب شخصان. رفض الشيخ خليفة بن شخبوط أن يدفع التعويض استجابة لمطالب المندوب، إلى أن أدرك أن التعويض سيفرض عليه بالقوة، بعدما لاحت في الأفق ناقلات حربية قبالة مينائه.

إن الروح العدائية التي كانت تكشف عن نفسها من حين لآخر من جانب مختلف القبائل العربية، من خلال سلب الأفراد والناقلات بين الفينة والفينة، حيث كانت التعويضات تنتزع بالقوة، تفجّرت الآن وباتت في العلن وجهرت بروح القرصنة من جانب قبيلة بني ياس. ولم تقتصر تلك الاعتداءات على القوارب المحلية، بل تعدّتها إلى القوارب التي تحمل العلم البريطاني.

أكّدوا على نحو علني لأسراهم بأنهم سيتوقفون عن التجارة، ويبدأون بأعمال القرصنة، وبأن مساكنهم التي بُنيت من القضبان ومن قماش الكادجان

Cadjan يمكن نقلها بحرية إلى الداخل، وبهذا يمكن لهم أن يتموضعوا بعيداً عن سيطرة الإنكليز ونفوذهم.

بما أن نجاحاتهم اعتمدت على سرعة الإنجاز، فقد أبحرت أساطيلهم لوقت طويل في الساحل الفارسي، في المسار الشائع لتجارة الخليج، وقامت بأكثر أعمال السلب والنهب جرأة رافقتها وحشية قل نظيرها، وكانت في بعض الأحيان تؤدّي إلى قتل طواقم بأكملها من بحارة السفن والناقلات التي تقع في أيديهم. لذا كانت العقوبات السريعة والرادعة أمراً لا غنى عنه، بغية ردع القبائل الأخرى من أن تحذوا حذوهم، ما أدّى إلى تهديد التجارة بين منطقة الخليج هذه والمياه الهندية.

وعلى الفور تمَّ إرسال جميع الناقلات الحربية المتوفرة في رحلات بحرية لاعتراض أساطيل القراصنة. ناقلة واحدة فقط حالفها الحظ في لقائهم. وفيما تقرير مفصل لما حدث كما جاء على لسان الكابتن سوير، الضابط الآمر للناقلة: «في نهار السادس عشر، رصدنا ثلاثة من البغلات (السفن)، وبتيل واحد، وثلاثة من البوغارات يبحرون باتجاه الشمال، ويقفون في الجنوب الغربي. استداروا للرحيل، وبذلوا كل ما بوسعهم كي يخرجوا. في الساعة السادسة. رأيناهم ينكشفون مقابل قوس لحف السفينة وعرفنا بأننا اقتربنا منهم. أعطينا إشارة البدء، وتهيأنا للمعركة. في الساعة السابعة أطلقنا النار من مدفع ميسرة السفينة، وأشرعنا الرايات. اكتشفنا البغلة (سفينة) الأرب في المقدمة وقد احتشد بالرجال وكان في أثره بغلة (سفينة) أضخم تحميه. أطلقوا باتجاهنا طلقة مدفعية وأشرعوا العلم الأحمر، وأنزلوه مرات ثلاث استخفافاً وتحدياً. بعد ذلك تلاصقت ناقلاتهم وأطلقت طلقة واحدة سقطت على مسافة قصيرة. وسرعان ما أطلقت بغلة (سفينة) المقدمة طلقة أخرى، وفي هذه المرة لم تصل الطلقة إلّا إلى منتصف الطريق. ومن ثم أخفضت جميع ناقلاتهم راياتها دلالة الاستسلام، وأنزل أحد البوغارات شراعه، واتجه صوبنا، من الواضح أنهم فعلوا ذلك بغية لفت انتباهنا. عندما أمعنا النظر به ألفيناه مليئاً

بالرجال. لم يعد هناك من شك بأن هذا هو أسطول القراصنة التابع لأبو ظبي، كما أكّد لنا المرشد الذي كان على متن سفينتنا وكان من العرب، بأنهم قراصنة. عندما اقتربت الناقلات ميّزها، وقال بأن الناقلة التي كانت في الطليعة تحمل الشيخ سلطان بن شخبوط. لدى رؤيته لنا بأننا نقترب تخلص من الحبل وأخفضوا أشرعتهم، اقتربوا حتى باتوا في مرمى نيراننا مع القوارب الأخرى أظهروا عرض السفينة الأكبر استعداداً للمعركة. وقفنا بينهم على الفور، تسنّت لنا فسحة لذلك من دون أن نحتك بهم، بعد أن جعلنا مركب الشيخ في الميمنة والحبل في الميسرة. عندما مررنا بينهم وضعنا في كل واحد منهم مدفعاً قذائف مدورة، كادت المدافع أن تلامسهم. ابتهج طاقم ناقلة الشيخ، وبدأوا يصيحون: «الله أكبر على الكفرة». كنت ترى بعضهم وهم يحاولون أن يرموا بالكلابات علينا، لكننا كنا نطلق النار عليها على الفور. ندفع إلى مقدم السفينة حوالي 90 أو 100 رجل، برماحهم الطويلة لامست مؤخرة سفينتنا، بغية الصعود إلينا، وهذا ما فشلوا فيه، بعد أن واجهوا ناراً كثيفة أطلقناها من أسلحتنا الصغيرة. لا بد وأن تلك الناقلة كانت تقل على سطحها ما لا يقل عن مئتي رجل، كتيبة هائلة منهم، برماحهم المرتفعة كالأبراج. لقد تحمّلت تلك الناقلات أضراراً جسيمة، إذ كنت ترى الشظايا الضخمة تتطاير في جميع الاتجاهات. على الفور بعد أن مرت قفز تسعون رجلاً إلى الماء من الحبال، لكن ناقلة الشيخ التي رفعت علمها التقطتهم، ووقفت باتجاه الشمال، يرافقها واحد من البتيلات، بعد ذلك افترقا. حاولنا أن نقترب منهم لكنهم سبقونا في الإبحار. حركنا المدفع إلى الميسرة باتجاه اللجام على أمل أن نشلّ من حركتهم، لكن من دون جدوى، فالطلقة لم تذهب بعيداً. اندفع ما تبقى من قوارب باتجاه البغلة (سفينة) المهجورة، وجردوها من شراعها، ومن بعض أشيائها الأخرى، ومن ثم وقفوا باتجاه الجنوب الغربي. في الساعة التاسعة رصدنا طرائدنا وهم يرمون ببعض الأشياء التي لم تتوضح لنا، إلى البحر. بعد أن خفَّت حركة الرياح استعملوا المجاذيف وبها أخذوا يتقدمون. أنزلوا المركبين الحربيين الصغيرين، وأرسلوهما إلى الحبال، وأخرجوا المجاذيف

الأكثر طولاً من أجل التقدم، لكن من دون جدوى. واصلنا مطاردتهم إلى أن حلّ الغروب، عندما التفوا إلى الشرق من «بوليور» يتقدموننا بحوالي خمسة أميال. بعد أن فقدنا أي أثر لهم، حلّ الليل، قدرنا أنه من الصواب أن نكفّ عن المطاردة في اتجاهنا الحالي واندفعنا باتجاه الجنوب الغربي، على أمل أن نلتقيهم في النهار، وهذا ما لم يحدث، توجهنا إلى أبو ظبي. وفي حوالي الساعة الثامنة من السابع عشر من الشهر وجدنا البغلة (سفينة) المفقودة، وتوجّهنا إليها. في الساعة العاشرة رأينا طوفاً (رمثاً) وفيه رجال يلوحون بالرايات، على بعد حوالي خمسة أميال إلى الشرق. أرسلنا أحد ضباطنا ليستولي على البغلة (سفينة)، وهناك وجد ثمان جثث على متنها، ورمى بهم إلى الأعماق. أرسلنا مركباً إلى الرمث الذي كان على متنه تسعة رجال، جاؤوا إلى مركبنا. عندما تحققنا من الأمر قالوا بأنهم ما تبقى من طاقم البغلة (سفينة) التي استولي عليها واسمه «ناصر»، ويتبع «للكنغون»، وبأن لهم أربعين يوماً مذ رحلوا عن مونكلور Mangalore عندما أسرهم الأسطول الذي وجدناهم معه، قرب كنُكَ Koong منذ أربعة أو خمسة أيام مضت. كان الطاقم يتألف في الأساس من أربعين بحاراً، هرب البعض منهم، وقتل الآخرون قتلوا مع النواخذة، وقضت خطة الهجوم في الصعود إلى مراكبنا أثناء مرورنا بين البغلين (السفينتين) في نقاط مختلفة تدفعهم ثقتهم بالنجاح. كانوا يتباهون بناقلاتهم الضخمة التي تحتوي على النفط الذي كان يغلي بهدف رمينا فيه عند أسرنا. لم تكن لديهم أي فكرة عن الآثار التي خلّفها اثنان وثلاثين مدفعاً على جانب السفينة، التي جعلت منهم في حالة كاملة من العجز، حتى أنهم نسوا أن يطلقوا النار علينا، وعلى الفور قفزوا في الماء. قال سليم بأن فريقه رمى بخمس وعشرين جثة من ظهر المركب إلى البحر، وبأن عدداً مماثلاً جرحوا وتمّ نقلهم. وهذا ما يجعل عدد القتلى يرتفع إلى ثلاثة وثلاثين قتيلاً في قاربه لوحده، وما أراحني أن أحداً من الناجين لم يتأذّ من قبلنا. فقد طعن على يد القراصنة، وتأذى اثنان آخران في نزاع معهم. تركوا البغلة (سفينة) في حوالي الساعة الرابعة مساء وآثروا على أن يخاطروا في الرمث على أن يقعوا بين

براثن القراصنة الذين كانوا من المتوقع أن يعودوا. لا بد وأن البغلة (سفينة) الأخرى قد عانت المزيد، والمسألة تدعو إلى أسى شديد، ذلك أننا لم نتمكن من إنقاذ المركب. قال سالم كان في نية القراصنة وبعد أن استولوا على ناصر أن يتابعوا إبحارهم إلى رأس الهود، بغية ارتكاب مزيد من أعمال السلب والنهب».

مكّننا إخضاع القراصنة من إحراز أهدافنا، وسرع من الاستجابة لمطالبنا وهي استعادة الناقلات المسلوبة، من دون أن نضمن فيها القارب الشراعي كيرلو Curllew ذي الصاريين التابع لمسقط، والبغلة (سفينة) البريطاني دوريا دولت Durya Dowlut والعديد من المراكب الأخرى التي تتبع للقواسم (الجواسم) من بينها (على أي حال كانت حرب بني ياس قد اندلعت منذ وقت). قائمة بالمطالب فرضت على شيخ أبو ظبي تعويضاً للانتهاكات التي ارتكبها بنو ياس ضد العرب المسالمين في الخليج.

الرقم	الناقة	قيمة الناقلات والشحن بالكراون الألماني
1	بغلة وشحن مسقط	10000
2	بتيل تابع للبحرين	439
4		
5		
4، 5، 8، 9، 10، 13	قارباً متنوعاً يتبعون لنجة	5903
3	بغلة (سفينة) تابعة للبحرين (نوخلو)	500
6	نوخلو ـ بوغارا (محمد)	250
7	بغلة (سفينة) تابعة للنجة	250
11	بغلة (سفينة) كاراك	500

12	بغلة (سفينة) تابعة لبوشهر	766
13	ملا حسين	300
14	خسائر مُني بها سكان البصرة	
16	بندر ملا	439
17	بتيل ابن صالح	500
18	بتيل سويداد Sooedad	250
19	بغلة كنغون	4500
المجموع:		24,597

وضع أحد بتيلات بني ياس مع شحنته القيمة كان قادماً من الهند، وحاذى شواطىء مسقط، تحت حظر السلطات هناك والتي أخّرته على أرضية مطالب تبلغ 10000 دولار قدمت من قبلهم إلى بغلة مسقط كان قد نهبها أولئك القراصنة.

بالرجوع إلى الحالات الأخرى، ثمة قارب بصاريين وسبع بغلات وبتالين وخمسة بوغارات والقسم الأكبر من البضائع على متن Durya Dowlet استعيدت كلها ما وصل قيمته إلى 10000 كراون ألماني نقداً، بالإضافة إلى تعهد بدفع 1600 كروان ألماني عند انتهاء موسم صيد اللؤلؤ، من أجل تصفية المطالب بشحنات الناقلات التي تعرّضت للدمار والنهب. كما تمّ تحرير جميع أسراهم، واستسلم كل من القراصنة محمد بن صقر بن ذياب ومحمد بن ماجد اللذين كانا على رأس الاعتداءات التي تعرض لها العلم البريطاني. كما استولينا على الناقلات الرئيسية الثلاث لبني ياس التي اشتركت في أعمال القرصنة الأخيرة ضماناً للرصيد الذي يجب أن يدفع للبغلة (للبغلة) الإنكليزي. أضف إلى هذا وذاك الاستيلاء على البتيل الخاص بهم في مسقط وعلى متنه شحنة قيمة، كما ذكرنا من قبل، بغية التعويض عن الخسائر التي نجمت عن النهب والسلب التي تعرضت لها بغلة (سفينة) ذلك الميناء (أي مسقط)

والعقاب الذي أُنزل بأسطول القراصنة والذي شكل خلاصة التقرير فيما يتصل بالتعويضات التي تمَّ الحصول عليها من بني ياس، من دون اللجوء إلى أعمال عدائية.

إن المواثيق والعهود التي التزم فيها الشيخ شخبوط، الوالد، والوكيل المفوّض لزعيم بني ياس، ذلك أن التصفيات التدريجية لما تمّت المطالبة به بقيت من دون تسوية، ثبتها ولده، وبالتالي نفذت على نحو كامل. أرسل بزعماء القراصنة المستسلمين إلى بومباي، حيث حكم على زعيمهم بالموت، لكن ثغرة قانونية خففت العقوبة إلى الترحيل مدى الحياة. أما الزعيم الآخر محمد بن ماجد، والذي لم توجه إليه أي تهمة ولم يحاكم، وهذا من سوء حظنا، فقد أُعيد ليسلم سجيناً إلى الشيخ محمد سلطان بن صقر، ليتلقى عقابه العادل هناك. رغم ذلك تمكّن السجين من الهرب، وذلك عندما قفز وسبح من الناقلة التي كان من المفترض أنها ستسلمه إلى الشيخ سلطان بن صقر، لدى وصولها إلى الشارقة (الشارجة) وأفلح في الوصول إلى الشاطىء الذي يبعد أربعة أميال. جعلت العقوبة التي فرضت بحق قبيلة بني ياس، العديد من أفراد القبيلة الذين اشتركوا على نحو فاعل في أعمال القرصنة الأخيرة، والذين استفادوا من نجاحاتهم على الصعيد المادي، أن يلجؤوا إلى سلطة أخرى يضعون فيها أنفسهم تحت حمايتها، إلى أن يتم التخلّص من المطالب الضاغطة التي كانت تثقل عليهم، بغية الإفلات من العقاب الذي يستحقون.

في عام 1836 وللحؤول دون هجرة سكان أبو ظبي عن مدينتهم وما ينتج عن ذلك من استحالة تدعيم وتعزيز مطالبنا، بات من الضروري أن نوافق على طلب زعيمهم، ومنع زعماء القبائل العرب من أن تقدم أي ملجأ وحماية لرعايا بني ياس. رغم ذلك هجروا القبيسات وهو فرع من فروع بني ياس تحت زعامة خادم بن نعمان Kadim Nahman وشرعوا يرسخون أنفسهم في عديد تاركين ديونهم التي وصلت إلى مبالغ كبيرة من دون أن يتم التوصل إلى تسوية بشأنها. قبل رحيلهم، قاموا بسلب بعض قوارب الصيد التابعة لأبو

ظبي. وفشلت كل المحاولات والمساعي التي قام بها المندوب من أجل التوصل إلى تسوية فيما يتّصل بهذا الشأن، إلى أن اضطر إلى الامتناع عن مزيد من التدخل، وسمح للأطراف المعنية أن تتّخذ إجراءاتها لتسوية شؤونها.

منحت مواقع كل من عديد Adeed ووكرة Wukra تسهيلات خاصة بوصفهما مناطق يلجأ إليها القراصنة وأشخاص خارجين عن القانون، والذين كانوا يعتقدون بأن قوّاتنا البحرية لا يمكن أن تطالهم. وبدأت تظهر الآثار السلبية لانسحاب القبيسات من أبو ظبي، وتوطيد أنفسهم في المنطقتين آنفتي الذكر. شرع جاسم بن جبر ركراكي وهو من القبيسات، مع اثنين آخرين وهما سهيل بن عطيش، وعلي الهولي، كل بمفرده ولكل منهم قارب صغير تحت إمرته يضمّ ما بين اثني عشر إلى ثمانية عشر رجلاً، وجلّهم تقريباً من البدو الداخل، بأعمال سلب ونهب. فقد كانوا ولدى استيلائهم على أي مركب، يأخذوه مع شحنته إلى ميرفا، وهي بقعة مهجورة تقع ما بين عديد وأبو ظبي، خلف خور بيزوم Bizzum قرب راس السوامي Aswamee وهناك يحملون غنائمهم على جمال يحتفظون بها وحالما يتدبرون أمر ما سلبوه، يعاودون ركوب البحر بحثاً عن غنائم جديدة.

بات من الضروري لنا أن نحرّر أولئك المجرمين من وهم لطالما عاشوا به وهو أنهم يستطيعون أن يفلتوا من العقاب جرّاء قرصناتهم وجرائمهم تلك، ومن وهم آخر يتصل بعدم إمكانية الوصول إلى ميرفا، وكرهم بالوسائل المتوفرة للمقيم والذي لم يكن من سبيل آخر له سوى أن يحمّل زعماء البدع الوكرة وعديد مسؤولية ما يقوم به أولئك الأفراد، هذا الإجراء كان مبرراً على أرضية أن أولئك الآخرين كانوا قد تماهوا مع تلك القبائل، بما أن جاسم كان قد خرج من ذلك المكان، وتلقى الدعم من خادم بن نعمان، وهناك العديد من الأسباب تجعلنا نعتقد ذلك، إلى أن جعلت روائح جرائمه تزكم الأنوف وبات من الخطورة بمكان أن يتابع خادم تشجيع جاسم ورعايته. كان جانب من الغنائم يُباع في أمكنة أخرى، وعلاوة على ذلك، كان من المعروف أن

بمقدور زعمائهم أن يضعوا حداً لتلك الجرائم من خلال القبض على المجرمين الثلاثة، وتدمير مراكبهم، بما أن أولئك الأخيرين يعتمدون على زعمائهم في كل شيء تقريباً من المياه إلى ضروريات الحياة الأخرى.

انطلاقاً من هذه الأهداف، وبغية إزالة الانطباع بأن المنطقة الواقعة بين رأس ريكان وعديد من هذا الساحل المتشعّب والخطر منيعة على طراداتنا، تمَّ إرسال سلوب حربي وسكونة لمحاولة الوصول إلى هناك، ونجحنا، بعد أن سلكنا المياه الضحلة بصعوبة بالغة، في الوصول إلى أطراف بيدا الوكرة وعديد، وعدنا بسلامة. وألزم حكّام تلك المناطق (سالم بن ناصر، وعلي بن ناصر، وخادم بن نعمان) أنفسهم بأن يبذلوا أقصى ما يستطيعون للقبض على مراكب القراصنة. وطلب من هذا الأخير أن يقدم ضمانة عبر وكيله (محمد بن عطيف، بما أن الزعيم كان متغيباً) على شكل مبلغ من نقود أو أملاك تصل إلى 600 دولار، وأن تُعاد عند تنفيذ تعهده وانتهاء مهمته. وأن يبحر أسطول من القوارب العتوب، مجهز بالرجال والعتاد في إثر القراصنة. أعلن قادة الأسطول بأنهم على اطلاع ومعرفة واسعة بالأماكن السرية للقراصنة، لكنهم لم ينجزوا أي شيء. ورغم أنه لم يتم الإمساك بالقراصنة، فقد تمّ الحد من اعتداءاتهم، كما تمَّ إنجاز أهداف الحملة. وبعد انقضاء عدة شهور على ذلك، استرجع شيخ الوكرة قيمة الضمانة التي فرضت عليه، باستثناء 227 دولاراً أعيدت في أيار من عام 1838، وأُبلغ مع الآخرين بأنه سيتحمل مسؤولية ما يرتكبه هؤلاء من أعمال في المستقبل.

بعد ذلك أخذ زعيم أبو ظبي ثلاثة أفراد من عصابة جاسم بن جبر في عهدته، في أثناء قيامهم بقرصنة على قارب تابع لأبو ظبي نتج عنها خسائر بالأرواح. وبعد احتجازهم في السجن لأربعة شهور، مات خلالها أحدهم، أطلق سراح الاثنين الآخرين، وصادر لهم قاربهم الذي أحرقه على الشاطىء علناً بناء على طلب المندوب وبحضوره.

أعلن شيخ أبو ظبي، بحضور ضيفه عيسى بن طريف، وربما بتحريض

من الإمام، والذي أبقى على اتصالات لبعض الوقت مع الأفراد الساخطين من عائلة الشيخ عبد الله بن أحمد، عن رغبته للمقيم في الانضمام إلى قضية عيسى بن طريف، لكن المندوب أبلغه أنه لا يستطيع أن يوافق ما لم تصادق الحكومة البريطانية على ذلك، والذي كان ينتظر منها الجواب، على خلفية الهفوات الخطيرة التي ارتكبتها قبيلته مؤخراً وبما أنه لا يملك Causa belli مع العتوب. لقد حرمه رحيل عيسى بن طريف وسلطان بن سلامة، مع القسم الأكبر من أتباعهما عن مناطقه وبالتالي عن حمايته، بغية الانضمام إلى حملة يقوم بها الإمام ضد مومباسا، من أي ذريعة لمزيد من الحثّ على اقتراحه شنّ الحرب على البحرين.

استفاد الشيخ خليفة في النهاية (أيار 1837) من الموافقة التي منحه إياها المندوب في تبنّي إجراءاته ضد العديد Adeed التي احتفظ بها من انسحب من قبيلة القبيسات من أبو ظبي، أفلح في مباغتتهم، وقتل خمسين منهم وجعل من المكان مقفراً، فقد دمر الحصون والأبنية، ورمى في الآبار جثث من ذبحهم وملأ الآبار ببقايا الخراب والدمار.

أثار فعل الانتقام هذا شديد الغضب والذعر في عقول زعماء القواسم (الجواسم) وزعماء دبي الذين لجأ إليهم بعض من قبيلة القبيسات، لكن سلوك الشيخ خليفة حيال رعاياه الهائجين الذي تميّز بالاعتدال بعد أن أعادهم إلى حظيرته من جديد، استعاد كل من وطُنَّ في أبو ظبي من جديد قواربهم وأصدر الشيخ عفواً عاماً وشاملاً وسمح للهاربين الراغبين بالعودة إلى ديارهم، ووعدهم في الوقت ذاته أن يرد إليهم ناقلاتهم وأملاكهم، شريطة أن يلتزموا مستقبلاً بالهدوء والطاعة. دُفع الشيخ خادم بن نعمان ومعظم زعماء القبائل الذين هربوا في تلك المناسبة، بعد وقت قصير بهذه الشروط الإيجابية التي قال بها زعيم بني ياس للعودة إلى الاستقرار في أبو ظبي من جديد.

استوطنت قبيلة بو عينين كلها، وصل عددها إلى الثلاثمئة عائلة، وهم

سكان وكرة Wukra على الساحل القطري، تحت قيادة الزعيم، علي بن ناصر بعد أن أخلوا المكان ودمروه (في آذار من عام 1838)، في أبو ظبي. لقد تبنّوا هذه الإجراء بغية تجتب تبعات محتملة لسلوكهم المتمرد الذي استمر طويلاً حيال زعيمهم المزعوم، عبد الله بن أحمد، من البحرين، الذي وبعد أن أبعد من الجزيرة إلى خور حسان، على البر، زاد من نفوذه على الساحل القطري وجاء بسكانه إلى مزيد الإشراف والسيطرة.

قرر الشيخ خليفة في (أيار من عام 1838) ـ والذي عانى ولوقت طويل من أذىٰ وقلاقل على أيدي رعاياه الذين تمرّدوا مؤخراً، وهم من قبيلة بو فلاسة التابعة لدبي ـ الانتقام. خلال غياب معظم أفراد القبيلة في ضفاف اللؤلؤ، ذهب على نحو سري على رأس قوة صغيرة بغية تدمير بساتين التمور في الجوار لكن وبعد أن تمّ التأكد من أن البرج البحري كان محمياً على نحو سيئ، دُفع للسيطرة عليه وأفلح في ذلك. لدى سماعهم بما جرى، عاد سكان دبي من ضفاف اللؤلؤ، وبعد أن حصلوا على مساعدة قوية من شيخ الشارقة (الشارجة)، صقر بن سلطان، وبعد ثلاثة أيام أوقع الاضطراب في حامية بني ياس (والتي لم يكن زعيمهم قادراً على تخليصهم) ودمروا البرج تماماً. إن إثر ما حدث كان سيجعل من الضروري استدعاء جميع قوارب الصيد التابعة إلى الأطراف المعنية، وكانت النتيجة أعمال عدائية في البحر على شكل اعتداءات على قوارب بعضهم بعضاً (كانت اضطرابات كبيرة، فقد كان ذلك مخالفاً للهدنة). رغم ذلك تمَّ التوصل إلى تسوية سريعة من خلال استعادة العبيد والغنائم من قبل كلا الطرفين، واستأنفت قواربهم الصيد.

سنة 1839

تمَّ اجتماع زعماء البحر على متن ناقلة بريطانية، أجرى الشيخ خليفة بن شخبوط وخلافاً لوعده، اتصالات حميمة مع سعود بن مطلق الوكيل المصري، ولم يعترف بعزمه على الالتزام برغبات الحكومة البريطانية، حتى طلبت منه السلطات البريطانية أن يعلن وعلى الملأ عن التعبير عن آرائه ونياته، كتابة،

معارضة منه الاعتداءات المصرية إلى أقصى درجة ممكنة. وفي نقض مباشر لكل عهوده واتفاقاته انطلق الشيخ خليفة شخصياً على رأس قوة للهجوم على قبيلة النعيم من البريمي، ساعياً، كما تمّ تأكيد ذلك، لعقد اتفاقية بينه وبين سعود بن مطلق، ومن خلالها ألزم نفسه على التحرّش بسكان ذلك المكان بكل الوسائل المتاحة في أثناء عودة المبعوث المصري مع قوة كبيرة وفاعلة.

رغم ذلك صدّت قبيلة نعيم هذه الاعتداءات الغادرة، ولقنته درساً قاسياً ما أجبره على مراجعة لذاته أسفر عنها اقتراح شروط سلمية، رفضوها بدورهم بعد أن أدركوا بأن هدفه من ذلك تجسّد في حماية حلفائه من البدو من الثأر الذي وضعوه بين أيدي أولئك الذين أصابهم ضرر شديد. فيما بعد تمكّن في إرساء سلام مع قبيلتين من أصل ثلاث عندما تمّ التفاهم على أن تنسى وتدفن جميع الأعمال العدائية في الماضي، لكن المندوب ومع ذلك أخبره، بأنه إن لم يستعد وفي غضون أشهر ثلاثة الجمال التي تعود ملكيتها إلى رأس الخيمة ودبي، أو إن لم يوجه رسالة ترضية تصدر عن زعماء البريمي، يؤكد فيها بأنه سوّى جميع القضايا التي تسببت في الاستياء منه، لسوف يُعدّ عدواً للحكومة البريطانية، وسوف يجبر على دفع مبلغ 1000 كراون ألماني كتعويض للأذىٰ التي أنزلها بشيوخ قبيلتي نعيم والشامسي، وكعقوبة لانتهاك وعوده وعهوده للحكومة البريطانية.

وبعد أن قدم أعذاراً واهية، وجهت رسالة من زعماء نعيم يقرّون فيها بإقامة علاقات ودّية معه، ودفع تعويضات للأضرار التي سببت. لقد لبيت المطالب فيما مضى، لكنها كانت مشروطة بسلوكه المستقبلي فيما يتصل بالبريمي والمصريين.

نشأ سوء فهم في عام 1840 بين شيخ دبي وأبو ظبي الذي تمّ منعه من إقامة مستوطنته من دون أن يؤدّي إلى عواقب خطيرة. تبيّن أن أحد سكان أبو ظبي، واسمه بيلور شات انطلق إلى ضفاف اللؤلؤ بقارب زوّده به زعيمه الشيخ خليفة بن شخبوط، لكن بدلاً من العودة إلى مينائه، نقل القارب إلى دبي حيث

بقي هناك حتى موسم الصيد الراهن، وبعد أن زود القارب برجال آخرين من قبيلة بو فلاسة، انطلق إلى جزيرة عزيمة Azema لصيد اللؤلؤ. وهناك اجتمع عدد من القوارب التابعة لدبي وأبو ظبي، وكان سلطان بن شخبوط، شقيق زعيم بني ياس، يزور الجزيرة في تلك الأثناء، وبعد أن وجد طاقم قارب بيلور شات على الشاطىء، استولى على القارب، وقبض على رعايا شقيقه الهاربين، وأرجعهم معه بما في ذلك اللؤلؤ والسلاح إلى أبو ظبي. بعد أن وجد رجال دبي وقد تركوا على الجزيرة على نحو غير متوقع، مع خسائر كل ما كانوا يملكون على قارب بيلور شات، استقلّوا قارباً تابعاً لرجالهم، وباغتوا القارب البني ياسي واستولوا عليه وساروا به إلى دبي، حيث تمّت إعاقتهم. وتمّ الاستيلاء على قاربين من كلتا القبيلتين، لكن الزعيمين أعادهما من دون أضرار وتجادلا بشأن إحالة النزاع إلى المندوب كي يبتّ فيه، وتابع رعاياهما الصيد من دون أي تدخل في شؤون أحدهما الآخر.

وباتجاه التسوية الأخيرة للنزاع، تمّ الإصرار على أن يحرر الشيخ خليفة بن شخبوط بيلور شات مع القارب والسلاح واللؤلؤ، الذي استولى عليه شقيقه، سلطان الذي تركت له حرية العودة إلى أبو ظبي إن أراد، وأن يستعيد القارب، إذا أثبت أن ملكيته تعود إلى الشيخ خليفة في نهاية موسم الصيد، أما مكتوم ومن جانبه فقد كان عليه أن يسلم قارب بني ياس (الذي تمّ الاستيلاء عليه انتقاماً) مع الشحن الذي كان على متنه وطاقمه، وأن يستفيد شعبه من المواد التي يمكن أنهم أخذوها من هناك.

قبل الزعماء بتلك المطالب.

سنة 1841

نأى أحد أعيان قبيلة العمايرة، بنفسه عن قبيلته منذ أعوام، واتخذ سكنى له في تخنويا Taknoonyah مقابل البحرين جنوبي عجير Ajeer، كان في طريقه من تخنويا إلى البحرين ومعه عائلته وأملاكه، عندما تحطّم قاربه على الشاطىء. نزل إلى اليابسة مع عائلته تاركاً أملاكه في القارب، عازماً على

العودة إليه عندما يرتفع المدّ. رصد في الليل قارباً وعلى متنه أربعة عشر رجلاً، يقترب من قاربه، بغية سلبه. تلا ذلك قتال، وأفلح القراصنة، بعد أن قتلوا أحد رجاله وجرحوا آخرين، في تحقيق مأربهم، واستطاعوا الاستيلاء على النقود وكل ما كان عليه. تأكد بأن المعتدين كانوا من قبيلتي المناصير والهوامل، الذين كانوا مستقرّين في خور بني ياس. لدى سماعه بالاعتداء الذي وقع أودع الشيخ خليفة بن شخبوط خمسة رجال من قبيلة الهوامل السجن، والذين كانوا في أبو ظبي، وعدداً من كبار قبيلة المناصير، واتّجه شخصياً يرافقه بوغارين أو ثلاثة وأبحروا إلى ذلك المكان (خور بني ياس) بحثاً عمّن تبقى منهم، ووجد هناك قارباً في أحد الخلجان الصغيرة وأحرقه. كما تمَّ إرسال خمسين فارساً امتطوا ظهور الجمال، لاقتفاء أثر المعتدين في الصحراء، وأفلحوا في القبض على خمسة رجال من الهوامل مع نسائهم وأطفالهم وجلبوهم مع خمسين جملاً إلى أبو ظبي. إن الإجراءات التي اتخذها زعيم بني ياس ولدى مقارنتها مع الأعمال الوحشية التي ارتكبتها قبيلته بمصادقة منه قدمت برهاناً على مدى نجاح وفاعلية السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية.

اقترح في نيسان من عام 1842 على خليفة بن شخبوط أن يصبح أحد الموقِّعين على الهدنة لإجبار الأطراف على الامتناع عن القيام بأي اعتداءات على بعضهم بعضاً براً أو بحراً خلال موسم الصيد وهو اقتراح لم يرفضه، لكنه أعلن بأنه كان يستعد للهجوم على القواسم (الجواسم) خلال موسم الصيد، بما أنه يشكل فترة مناسبة لنجاح اعتداءاته انتقاماً للخسائر التي تكبّدها في غزواته الأخيرة. وبحسب ذلك افتتح مفاوضات مع مكتوم دبي الذي وافق على البقاء على الحياد. عند انتهاء موسم صيد اللؤلؤ في تشرين الأول من عام 1842 أرسل مكتوم بابن عمه سيف بن دعيج إلى خليفة بن شخبوط الذي استقبله وعامله بكثير من اللطف والكياسة. ما قدم من اقتراحات أرضى وإلى حدّ كبير زعيم بني ياس الذي اندفع لتفويض بالمقابل، قريب له، ذياب بن عيسى، إلى زعيم دبي، لإرساء وتأسيس حلف دائم.

عندما وصل مندوب أبو ظبي إلى دبي، وجد مكتوم أن اللباقة السياسية تقتضي دعوة سلطان بن صقر وصقر بن سلطان للانضمام إليهم في العلاقات الودّية التي كانت في طريقها إلى الرسوخ، وفي الوقت ذاته كان يخشى من الدخول في مواثيق تفاهم مع خليفة من دون إعلام ذينك الزعيمين بنواياه، وفي تدبير منه بغية الحصول على موافقتهما، بعث إليهما برسالة، للتحقق من رغبتيهما فيما يتّصل بالترتيبات المقترحة. وكان الجواب مطمئناً فقد أعلنّا بأن التوصل إلى سلام مع خليفة بن شخبوط سيكون محط سعادة لهما، إذا كان هذا الأخير صادقاً برغبته بالسلام. وبناء على ذلك طلبا بأن يأتي ذياب بن عيسى إليهما، لكن ولدى وصوله، وبعد أن تأكد سلطان بن صقر أن أي أساس لأي شروط تتصل بالسلام يجب أن تتأسس على الامتناع عن التحرّش بإمام مسقط. انفضّ ابن عمه سعود حمود بن عزّان وأتباعهما عن الاجتماع، ورفضوا الدخول في أي حلف مقترح. وعاد الرسول إلى دبي ومن هناك توجّه إلى أبو ظبي. غادر وفد في آذار من عام 1843 دبي متوجهاً إلى أبو ظبي لدعوة زعيم بني ياس ومرافقته على أمل أن يتمّ لقاء شخصي بين الزعماء ويؤدّي إلى تفاهم مشترك وحل النزاعات وتعزيز وتأكيد أواصر الصداقة وإصلاح ذات البين. جرى اللقاء في الحصن، حيث تمَّ استقبال الشيخ خليفة بكل مراسم التشريفات وتمَّ الاتفاق على تجاوز جميع الخلافات وعلى ترسيخ السلام الدائم بينهم.

وكما هو متوقع فإن هذه الإجراءات سبّبت الاستياء للزعماء القواسم (الجواسم) الذين أخفوا سخطهم بصعوبة بالغة. رغم ذلك أعلن الشيخ مكتوم أن هذه الإجراءات ضرورية لمصالحه، وعرض خدماته كوسيط للسلم بينهم وبين حليفهم الجديد، مدركاً تماماً في الوقت ذاته، بأن ذلك لن يجدي نفعاً. اقتضت السياسة والتخطيط الجيدين أن يبذل الشيخ مكتوم كل مسعى للحفاظ على أفضل الشروط الممكنة مع كليهما بما أن دبي تتوسط مناطق الزعيمين المتنافسين، بالإضافة إلى التزام موقف الحياد الكامل في صراعهما الذي لا ينتهي. لقد اعتمدت أفضليته واستقلاله على كونهما في حالة عداء، ومن أجل

أن يكون توازن القوى في صالحه، بعد أن أضعف دبي وأخضعها، ضمن، بكل الوسائل، موارد سكانها بغية الوصول إلى أهدافه. وبهذا يمكن القول إن خيار السلام أو الحرب بات في متناول الشيخ مكتوم، وبات تنفيذ تهديده في الانضمام إلى أي من الطرفين يثير الخوف في الطرف الآخر.

في سياق الصراع على السيادة بين زعماء البحرين المتنافسين، جاء سلطان بن سلامة إلى أبو ظبي كرسول من طرف عيسى بن طريف بغية الحصول على مساعدة بني ياس، وترافق ذلك بإغراءات. رغم ذلك، أجاب خليفة بأنه لن يمنح مساعدته من دون إذن الحكومة البريطانية. بعد زيارة خليفة لدبي بوقت قصير، غادر شقيقه، سلطان بن شخبوط، أبو ظبي على رأس قوة تتألف من مئة وخمسين فارساً يمتطون الجمال في غارة. هاجموا بني قتب (كتب) (حلفاء القواسم (الجواسم)) وقتلوا ثلاثة رجال، وأخذوا معهم سبعين جملاً، والكثير من الغنائم. ومن ثم هجموا على كفيلتان Kafilas إحداهما كانت تتّجه من البريمي إلى الشارقة (الشارجة)، وسلبوا ثلاثة رجال من أفراد قبيلة نعيم وقتلوهم. وبعد غياب دام سبعة أيام عادوا إلى أبو ظبي. قتل لهما رجلان وجرح آخران.

دخل زعيما القواسم (الجواسم) وبني ياس في معاهدة سلام خادعة في البر في تموز من عام 1843. وبما أن المصلحة الآنية والمباشرة، هي أساس التعامل بين العرب، لم يقدر لهذه المعاهدة أن تستمر أكثر من سابقاتها. في شهري آب وأيلول من عام 1843 انطلق خليفة بن شخبوط على رأس قوة كبيرة من راكبي الجمال والجياد، تألف في جلّها من قبائل بو ناصر والمزراعة (المزروعي) Moozareah في غارة وسلبوا ونهبوا قبائل قتب (كتب) وغفلة وبدو نعيم، والتي كانت متحالفة مع الزعيم القاسمي، وكان الجانب الأكبر من أفرادها قد ذهبوا في غزوة على ساحل باطنة وحملوا معهم عدداً كبيراً من الجمال والخراف والكثير من الغنائم. وفي طريق عودتهم حملوا معهم أيضاً عدداً كبيراً من الجمال تابعة للقبائل ذاتها، والتي كانت قد أُرسلت إلى تسيت

زيت حماية لها، وتقع في المنطقة المجاورة لرأس الخيمة وتقع تحت حماية زعيمها.

كان من المفترض أن يُحدث مكتوم بن بطي من دبي هذا الصدع بمعاهدة السلام براً، والتي لم يكن قد مضى وقت طويل على إرسالها. سادت احتجاجات سلطان بن صقر وابنه صقر فقط بغية انتزاع وعود بالتعويض عن الغزوات التي قام بها بنو ياس، وهذا بالطبع ما لم يكن ليلبى.

خاتمة عن قبيلة بني ياس حتى عام 1843

كتبها الملازم إتش. إف. ديسبرو BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE

أبلغنا الكابتن كيمبال في نهاية لمحته عن قبيلة بني ياس أن معاهدة سلام خادعة تمّت بين زعماء العتوب والقواسم في شهر تموز من عام 1843، وبأن العتوب وبتحريض مفترض من زعيم دبي سارعوا إلى نقض المعاهدة، من خلال شنّهم غارة في آب وأيلول من عام 1843، والقيام بغزو قبائل بني كتبيّ وبو غفلة ونعيم البدوية وسلبها، التي كانت متحالفة مع القواسم (الجواسم)، وبأن جلّ تلك القبائل كانوا متغيبين على ساحل باطنة، وأخيراً أخبرنا بأن الوعود لاستعادة الغنائم كان قد قدمها خليفة بن شخبوط، وهذا من المفترض بأنه لم يكن يعني بأن سينفذ وعوده.

هكذا كان الوضع في أبو ظبي في نهاية عام 1843، وفي مثل هذه الظروف بقيت الأحوال هكذا حتى صيف السنة التي تلت، عندما جمعنا معلومات تمّ الحصول عليها من تقارير زوّدنا بها الوكيل البريطاني في الشارقة (الشارجة)، بأن خليفة بن شخبوط انطلق في بداية شهور الصيف، في رحلة حول البلاد، وتمكّن من خلال خليط فريد من البراعة والذكاء من حثّ القبائل التي كان يغزوها مؤخراً من أن تتخلّى عن القواسم (الجواسم) لتدخل في حلف معه. كما أفلح في إقناع قبائل أخرى أيضاً بالوقوف إلى جانبه، وبالفعل بدا بأنه استمال كل الناس الذين التقى بهم، وبالفعل فقد ترك سعود

حمود بن عزّان، زعيم صحار مناطقه وذهب للقائه في البريمي، وأسرع سعود قطحان بن سيف حاكم شناص Shinas لانتظاره، وقيل بأنه دخل مع الجميع في اتحاد قوي لصيق.

وفي أثناء وجوده في البريمي، دعا الشيخ مكتوم للذهاب معه والانضمام إليه، وأخبره بأنه يتوق لفض النزاعات القائمة بينه وبين سكان غفلة، رغم ذلك، رفض زعيم دبي والذي كان يرتاب إلى حد ما بدوافع خليفة بن شخبوط، دعوته على نحو لبق متذرعاً بأنه ينتظر وصول ناقلة بريطانية إلى مينائه، وأوفد شقيقه سعود بن بطيّ بدلاً منه.

في شهر كانون الأول من عام 1844 وبعد أن عاد الشيخ خليفة إلى أبو ظبي، حدث ما أدّى إلى اتصالات ومشكلات لا تنتهي، سوف نسعى إلى سردها بإيجاز.

قرر الشيخ فارس زعيم كعب، في وقت كان الهدوء والسكينة يعمّان المنطقة، ومن دون أي تحريض معتمداً على التذرّع بمطالب عمرها أكثر من ثلاثين عاماً تتعلّق بقبيلة أبو ظبي، الاستيلاء واحتجاز بتيل يخص رعايا الشيخ خليفة بن شخبوط، كان يبحر بمحاذاة ميناء المحمرة. أدّى هذا الاعتداء المفاجىء وغير المبرر إلى لجوء شيخ أبو ظبي إلى المندوب، والذي توسل إلى هذا الأخير أن يتم التعويض له وعلى نحو كامل، أو أن يسمح له بالانطلاق مع قواته البحرية ضد الشيخ فارس الذي أظهر وقاحة وجرأة لا سابق لهما.

بعد أن تحقق المندوب من تفاصيل القضية وبعد أن وجد بأن سلوك شيخ كعب لم يكن مبرراً على الإطلاق وجّه رسالة إليه يشير فيها إلى سلوكه العدواني ويناشده أن يحرر البتيل الذي احتجزه وكل ما يتّصل به.

لم يكتف الشيخ فارس بتجاهل ما جاء على لسان المندوب من مناشدة لمشاعره، لكنه عبر عن نيّته في ارتكاب المزيد من الاعتداءات على سكان أبو

ظبي ما لم يستجب زعيمها (زعيم أبو ظبي) لمطالبه التي كان يصرّ عليها، يمكن التنويه هنا أن تلك المطالب لم تشر فقط إلى أحداث وقعت في وقت سابق على تسلم الشيخ خليفة مقاليد السلطة، ولكن أيضاً وجد بأن سياق الأحداث اللاحقة دعّمها.

تلك كانت النبرة التي استخدمها زعيم كعب قوية وعالية، ويجب الاعتراف بذلك. ومع ذلك، ورغم نبرة الرد المتعجرفة، قرر الميجور هينيل، قبل أن يترك كلا من الزعيمين يحسمان أمر النزاع باللجوء إلى الأعمال العدائية، أن يرسل مساعده، الكابتن كيمبال بغية تقديم اعتراضات واحتجاجات على الشيخ فارس المشاكس، وللإشارة إلى حماقة السلوك الذي يقوم به على نحو طائش، باختصار كان الهدف من إرساله هو حثّ الشيخ فارس على التخلّي عن البتيل وحمولته. بحسب التعليمات انطلق الكابتن كيمبال في شباط من عام 1845 في إيميلي وهي سكونة تابعة لشركة الأونورابل، لأداء المهمة التي أُنيطت به، لكنه لم يتمكن لدى وصوله إلى المحمرة من أن يلتقي بالشيخ فارس رغم أن هذا الأخير لم يكن يبعد سوى مسافة يومين في البر، ورغم أنه منح أحد عشر يوماً ليعلن عن ظهوره والذي نأى بأي لباقات وكياسات بغية عدم الرد على رسالة مكتوبة تلقاها من الكابتن تطلب لقاءه. وهكذا فشلت المهمة.

أحال الميجور هينيل الذي كان لا يزال توّاقاً لمنع الحرب وإراقة الدماء، القضية إلى الكولونيل شيل، الوزير البريطاني في طهران الذي رد بفرمان صدر عن الشاه ورسالة من حاج ميرزا أغاسي رئيس الوزراء الفارسي، إلى سليمان خان، السيرتيب[1] Sirteep المسؤول الآمر في المحمرة يوجهه فيها بدفع تعويض البتيل وحمولته، أو قيمته التي تصل إلى 150 توماناً. وحتى هذا لم يحدث الأثر المرجو، كما كان متوقعاً. عندئذ كان لا بد من اللجوء إلى

---

(1) السرحدار: أي حامي الحدود [ماجد شبّر].

المراوغات، إذ يجب تسليم البتيل، لكن من دون حمولته. ويجب أن تسلم حمولته مع الإبقاء على قسم منها، ولم تستقر المسألة إلّا بعد أن انتزعت أوامر جديدة من رئيس الوزراء الفارسي ووجهت إلى المندوب من أجل التسليم. وفي شهر أيار من عام 1845 أعيد البتيل مع حمولته وسلم إلى الملازم فورد الذي أوفد في «كونستانس» وهي سكونة تابعة لشركة الأونورابل للحصول على القارب. تزعم خليفة بن شخبوط القبيلة في أبو ظبي في عام 1833، بعد أن قتل شقيقه الأكبر طحنون بمساعدة من سلطان شقيقه الأصغر.

ومنذ ذلك الحين حتى الوقت الحاضر (أي من عام 1833 إلى تموز من عام 1845) بقي على رأس قبيلته، ومن خلال بسالته، وحكمته وجلده رفعها إلى مصاف واحدة من أقوى التجمعات البشرية في البر والبحر على الخليج. والأكثر من ذلك، فقد أظهر نزوعاً إلى تشجيع علاقات تفاهم مع الحكومة البريطانية، وجهد، ليس من دون أن يصيب النجاح ذلك، في منع سكانه وتابعيه من ارتكاب أي اعتداءات في البحر.

تلك كانت شخصية الشيخ خليفة بن شخبوط الذي وقع هو وشقيقه ضحايا لانتقام عيسى بن خالد في تموز من عام 1845. كان عيسى بن خالد قد سعى ومنذ زمن في أن يضع خطته موضع التنفيذ، لكن ولأن الفرصة لم تسنح بعد، فقد أجّل تنفيذها إلى وقت خلت فيه أبو ظبي من سكّانها تقريباً، وذهبوا إلى بساتين النخيل في المناطق المجاورة. وبعد أن رأى الفرصة مواتية ليضرب ضربته مضى ليلتقي بالشيخ خليفة وشقيقه على الشاطىء الغافلين عمّا يحدث وبعد أن تشاطرا مائدة الطعام والشراب التي كانت تحت فيء القارب، نهض مع أبنائه وشركاء آخرين وذبحوا الشيخ خليفة وشقيقه. بعد أن قام بهذا العمل الغادر والجبان تولى مقاليد الحكم، واعتلى القبائل التي كانت في الجوار، وسرعان ما اعترف به زعيماً على المكان.

رغم ذلك لم يكد يمضي على وجود عيسى بن خالد شهران في الحكم،

حتى قتل على يد ذياب بن عيسى الذي سقط بدوره ضحية انتقام خالد بن عيسى ابن المغدور عيسى بن خالد.

هذا الزعيم الذي أنهى مشاهد القتل وإراقة الدماء، لم يحاول أن يغتصب السلطة التي أفلح في تقويضها، بل ترك أبو ظبي وعاد إلى الشارقة بعد مناوشات لا تذكر مع بعض أفراد من بني ياس. على أي حال تمكّن شقيقه من الاستيلاء على حصن أبو ظبي، ومن هناك سرعان ما طرده بنو ياس تحت إمرة قائدين ذوي نفوذ، محمد بن حمد وراشد بن فيصل Fazil.

أعلن هذان القائدان عن نواياهما في الاحتفاظ بالسلطة التي استوليا عليها إلى حين وصول الشيخ سعيد بن طحنون، الذي عُدّ الوريث الشرعي للزعامة، والذي دعي لتسلّمها. وفي الوقت المحدد وصل الشيخ سعيد بن طحنون ووجد نفسه محاطاً باستقبال معظم أفراد قبيلة بني ياس، كما أنه لقي دعماً من المندوب الذي كان يراقب مسيرة الأحداث بانهمام، والذي أسرع في تقديم كل الدعم المعنوي لضمان ترسيخ واستقرار الزعيم الشرعي في السلطة، وقلده على الفور مقاليد الحكم، وسرعان ما اعترفت قبيلة بني ياس أن زعيمهم الحق والوحيد.

لم يمض على تنصيبه في موقعه سوى قليل من الوقت حتى قدمت له عروض قَبلها في الدخول في حلف، دفاعي هجومي، مع عدو قبيلته بالوراثة الشيخ سلطان بن صقر. كيف دُفعت قبيلة بني ياس للإصغاء إلى شأن تلك المقترحات من شخص يحمل اسم قبيلة القواسم (الجواسم) ظل من الصعوبة فهمه. وكيف دفع أفراد قبيلته إلى أن ينسجموا ويتناغموا مع الشيخ سلطان لا يزال غامضاً هو الآخر، لكن ما قام به كان أكيداً.

تواجد زعيما بني ياس والقواسم (الجواسم) بغرض سحق الشيخ مكتوم بن بطي وحلفائه في عجمان وأم القيوين، وظلوا في حلف حتى بداية عام 1847 عندما نشأ خلاف في وجهات النظر فيما يتصل بهجوم اقترح شنّه على دبي، وتلا بعد ذلك تمزق في العلاقات.

ظل الشيخ سعيد بن طحنون بعد أن هجره القواسم، وبعد أن أدرك أن ليس هناك من أمل في إضعاف دبي، أنه من الصواب، وقد بات وحيداً ويعرف بأن الوهابي لم ينس ضغينة واستياء بعد أن قام بهجوم (الشيخ سعود) على سكان غوفتا Ghufta، أن يحاول ويسوّي الأمر مع الشيخ مكتوم بن بطيّ. اتبع الزعيم القاسمي السياسة ذاتها، وأفلح في إحراز هدفه. بعد أن طلب الشيوخ أن يكون بدو قبيلة بني قتب (كتب) (كتبي) طرفاً في المعاهدة التي كانت على وشك أن تُقرّ، وبعد أن رفض زعيم دبي الاعتراف بهم أطرافاً، ظهرت الصعوبات (في شباط أو آذار من عام 1847) ولم يكن هناك من بدّ سوى اللجوء إلى لغة العنف والتهديد، وبقيت الأحوال على هذا المنوال حتى بداية السنة التالية عندما وافق الشيخ سعيد بن طحنون في كانون الثاني من عام 1848 على الانضمام في حلف مع بقية زعماء البحر، تاركاً القواسم (الجواسم) وأبناءه الناكثين لوحدهم، معبّراً عن أساه من سلوكهم الطائش الأحمق، بعد أن أغضبه غدرهم عندما قاموا بهجوم على حصن عجمان، واستجابوا لدعوة الشيخ مكتوم بن بطيّ، والذي بات دوره في تلك الحقبة مقتصراً على تقديم الاقتراحات. رغم ذلك، كان حلفاً بالاسم فقط، ولم يؤدِّ حسب علمي إلى أي اعتداءات مباشرة على الأراضي التي تخضع لسيادة القواسم (الجواسم). بعد ذلك بوقت قصير، وبعد أن عزل نفسه عن بقية قبائله التي لم تكن ترغب بأكثر من حبك المكائد والمؤامرات ضد بعضهم البعض، تشكّلت عند الشيخ سعيد بن طحنون قناعة تجسّدت بضرورة طرد الوكيل الوهابي من مناطق البريمي، يجب الاعتراف بأنها كانت خطوة جريئة وشجاعة، خطوة كان يخشى من تنفيذها جميع زعماء البحر، ذلك أنهم ضجروا وملّوا بطش الوهابيين، خطوة لا شيء يمكن أن يجسّدها على أرض الواقع سوى ائتلاف عام من القبائل التي كانت الغيرة تعيقها من الائتلاف، خطوة كما سوف نرى في خاتمة الفصل نفّذها زعيم بني ياس على نحو جريء وذكي ساهمت في تنامي قوّته على نحو كبير، كما أنها أجبرت الوهابيين مكسوري الخاطر على اللجوء إلى طلب عون بقية القبائل، وحثّ الشيخ

سعيد، الذي رغم أنه بقي مجرداً من مساعدة الآخرين له، أقدم على الدخول في قلب الصراع مع كل القوات التي استطاع تجنيدها، على أن يوافق على سلام، وأن يعيد الحصون التي كان يحتفظ بها تحت قبضته. يمكن أن نسرد ما حدث بإيجاز.

دعا الشيخ سعيد الشيخ سيف بن حمود، ابن زعيم صحار، وبوصفه على رأس قبيلة النعيم، إلى الدخول في حلف معه. وبالفعل أجريت الاستعدادات لتشكيل الحلف. كانت خططهما وأهدافهما واحدة، فقد قررا أن يسحقا ويطآ بأقدامهما الوهابيين المتبجّحين الطامحين.

بعد أن قدر زعيم بني ياس قوته، وبعد أن نفد صبره ولم يعد يطيق انتظاراً، أضف إلى ذلك حال الضعف التي كان عليها عدوّه، قرّر أن يبدأ الهجوم على الفور، من دون أن ينتظر وصول حلفائه.

في كل الأحوال كان من الممكن محاربة الضباط الصغار والانتصار عليهم، هذا إن لم يكن من الممكن الانتصار على الضابط الأكبر أي «الملازم» نفسه. في الرابع من أيار أسرع مع حشوده يرافقه عدد من رجال قبيلتي الظواهر، والعمايرة وبعض القبائل التابعة الأخرى يهاجم الشيخ سيف بن علي، الذي كان على رأس أحد الحصون الوهابية في منطقة الظواهر. تمّت مقاومة الهجوم، لكنهم فشلوا، وسرعان ما استسلم الحصن بكل من فيه ووقع في يدي الشيخ سعود بن طحنون الذي قادته حكمته إلى أن يقنع بالنصر الذي أحرزه، وينتظر وصول حلفائه قبل أن يجازف ويهاجم الأسد في عرينه في البريمي. وصل حلفاؤه بعد وقت قصير، وفي السادس عشر من حزيران بدأت المعارك على نحو جدي ضد معاقل البريمي. احتل محمد بن سيف Syfut العجاجي Mahomed bin Syfut Ujajee[1] حصن صباح Soobauh بشخصه. وبعد

---

(1) إن الوثيقة تكتب الاسماء بأشكال مختلفة فمثلاً كتب Homed وقبلها Mahomed وكذلك اسم الأب Syf و Syfut مما شكل إشكالاً في كتابة الأسماء بطريقة صحيحة، خصوصاً أن بعض الأسماء لا يوجد لها مصدر في مكان آخر [ماجد شبّر].

رشق بالمدفعية استمرّ يومين استسلم الحصن. رغم ذلك لم يتم العثور على حمد Homed بن سيف Syf، فقد هجر أتباعه، وبما أنه لم يكن معروفاً لجميع الجند الذين كانوا في الحصن، هرب، وهو زعيم المكان، في ظلام الليل، ولجأ إلى الحشود التي كانت تعسكر في آخر من تبقى من حصون، والتي آثرت التخلّي عنه بعد أن ارتبكت وخزيت قوات الوهابيين بفعل ما جرى على الأرض من قبل أعدائهم، وبعد أن سقط حصن صباح Soobauh وهرب قائده. أخلي الحصن، وسلم مع الجياد وما كان فيه من أملاك إلى الشيخ سعود بن طحنون، الذي سمح للنجديين المقهورين بأن يتركوا المكان من دون أن يعترض طريقهم أحد.

من دون ريب كانت تلك مآثر عظيمة وبطولية، كانت قد نزلت برداً على صدر الشيخ سعود، لكنها كانت مريرة وأثقلت قلوب الوهابيين وبقية زعماء البحر الذين وإن كان مقتهم للشيخ سعود كبير، فقد نظروا بمقت أكبر إلى قوة الوهابي المتزايدة. تشكل حلف ضد زعيم بني ياس، الذي أجبر الوهابيين على الهروب من نجد والذي كان بدوره سيطرد من البريمي. شأن تلك الخطة كانت في طور الإعداد، ولربما كانت قد نجحت لو أن الخلافات والشقاقات لم تنشأ بين الأطراف المتحالفة، ذلك أن ابن زعيم صحار، وبسبب سوء تفاهم بينه وبين زعيم بني ياس، طرد فجأة من حصن البريمي وبهذا ترك الشيخ سعود بن طحنون وحيداً ضد حلف مهول كان يُدبر ضده. رغم ذلك لم يكن لشيء أن يحبطه، ولا شيء يرهبه، فقد أثبت لوقت طويل بأنه أكثر من ندّ لأعدائه مجتمعين. لقد قاتل وأربك قوة كبيرة للنجديين أرسلت للقضاء عليه ما جعلهم يحسون بالخجل، كما أجبر سعود بن مطلق المتكبر والحاذق على الهروب طلباً للحماية في الشارقة (الشارجة)، كما أظهر استعداده لمجابهة القوات المشتركة لزعماء النجديين والقواسم (والجواسم) وزعماء دبي وعجمان واجهته نكسة واحدة عابرة عندما استمع لنصح أحد الوسطاء كان قد أرسله شريف مكة لتسوية النزاع بين الأطراف المتقاتلة، بعد أن اكتشف أن عوناً ربما لن يصله من حكومة مسقط كما وُعد.

أرسي السلام في شباط من عام 1849، أعيدت من خلال بنوده الحصون إلى سعود بن مطلق، واتفق على أن تُغيِّب الأطراف جميعها ما حدث وتطويه في غياهب النسيان، وأن يعودوا إلى Status quo ante bellun .

بالاعتماد على التحركات اللاحقة للشيخ سعود، لم يبد بأنه ينوي البقاء قانعاً بالسلام وحالة الاستقرار التي أرسيت. من الصحيح أن السلام حلّ، لكن زيارته إلى شناص ومسقط والتي جاءت بعد عدة شهور، كان من المفترض أنها لهدف وحيد تمثل في التشاور مع سيف بن قحطان وسعود ثويني حول ما يمكن أن يقوموا به ضد الوهابيين. سنثبت الخطط التي اتفق بشأنها، والمضاعفات التي نجمت ونتائج تلك الخطط والمضاعفات في خاتمة الفصل. وقبل أن نواصل هذا الجزء من الضروري أن نرافق الشيخ سعود إلى دياره إلى أبو ظبي ونرصد إجراءاته لدى وصوله هناك.

كان ذلك العام قد اقترب من نهايته عندما وصل الشيخ سعود إلى مقرّه، وما أثار فيه القرف الشديد أنه «وفي نهاية موسم صيد اللؤلؤ، انطلقت جميع مراكب قبيلة القبيسات التي كان يجب أن تعود إلى أبو ظبي في شهر تشرين الأول، إلى الساحل القطري، وطلبت اللجوء إلى بدع».

في الأصل كانت قبيلة القبيسات تقطن في أبو ظبي، وهناك بقيت إلى العام 1836 عندما اندلعت أعمال القرصنة التي قام بها رعايا زعيم بني ياس وقادت الحكومة البريطانية إلى المطالبة بدفع مبالغ كبيرة من المال كتعويض عن الأطراف المتضررة، وانكفأت لتستقر في عديد وهي المدينة التي تقع بين البحرين وأبو ظبي، والتي عدّها السكان هناك بأنها منيعة على سفننا الحربية.

في هذه النقطة كانوا مخطئين على نحو كبير، ذلك أنهم بالكاد استقرّوا وشرعوا في أعمال القرصنة قبل أن ينطلق الميجور هينيل ومعه فرقة الخليج تحت إمرة الكومودور لوي، لينتقم من جرائم الماضي التي ارتكبوها. وفي السنة اللاحقة أي في عام 1837 بدأت المخاوف من جديد على يد الشيخ خليفة بن شخبوط الذي أصبح فيما بعد زعيم قبيلة أبو ظبي عندما هاجمهم في

عرينهم ودمر المكان عن بكرة أبيه. أجبر القسم الأكبر من أفراد القبيسات، الذين باتوا الآن مشتتين لا حول لهم ولا قوة، على العودة والاستقرار في أبو ظبي من جديد، حيث بقوا هناك حتى عام 1849 وأجبروا على الانطلاق إلى البدع، يدفعهم الاستياء وعدم الرضا حيال السلوك الودود للشيخ سعود بن طحنون اتجاه سكان محوربة Moharibah وهي قبيلة على خصام معهم من جهة، ومن جهة أخرى بسبب مؤامرات الشيخ سلطان والشيخ مكتوم بن بطيّ اللذين أكّدا لهم بأن ابن سعود سوف يرسل بقوة لإعادة بناء عديد، وإعادة توطينهم هناك.

سببت مؤامرات أعدائه، انسحابه، وسوء الحظ الذي ربما نجم عن ذلك، كل تلك الأمور مجتمعة، أدركها الشيخ سعود الفطن.

قرر فيما بين شهري تشرين الثاني وكانون الأول من عام 1849 أن يهجم على الذئب في حجره، ومن خلال سرعة الهجوم ليقضي على الروح الساخطة للأفراد الذين لحق بهم أضرار. إن التدابير التي اتخذها تحمّل بصمة قدراته المعروفة، لكنها ابتعدت عن استقامة وإخلاص الروح التي كانت وحتى ذلك الحين الميزة الرئيسة لتعاملاته مع الآخرين.

قبض على رؤوس وزعماء القبائل التي كانت لا تزال في أبو ظبي، وأودعهم السجن، وأوفد رسولاً لحث القادة على العودة إلى بيوتهم، واستقبلهم ورحب بهم بطريقة ملؤها اللطف والاحترام، وأعطاهم كل سبب ليصدقوا بأن كل أخطاء الماضي نسيت وتمَّ الصفح عنها، وبأنها لم تعد تؤرق زعيمهم، باختصار نجح في تهدئتهم ودفعهم إلى حالة من الأمان التي لم يتوقعونها. ما حدث بعد ذلك كان مفاجئاً، عندما انبلج صباح اليوم الذي تلا وصولهم، أفاقوا ليجدوا أن مراكبهم جردت من أشرعتها وصواريها ودفاتها، وأخذت منهم وسائل الهروب. كما وجدوا بأن أوامر صدرت لسكان أبو ظبي بأن تدفع قبيلة القبيسات جميع مستحقاتها، وأن تفرض غرامة لا تقلّ عن ألفي دولار، باختصار ذلك كله جعلهم يدركون بأنهم وقعوا في شرك نصبه لهم

شخص لم يكن من المتوقع أن يخدعهم. كان الوضع الذي ألفوا أنفسهم فيه حرجاً، فقد دفعوا إلى ضيق شديد، ومورست عليهم ضغوط كي يدفعوا المبالغ التي طولبوا بها، ولم يكن لهم من مصادر يسددون بها ما عليهم سوى أن يتركوا مراكبهم وما عليها من بضائع.

نتحول الآن إلى إجراءات الشيخ سعيد بن طحنون وسعود ثويني.

دخل المذكوران في حلف لصيق، وأجروا الاستعدادت لوضع خطط للهجوم على الوكيل الوهابي في عمان. كان عداؤهما للملازم الوهابي هو السبب الظاهر وراء تحالفهما، كما أنه كان الرغبة الوحيدة والحقيقية لزعيم بني ياس الذي كان يتحين الفرصة لطرد النجديين من جديد من منطقتهم في البريمي. رغم ذلك، كان لسعود ثويني العديد من الخطط التي كانت قيد الدراسة، فقد كان يرغب في معارضة المخططات الطموحة للقواسم (الجواسم) ضد خورفكان وممتلكاته الأخرى على ساحل باطنة، كما كان توّاقاً لإقناع زعيم صحار أو إجباره وإن فشل في إقناعه، على الاندماج معه ومع بني ياس. ناقشنا جميع تلك المسائل في اللمحة التي درسنا فيها قبيلة مسقط، لذا لا نجد من الضرورة أن نعيدها هنا.

نجد أول ذكر لإرسال قوات من قبل زعيم بني ياس باتجاه المواقع الوهابية في شهر آذار من عام 1850 عندما انضمّ 400 رجل من قبائل مناصير وبني ياس إلى سعود ثويني في شناص، بعد أن أرسلهم الشيخ سعيد بن طحنون تحت قيادة ابن عمه محمد بن سيف وفضل بن محمد. وبالنسبة للشيخ سعيد فقد انطلق مع قوة كبيرة إلى المنطقة المجاورة للبريمي وبدأ يدمر مسالك المياه التي تسقي أشجار النخيل. في أثناء ذلك وصلت قوات القواسم (الجواسم) وعجمان ودبي وأم القيوين المشتركة، ولحسن حظ الشيخ سعيد ربما كانت الأهداف والغايات للمتحالفين تتعارض فيما بينهم، إذ لم يكن من اتفاق بين اثنين منهم على أي شيء. فللقواسم آمال طموحة في التوسّع على ساحل الباطنة، وكان للشيخ مكتوم رغبة واحدة تتمثل في طرد الشيخ سعيد بن

طحنون من مناطق البريمي، وبالنسبة لزعيمي عجمان وأم القيوين واللذين كانت قواتهما ضئيلة إذا ما قورنتا بقوات القواسم (الجواسم) ودبي، بدا بأن ليس لهما أي هدف بحدّ ذاته مهما كان، باختصار، وبعض نقاش، ومن دون تردد، اعتُمدت خطط القواسم (الجواسم)، ولجعل التحرك باتجاه صحار عندما تمَّ البدء بالعمليات الحربية ضد حصن شناص، وأشياء أخرى ذكرت في سياق حديثنا عن تاريخ مسقط.

إن المنهج الدقيق الذي اتبعه زعيم بني ياس بعد رحيل الحلفاء بقي مجهولاً. يبدو بأنه قفل راجعاً إلى أبو ظبي، بعد أن ارتكب الفظائع بالمزروعات والمنطقة المجاورة للبريمي، وهناك بقي لبعض الوقت، عندما عاد من جديد إلى البريمي، وأخذ يتسلّى بالإغارة على مقاطعات الشارقة (الشارجة) ورأس الخيمة ويشترك في مناوشات مع محمد بن عبد الله وقبيلة نعيم البو خريبان.

لم يقدم دعماً كبيراً لسعود ثويني ضد الاتحاد القاسمي، وفيما يتصل بالاعتداءات اللاحقة على مناطق البريمي التي نحن معنيون بها على نحو مباشر، ليس هناك من ذكر فيما يتّصل بذلك حتى شهر تشرين الثاني من عام 1850 عندما وجدنا الزعماء القواسم (الجواسم) وبني ياس ونعيم يعملون بانسجام وتناغم ضد الحامية النجدية في البريمي.

لقد شدّ العامان 1849 ـ 1850 الأنظار لحجم وعدد النزاعات التي جرت بين سكان أبو ظبي وسكان دبي فيما يتصل بالاستيلاء والاستيلاء المضاد على العديد من القوارب في البحر. لقد سويت تلك النزاعات على نحو مقنع من خلال مساعي الكولونيل هينيل والاحتجاجات التي وجهها إلى زعماء كل من القبائل المعنية.

في خريف 1850 خرق أتباع زعيم بني ياس الهدنة البحرية، والذين استولوا على قارب الحمرية Himreeah وقتلوا اثنين من طاقمه.

أرسلت السفن الحربية للمطالبة بالتعويض من الشيخ سعود بن طحنون

على شكل دفعة بقيمة 600 دولار، وهو مبلغ الدية للقتيلين، بالإضافة إلى تسليم المركب المحتجز مع ما عليه من حمولة. إن الشجاعة التي أظهرها الملازم مانرز آمر السفينة «تيغرز» (دجلة) والملازم ترونسون آمر السفينة «يوفرتيس» (الفرات)، في الإبحار بالسفينتين عبر قناة ضيقة تؤدّي لمسافة ثلاثة أميال باتجاه الأعلى إلى الميناء الداخلي لأبو ظبي، ومن هناك باتت البلدة والناقلة التابعة لها في مرمى النيران للسفينتين، أربكت الشيخ سعيد بن طحنون الذي لم ير من قبل طراداً بريطانياً على مسافة قريبة من دياره، ما جعله يستجيب للمطالب من دون تردد أو تأخير، ويدفع مبلغ الستمائة دولار في تشرين الأول من عام 1850 وسلم القارب كما تمَّ الاتفاق.

ثمة بضع كلمات يجب قولها بغية سرد إجراءات الشيخ سعيد بن طحنون في عام 1851 فقد أرسى سلاماً مع الشيخ سلطان بن صقر، رغم المؤامرات التي كان يدبرها الشيخ مكتوم ليمنع تحقيق السلام. انطلق لمساعدة شيوخ البحرين في صراعهم مع الحاكم الوهابي، ومن خلال مساعيه الكبيرة باتت المسائل في وضع مستقر وسلمي في تموز بين الأطراف المتحاربة، وأخيراً في العمليات الحربية التي استمرّ بها إمام مسقط وشيخ دبي ضد سعيد بن قيس سيئ الطالع زعيم صحار. إن الطرف الذي آزره الشيخ سعيد بن طحنون كان أنانياً، ويتمتع بالازدواجية أكثر مما يتمتع بالصدق والإخلاص.

يتجسّد الحدث الثاني الذي يتصل بهذه القبيلة في الاعتداء البحري الذي وقع في بداية الربيع من عام 1852، ويبدو بأن من ارتكبه كان قد تلقّى الأوامر من الشيخ سعود نفسه. وهاكم الظروف التي رافقت القضية: في الحادي والثلاثين من شهر آذار من عام 1852 أبلغ عبد بن بطيّ وهو أحد سكان دبي حاجي يعقوب الوكيل البريطاني في الشارقة (الشارجة)، بأنه كان يملك مركباً يرغب في بيعه، لذا صعد على متنه واتجه به إلى بيدا لأجل هذه الغاية، وبعد أن وضع مركبه هناك، صعد على متن بغلة (سفينة) تابعة لزعل Zaal من قبيلة بني ياس وكانت راسيةً في بيدا كي تعود إلى ديارها.

عندما وصلوا قبالة أبو ظبي، إلى مسافة قريبة منها، انطلق بوغارا بأوامر من سعيد بن طحنون، واستولوا على القارب، ونقلوه معهم إلى الميناء. عندما سحبوه إلى الشاطىء سلبوه من كل شيء. وأخذوا عبدين وخمسة كيرانات Kerans وعباسيين Abbas وغطاء رأس عربي، وحرروا أربعة رجال من ذلك المكان وأرسلوا بهم في بوغارا، لكنهم أبقوا واحتجزوا اثنين من الطاقم التابع لبيدا نوه سعيد بن طحنون لمن كان في القارب بأنه تلقّى أوامر من الأمير فيصل بن سعيد للاستيلاء على جميع ناقلات بني ياس التي يمكن أن يجدها في البحر ما لم تعد إلى أبو ظبي.

كان طاقم القارب الذي انطلق من أبو ظبي يحتوي على خمسة وعشرين رجلاً.

وجهت رسالة احتجاج إلى زعيم بني ياس، تدعوه إلى دفع التعويض عن هذا الانتهاك المفضوح للهدنة البحرية، وتطلب العودة الفورية لجميع الرجال والأملاك التي تمَّ الاستيلاء عليها على نحو غير قانوني. وأتبع الكومودور ربنسون الرسالة، برأي قال فيه بسبب التمرّد الذي أظهره ذلك الزعيم الخارج عن القانون «أن يعطي ثقلاً للمطالب بوجوده، ويحذر من العواقب التي يمكن أن تنجم من الاستخفاف بمواثيقه وعهوده مع الحكومة البريطانية». تلك كانت الخطوات التي تمَّت وسعيد بن طحنون يعطي تفسيراً لما حدث. قبل وصول الكومودور، وفور تلقّي رسالة الكابتن كيمبال، أرسل بمبعوث خاص إلى حاجي يعقوب بغية إعادة الملكيات المسلوبة والإلحاح عن نيته في استعادة العبيد الذين أخذهم، حال عودتهم من ضفاف اللؤلؤ.

بقيت نقطتان تجدر الإشارة إليهما قبل أن نختتم هذه اللمحة.

عندما اقترب عام 1852 من نهايته ناصر زعيم بني ياس قضية الشيخ سعيد بن بطيّ، شيخ دبي الجديد، والذي نازعه على حقه في الزعامة أبناء شقيقه، الشيخ الراحل مكتوم، ما جعلهم يهربون إلى الشيخ سلطان بن صقر

طلباً للحماية، ويلتمسون عونه فيما يتصل بالزعامة التي ورثوها والتي لم يتمكّنوا من الاحتفاظ بها.

وفي ربيع السنة التالية، وبمناسبة مجيء عبد الله بن فيصل إلى البريمي مع قوة نجدية كبيرة كان النهج الذي سلكه الشيخ سعيد بن طحنون معارضاً ومعادياً لنهج القواسم (الجواسم). بعد أن وجد أن سعيد بن طحنون كان يبذل كل ما بوسعه لحثّ ابن الأمير على غزو مقاطعات باطنة، عبّر عن استيائه للخطة المقترحة على الفور وذلك من خلال التخلص من الجانب الأكبر من قواته وإرسالهم إلى ديارهم، وأخذ يرجو السماح له بالانسحاب، إذا تمّت المصادقة على الحملة. أملت الإجراءات التي تبناها المندوب، مقترنة مع إظهار المعارضة واتخاذ سعود ثويني موقفاً عدائياً على عبد الله بن فيصل صواب التخلّي عن مشروع الهجوم على مناطق الإمام والاقتناع بدفع مبلغ متزايد من الجزية هذا إن لم تكن قد أملت عليه ضرورة التخلّي عنه.

عندما سويت المسائل، عاد الشيخ سعيد بن طحنون إلى أبو ظبي لينتظر المندوب الذي كان خارج الميناء في رحلة في الخليج، ولدى وصوله وقع على معاهدة السلام الجديدة التي أرساها زعماء البحر في عمان، بغية التوقف الكامل عن الأعمال العدائية في البحر.

التاريخ الداخلي لإمارة أبو ظبي[1]

التاريخ المبكر 1761 ـ 1818

تأسيس مدينة أبو ظبي 1761:

يرجع قيام مدينة أبو ظبي إلى سنة 1761، وقد كان بنو ياس يحتلون بالفعل ما حولها، هم أهل قبيلة من البدو الرعاة استطاعت أن تجد بعض المياه في المكان الذي تشغله اليوم مدينة أبو ظبي. فابتنت حولها ما لا يزيد على 20 بيتاً.

الحكّام بِمَنْ فيهم الشيخ محمد المعزول في 1818:

وفيما يتعلق بشيوخ القبيلة وقت قيام إمارة أبو ظبي، فنحن نحيل القارىء إلى لوحة شجرة نسب شيوخ بني ياس، وربما كان آخر شيوخهم المستقرّين في الداخل هو ذياب بن عيسى الذي قتله ابن عمه هزاع بن زيد في سنة 1793. وقد انتقم لمصرع ذياب ابنه شخبوط فقتل ما لا يقلّ عن عشرة أشخاص شهدوا مصرع أبيه أو شاركوا فيه، وفي سنة 1795 وجد هزاع القاتل الفعلي نفسه مرغماً على الهرب حتى لا يلقى نفس المصير، وظلّ الشيخ شخبوط على رأس القبيلة حتى سنة 1816 حين عزله ابنه محمد، وظل يحكم القبيلة بعده لمدة عامين.

---

(1) هذا الفصل هو من القسم التاريخي لدليل الخليج، الجزء الثاني من ص1159 ـ 1167، تأليف ج. ج لوريمر ويشمل من ص335 ـ 348 من هذا الكتاب.

الشيخ طحنون بن شخبوط 1818 ـ 1833

تولي الشيخ طحنون 1818:

في سنة 1818 قام طحنون بن شخبوط بعزل أخيه محمد وطرده من أبو ظبي، وكان شخبوط نفسه موافقاً على هذا العمل، كذلك معظم قبيلة بني ياس، كما قدم حاكم مسقط عوناً مادياً لإتمام هذا العمل[1]، ولجأ محمد إلى الدوحة في قطر تحت حماية شيخ البحرين، وظل طحنون شيخاً لأبو ظبي لكنه كان يشرك أباه معه في الحكم ويرسله في البعثات الهامة خاصة في مفاوضات الصلح مع قائد الحملة البريطانية على رأس الخيمة في 1819 ـ 1820. وقد كان تولّى طحنون الحكم بمساعدة من حاكم مسقط بداية النزاع الدائم بين القواسم وبني ياس وكانوا يعيشون حتى ذلك الوقت ـ وإذا صدقنا الروايات المتواترة هناك ـ حلفاء وأصدقاء.

تحركات سويدان بن زعل 1822 ـ 1823:

في 1821 أو 1822 ـ وعقب تولي الشيخ طحنون بزمن قصير ـ فرّ من أبو ظبي رجل يدعى سويدان بن زعل كان زعيم فرع المحاربة من بني ياس هرباً من ديون كان عليه أن يؤدّيها، وعاش حياة الخارجين على القانون وقطّاع الطرق، وقام طحنون مباشرة بعمل ضده، فاستولى على عدد من قواربه لكن السلطات البريطانية في ذلك الوقت لم توافق على هذا العمل لأنه يهدِّد التوازن القائم في مياه البحار، بل وطلب إلى الشيخ ـ تحت التهديد بإرسال سفينة حربية بريطانية إليه ـ أن يعيد القوارب التي استولى عليها إلى صاحبها.

---

(1) هذه هي الرواية التي يذكرها الملازم هينيل (Lieutant Hennell) في سنة 1831 تقريباً (انظر: مختارات بومباي، المجلد 24، ص 464)، لكن الملازم ماكلويد (Lieutant Mclead) يذكر في سنة 1823 أن طحنون قد وضعه سيد مسقط حوالي سنة 1821 على الحكم مكان أبيه، وأن شقيقه محمد قد فرّ في نفس هذا الوقت، لكن التوقيع على المعاهدة العامة للسلم باسم أبو ظبي قد قام به الشيخ شخبوط (في 11 كانون الثاني 1820)، الذي كان لا زال على قيد الحياة في الذي يحكم أبو ظبي حكماً مطلقاً بمفرده.

وفي نهاية السنة قام سويدان بزيارة لمسقط حيث تلقى هدية من السيد سعيد، وفي كانون الثاني 1823 ذكر أنه قد استقرّ ـ في هدوء ـ بجزيرة ياس. والآن فرض تصور آخر لسويدان نفسه على السلطات البريطانية المحلية لأننا نجد المقيم السياسي ينصحه بالخضوع للشيخ طحنون، بل ويشجّع هذا الأخير ـ في ظل شروط خاصة ـ على إخضاعه قسراً وبالقوة، وأخيراً تصالح سويدان مع شيخه ورجع إلى أبو ظبي في 1828.

هجوم الشيخ محمد المطرود على مدينة أبو ظبي 1823:

وفي أواخر 1823 ظهر الشيخ السابق محمد ـ الذي كان يقيم حتى ذلك الحين بالدوحة في قطر ـ أمام أبو ظبي على رأس جماعة من البدو المناصير وهاجم المدينة ونهبها، لكنه صدّ عنها بعد أن تكبّد خسارة قدرها 35 رجلاً من القتلى على يد شقيقه طحنون الذي بادر بالتحرّك للقائه على رأس قوة كبيرة من الداخل وتراجع شمالاً ليلجأ إلى الشارقة (الشارجة) حيث تبعه طحنون براً يطلب استسلامه، ولكن قبل أن تتأزم الأمور بين شيوخ أبو ظبي والشارقة (الشارجة) أراح محمد شيخ الشارقة (الشارجة) بأن انسحب عائداً إلى قطر.

اغتيال الشيخ طحنون في نيسان 1833:

وكان الشيخ طحنون منذ زمن بعيد فاقداً للثقة في أخويه خليفة وسلطان وظل مبعداً لهما عن أبو ظبي لكن أباه شخبوط استطاع إقناعه في النهاية بأن يسمح لهما بالعودة، وبعدها مباشرة تبيّن أنهما مشتركان مع بعض كبار أهل أبو ظبي في خطة هادفة لإقصاء طحنون، وحاول الشيخ القضاء على هذه الخطة بأن وضع بعض كبار أنصارهما في السجن، لكن هذا الإجراء لم يكن كافياً على أي حال، وفي نيسان سنة 1833 سقط الشيخ طحنون صريعاً بطلقة من مسدس أخيه خليفة وطعنة من خنجر أخيه سلطان.

الشيخ خليفة بن شخبوط 1833 ـ 1845

تولّي الشيخ خليفة عام 1833:

حكم خليفة وسلطان في البداية معاً، ولكن تدريجياً بدأت سيادة خليفة تكشف عن نفسها وأخذ سلطان المكان التالي، وبسرعة قبل أمير الوهابيين الاعتراف بالولاء ودفع الزكاة من جانب الشيخين المغتصبين للسلطة، فبادر بوضعهما تحت حمايته، ومنع الشيخ القاسمي في الشارقة (الشارجة) من التدخل في شؤونهما.

مؤامرة ضد الشيخ خليفة 1833:

وخلال الصيف التالي قام بعض الساخطين في أبو ظبي بمؤامرة لقتل الشيخ خليفة ووضع واحد من أبناء عمومته مكانه، لكن ابن العم هذا الذي كان ليستفيد من المؤامرة بادر بكشفها للشيخ خليفة الذي انسحب إلى قلعته وأمر بإلقاء القبض على ثلاثة من كبار المتآمرين وإعدامهم، وهمّ الشيخ خليفة أيضاً بقتل بعض كبار التجار المشتركين في المؤامرة، لكن معارضة الرأي العام، ومعارضة شقيقه سلطان أرغمته على أن يكتفي بنفي واحد من كبار هؤلاء التجار يدعى ابن عليان فأمر بجلده ومصادرة أملاكه ثم نفيه إلى لنجة.

انسحاب آل بو فلاسة إلى دبي 1833:

وكان هذا العنف من جانب الشيخ خليفة أمراً ليس في صالحه، لأنه دفع بعدد كبير من فرع آل بو فلاسة من بني ياس بالهجرة خلال موسم اللؤلؤ من أبو ظبي إلى دبي، ولكن يبدو أن الحاكمين في دبي ـ ولسنا نعرف على التحديد تاريخ قيامها لكنه كان بالتأكيد تالياً على قيام أبو ظبي ـ قد بادروا بحماية هؤلاء الفارين الذين انضم إليهم بقية أهلهم في الخريف التالي بعد عودتهم من شواطىء اللؤلؤ، وكان استقرار هؤلاء جميعاً استقراراً دائماً، فمعظم آل بو فلاسة حتى اليوم مستقرّين في دبي، وأصبح هذا المكان، بعد سنة 1833، منافساً خطيراً لأبو ظبي.

وكان هجوم شيخ الشارقة (الشارجة) التالي على مدينة أبو ظبي وحصاره لها في خريف سنة 1833 راجعاً إلى هذه الخلافات التي يبدو أنها قدّمت للشيخ سلطان بن صقر فرصة ممتازة لمهاجمة شيخ بني ياس بزعم المطالبة بإنصاف التاجر ابن عليان، غير أن النتائج كانت أبعد ما تكون عن تحقيق هذه التوقعات.

أول محاولة لانسحاب قبيلة القبيسات إلى العديد 1835 ـ 1837:

وفي سنة 1835 ـ حين عمدت السلطات البريطانية إلى جمع التعويضات عن الخسائر الجسيمة التي سببتها أعمال القرصنة من جانب شيخ أبو ظبي ـ بدأ رعايا الشيخ خليفة يهربون في كل الاتجاهات كي يتفادوا دفع أنصبتهم (أي المبلغ الواجب دخله)، لدرجة أنه أصبح من الضروري أن تطلب السلطات البريطانية من بقية الشيوخ عدم إيواء هؤلاء الهاربين من أبو ظبي وتقديم الحماية لهم.

وكان من المستحيل ـ على أي حال ـ أن تؤدي هذه الإجراءات إلى منع هجرة فرع القبيسات من بني ياس الذين تركوا وراءهم ديونهم في أبو ظبي دون سداد وانتقلوا ـ في جماعة واحدة ـ إلى خور العديد في المنطقة الساحلية غير المأهولة بالسكان قريباً من قاعدة شبه جزيرة قطر على مبعدة حوالي 200 ميلاً من أبو ظبي. وقد بذل المقيم البريطاني بعض الجهد لعقد صلح بين القبيسات وشيخهم ولإغرائهم بالرجوع للولاء له، لكنه فشل، وبعدها بقليل بدأ يتردد أن هؤلاء المستقرّين الجدد يشجعون عمليات القرصنة وخاصة تلك التي يقوم بها القرصان جاسم بن جابر الذي أدّت غاراته إلى قيام البحرية البريطانية بعمل على ساحل قطر في سنة 1836 على نحو ما هو مذكور في تاريخ هذا الإقليم. وكان المقر الرئيسي للقراصنة هو مرفح على ساحل تاف في الظافرة وكانوا معتادين أن يأتوا بما يسلبونه إليها، ومن هناك يحمل على ظهور الجمال لينقل إلى مختلف الاتجاهات، غير أن قاسم كان يخرج في جميع عملياته من العديد، وكان شيخ المستقرّين فيها يقدم إليه المعونات بقدر ما يستطيع ويطيق.

وأخيراً ـ في أيار 1837 استطاع الشيخ خليفة الحصول على إذن من المقيم البريطاني للهجوم على المستعمرة الموجودة في العديد حيث دمّرها تدميراً كاملاً وقتل حوالي 50 رجلاً من أهلها، وسوَّى منازلها واستحكاماتها بالأرض، وامتلأت الآبار بأنقاض البيوت وجثث القتلى. ولجأ بعض القبيسات إلى دبي وربما إلى غيرها أيضاً، لكنهم حين عرفوا أن من عاد منهم إلى أبو ظبي عومل معاملة طيبة ورُدَّت إليه سفنه، وافقوا على قبول ما عرضه عليهم الشيخ خليفة وعادوا إلى أبو ظبي وإلى ولائهم لشيخها، وكان من بينهم خادم بن نعمان زعيم المهاجرين.

اغتيال الشيخ خليفة عام 1845:

وفي تموز سنة 1845 ـ وفي ظروف ليست واضحة تمام الوضوح ـ لقي الشيخ خليفة وشقيقه سلطان مصرعهما غدراً على يد رجل يدعى عيسى بن خالد كان قد قضى زمناً طويلاً هارباً من حكم بالإعدام ضده، وقد ارتكب عمله هذا في وقت كانت المدينة فيه خالية من سكّانها، فكلهم قد خرج إما إلى شواطىء اللؤلؤ أو إلى مزارع النخيل في ليوا (ليوة)، وحدث القتل في نهاية مأدبة أقامها القاتل في ظل إحدى السفن على الشاطىء.

إدارة الشيخ خليفة:

وعلى الرغم من الجريمة التي ارتكبها الشيخ خليفة قبل تولّيه الحكم، والتي لقي مصرعه على نحو يماثلها، فقد كان حكمه لأبو ظبي حكماً جيداً، واستطاع بجرأته وحزمه وثباته أن يرفع أبو ظبي إلى مكانة لم تكن لها من قبله، وفي نفس الوقت فإنه استطاع ـ وخاصة بعد سنة 1835 ـ أن يقيم علاقات طيبة بينه وبين السلطات البريطانية، وأن يحول بين رعاياه ـ قدر إمكانه ـ وبين خرق السلم في مياه البحار.

فترة خلوّ الحكم في أبو ظبي 1845

وعقب مقتل الشيخ خليفة أصبح قاتله هو زعيم بني ياس، ربما بموافقة

هؤلاء الذين كانوا بين يديه في ذلك الحين، ولكن بعدها بشهرين قتله رجل يدعى ذياب بن عيسى يبدو من اسمه أنه ابن عم للشيخ خليفة، لكن ذياب بدوره لقي مصرعه على يد ابن لعيسى يدعى خالد، وبدلاً من أن يحاول خالد استبقاء المشيخة لنفسه اكتفى بالانتقام لأبيه ثم هرب إلى الشارقة (الشارجة)، وقد حاول شقيق له أن يستولي على قلعة أبو ظبي لكنه طرد منها على يدي محمد بن حميد ورشيد بن فضل وهما اثنان من ذوي النفوذ في بني ياس، وأعلنا تولية سعيد ابن الشيخ طحنون ـ وبالتالي ابن شقيق الشيخ خليفة ـ شيخاً لإمارة أبو ظبي.

الشيخ سعيد بن طحنون 1845 ـ 1855

تولي الشيخ سعيد عام 1845:

ظلّت السلطة في أيدي محمد ورشيد حتى عودة الشيخ سعيد الذي كان الجميع يرون أنه أنسب الناس لتولي الحكم، والذي كان مؤيداً من جانب المقيم البريطاني أيضاً. . والذي تولّى الحكم دون أن يلقى مقاومة أحد.

المحاولة الثانية لانسحاب قبيلة القبيسات إلى العديد عام 1849:

وفي 1849 كان القبيسات ساخطين للحظوة التي يوليها الشيخ الجديد لفرع المحاريب من بني ياس، كما كانوا يلقون التشجيع أيضاً من شيوخ دبي والشارقة (الشارجة) على أمل أن أمير الوهابيين سيسارع بتقديم العون لهم للاستقرار في العديد، فقاموا مرة ثانية بهجرة ديارهم والإقامة مؤقتاً في الدوحة بقطر، وقام شيخ أبو ظبي باتخاذ الإجراءات الفورية لإرغامهم على العودة في تشرين الثاني وكانون الأول سنة 1849، فبعد أن سجن بعض القبيسات الذين كانوا لا يزالون في أبو ظبي أرسل يستدعي بعض قادة المستعمرة في الدوحة، وحين رجعوا استقبلهم استقبالاً خادعاً، وفي الليلة التالية تمَّ تجريد القوارب التي جاؤوا بها من القلاع والمجاديف وكل ما يمكنها من الحركة، وحين وجد المبعوثون أنفسهم عاجزين عن الهرب أرغموا على قبول الشروط التي فرضها

عليهم الشيخ والتي كانت تشمل ـ إلى جانب عودتهم من الدوحة ـ سداد جميع الديون المستحقّة عليهم للدائنين من الأفراد إلى جانب دفع غرامة خاصة للشيخ.

طرد الشيخ سعيد وولاية الشيخ زايد عام 1855:

وفي 1855 أصبح الشيخ سعيد موضع سخط من جميع رعاياه وذلك لأنه عزم على قتل شقيقه الأكبر، ووقف بنو ياس جميعاً إلى جانب هذا الشقيق المحكوم عليه بالموت، وبناء على وعد من الشيخ سعيد بألّا يمسّه بأي ضرر، جاء أخوه لمقابلته، لكن سعيداً لم يتخلّ عمّا نواه، فاستلّ خنجره وأغمده في قلب أخيه، وقام الناس جميعاً إلى السلاح، وبعد أن احتمى الشيخ سعيد في قلعته زمناً بادر إلى الفرار واستقرّ بجزيرة قيس الإيرانية ومعه معظم ما يملكه من ماشية ومتاع، وبالنسبة للمقيمية البريطانية فقد برر سعيد هربه هذا بإصراره على منع عمليات قرصنة كان يقوم بها قوم من الهوامل والمحاريب من بني ياس وعقاب مرتكبيها، وحدّد هذه العمليات بأنها وقعت على سفينة يملكها رجل يدعى عبد الكريم.

الشيخ زايد بن خليفة من سنة 1855

وبهرب الشيخ سعيد بن طحنون أصبح ابن عمه زايد بن خليفة شيخاً منتخباً لأبو ظبي، وحسب اتفاقية يبدو أنها كانت سائدة بين بني ياس اشترك معه شقيق له يدعى ذياب في الحكم، ولكن ـ أيضاً كالمعتاد ـ لم يعد أحد يسمع شيئاً بعد عن هذا الشيخ المساعد في الحكم.

هجوم الشيخ سعيد المطرود على مدينة أبو ظبي 1856:

وفي تموز 1856 حدث هجوم غادر وغير متوقع على مدينة أبو ظبي من جانب الشيخ المنفي سعيد بن طحنون الذي اتخذ الشارقة (الشارجة) قاعدة له في هذه العملية. وكان أسطوله مكوّناً من ثلاث سفن صغيرة يملك هو واحدة منها، والأخرى تابعة لجزيرة قيس، أما الثالثة فقد أمكنه الحصول عليها

وجلبها في أبو حيل بإمارة الشارقة (الشارجة)، وفي 19 تموز كان الشيخ زايد غائباً في الظفرة، فنزل سعيد بن طحنون في أبو ظبي واستطاع أن يتملّك المدينة التي قام أنصاره بنهبها، واعتصم الشيخ ذياب مع أنصاره القليلين الذين كانوا موجودين بالمدينة في القلعة وظلّوا بها حتى عاد الشيخ زايد من الداخل ومعه جماعة من البدو. وبظهور هذه القوة تشتت المهاجمون، وكان سعيد بن طحنون نفسه من بين القتلى. وكما ذكرنا في تاريخ عمان المتصالحة، فإن الخسائر التي أوقعت بمدينة أبو ظبي أثناء هذا الهجوم قد عوّضت من غرامة كبيرة قدرها 25 ألف روبية فرضت على شيخ الشارقة (الشارجة) لاشتراك بعض رعاياه في هذا الهجوم.

هجرة القبيسات الثالثة إلى العديد 1869 ـ 1880:

وليس ثمة شيء يميز طابع هؤلاء البدو من رعايا شيخ أبو ظبي أكثر من استعدادهم ـ بعد أي إغراء طفيف ـ لترك ديارهم وللاستقرار في أي مكان آخر. وقد أشرنا من قبل إلى هجرة آل بو فلاسة في سنة 1833، وهجرة القبيسات المؤقّتة في 1835 ـ 1837 و1849، والآن نشير إلى محاولات القبيسات تحرير أنفسهم من سيطرة شيخ أبو ظبي بانتقالهم للإقامة بعيداً عنه.

سنة 1869:

في سنة 1869 ـ ولأسباب لم تتأكد لنا ومحتمل أن تكون أسباباً تافهة لا قيمة لها، هاجرت فرقة من القبيسات يقودها بطيّ بن خادم من أبو ظبي واستقرّت بعيداً في خور العديد.

سنة 1871:

وفي سنة 1871 ـ ونتيجة شكاوى الشيخ زايد من أن رخاء مدينة أبو ظبي في تناقص نتيجة منافسة هذه المستعمرة في العديد، وأن هذه الأخيرة قد أصبحت ملجأ يأوي إليه كل هارب من أداء دينه، قام كولونيل بيللي بإجراء أبحاث مستفيضة اشترك فيها هو بنفسه وتولّى بعضها مساعده الميجور سميث

حول ملكية خور العديد، وكانت النتيجة أن العديد نفسها ـ ولم يكن ثمة شيخ في قطر يستطيع الزعم في ذلك الوقت بأنها تابعة له ـ كانت تقع داخل إقليم أبو ظبي دون منازع، غير أن أهل العديد زعموا أنهم يكونون مستعمرة مستقلّة عن أبو ظبي، وأكّدوا أن إقليمهم يمتد إلى منتصف الطريق من عديد إلى الوكرة من ناحية قطر، ومن الناحية الأخرى حتى جزيرة ياس، وأنها تشمل جزيرة دلمة وغيرها من الجزر المجاورة التي كانت تعتبر فيما قبل تابعة لأبو ظبي. بل وأكثر من ذلك فقد أشاروا إلى رغبتهم في أن يظلوا تحت علم عمان المتصالحة، لكنهم لمحوا ـ في نفس الوقت ـ إلى أنه في حالة عدم الاستجابة لمطالبهم تلك، فسيضعون أنفسهم تحت حماية الأتراك الذين كانوا قد وصلوا في ذلك الحين إلى قطر. وطلب كولونيل بيللي إمهاله حتى تصله تعليمات بصدد هذا الشأن، وذلك بالنظر لأن شيخ أبو ظبي ـ مستنداً إلى معاهدة السلم الدائمة في سنة 1853 قد طلب تدخله كوسيط في الخلاف.

ـ وكانت أوامر حكومة الهند ـ التي وصلت في أيار 1872 ـ تشير إلى أن المقيم ليس من حقه اتخاذ أي إجراء لأن هجوماً بحرياً لم يحدث على شيخ أبو ظبي كما تقضي نصوص الهدنة البحرية، وأنه لا يجب أن يتدخّل إلّا لو حدث بالفعل خرق لهذه الهدنة بين الطرفين المتنازعين، لكن عليه أن يبلغ ـ فوراً ومباشرة[1] عن أي عمل من جانب الأتراك لفرض سيطرتهم على خور العديد.

سنة 1873:

وظل الوضع كما هو دون تغيير حتى سنة 1873 حين أشار الكولونيل روس ـ الذي خلف الكولونيل بيللي في مقيمية الخليج ـ في أحد تقاريره إلى أن شيخ أبو ظبي تقدّم يطلب إذناً للقيام بعمل بحري ضد المتمردين في العديد على أساس أن الحملة البرية أمر ليس عملياً بالنظر إلى عقبات وصعوبات

---

(1) يتضح من هذا اهتمام الإنجليز البالغ بقضية العديد.

طبيعية، وكان كولونيل روس يميل إلى الاعتقاد بأن رفض إعطاء الشيخ هذا التصريح قد يلقي به في أحضان الباب العالي، غير أن حكومة الهند أشارت في ردها بأن يحاول قدر الإمكان التملّص من إعطاء الشيخ زايد إجابة واضحة على تساؤله، وأن يبلغه ـ من الناحية الأخرى ـ أن حكومة الهند لا توافق على قيامه بهذه الحملة البحرية، بل وستعمل أيضاً على منعها.

سنة 1874 ـ 1875:

وفي سنة 1874 ـ وعقب أن كرّر الشيخ طلبه المتعلّق بالحملة البحرية ـ تمّ إبلاغه بقرار الحظر من جانب حكومة الهند، وفي سنة 1875 ذكر أنه قد تلقّى خطابات من الأتراك يأمرونه فيها بالكفّ عن التدخل في خور العديد، وفي هذا الوقت نفسه تردد أن مستعمرة العديد ترفع أياً من علمي عمان المتصالحة وتركيا.. حسب الظروف ومقتضيات الحال.

سنة 1876 ـ 1877:

وفي 1876 ـ 1877 قام جماعة من البدو فيما جاور العديد ببعض عمليات قرصنة وتمَّ إجراء تحريات دقيقة عن مسلك أهل هذه المستعمرة. وقد ذكر أن بعض الأتراك قد قاموا مؤخراً بزيارة العديد، وأن سكان هذه المستعمرة يدفعون للحكومة التركية جزية سنوية صغيرة تتراوح بين 40 و50 دولاراً. وفيما يتعلق بأعمال القرصنة فقد تبيّن أن القائمين بها كانوا من آل مرة لكنهم كانوا يستخدمون المراسي والخلجان، بل وسفن العديد. وهي أعمال لم يكن في وسع الشيخ أن يمنعها. ونتيجة اكتشاف هذه الحقيقة الأخيرة اتّخذت القضية مساراً آخر، ففي أيار 1877 صدرت التعليمات من حكومة الهند للمقيم العام بأن يبذل كل جهوده لمنع التحالف أو الاتحاد بين أهل مستعمرة العديد وبقية قبيلة بني ياس، وفوّضته في نفس الوقت ـ وإذا فشلت جهوده تلك ـ في أن يعاون شيخ أبو ظبي في إخضاعهم. هذه التعليمات تمَّ التصديق عليها مباشرة من جانب وزير الدولة لشؤون الهند، واتخذ كابتن بريدو (Captain Prideaux) المقيم البريطاني العامل في الخليج وقتذاك الخطوات

المباشرة لتنفيذها، غير أن جهوده كلها في الوصول إلى تسوية قد باءت بالفشل. وتعقّدت الأمور أكثر وأكثر نتيجة عملية قرصنة قامت بها سفن العديد على سفينة تابعة للوكرة، حدث هذا في شهر نيسان، وأرغم كابتن بريدو على أن يطلب أولاً إطلاق سراح بعض الأفراد الذين كانوا أسرى في العديد. وفي كانون الأول 1877 عاد كولونيل روس إلى عمله مقيماً في الخليج وذكر في أول تقرير له أن جهوده للوصول إلى تسوية قد فشلت وذلك بالنظر إلى اعتماد شيخ العديد على التأييد من جانب تركيا. . هذا التأييد الذي لم يتردد في ذكره وتكراره كتابة، وطلب كولونيل روس استخدام السفن الحربية لتنفيذ هذه التعليمات، وعلى هذا وضعت السفينة «تيزر» تحت تصرفه، وحين وصلت هذه السفينة إلى العديد تبيّن أن أهل المستعمرة قد هجروها بعد أن هدموا منازلهم وغوروا آبار المياه في المنطقة، وأدّى هذا إلى مفاوضات بين السلطات البريطانية والحكومة التركية مذكورة بالتفصيل في مكان آخر.

سنة 1880:

ووجد الهاربون من العديد ملجأهم في الدوحة بقطر حيث استقرّوا على ما يبدو حتى سنة 1879، لكنهم في كانون الثاني 1880 قبلوا العرض الذي عرضه عليهم الشيخ زايد للعودة إلى أبو ظبي، وبعدها بوقت قصير سار خليفة ابن الشيخ زايد بنفسه كي يعود بهم إلى ديارهم، وقد اضطروا إلى الهرب سراً من الدوحة لأن الشيخ جاسم ـ شيخ آل ثاني هناك ـ كان سيرغمهم على البقاء، لكنهم وصلوا أبو ظبي سالمين، واستأنفوا ولاءهم لشيخها، وتسلّموا أشجار النخيل التي كانوا يملكونها وغيرها من ملكياتهم.

أما بقية المسائل المعلّقة بالنسبة للعديد فهي تخصّ تاريخ قطر أكثر مما تخصّ تاريخ أبو ظبي.

والآن نستطيع أن نذكر باختصار تاريخ البريمي التي لم تعد تلعب دوراً هاماً في شؤون عمان المتصالحة بعد طرد الوهابيين منها في سنة 1869، وأصبحت مجرد واحة تابعة لإمارة أبو ظبي.

الأحوال في واحة البريمي، 1875 ـ 1887:

في بداية 1875 قامت حرب بين بني ياس وبني نعيم، وحدثت غارات كثيرة بعضها خطير خاصة من جانب بني ياس الذين كانوا يتلقّون العون من حلفائهم بدو المناصير وبني هاجر. وفي كانون الثاني من هذه السنة قام 200 فارس من المناصير وبني هاجر بهجوم على مدينة ضنك التي يشغلها بنو نعيم في الظاهرة، وفي نفس الوقت قامت قوة مشابهة من المناصير والمزاريع بحملة فاشلة على البريمي، أما بنو قتب (كتب) فحين وجدوا أنفسهم في خطر من البدو المتحالفين مع أبو ظبي تقدّموا يطلبون الحماية من شيخ دبي الذي ذهب على رأس قوة من راكبي الجمال ووقف مراقباً حتى جاءهم الأمان من الشيخ زايد.

1887 ـ 1889:

وفي أيار 1887 خرج شيخ أبو ظبي إلى حرب بعض الظواهر من البريمي الذين كانوا يعارضون امتداد نفوذه إلى هناك، كما أرسل السيد تركي سلطان عمان مساعدات مالية وعسكرية للظواهر لكنها وصلت بعد فوات الوقت. وخلال شهر من رحيله، رجع الشيخ زايد إلى أبو ظبي منتصراً ومعه شيخان من شيوخ الظواهر أسرى. وفي نيسان 1889 ذهب شيخ عجمان إلى البريمي حيث سوّى بعض الخلافات التي كانت قائمة هناك بين بني نعيم.

سنة 1891:

وفي نيسان 1891 سار شيخ أبو ظبي إلى البريمي حيث لحق به هناك شيخ دبي على رأس قوة قوامها 30 فارساً و300 من راكبي الجمال ويبدو أنهم قاموا هناك بأعمال عدائية ضد الظواهر لأن العملية الرئيسية كانت هي اجتياح قرية العين والاستيلاء عليها، وبعدها عقد الصلح بين الشيخ زايد وآل بو خريبان من نعيم البريمي، بل وتزوج الشيخ بابنة الشيخ النعيمي الذي يسيطر على قلاع البريمي. وقد انضمّ بنو قتب (كتب) وبنو كعب ـ الذين كانوا من

قبل أنصاراً للقواسم ـ إلى شيخ أبو ظبي وتبنّوا مصالحه. وفي حزيران 1891 حاول الشيخ ـ الذي كان آنذاك في زيارة لمسقط ـ إغراء السلطان على الاستمرار في دفع الرواتب التي كان يدفعها لبعض زعماء بني نعيم وبني قتب (كتب) عن طريق واليه في صحار ثم أوقفت.

سنة 1897:

وحين ضمن الشيخ زايد ـ بهذه الأساليب وغيرها ـ سيطرته على البريمي سار ليضم هذه الواحة ضماً فعلياً ونهائياً لإمارته. وحوالي 1897 ـ وربما قبلها بقليل ـ وضع يده على ضيعة الجاهلي على الحدود الجنوبية الغربية للمنطقة الصالحة للزراعة، وراح بعدها يشتري ـ هو وأبناؤه ـ آبار المياه وقطع الأرض الصالحة للزراعة في البريمي وما حولها، خاصة ابنه الأكبر خليفة الذي أقام مستعمرة جديدة أطلق عليها اسم «السعودي» على الحدود الشمالية الغربية للواحة.

بنو ياس

أعدت هذه المادة من قبل الليوتنانت إي. بي. كيمبال Lieutenant A. B. Kemball[(1)]

سنة 1793 يقتل الشيخ ذياب[(2)] Zheab الزعيم الأعلى لأبو ظبي على يد أحد أقاربه هزاع Huza بن زايد.

سنة 1795 الشيخ شخبوط ابن الزعيم المغدور، يهزم هزاع[(3)] Huza ويطرده ويخلف والده.

سنة 1816 يبقى ممثلاً للسلطة حتى عام 1816 عندما يخلعه ابنه الأكبر محمد Mohamed ويغتصب الزعامة.

سنة 1818 الشيخ طحنون Tahnoon وهو الابن الأصغر يخلف أباه بمساعدة من الإمام [عُمان] وموافقة غالبية أفراد القبيلة في خلع والده الذي اغتصب الزعامة والذي ينجو بصعوبة ويلجأ إلى البحرين. يمسك طحنون Tahnoon بمقاليد ممثّل السلطة العليا وممثّل السلطة التنفيذيّة شيئاً فشيئاً والتي يخضع لها والده بصمت. يتحوّل الحلف بين الإمام وبني ياس إلى قضية تضعف الحميميّة والصداقة القائمة حتى الآن بين تلك القبيلة والقواسم.

سنة 1820 يتم الاعتراف بزعيم بني ياس عضواً في المعاهدة العامة[(4)].

---

(1) ترجم هذا المقال الأستاذ صخر الحاج حسين ويشمل من ص349 إلى 356 من هذا الكتاب.

(2) ذياب بن عيسى ـ (م. شبّر).

(3) هو ابن عم ذياب بن عيسى. (م. شبّر).

(4) المعاهدة التي وضعتها بريطانيا (م. شبّر).

سنة 1822 ينسحب سويدان بن زعل[1] Sooedan bin Zaal وهو صاحب موقع مميّز من أبو ظبي ويلجأ إلى البدع Bidda (وهي تبعيّة بحرينيّة). يواصل الشيخ طحنون Tahnoon إجراءاته ضده والتي اعتقد بأنها أدّت إلى تجديد أعمال القرصنة، يتخلّى عنها، بناء على رغبة من ممثّل السلطة البريطانيّة.

سنة 1823 محمد بن شخبوط Mohamed bin Shakbook يجمع قوة ويهاجم أبو ظبي وينهبها. يزحف الشيخ طحنون Tahnoon لإنقاذ المدينة ويهزم شقيقه ويسفر عن ذلك بعض الخسائر. يلجأ محمد Mohamed إلى الشارقة (الشارجة)، لكن وبما أنّ ذلك المكان كان مهدداً من قبل طحنون Tahnoon، يتخلى عن حماية شيخه وينطلق إلى الهولة Hualiah (وهي تبعيّة بحرينيّة).

سنة 1824 ـ 1825 يتم التوصّل إلى المعاهدة بين الإمام وبني ياس والقواسم (الجواسم) عبر نفوذ المندوب البريطاني لكن سلطان بن صقر Sugger زعيم القواسم (الجواسم) ينتهك المعاهدة وتبدأ العداوات.

لم يتم إحراز أيّ مكاسب ماديّة من أيّ من الجانبين، وفي نهاية العام يتمّ التوصّل إلى السلام من خلال وساطة قام بها الإمام.

سنة 1825 تندلع حرب بين بني ياس والعتوب بسبب اعتداء وسلب ونهب قام به أتباع سويدان بن زعل Sooadan bin Zaal على بني ياس والذي طلب حماية العتوب، يتمّ منعها بصعوبة من خلال نفوذ ممثّل السلطة البريطانيّة.

سنة 1827 يزور الإمام الساحل بناقلتين، وبتأييد واحد من شروط المعاهدة والذي فشل أحد رعاياه وهو طحنون Tahnoon في إنجازها، ليدمّر الديرة Derah. الإمام يمدّ زعيم بني ياس بالبنادق والذخيرة.

---

(1) سويدان بن زعل زعيم فرع المحاربة من قبيلة بني ياس (م. شبّر).

يقوم الشيخ طحنون Tahnoon الذي استفاد من الدعم، بهجوم مفاجىء وقوي على دبي Debaye ويفلح فيه. ويعلن قائد القواسم الحرب، لكنه يمتنع عن القيام بأعمال عدائية.

سنة 1826 ـ 1827 يستولي حاكم دبي Debaye خليفة بن[1] Dumeeta على عدد من قوارب الشارقة (الشارجة) وشحناتهم، لكن السلطات البريطانيّة تجبره على أن يدفع التعويض.

سنة 1828 ينضم الشيخ طحنون Tahnoon إلى حملة الإمام ضدّ البحرين ويفشل فيها.

سنة 1828 ينجز سويدان Sooedan بن زعل وأتباعه مصالحة مع الشيخ طحنون Tahnoon ويعود إلى أبو ظبي. يستولي بنو ياس على اثنين من البوغارات البحرينيّة Buggarahs وبوتيل كويتي (Buteel)، يتم استعادة القوارب ويهرب القراصنة.

في شباط سنة 1829 تتفجّر العداوات من جديد بين القواسم وبني إياس. يحاصر الشيخ سلطان أبو ظبي ويفرض عليها معاناة شديدة. يقبل الفريقان اللذان يتوقعان أن يخسروا المنافع من مواصلة صيد اللؤلؤ، بوساطة الشيخ محمد Mohamed بن قضيب Guzeeb حاكم لنجة Lingah ويتمّ التوصّل إلى السلام.

في كانون الأول سنة 1829 يصبح الشيخ طحنون Tahnoon طرفاً في معاهدة السلام التي تمّ التوصّل إليها بين الإمام والعتوب.

سنة 1831 يعرض زعيم بني ياس مساعدته إلى الإمام بمناسبة إعلانه

---

(1) لم يثبت لنا صحّة هذا الاسم حيث واجهنا صعوبة كبيرة من كتابة الأسماء العربية ـ مترجمة من اللغة الانكليزية. . إن السبب يعود إلى أن كل معتمد أو ضابط كان يكتب الأسماء ـ أشخاص أو أماكن ـ حسب طريقته، ولم يعتمد هؤلاء الضباط والمعتمدين طريقة المستشرقين في كتابة الأسماء العربية. إن بعض الأسماء كانت كطلسم في طريقة كتابتها. [ماجد شبّر]

الحرب مرة ثانية ضدّ حمود Humood بن عزان Azan شيخ صحار Sohar وهو أحد أقربائه. لكن بما أنّ ولاءه كان محط شبهات فقد رفضت مساعدته، بينما يقبل الإمام بمساعدة الزعيم القاسمي وشيخ عجمان.

غاضباً من رفض الإمام لمساعدته وخشية من أيّ حلف بين الإمام وخصومه القواسم يرمي طحنون Tahnoon بنفسه إلى الطرف المعادي، ويبدأ عدواناً. يعلن سلطان بن صقر Sugger الحرب، ويستعدّ لحصار أبو ظبي، لكن العداوات خلال فترة صيد اللؤلؤ تخلق استياءً كبيراً في عقول رعايا القواسم وبني ياس، ويتمّ إحلال السلام، بعد مفاوضات قصيرة الأمد، من خلال وساطة قام بها سعيد Syed بن قضيب Guzeeb من لنجة Lingah.

يمنح الشيخ طحنون Tahnoon اللجوء إلى ثلاثة من القراصنة القواسم وهم من سكان خان Khan ويحمل نفسه مسؤولية أفعالهم draws upon himself والالتزام الناتج عن ذلك في دفع التعويض، وهذا ما فعله من خلال دفع مبلغ 1500 كراون ألماني. ويجبر الزعيم القاسمي على دفع مبلغ 2000 كراون ألماني من أجل الدور الذي قام به بمساعدة من قام بالقرصنة.

سنة 1832 ـ 33 يُقتل الشيخ طحنون بن شخبوط Shakboot على يدي شقيقيه خليفة وسلطان الذين يخلفانه في السلطة.

في آذار سنة 1833 يقدّم الشيخ خليفة فروض الولاء والطاعة والجزية السنوية للحاكم الوهابي تركي بن سعود Saood والذي يخبّر الزعيم القاسمي بدوره أنّ بني ياس هم تحت حمايته وبأنه لن يسمح لأيّ اعتداء أن يصيبهم.

ونتيجة السلوك العشوائي والقمعي لمغتصب السلطة، يتمّ حبك مؤامرة بغية قتله. يتمّ كشف المؤامرة للشيخ خليفة، الذي يعدم ثلاثة من المتآمرين، ويعاقب الآخرين على نحو شديد. ينسحب ما مجموعه حوالي 800 شخص من قبيلتي بو فلاسة Boo Felasa والرميثات Rumshah من قبيلة بني ياس الأم ويوطدوا أنفسهم في دبي Debaye وهي تبعيّة لأبو ظبي. يستفيد الزعيم

القاسمي من الانقسام الحاصل في قبيلة بني ياس ويناصر قبيلة بو فلاسة Boo Felasa وينطلق بكامل قواته الجاهزة والتي تدعمها القوارب والرجال من لنجة Lingah لمهاجمة أبو ظبي، والتي توقّع أن تكون صيداً سهلاً.

تهبط القوات المشتركة في خور صوفان Khor Suffan ويتم حصارها على حين غرة بقوة أكبر، يدعمها الفرسان على صهوات الجياد والجمال، وتهزم على نحو كامل، وتجبر على العودة إلى القوارب. ينجو الشيخ سلطان من الغرق بشقّ النفس ويعود بأسطول ضخم ويحاصر أبو ظبي.

سنة 1833 تهرب ثلاث ناقلات بني ياس من الكتيبة التي فرضت عليها الحصار وتنطلق إلى كيب بوستينا Cape Bostinah تأسر بغلة Buggarah من عجمان مع طاقمها المؤلّف من ثمانية أشخاص، ويقتل سبعة منهم. ومن ثمّ تهاجم بغلة Buggarah من مسقط وتنهبها، وتقتل خمسة من طاقمها. وتتمكن من الهرب من القوارب القسمية التي أرسلت في أثرها، وتعود سالمة إلى أبو ظبي. يقدّم بنو ياس تبريرهم لسلطات مسقط. وتستبعد أيّ ضرورة للتدخّل من جانب المندوب. يتمّ رفع الحصار، ويتمّ إحلال السلام، من خلال وساطة قام بها شيخ لنجة Lingah.

سنة 1833 ـ 1834 يتبادل بنو ياس والقواسم الاعتداءات ونتيجة لذلك تنسحب قواربهم من أحواض اللؤلؤ. يرسل الشيخ خليفة، بناء على إلحاح قبيلته، والده شخبوط Shakboot لإحلال السلام الذي كان أحد شروطه هو أن يقبع سكان دبي Debaye من الآن فصاعداً تحت سلطة القواسم.

سنة 1834 ـ بعض سودان [سويدي] Soodan أبو ظبي يهاجمون بتيل[1] Buttel تابعاً لمطرح Muttrah ويسلبونه بضائعَ بما يعادل قيمتها ألف دولار. يقنع ظهور كتيبة إمام أبو ظبي الشيخ خليفة على أن يستجيب لطلبات السلطات البريطانيّة من أجل التعويض.

---

(1) بتيل نوع من أنواع السفن المستعجلة في الخليج.

سنة 1835 يندفع بنو ياس[1] في أعمال قرصنة صريحة ومعلنة. ويرتكبون أكثر أعمال الإغارة جرأة، مصحوبة بوحشية قصوى. ترسل جميع الناقلات الحربية من الكتيبة على الفور بحثاً عن قواربها. تواجه السفينة إلفينستون Elphinstone أسطول القراصنة الذي يتهيأ لخوض المعركة معها انطلاقاً من ثقته بنفسه، لكنه سرعان ما يهرب مع خسائر في الأرواح. تتمّ المطالبة بتعويضات كاملة ويتمّ الحصول عليها من شيخ أبو ظبي. ويُسلم زعيما القراصنة ويُرسل بهما إلى بومباي من أجل محاكمتهما. جرم أحدهما ونفي إلى مستعمرة مدى الحياة. أمّا الآخر والذي لم تؤيّد بحقه ـ لسوء الحظ ـ أي محاكمة، أعيد ليسلّم إلى الزعيم القاسمي، لكنه يتدبّر أمر هروبه من الناقلة أمام شاطىء الشارقة (الشارجة) حيث يسبح إلى البر مسافة أربعة أميال.

سنة 1836 تنسحب قبيلة القبيسات Gubeezat بقيادة خدوم بن نهمان Khadom bin Nahman وتجنباً للاشتراك بتبعات أعمال القرصنة الأخيرة التي قاموا بها (دفع قيمة الملكيات التي سُلبت أو دُمّرت) من أبو ظبي، ويوطدون أنفسهم في عديد Adeed.

سنة 1836 يبدأ جاسم بن جبر ركراكي Rugragee من قبيلة القبيسات Guzeebat وسهيل بن عطيش وعلي الهولي Howly تحت إمرة كل منهم قارب صغير برجال يتراوح عددهم من اثني عشر إلى ثمان عشر بالقيام بغزوات سلب ونهب منظّمة كل منهم على نحو مستقل عن الآخر. قوة بحريّة تزور موانىء البدع Biddah ووكرة Wukra وعديد Adeed الذين يلزم زعماؤهم أنفسهم في بذل أقصى ما يستطيعون بغية القبض على قوارب القراصنة. يطلب من القوة البحريّة أن تقدّم المزيد من المال والعتاد من أجل إنهاء المعركة (لكنها أعيدت

(1) تذكر الوثائق البريطانية عن أن سكان مدينة أبو ظبي يمكن أن يكونوا 6000 نسمة نصفهم من بني ياس والباقي قبائل أخرى. وأقسام بني ياس هم آل بو فلاح، والقبيسات والمحاربة وآل بو فلاسة والقمزان وآل بو حمير والرميثات والمزاريع والحواميل. أما القبائل الأخرى هي آل بو مهير والسودان والمرر والثمرات وآل بن ناصر وآل بو عميم والخمارة والجلاهمة وحيلات وبحراته. [شبّر].

لاحقاً). يتمّ القبض على ثلاثة أفراد من عصابة جاسم بن جبر من قبل زعيم أبو ظبي، ويتمّ حجزهم لأربعة شهور، خلال تلك الفترة يموت أحدهم. ويحرق قاربهم على الملأ على الشاطىء بحضور المندوب.

يطلب الشيخ خليفة السماح له بمناصرة قضية ضيفه عيسى بن طريف ضدّ البحرين لكنّ طلبه يرفض، إلى أن يتمّ الحصول على مصادقة خاصة من الحكومة على أرضية الجرائم الأخيرة الخطيرة لأفراد قبيلته.

يغادر عيسى بن طريف وتابعوه أبو ظبي، وينضمون إلى حملة الإمام ضدّ مومباسا.

سنة 1837 الشيخ خليفة يهاجم من انسحب من قبيلة القبيسات Guzeebat في عديد Adeed يباغتهم ويقتل خمسين فرداً منهم ويدمّر المكان على نحو كامل. سلوكه الرحيم والمعتدل اللاحق شجع أولئك الذين هربوا ولجأوا إلى دبي Debaye وأمكنة أخرى على العودة والاستقرار تحت سلطته في أبو ظبي.

سنة 1838 قبيلة بو عينين Boo Eyneen بكاملها والتي تتألف من 300 عائلة والتي كانت تقطن في الوكرة Wukra تهجر المكان وتدمره، وتستوطن في أبو ظبي.

في أيار سنة 1838 ينطلق خليفة مع قوة إلى دبي Debaye وفي أثناء تغيّب السكان الذين كانوا يعملون على ضفاف منطقة اللؤلؤ[1] ويتملكون برج الماء. يعود سكان دبي Debaye وبعون من سكان الشارقة (الشارجة) يطردون حامية بني ياس، ويدمرون البرج. وتقع العداوات في البحر نتيجة لذلك يتمّ استدعاء جميع قوارب صيد اللؤلؤ، وتدفع التعويضات المتبادلة للأملاك المستولى عليها، ويحلّ السلام، ويُستأنف الصيد.

سنة 1839 خلافاً لمواثيقه ووعوده يبدأ الشيخ خليفة مراسلاته الوديّة مع

---

(1) يوجد اللؤلؤ في الهيرات في منطقة فيها الأرض شبه صلبة.

الوكيل المصري الوهابي في عُمان سعود Syud بن مطلق. كما أنه يبدأ شخصياً، وعلى نحو يعارض تعهداته، وتنفيذاً لسياسات الوكيل المصري الوهابي، بالهجوم على قبائل النعيم في بريمي (والتي شجعتها الحكومة البريطانيّة على أن تصون استقلالها ضدّ الغزاة) صُدّ هجومه وعُد مسؤولاً من قبل ممثل السلطة البريطانيّة عن الأملاك التي تمّ نهبها.

سنة 1840 ينشأ سوء تفاهم بين أبو ظبي ودبي Debaye نتيجة بعض الاعتداءات في البحر، يسوّى على نحو ودي من خلال تدخّل ممثل السلطة البريطانيّة.

سنة 1841 يقوم بعض من أفراد قبيلتي المناصير Monasir والهوامل Howamil التابعين لسلطة خليفة بن شخبوط Shakboot بقرصنة على قارب بحريني. يتّخذ ذلك الزعيم وبناء على الظروف التي لفتوا انتباهه إليها، أكثر العقوبات شدّة بحق من قام بهذا العمل.

سنة 1842 كان من المؤمل أن يصبح خليفة بن شخبوط Shakboot طرفاً في هدنة تحظر جميع الاعتداءات والأعمال العدائيّة على اليابسة. لكنه يرفض القبول بها. الشيخ خليفة يزور دبي Debaye، ويتمّ إحلال السلام بينه وبين زعيم دبي، ما عُدّ خطوة عدائيّة اتجاه القواسم.

سنة 1843 يدعو عيسى بن طريف الشيخ خليفة للانضمام إلى قضية محمد Mohamed بن خليفة وزملائه ضدّ الشيخ عبد الله بن أحمد شيخ البحرين. يرفض القيام بذلك من دون إذن الحكومة البريطانيّة. يقوم شخبوط Shakboot شقيق خليفة بغزو مناطق القواسم وحلفائهم ويوقع فيهم الكثير من الخسائر.

معاهدة سلام عديمة الجدوى يتمّ التوصّل إليها بين بني إياس والقواسم، لكنها سرعان ما تُنتهك من قبل خليفة الذي يقوم بغزو، ربما بتحريض من شيخ البدوي حليف القواسم.

الفصل الخامس

قبيلة بو فلاسة العربية

HISTORICAL SKETCH

OF THE

BOO FELASA TRIBE OF ARABS,

(DEBAYE,)

FROM THE YEAR 1834 TO 1841,

PREPARED BY

LIEUTENANT A. B. KEMBALL;

WITH

CONTINUATION OF THE SAME,

FROM THE LATTER PERIOD TO THE CLOSE OF THE YEAR 1853,

BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE;

SUCCESSIVE ASSISTANTS TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة تاريخية عن قبيلة بو فلاسة العربية(*)

دبي من عام 1834 إلى 1841

أعدّها الملازم إي. بي. كيمبال

مع تتمة لها من عام 1841 إلى نهاية عام 1853

أعدّها الملازم إتش. إف. ديسبرو

وهم مساعدو المندوب في الخليج

(*) ترجم هذه المقالات الأستاذ صخر الحاج حسين من ص361 ـ 373 من هذا الكتاب.

بو فلاسة (دبي)
لمحة تاريخية عن قبيلة بوفلاسة العربية

من إعداد الملازم إي. بي. كيمبال Lieutenant A.B. Kemball

سنة 1834

إن انسحاب فرع بو فلاسة تحت قيادة عبد بن سعود ومكتوم بن بطيّ من الجسد الرئيس لقبيلة بني ياس في أبو ظبي التي تأصلت فيها الحرب بين بني ياس والقواسم (الجواسم)، واستيطانهم في دبي ووجودهم هناك مذاك في استقلال فعلي، يقتضي منا أن ندرس تاريخها اللاحق وما جرى هناك بما أنه لا يتصل البتة بتاريخ وأحداث القبيلة الأم، التي كان الفرع منها على نزاعات معها. بعد أن تحرّرت قبيلة بو فلاسة وعلى نحو مفاجىء من سيطرة وقبضة زعيم قوي، وعند ترسيخ سلام بين القبائل الكبرى المتنافسة، بدأت بعض الأطراف من بو فلاسة بأعمال سلب ونهب على التجارة العامة في الخليج، كما قامت بأعمال قرصنة نفصلها فيما يلي قبل أن يتم اتخاذ تدابير بكبحها:

1 ـ سلب بتيل نابند من قبل أسطول دبي.

2 ـ الهجوم على ناقلة لمسقط وسلبها وقتل خمسة من طاقمها، من قبل قارب من دبي تحت إمرة عبد الموجيا Abdool Mowajea ومعه اثني عشر رجلاً.

3 ـ الإغارة على قرية تقع على ساحل باطنة لا تبعد كثيراً عن مسقط،

والهجوم على بوغارا نابند ونهبه على يد قارب من دبي تحت إمرة سيف بن دعيج.

4 ـ الهجوم والاستيلاء على قارب تابع للبحرين من قبل قارب آخر تحت إمرة عبد الله بن بدر وهو أحد سكان دبي.

في الحادث الأخير استخدم زعيم البحرين وسائله الخاصة في الحصول على التعويض وفرض حظراً على جميع قوارب دبي الموجودة آنذاك في الميناء، كما أجبر أحد تجار تلك البلدة الذي كان في ذلك الوقت في الجزيرة على أن يدفع للطرف المتضرر مبلغاً وقدره 300 دولار عوضاً عن الغنائم التي نهبها أبناء بلده.

تمَّ تجنّب أي ضرورة لتدخّلنا في الحادث الأول من خلال إطلاق سراح النواخذة، واستعادة الغنائم التي أخذت من ناقلته. وبالإحالة إلى الحادثين الثاني والثالث، وبعد أن تنصّل الشيخ سلطان بن صقر من أي سيطرة أو أي سلطة على دبي، وبعد أن فشلت الاحتجاجات في إجبار شيخ تلك البلدة في أن يدفع تعويضاً مجزياً، بات من الضروري اللجوء إلى استعراض القوّة، التلويح بإجراءات رادعة، والتي كان لها الأثر المرجوّ، والتي ضمنت دفع 920 دولاراً قيمة الغنائم التي نهبت.

سنة 1836

ترك موت عبيد بن سعيد، الزعيم في التاسع من حزيران السلطة العليا والواحدة في دبي بين يدي مكتوم بن بطيّ، وهو شخص متعجرف لم يختبر الحياة بعد.

من تاريخ انسحاب القبيلة، وهزيمتها في الهجوم على أبو ظبي، عندما تعاونت مع القواسم، لم تبخل في التسبب بأي إزعاج لزعيم بني ياس، من خلال تقديم اللجوء لتابعيه الساخطين، والمأوى لأعدائه، بالإضافة إلى مهاجمة مراكبه من حين لآخر.

كان زعيم بني ياس، المدرك جداً للاعتداءات التي كان يتعرّض لها، يتحيّن الفرصة للرد والانتقام. خلال عام 1838 أفلح في مباغتة برج دبي البحري والاستيلاء عليه، لكنه سرعان ما أجبر على أن يخليه.

وفي بداية ذلك العام، قام أحد البوغارات التابعة لدبي بقرصنة على بغلة (سفينة) أخرى تتبع لخابورا. كان على متن الأول ناخوذة وثمانية رجال انطلقوا إلى خاسا Khassa ومن هناك إلى ساحل باطنة، في طريقهم إلى مسقط. وعندما وصلوا قبالة بركا Burka رأوا بوغارا راسياً، انتظر الطاقم إلى أن حلّ الليل، ومن ثم أغاروا عليه بنية سلبه. لكن طاقم البوغارا الأخير كان في يقظة من أمرهم، وبدأوا يقاومون، إلى أن جرح ستة منهم، وقفز الثلاثة الآخرون إلى البحر. سمح لهؤلاء فيما بعد استعادة مركبهم، لكن اثنين من الجرحى ماتوا بعد ذلك، ودعي المعتدون، عن طريق الشيخ مكتوم لدفع الدية وإعادة البضائع التي سلبت.

سنة 1840

هجر شخص اسمه ابن عسكر وهو أحد أفراد قبيلة القبيسات (التي انسحبت إلى عديد، لكنها أجبرت فيما بعد من قبل شيخها خليفة بن شخبوط على العودة إلى أبو ظبي)، والذي كان شقيق الزعيم قد طالبه بمبلغ من المال يستحق الدفع قبل أن يذهب إلى ضفاف اللؤلؤ، ونهب في طريقه بوغارين تابعين لقبيلة بني ياس وجرّدها من كمية كبيرة من اللآلىء. لجأ إلى دبي ومنحه زعيم ذلك المكان الحماية. رغم ذلك دعي زعيم دبي لتسليم ابن عسكر إلى زعيمه، ودفع مبلغ 200 دولار قيمة ما سلبه أتباعه فيما بعد من ثلاثة مراكب تابعة لأبو ظبي في قضية بيلورشات أصرّ على الرفض إلى أن تمَّ استخدام القوة. وفرض عليهم عودة عشرين شخصاً من قبيلة القبيسات ممّن رافقوا ابن عسكر. حطّ بوغارا دبي الذي أرسلوا به على الساحل قرب أبو ظبي، من دون مؤونة أو متاع كما جرّدوا من سلاحهم. بينما كانوا يتّجهون إلى أبو ظبي،

رأوا بوغارا تابعاً لدبي يصطاد بالقرب من الشاطىء، صعدوا إلى متنه واستولوا عليه ثأراً وانتقاماً، وتابعوا رحلتهم في البحر.

رغم ذلك، ولدى وصولهم إلى أبو ظبي جرّدهم زعيمهم من غنيمتهم وأرسل بالقارب المُحرر إلى الوكيل البريطاني في الشارقة (الشارجة)، مع طلب أن يسلم القارب إلى زعيم دبي، الذي رفض أن يتسلّمه للوهلة الأولى، ذلك أن رفضه كان في الواقع يعود إلى أنه يريد ذريعة يحتجّ فيها للمقيم ضد بني ياس.

وانتقاماً من غزوة على قطيع تابع لدبي قام بها رجال من أبو ظبي، تحت إمرة زعيمهم الشخصية، بدأ رجال من دبي يرافقهم حوالي عشرين من البدو يفتشون خلجان بني ياس الصغيرة، لكنهم لم يعثروا على شيء، صعد قسم منهم إلى بوغارا صغير، واكتشفوا هناك بوغارا تابع لأبو ظبي في مكان يدعى إنزيرا صاديات Inzeerah Sadiat مع ثلاثة من العبيد على متنه، يتبعون زعيم أبو ظبي، كان العبيد منشغلين يقطعون الأخشاب، قبضوا عليهم وأخذوا كل ما استطاعوا حمله من البوغارا، ومن ثم كسروا المركب وعادوا إلى ديارهم. شكّلت هذه القرصنة صدعاً في الهدنة البحرية. حمل الشيخ مكتوم المسؤولية قيمة القارب وما عليه والتي قدّرت بمبلغ 200 دولار.

سنة 1841

بعد العديد من المراوغات لهذه المطالب العادلة المتراكمة عليه، زارت ميناءه فرقة كانت قد أنهت مهمتها في التوجّه إلى بيدا، من خلال انتزاع التعويض من زعيم ذلك المكان لقاء أعمال القرصنة التي ارتكبتها عصابة ركراكي (رقراقي)، كما دعي لدفع مبلغ 400 دولار أو ما يعادلها من البضائع والممتلكات وأن يسلم البوغارين مع صواريهما وأشرعتهما، وأن تجلب من أبو ظبي من قبل ابن عسكر. بعد تأخير دام لوقت قصير، تخلّلته أعذار لم تجد نفعاً، وبعد قذيفتين أطلقتا فصل بينهما وقت طويل، على بلدته، استجاب.

حصل الشيخ مكتوم على إذن من الزعيم القاسمي (الجاسمي) من أجل بناء حصن في ديرة، وهي بقعة تقع بين الشارقة (الشارجة) ودبي بغية توفير مستقرّ آمن لشعبه الذي هجر بلدته نتيجة تعرّض المكان لجائحة حمى بعد أن ترك عدداً قليلاً من الحرس. أجبرهم عدد الضحايا المرتفع إلى الإسراع في مغادرة المكان حيث عبروا الخليج الصغير ونصبوا أكواخهم في تلك البقعة التي اختاروها برجاً لهم. رغم ذلك طلب منهم أن يدوّن وثيقة وقعت وختمت حسب الأصول قال فيها إن الأرض التي سوف تحتل تابعة للشيخ سلطان بن صقر، وبأن البرج سوف يبقى هناك طالما كان يعتقد بأن ذلك مناسب، ويجب أن يدمّر بناء على طلبه. حدث هذا في وقت، عندما برز انقسام بين أهل دبي، ما أدّى إلى انسحاب خمسمئة شخص من قبيلة بو ماهر إلى الشارقة (الشارجة)، بسبب قرفهم من سلطة مكتوم الجائرة ـ هذا الحدث الذي أدخل البهجة والرضى إلى الزعيم القاسمي (الجاسمي)، بما أن إضعاف قوة ونفوذ من كان تشجيعه ودعمه السابقين لابنه صقر، عندما كانا في نزاع علني، ما يزال يعتمل في صدره. إن غياب سكان دبي عن برجهم، وعدد الحرّاس الذين كانوا هناك خمسة وعشرون من الخليج، ورجال القبيلة هم أنفسهم وفي جلّهم منغمسون في صيد اللؤلؤ، منح الشيخ خليفة بن شخبوط فرصة أخرى لمواصلة انتقامه من بو فلاسة. بعد أن نسّق مع بني قتب (كتب) وقبائل البر الأخرى، وضمن نفسه عدم اعتدائهم، انطلق زعيم بني ياس سراً من أبو ظبي مع مجموعة ضمّت مئة وخمسين رجلاً، باتجاه دبي التي وصلها في غضون يومين. بعد أن عاث في بساتين النخيل دماراً، أفلح رجاله في مباغتة البلدة والحصن والاستيلاء عليهما، وتمَّ نهب الأسواق وسلبها بالإضافة إلى المنازل وأحرقت مستودعات الأرز والتمور أنّى كانت، كما لم يسلم أحد البتيلات الذي كان شيخ البحرين قدّمه إلى الشيخ مكتوم، وقتل فيه رجلان كانا على متنه. وعلى الفور، ولدى سماعه بالأنباء التمس الشيخ مكتوم العون من الشيخ سلطان بن صقر زعيم الشارقة (الشارجة) الذي أمدّه بمئتي رجل، لكنهم وصلوا في وقت متأخر ما جعل وصولهم غير ذي نفع، ذلك أن قبيلة بني ياس وبعد أن قامت

باعتداءاتها، تركت المكان واتّخذت موقعاً لها في الجميرة التي تبعد حوالي ثمانية أميال عن دبي. غير راضٍ عن الضربة الخطيرة التي أنزلتها بدبي، أرسل خليفة بن شخبوط بعد ذلك بعدة أيام فرقة أغارت على خان (وهي قرية تقع على الساحل بين دبي والشارقة (الشارجة)) وجرّدت المكان تماماً وحملوا معهم خمسة عشر من العبيد، من دون أن يمنوا بأي خسائر. سبَّب وجود هذا الزعيم الجسور والقوي الضيق والإزعاج لأهل الشارقة (الشارجة) ودبي ما جعلهم متأهبين على الدوام، ذلك أن جلّ الذكور هناك كانوا قد ذهبوا إلى موسم الصيد تاركين مناطقهم من دون دفاعات. أرسلت الإمدادات والتعزيزات إلى الشارقة (الشارجة) من رأس الخيمة ولنجة، وبناء على هذا عاد زعيم بني ياس إلى أبو ظبي، لكنه سرعان ما انطلق من جديد في غزوات سلب ونهب على منطقة البريمي ولدى عودته غادر مكتوم Khuttum سراً مع أربعمئة من أتباعه بنية القيام بهجوم ليلي على ذينك المكانين (الشارقة (الشارجة) ودبي)، لكنه لم يستطع أن ينفذ ما عزم عليه، وأجبر على أن يتخلّى عن خطّته وانطلق باتجاه رأس الخيمة. وهنا وجد الشيخ سلطان يتهيأ لاستقباله، لذلك لم يكن قادراً على إلحاق أي أذى خطير بالمكان. بعد أن قتل أربعة رجال وجرح اثنين آخرين من القواسم (الجواسم)، أجبر على التراجع ومُني بثلاثة قتلى وأصيب جمله الذي كان يمتطيه مع تجهيزاته الكاملة ووقع في أيدي أعدائه.

لمحة تاريخية عن بني فلاسة حتى عام 1853

أعدها الملازم إتش. إف. ديسبروا BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE

دخل شيخ دبي في بداية عام 1843 في وقت كان فيه التنافس والنزاعات على أشدّها بين الزعيم القاسمي وزعيم أبو ظبي، بعد حقبة من الالتزام الشديد بالحياد، في حلف مع زعيم أبو ظبي، وقدم خدماته كوسيط بين المتحاربين. «هذه الخطوة» وكما علمنا من الكابتن كيمبال سببت استياءً للشيخ سلطان بن صقر الذي بالكاد أخفى استنكاره. وبالفعل لا بد وأن الكره الشديد بين الزعماء كان متبادلاً، ذلك أننا نجد زعيم دبي الشيخ مكتوم يتصرّف كوسيط مرة، وفي أخرى نجده، يحرّض أحدهما (حليفه الشيخ خليفة زعيم أبو ظبي) على أن ينقض السلام بالإغارة على مناطق الآخر (عدوّه الشيخ سلطان) بعد أن أرسي السلام بين الزعيمين المتنافسين. بدأ رعايا كلا الطرفين ـ أتباع القواسم (الجواسم) وأتباع دبي ـ يظهرون مشاعر العداء من خلال قيامهم باعتداءات صغيرة ارتكبت من دون معرفة أو موافقة أي من الزعيمين.

بعد أن اختطف محمد بن ماجد وهو أحد رعايا الشيخ سلطان بن صقر، في شهر آب من عام 1844 أحد مواطني كعب من قارب تابع لدبي، لم يشأ أهل دبي انتظار التعويض الذي سيدفعه المندوب، فقد قرروا أن يأخذوا بالثأر بأنفسهم، وعليه فقد ركبوا البحر ونهبوا بوغارا تابع لعبد الله بن بطيّ زعيم الشارقة (الشارجة). من المؤكد أن الشيخ مكتوم بن بطيّ لم يؤيد هذا العمل، فقد صبّ جام غضبه وعاقب أتباعه المعتدين، وأعاد ما سلب من أتباع الشيخ

سلطان، ولم يكتفِ بذلك بل أجبرهم وذلك بمشيئته الحرة على إيداع مبلغ مئة كراون إلى الوكيل البريطاني ضماناً لسلوكهم في المستقبل. كان ذلك إثباتاً لافتاً على عمل النظام في قمع أعمال القرصنة، ذلك أن الشيخ مكتوم بن بطيّ هو من كان في السنوات السابقة يسبِّب الكثير من المتاعب للممثل البريطاني أكثر من أي من زعماء الملاحة الآخرين، وذلك من خلال تشجيعه على الروح العدوانية في البحر.

ومنذ بداية عام 1845 حتى نهاية السنة اللاحقة قام زعيما أبو ظبي والقواسم (والجواسم) ما بوسعهما لإضعاف شيخ دبي وإخضاعه. رغم ذلك أثبت الشيخ مكتوم بن بطيّ وحليفه المخلص والوفي زعيم أم القيوين، بأنهما أكثر من مجرد ندّين لخصومهما الكبار، فقد دافعا عن نفسيهما وأفلحا في ذلك ضد الهجمات التي صُبّت على مناطقهما، وفي نهاية عام 1846 وفي الوقت الذي كاد فيه حصن دبي أن يتعرّض لهجوم مهول نشأ نزاع بين الزعيمين المتحالفين، فقد غيّر كل منهما سياسته. قدم الشيخ مكتوم بن بطيّ اقتراحات سلام للعدو المشترك. وكان الشيخ مكتوم قد دخل في حلف دفاعي هجومي مع الشيخ سلطان بن صقر، لكنه رفض عروضاً تقدّم بها الشيخ سعيد بن طحنون.

عندما بدأنا سردنا، كان زعيم بني ياس والزعيم القاسمي (الجاسمي) في نزاع مرير، ومن ثم جاء شيخ دبي الذي أغضب انضمامه إلى زعيم بني ياس، الزعيم القاسمي (الجاسمي). أما الآن فقد دخل القواسم (الجواسم) وبنو ياس في حلف هجومي دفاعي وهاجموا شيخ دبي، وألفينا الآن أن دبي والقواسم تعملان بتناغم وانسجام بينما بقي بنو ياس في حالة عداء لكليهما.

رغم أن الإجراء الأخير كان اسمياً فقط في البداية، فقد بقي من دون أن ينقض حتى شهر تموز من عام 1848، عندما بدأ القواسم (الجواسم) ودبي يدخلون في حلف لصيق وحميم بغية معارضة مخططات التوسّع التي بدا بأن زعيم بني ياس القوي يضمرها حيال مناطق القواسم ودبي.

أما الشيخ مكتوم، وخشية من هجوم على دبي، وجد أن مصلحته تكمن في بقائه في حلف مع الشيخ سلطان بن صقر الذي ومن جانبه، كان حريصاً جداً على أمان ممتلكاته على ساحل باطنة. لذا كان من الواضح أن الخوف والخشية هما من دفعتا هذين الزعيمين للاتحاد الذي بات حلفاً. بعد ذلك بوقت قصير انضم إليهما شيخ عجمان، وعندما منيت القوات الوهابية بالهزيمة، ووصلت قبيلة بني ياس إلى أوج قوّتها، ناصر الزعماء الثلاثة قضية سعيد بن المطلق المهزوم، ومضوا إلى البريمي بغية طرد الشيخ سعيد بن طحنون من هناك.

تبع ذلك عدد من المناوشات في المنطقة المجاورة للحصون، لكن وبسبب وصول أحد الوسطاء في شباط من عام 1849 والموافقة على السلام من قبل الأطراف المتحاربة، عاد جميع الزعماء إلى ديارهم، وتوقّفت الأعمال العدائية.

كان الشيخ مكتوم لا يزال على صلات طيّبة مع الزعيم القاسمي، ونصح كلا الزعيمين سيما الشيخ مكتوم الأمير فيصل في تشرين الثاني من عام 1849 أن يعيد بناء بلدة عديد وحصنها، وأن يعيد توطين قبيلة القبيسات فيها. رغم ذلك، لم تنتج مكائدهما الأثر المرجوّ، ذلك أن القبيلة التي نحن بصددها رغم أنها كانت مهيأة، خلال فترة غياب الشيخ سعيد بن طحنون في شناص ومسقط، لترك أبو ظبي والمضي إلى ساحل قطر، وهي خطوة أغضبت زعيم بني ياس ما جعلته يلجأ إلى إجراءات رادعة شديدة لمعاقبة من قام بتلك الخطوة، خطوة لم تهدئها لا رحمة ولا إخلاص، ما أضعف قوة وموارد القبيلة إلى حالة قاربت الإفلاس.

لن نطيل الحديث فيما يتصل بالدور الذي لعبه زعيم دبي في المضاعفات والتعقيدات التي حدثت في مسقط والبريمي وصحار.

كان الشيخ مكتوم يكره زعيم بني ياس في سرّه، ه>ان أبداً يحاول إضعاف قوّته، وعندما دعا الزعيم القاسمي (الجاسمي) باقي القبائل ليتّحدوا معه وينطلقوا لمد العون إلى زعيم صحار لم يكن لشيء أن يغري شيخ دبي

على أن يعلن نفسه أحد الحلفاء، لو لم يكن واثقاً من أن هجوماً على الشيخ سعيد سيتم خلال سياق المعارك.

لقد دفعه هذا لتجهيز حشود ويمضي إلى زت ليلاقي بقية الزعماء، لكن وعندما ألفى الشيخ سلطان منهم بمصالحه هو فقط عندما أدرك عزمه على التحرّك باتجاه باطنة، فترت همته للصراع، وتبعهم مكرهاً حتى شناص، وبعد أن أنهكوا المكان، عاد إلى مقرّه في دبي.

وفي وقت مبكر من العام الذي تلا، استنتجنا ومن خلال فحوى نقاش تمَّ بين المندوب والشيخ مكتوم بن بطيّ في الثلاثين من كانون الثاني أن زعيم دبي قد دخل في اتفاقية صداقة وتفاهم مع الشيخ محمد بن خليفة، وبالنتيجة علمنا من المصدر ذاته «بأنه كتب إلى الأمير فيصل، يثنيه عن خطته الرامية إلى تشكيل مستوطنة في خور عديد» ما جعل الزعيم الوهابي يعبِّر عن دهشته واستغرابه عندما وجد أن الزعيم الذي اقترح الخطة، ودفع إلى تنفيذها الفوري، ينسحب ويعارض المشروع فجأة.

وسرعان ما تبعت هذه المكيدة مكيدة أخرى.

في شهر آذار من عام 1851 وصل مبروك بن سرور زعيم المناصير إلى دبي في طريقه إلى أبو ظبي، ومعه رسائل من الشيخ سلطان بن صقر إلى الشيخ سعيد بن طحنون. بدا بأن المفاوضات قد استمرّت لوقت مضى بين الزعماء سالفي الذكر، والرسائل التي كانت بحوزة مبارك لم تكن أكثر من قبول العروض التي قدّمها زعيم بني ياس إلى الزعيم القاسمي.

ولم يكد يطأ الرسول قدمه على تراب دبي حتى أدرك الشيخ مكتوم مدى أهمية الوثائق التي كانت بحوزته. تمَّ اعتقال مبارك ورُمي في السجن، وأرسل تحذيراً واضحاً وصريحاً إلى الشيخ سلطان أنه إذا كان يرغب في أن يبقى على وفاق مع زعيم دبي، يجب عليه ألّا يسمح لا عن الرسائل ولا عن الرسول بالذهاب إلى أبو ظبي.

لم يعلن الشيخ سلطان، وهو الكاره لأن يقطع حبال الودّ مع الشيخ مكتوم، والكاره أيضاً على نحو أشدّ على أن يبقى في حالة خصام مع الشيخ سعيد، بجرأة ورجولة عن عزمه لإجراء السلام مع بني ياس سواء شاء مكتوم أم لا، بل لجأ، بغية تحقيق هدفه، إلى ازدواجيته المعتادة.

ادّعى بأنه استجاب لرغبات زعيم دبي، من خلال إرسال سكرتيره محمد بن علي بو چليبي ليعيد الرسائل التي كان قد أرسلها، وحالما عاد إلى الشارقة (الشارجة) عجّل بإرسل وثائق شبيهة في عهدة رجل من قبيلة أبي هايل مباشرة إلى الشيخ سعود في أبو ظبي.

نتيجة ذلك حلَّ السلام بين القواسم (الجواسم) وبني ياس، أما الشيخ مكتوم الذي خشي على نفسه، فقد اقترب على نحو أكبر من الوهابيين.

اقترب موعد وصول سموّ الإمام من ممتلكاته الواقعة في زنجبار على الساحل الإفريقي. لقد تحدّث طويلاً عن الذهاب إلى مسقط بغية تسوية الصراع الذي كان يشتدّ وعلى نحو مرير بين ابنه وزعيم صحار.

سنة 1852

غضب الشيخ مكتوم من الزعيم القاسمي من أجل التحالف الذي أبرمه مؤخراً، واعتقد أن اللحظة أزفت لتدعيم أواصر الصداقة مع سلطات مسقط، أرسل بشقيقه في مهمة تحمل الودّ إلى سعود ثويني، وفي النهاية عندما وصل سموّه، وبدأت المعارك ضد زعيم صحار، أمدّهم بدعم فاعل وبقوا متّحدين حتى ربيع السنة اللاحقة، عندما أصابته هجمة جدري قضت عليه قبل أن يكمل رحلته من مسقط إلى جزيرة قشم (كشم).

كان هناك الكثير من الخصال الحميدة عند الشيخ مكتوم، فقد كان زعيماً على جانب كبير من الشجاعة والمقدرة، كما أن أفراد قبيلته كانوا يقدّرونه ويحبونه مثل أي زعيم بحري وفيما يتصل بالتزامه بمواثيقه مع الحكومة

البريطانية، لا يسعني إلّا أن أستشهد بالرأي الذي عبّر عنه الكابتن كيمبال في واحدة من رسائله إلى الحكومة البريطانية:

«إن الشيخ مكتوم» كما يقول الكابتن «رغم أنه أظهر في بداية ترسيخ حكمه في دبي روحاً عنيدة لا تقهر، وهذا ما أدّى إلى تبنّي إجراءات وتدابير رادعة حياله، كان على الأقل في غضون العشر سنوات الماضية أحد الزعماء البارزين على امتداد الساحل فيما يتّصل بعهوده ومواثيقه، وخشيته الواضحة من سياسة الحكومة البريطانية بوصفها الوسيلة التي تؤمن التطور والرخاء في الولايات العربية، كما كان دائم السعي في الحفاظ على حالة الهدوء والسلام في الخليج».

خلف الشيخ مكتوم شقيقه الشيخ سعيد بن بطيّ في زعامة القبيلة.

بعد أن تولّى مقاليد الأمور بوقت قصير مضى الشيخ سعيد بن بطيّ (في الثاني من تشرين الأول من عام 1852) إلى مسقط في زيارة إلى سموّه سعيد البو السعيد. لم يكن رحيله في هذا الوقت المبكر، حكيماً، ولا حصيفاً، ذلك أنه لم يكن قد ثبّت أقدامه في منصبه الجديد، كما كان لزاماً عليه أن يدرك بأن ثمة طامحين للزعامة التي شغلها، والذين يتحيّنون الفرصة للحصول عليها بوصفها حقاً مورثاً لهم، بحسب ذلك نجد أن سعيد بن بطيّ كان قد غادر مقرّه قبل «أن يباغت ابن الشيخ مكتوم الراحل وبالتحديد سهيل وحشر، مع خالهم ماجد بن دعيج وبعض من أعضاء قبيلة بو فلاسة، حصن دبي الذي وقع ضحية خيانة حاميته التي توصّلت إلى تفاهم مع المغتصبين الذين استولوا على الحصن، وقبضوا على الحارس الذي عيّنه سعيد بن بطي، واسمه سعود بن راشد وهو خال الشيخ مكتوم، والذي كان نائماً، ووضع في السجن، مع شخص آخر خليفة بن سعيد». لم يبق سعيد بن راشد في الأسر طويلاً، فقد أطلق سراحه وسمح له أن يتّخذ لقب زعيم، من دون أن يكون آمراً للحصن الذي بقيت شؤونه بين يدي سهيل وحشر. قرر سعيد بن راشد اللجوء إلى الغدر والخيانة بغية التخلّص من أبناء مكتوم. بما أن السلطة الاسمية لا يمكن

أن تقنعه. تكللت مساعيه بالنجاح، فقد أجبر كل من سهيل وحشر على ترك المكان والهروب طلباً للنجاة إلى الشيخ سلطان بن صقر.

ذلك كان هو الموقف عندما عاد سعيد بن بطيّ إلى مقره في دبي. فمن اللحظة الأولى أدرك فداحة الشر، ورأى مقدار الخطر القادم بعد أن ورّطه القواسم (الجواسم) في النزاع. كما أنه لم يكن مخطئاً في تقديره، فالشيخ سلطان كان منهمكاً يدبر المؤامرات بكل وسيلة ممكنة، فقد حرّض سعيد بن مناول المهيري من خلال إغرائه بالذهب ليترك دبي مع قبيلته وأن يذهب ويستقرّ في الشارقة (الشارجة) ومن الصعب القول كيف كانت للأمور أن تنتهي، لو لم يتقدم سعيد بن بطيّ باقتراحات إلى الشيخ سعيد بن طحنون نتج عنها حلف دفاعي هجومي بين الزعيمين اللذين انضم إليهما شيخ أم القيوين وبذلك شكّل ثلاثتهم اندماجاً قوياً جداً لا يخطر للقواسم (للجواسم) ولا في الأحلام أن يعارضوه.

لا شيء على جانب من الأهمية فيما يتّصل بهذه القبيلة حدث منذ تلك الفترة حتى ربيع عام 1853 عندما انطلق الكابتن كيمبال في رحلة في الخليج بغية ترتيب المسائل التي تتصل بمعاهدة سلام دائمة كان زعماء البحر سيلجونها. وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ سعيد بن بطيّ هو الوحيد الذي فشل في انتظار عبد الله بن فيصل في مناسبة وصوله إلى البريمي مع قوة نجدية، فقد بقي في مركزه. ومن فحوى الحديث الذي تمّ بينه وبين المندوب على متن كليف السفينة الحربية التابعة للأونورابل كومباني، التي كانت قبالة ميناء الشارقة (الشارجة)، يمكن لنا أن نستنتج كم كان مقدار كراهيته كبيراً لوجود قوّة وهّابية في مقاطعة عمان.

ومن الحزم والشدة التي أظهرها الشيخ سعيد بن بطيّ في قمع الاعتداءات البحرية كائناً من ارتكبها من أتباعه، ومن الاستعداد الذي أبداه في التوقيع على المعاهدة الجديدة للسلام، بات من الواضح أنه كان توّاقاً لبناء ثقة جيدة وصداقة مع الحكومة البريطانية تماماً كما فعل شقيقه الشيخ مكتوم من قبل.

التاريخ الداخلي لإمارة دبي[1]

نحن لا نعرف إلّا النزر اليسير عن التاريخ المبكر لإمارة دبي، فهي قد كانت موجودة بالفعل في سنة 1799. وفي سنة 1825 ـ وكما يتّضح من التاريخ العام لعمان المتصالحة ـ كان الاستيلاء عليها هدفاً يطمح إليه سلطان مسقط. وبرغم أن الشيخ هزاع بن زعل قد وقّع معاهدة السلم الشاملة في سنة 1820 باسم دبي إلا أنها على ما يبدو ظلّت حتى سنة 1833 تابعة لمشيخة أبو ظبي، ولكن في هذه السنة نفسها ـ وعلى نحو ما هو مذكور في مكان آخر ـ وبوصول حوالي 800 رجلٍ من أبو ظبي ـ وهم أساساً من فرع آل بو فلاسة من قبيلة بني ياس ـ إليها، أصبحت تعتبر إمارة مستقلّة.

الشيخ مكتوم بن بطيّ 1833 ـ 1852

ولاية الشيخ مكتوم 1836:

كان يقود المهاجرين من آل بو فلاسة الخارجين من أبو ظبي عبيد بن سعيد ومكتوم بن بطيّ، وكانا يشتركان في الحكم حسب تقليد يبدو أنه كان شائعاً بين بني ياس، ولكن بموت عبيد ـ الذي كان يعتبر أول هذين الشيخين ـ في 9 حزيران سنة 1836 أصبحت السلطة المطلقة في يد مكتوم الذي كان في ذلك الوقت شاباً حدثاً قليل الخبرة.

---

(1) هذا الفصل هو من القسم التاريخي لدليل الخليج، الجزء الثاني ص1173 ـ 1178، تأليف ح. ح. لوريمر ويشمل من ص374 ـ 378 من هذا الكتاب.

إدارته وسلوكه:

وقد تعرّضت هذه الإمارة لأخطار عديدة زمناً ما، سواء نتيجة غيرة شيخ أبو ظبي الذي كان يسيطر على دبي من قبل، أو من مطامع الشيخ القاسمي في الشارقة (الشارجة)، وقد حدث بين هذين الشيخين تحالف أكثر من مرة بهدف إخضاعها، لكن شجاعة الشيخ مكتوم كانت كفيلة بدرء هذه الأخطار وقد تمكّن من أن يلعب بهذين الشيخين أحدهما ضد الآخر بنجاح، وربما لم تكن هذه الأخطار التي تهدده من الخارج بلا جدوى في تدعيم مكانته ونفوذه في الداخل.

ولم يكن بالتاريخ الداخلي لإمارة دبي ما يستحق الذكر، لكن الشيخ فقد إحدى عينيه أثناء اشتباك مع بدو الغفلة (الغوافل) في سنة 1843. وكما كان يحدث دائماً بالنسبة لكل حاكم عربي مصلح فقد أبدى الشيخ مكتوم استجابة وتفهماً لمزايا السياسة البريطانية في الخليج، وأخيراً اكتسب ثقة واحترام السلطات البريطانية المحلية على مستوى كبير.

موت الشيخ مكتوم 1852:

وسقط الشيخ مكتوم مريضاً بالجدري في ربيع سنة 1852، ومات في البحر أثناء رحلته من قشم (كشم) إلى مسقط حيث كان ذاهباً لزيارة حليفه السيد سعيد بسبب الأحداث الأخيرة في الباطنة.

الشيخ سعيد بن بطيّ 1852 ـ 1859

تمرّد ضد الشيخ سعيد 1852:

وخلف الشيخ مكتوم شقيقه الشيخ سعيد، لكنه ـ ورغم أنه تولّى الحكم دون صعوبة ـ فقد كان يعارضه حشر وسهيل أبناء مكتوم، وحين غادر دبي لزيارة السيد سعيد بمسقط في تشرين الأول سنة 1852 انتقل حصن دبي غدراً إلى أيديهم. أما الحاكم الذي كان الشيخ سعيد قد عيّنه على دبي قبل رحيله وهو صهر له يدعى سعيد بن راشد فقد أسر في البداية، ولكنه نجح قبل عودة

سعيد في إثبات أنه جدير بالثقة التي أولاها له وذلك باتخاذ إجراءات أدّت إلى هرب حشر وسهيل من دبي. وتبنى شيخ الشارقة (الشارجة) مطالبهما فلجآ إليه، واستطاعوا إقناع رجل يدعى سعيد بن معنة بأن يهجر دبي مع فرقة من آل بو مهير ويستقرّوا في الشارقة (الشارجة)، لكن خطرهم لم يزد على ذلك. واستطاع الشيخ سعيد ـ في 17 كانون الأول 1852 ـ أن يعقد تحالفاً هجومياً ـ دفاعياً مع شيخ أبو ظبي وأم القيوين أحبط به مؤامرات شيخ القواسم (الجواسم).

إدارة وسلوك وموت الشيخ سعيد:

ولم تحدث أية أحداث أخرى هامة في عهد سعيد، وكان ـ كسلفه ـ يتعمّد في أواخر أيامه أن يقيم علاقات تفاهم طيبة مع الحكومة البريطانية لدرجة أنه كان الشيخ الوحيد من الشيوخ المتصالحين الذي لم يهرع إلى البريمي لمقابلة ابن أمير الوهابيين حين جاء المقيم العام إلى الساحل يرتّب عقد معاهدة السلم الدائمة في 1853، ومات الشيخ سعيد بالجدري أيضاً في كانون الأول سنة 1859 ـ وهو مرض يبدو أنه كان وراثياً في هذه الأسرة ـ لأن نفس المرض قد أصاب شقيقاً له وابن شقيق أيضاً بالإضافة إلى أنه هو الذي قضى على الشيخ مكتوم كما ذكرنا.

الشيخ حشر بن مكتوم 1859 ـ 1886

وخلف الشيخ سعيد ابن أخيه وغريمه السابق حشر بن مكتوم، وكتب هذا الشيخ بمجرد تولّيه إلى السلطات البريطانية يؤكد مشاعر الصداقة ويفصح عن رغبته في أن يقوم بالتزاماته نحوها، غير أن مسلكه بالنسبة لحادثة هياج في البحر ارتكبها آل بو فلاسة من بني ياس عقب تولّيه الحكم مباشرة كذّبت هذه الدعوى من جانبه. ومات الشيخ حشر في 22 تشرين الثاني 1886. وتنازع المشيخة شقيقه راشد وابنه مكتوم وكانا متكافئين على وجه التقريب من حيث قوة أنصار كلّ منهما.

الشيخ راشد بن مكتوم 1886 ـ 1894

وقد حسم كبار القبيلة هذا النزاع سلمياً لصالح راشد، واعترف به المقيم البريطاني شيخاً لدبي، وفي 1892 ـ وعلى نحو ما أشرنا في تاريخ عمان المتصالحة ـ لم يكن مسلك هذا الشيخ مرضياً تجاه السلطات البريطانية، فقد كان يسيء معاملة الرعايا البريطانيين مما أدّى لوجود شكاوى كثيرة ضده، ومما حتّم بالتالي زيارته وفرض غرامة باهظة عليه ـ على أساس أنه قد خرق معاهدة السلم الدائمة. وفي أيلول من نفس السنة قام راشد بزيارة لمسقط وعاد عن طريق البريمي، وعقد في أثناء عودته حلفاً عن طريق الاصهار إلى آل بو شميس من قبيلة بني نعيم. وفي كانون الأول 1892 مرض مرضاً خطيراً، وأرجع مرضه في البداية إلى التسمم، ولكن تبيّن أنه أصيب بالشلل، وأخيراً مات في 7 نيسان سنة 1894.

الشيخ مكتوم بن حشر 1894 ـ 1906

وخلف الشيخ راشد بعد موته ابن أخيه وغريمه السابق مكتوم بن حشر. وسرعان ما تآمر أبناء الشيخ راشد ضد ابن عمهم هذا، لكن الشيخ مكتوم استطاع أن يقبض عليهم وسجنهم لمدة خمسة شهور، وبعدها أطلق سراحهم على أن يقيموا في الشارقة (الشارجة) ويصرف لهم مخصصات ضئيلة ضمن دفعها شيخ القواسم (الجواسم).

وكانت السياسة التالية للشيخ مكتوم مستنيرة إلى حدّ بعيد مما أتاح النموّ السريع لميناء دبي الذي أصبح ـ وخاصة بعد تدهور ميناء لنجة ـ ميناء منتظماً بالنسبة لكل الخطوط الملاحية والتجارية التي تمرّ بالساحل المتصالح.

وكانت علاقات الشيخ بالسلطات البريطانية ممتازة دائماً، وذلك أساساً بسبب دعم مكانته في الداخل، ولهذا أسفت السلطات البريطانية أسفاً كبيراً لموته المفاجىء في 16 شباط سنة 1906 نتيجة إصابته بهبوط في القلب.

دبي Debaye ـ بو فلاسة Boo Felasa

هذا المقال أُعِدَّ من قبل الليوتنانت اي. بي. كيمال ـ المندوب المساعد في الخليج Lieutenant A, B. Kemball[1].

سنة 1834 ـ 1835 ـ تبدأ قبيلة بو فلاسة بغارات على التجارة العامة في الخليج بعد انسحابها بوقت قصير. ينكر سلطان بن صقر Sugger أي سيطرة له أو سلطة على دبي Debaye. يطالب شيخ ذلك المكان بدفع التعويضات. بات من الضروري اللجوء إلى إظهار القوة، والتهديد بإجراءات رادعة وفرض الطاعة مع المطالب.

سنة 1836 ـ يموت عبيد Obed بن سعيد الزعيم الرئيس لدبي Debaye. وتنتقل السلطة الكاملة والعليا إلى مكتوم بن بطي Bytye.

سنة 1838 ـ يستولي زعيم بني ياس على البرج البحري لدبي Debaye، لكنه يجبر على التخلّي عنه بعد وقت قصير.

سنة 1839 ـ يقوم قارب تابع لدبي بقرصنة على قارب آخر تابع للخابورة Khaboorah. يجبر الشيخ على دفع التعويضات.

سنة 1840 ـ 1841 ـ نتيجة لبعض الاعتداءات التي قام بها أتباع شيخ دبي Debaye على قوارب تابعة لبني ياس، يطالب بدفع مبلغ معين، وإعادة البغلات Buggarahs المستولى عليها، تقصف بلدته بقذيفتين تفصل بينهما فترة

---

(1) ترجم هذا المقال الأستاذ صخر الحاج حسين ويشمل من ص378 إلى 379 من هذا الكتاب.

طويلة قبل أن يوافق على الاستجابة للمطالب. نتيجة لوباء ضرب شعبه وحصد عدداً كبيراً من البشر، يهجر شيخ دبي Debaye بلدته مؤقتاً، وبإذن حصل عليه من زعيم القواسم، يبني حصناً في ديرة Derah.

ينسحب خمسمئة فرد من قبيلة آل بو مهير Boo Muhair من دبي Debaye إلى الشارقة (الشارجة).

يستفيد زعيم بني ياس من غياب سكان دبي Debaye ليهاجمها، وفيها حامية صغيرة فقط. يعيث الخراب ببساتين النخيل، ويسيطر على البلدة والحصن، وينهب الأسواق والبيوت ويحرق جميع مخازن التمور. كما حدث أيضاً لبتيل Buteel تابع للشيخ مكتوم. ينسحب قبل أن تتمكن قوات دبي Debaye والشارقة (الشارجة) المشتركة من الزحف إليه. يواصل غزوه ضدهم على اليابسة، ما جعلهم ينهكون إلى درجة كبيرة، ما أجبرهم على أن يبقوا عيناً ساهرة باستمرار.

سنة 1842 ـ 1843 ـ ينتصر الشيخ مكتوم على قبائل بني غفلة [الغوافل] Ghuflah من البدو، لكنه يصاب بثمانية جروح يسبِّب أحدها فقدانه إحدى عينيه.

الفصل السادس

القبائل الوهابية العربية

HISTORICAL SKETCH

OF THE

WAHABEE TRIBE OF ARABS;

FROM THE YEAR 1795 TO THE YEAR 1818

PREPARED BY

MR. FRANCIS WARDEN

MEMBER OF COUNCIL AT BOMBAY

WITH

CONTINUATIONS OF THE SAME,

FROM THE YEAR 1819 TO THE CLOSE OF THE YEAR 1831,

BY LIEUTENANT S. HENNELL;

FROM 1832 TO AUGUST 1844,

BY LIEUTENANT A. B. KEMBALL;

AND FROM THE LATTER PERIOD TO THE CLOSE OF YEAR 1853,

BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE;

SUCCESSIVE ASSISTANTS TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة تاريخية عن الوهابيين ـ القبائل الوهابية العربية(*)

من عام ١٧٩٥ إلى عام ١٨١٨

أعدّها السيد فرنسيس واردن

عضو المجلس في بومباي

مع تتمة من عام ١٨١٩ إلى نهاية عام ١٨٣١

أعدّها الملازم: إس. هينيل

ومن عام ١٨٣٢ إلى آب من عام ١٨٤٤.

ومن ١٨٤٤ إلى نهاية عام ١٨٥٣

أعدّها الملازم: إتش. إف. ديسبرو

وجميعهم مساعدون للمقيم في الخليج.

(*) ترجم هذه المقالات الأستاذ صخر الحاج حسين من الصفحة 385 إلى 435 من هذا الكتاب.

الوهّابيون

أعدّ هذا المقال فرنسيس واردن عضو المجلس في لومباي Mr. Francis Warden.

تأسست هذه الفرقة حوالي عام (1615)[1] 1750 على يد أحد العرب وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنه جاءت تسميتهم. ارتبط الشيخ محمد في مسعى منه لإجراء إصلاح ديني في بلاده، مع ابن سعود، أمير الدرعية عاصمة مقاطعة نجد. ومن خلال مساعي وجهود هذا الشيخ، وبعون من السلطة الزمنية لابن سعود، وابنه وخليفته عبد العزيز، ترسّخ الدين (المذهب) الوهّابي على كامل أرض شبه الجزيرة العربية. كان المبدأ الرئيس لهذه الفرقة هو تدمير كل من يختلف معهم ويعارضهم. وأما المحمديون (المسلمون) الآخرون الذين يرفضون تبني عقيدتهم الوهابية، فقد كانوا معرّضين لغضب الوهابيين أكثر من اليهود والمسيحيين. لقد ورد أول ذكر لذلك في سجلات بومباي في عام 1787.

ـ قطن عبد الوهاب، وهو شيخهم، الصحراء التي تبعد مسافة ثمانية أيام إلى الغرب من بلدة القطيف التي تقع على ساحل جزيرة العرب على الساحل العربي.

ـ تدفعهم عقائدهم، فقد هددوا ولوقت طويل بتدمير جميع من يقرّ

---

(1) لقد وجد في الوثيقة بأن الحركة الوهابية بدأت عام 1615 وهذا غير صحيح لأن مولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان في عام 1703 في العيينة (شبّر).

بمبادىء النبي محمد ويلتزم بها. في ذلك العام جمعت قبائل المنتفق Montific وبنو خالد وعرب عنزة، قوة كبيرة تحت قيادة الشيخ ثويني وهو من قبيلة المنتفق، وانطلقوا في حملة ضد الوهابيين، لكن التوفيق لم يكن حليفهم.

ـ كان الشيخ الوهابي قبل 1795، لاهثاً وراء طموحاته، قد استولى على لحسا (الإحساء)، ومحق قوة عرب بني خالد وهدد البصرة. نتيجة لذلك برزت مخاوف الحكومة التركية في بغداد.

ـ أرسل الباشا قوة من العرب لمواجهة الوهابيين تحت إمرة الشيخ ثويني، الذي أدّى مقتله في الثالث من حزيران (من عام 1797) إلى فشل الحملة. رغم ذلك، جرت الاستعدادات على قدم وساق لمواصلة الحرب في الشتاء.

سنة 1798

ـ رغم ذلك، لم ينطلق الباشا حتى العام اللاحق بجيش جرار في حملة ضد لحسا (الإحساء) والدرعية، وهما البلدتان الرئيستان للوهابيين، كما هدفت الحملة إلى رصد سلوك عدة قبائل عربية تقطن البلاد بين البصرة والشاطىء الجنوبي الشرقي من الخليج، بعد أن توسّعت غزوات الوهابيين ووصلت إلى ضفاف الفرات، وإلى جوار الحلة التي تقع على ذلك النهر على بعد خمسين ميلاً من بغداد.

ـ لدى وصول الباشا إلى المعقل Moghil في الثاني من كانون الأول، جرت استعدادات كبيرة من قبل المسلمين للاشتراك في الحملة، التي كان سينضم إليها عرب البصرة والقرين والمنتفق. في ذلك الوقت كان إمام مسقط يهدد البصرة بسبب بعض الاستحقاقات القديمة على باشا بغداد وليتمكن من تنفيذ نواياه العدائية، دخل الإمام في مفاوضات سلام مع عدو جبار الزعيم القاسمي، صقر بن راشد.

ـ احتج باشا بغداد إلى المندوب ضد سلوك الإمام، ومن خلال

وساطة قام بها المندوب جرت تسوية مرضية بين الباشا والإمام وشيخ رأس الخيمة.

سنة 1799

ـ بعد أن انطلقت حشود الأتراك ضد الوهابيين، جرت معركة عشية ذلك اليوم، عندما سمع عبد العزيز، ابن الشيخ الوهابي الذي كان على رأس القوات الوهابية، بموت والده، ما أوقع الذعر الشديد بينهم، وجعله يخضع بالكامل إلى مقترحات السلام، الذي أرسي في النهاية، وهنا عاد الجيش التركي إلى بغداد.

سنة 1800

ـ بعد أن خلف عبد العزيز والده «أميراً» شيخاً للوهابيين، بدأ يهدد بغزو عمان. انطلق سعود سلطان إلى جلفار Julfar (رأس الخيمة)[1] حيث انضم إلى الشيخ صقر، الزعيم القاسمي بغية مقاومة الهجوم الذي جمّده سلام أرسي بين الوهابيين والإمام.

سنة 1801

ـ ترسّخ نفوذ عبد العزيز في السنة التالية على عرب العتوب ولدى غزو الإمام للبحرين، أخلى شيوخ العتوب الجزيرة وانطلقوا مع أتباعهم إلى زبارة والتمسوا حماية الشيخ الوهابي الذي حثّهم على الاستقرار في ذلك المكان بغية استخدامهم ضد البحرين التي مد يد العون للعتوب في استعادتها في بداية عام 1802.

سنة 1802

ـ ظهرت حشود الوهابيين من جديد قرب عُمان بعد أن أجبرت العرب الجامحين في الجوار إلى الانضمام إليهم. في ذلك الوقت كانوا قد أخضعوا

---

(1) الاسم القديم لرأس الخيمة كان: جلفار. [شبّر]

اسمياً الساحل برمّته من نهر البصرة (شط العرب) إلى دبي Deba وهي الحد الفاصل بين مناطق مسقط ومناطق القواسم، وإذا تركوا يمكنون أنفسهم فيما كسبوه، فقد كان يخشى أن يبدأوا بغزواتهم بحراً كما كانوا يفعلون على الشواطىء. وحّدت القناعة بهذا الخطر من القوى التجارية في الخليج ضد هذه الفرقة.

ـ استمدت الإجراءات التي كان الزعيم الوهابي يتبعها على نحو فاعل لتوسيع سلطته وممتلكاته، ونشر تعاليمه، دعماً كبيراً من نجاح الحملة ضد كربلاء التي هاجمها في الحادي والعشرين من نيسان ونهبها برمتها (استثني من ذلك الميهلا Mehalla أو فرقة عباس) كما نهب قبر الحسين، وذبح في ذلك اليوم، بوحشية لافتة خمسة آلاف من سكانها[1]. هذا الحدث الذي ترك انطباعاً عميقاً على عقول الأتراك والعرب والفرس عزي إلى تجاهل الحكومة التركية، وفشلها في الحفاظ على ضريح الحسين وتحصينه من الهجمات.

ـ بعد أن عجز عن كبح تقدمهم، انسحب الإمام في عام 1803 ووافق على هدنة تمتد إلى سنوات ثلاث مع الوهابيين الذين نجحوا في تحويل العرب القاطنين الشاطىء العربي من الخليج إلى معتقداته، أو أنه جعل تبعه يخضعون إلى سلطته.

ـ تركت هذه الهدنة الزعيم الوهابي حراً في مواصلة طموحاته في التوسّع، والتي توجهت لاحقاً إلى إضعاف المدينة ومكة. سرعان ما أخضع مكة، بعد أن هاجم واستولى على الطائف التي حوّلها من أرض خصيبة إلى صحراء مهجورة. كما حاصر جدة وسبّب فيها الكوارث والمحن. نجح الإمام في الحصول على هدنة بلاخ[2] واحد وأربعين ألف دولار. وعند سقوط مكة

---

(1) ذكر السائح الهندي أبو طالب خان ان الوهابيين قتلوا خمسة آلاف إنسان وجرحوا عشرة آلاف ـ المصدر (ستفين همسلي لونكريك ـ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ص 215 ترجمة جعفر الخياط) [ماجد شبر].

(2) اللاخ (اللك): وحدة حسابية.

وينبع Yamboo خضعت المنطقة المجاورة الممتدة إلى الوهابيين والذين باتوا الآن يسيطرون على كامل ساحل البحر الأحمر من الحدود الغربية لجزيرة العرب، تقريباً.

ـ بعد أن عاد من حملته المظفرة في تلك الأنحاء من جزيرة العرب، حضّر عبد العزيز للقيام بغزو عمان براً وبحراً، متجاهلاً الهدنة التي دخل فيها مع الإمام، ودخلت فرقة من حشوده إلى الإقليم وتقدّمت في خلال مسيرة يومين إلى بركا Burka وهي المقر الصيفي لإمام مسقط. أدرك الكابتن سيتون في تلك المناسبة أنه في حال أضعف الوهابيون عمان، فإن كامل جزيرة العرب سوف يخضع لسلطته، وسيتحول الساحل برمّته إلى وكر للقراصنة الذين سيتوسعون بغزواتهم إلى الهند، ومن هنا لاح الخطر، عندما أثار الإمام قرف القادة ووقف لوحده.

ـ ربما توقف غزو عمان إثر مقتل الشيخ الوهابي في بداية شهر تشرين الثاني في عاصمته الدرعية أثناء تأديته صلاة المغرب في مكان عبادة عام محاطاً بأنصاره على يد أحد المتعصبين الدينيين الذي قتل بدوره على الفور.

سنة 1804

ـ خلف سعود بن عبد العزيز أبيه زعيماً للقبيلة الوهابية[1].

ـ ساد نفوذ الوهابيين على مسقط لدى موت إمامها سعود سلطان في نهاية عام 1804. وهنا تدخل سعود بين المتنافسين من أجل الحكومة، لكنه رمى بثقله لصالح بدر.

ـ في شهر نيسان من عام 1806 اكتسح سعود الميدان بحوالي خمسين ألف رجل. في البداية غزا قبيلة الضفير Duffer ومن ثم قبيلة عنزة، وانطلق إلى

---

(1) هي ليست قبيلة بل مجموعة من القبائل آمنت بأفكار محمد بن عبد الوهاب (شبّر).

مشهد علي [النجف] ولم يفلح بهجومه عليها، ومن ثم قام بهجوم آخر على سيموكا Semowka وهناك لقي مقاومة شديدة وتعرض لخسائر فادحة.

- في الشهر التالي، دبّ ذعر شديد في البصرة لدى ظهور الوهابيين قرب زبير على بعد أميال من بوابات البلدة. لحسن الحظ، غرقت الصحراء في ذلك الوقت حتى أسوارها، بعد أن وقع العديد من الجرحى بين قوات سعود، وبعد تعرّضهم لضيق شديد، لم يتعرّض المكان لأي هجوم آخر.

سنة 1807 ـ 1808

- بعد أن تراخت الحكومتان الفارسية والتركية في جهودهما لإيقاف مدّ النفوذ الوهابي. بعد أن خسر إمام مسقط النفوذ الذي رسخه سعود سلطان على شيوخها التابعين، وانفضّ عنه الأصدقاء نهائياً، وارتأى البريطانيون أنه من الحكمة التقيّد بحياد صارم طالما أخذت وجهات نظر تلك الفرقة بالحسبان، فقد ترسّخ تفوّقها على نحو كامل في عام 1808 في عمان، بالهجوم على الطرف الأضعف، وإجبارهم على الانضمام إليه ضد جيرانهم، زاد الوهابيون من قوّتهم إلى درجة مكّنته من إرهاب الولايات الأكبر. ودفعت عائدات الجزء الأعلى من عمان إلى سعود، وقد أعاق الإمام غاراتهم على القسم السفلي من البلاد من خلال إخضاعهم على نحو مهين. فقد عيّن ضباطه في مقاطعات إمارة صير Seer، وأجبر الزعيم القاسمي على ترك دياره.

- وسع القواسم من رحلاتهم البحرية إلى الهند من خلال سطوتهم، وفي شهر نيسان من عام 1808، ظهروا لأول مرة في تلك المياه إلى الشمال من بومباي. لقد فكر الوهابيون طويلاً بهذا الهدف. رسّخ سعود قوّة جديدة، قبيلة زهيب Zahib في منطقة من البلاد تمتد من مسندم Musseldom إلى رمس Ramse وزاد من قوته استيلاؤه على الحصنين المنيعين الفجيرة Feguera وباطنة Bithnay، من القواسم واستدعى أيضاً شيخهم حسين بن علي إلى الدرعية، وهو قاسمي كان زعيماً لرمس Ramse.

24 ـ بعد أن استميل حسين بن علي بغية دعم الزعيم الوهابي والوقوف

إلى جانبه، عيّنه هذا الأخير نائباً له على إمارة صير Seer ومنحه سلطة إجبار رؤوس القواسم المندوبين في لنجة ورأس الخيمة على أن يرسلوا بناقلاتهم إلى البحر لينضموا إلى ناقلات رمس، وليبحروا تحت إمرة الشيخ الوهابي ضد جميع الناقلات التي تظهر في الخليج من دون استثناء، والإبقاء على خمس منهم كحصة له من الغنائم، وأن يوزع ما تبقّى بين القراصنة. لقد خلقت الخطة المنهجية درجة من الخوف من سلطة الوهابيين بين جميع القبائل العربية التي خُيّرت أن تنضم إلى حسين بن علي أو أن تعرض نفسها إلى غضب وانتقام سعود. ليس هناك ثقة في ظل هذه الظروف يمكن أن توضع على تطمينات نزعات تهدئة يظهرها عرب يقطنون شواطىء الخليج، ذلك أنهم لم يعودوا وكلاء أحرار، وممارسة القوة من جانب الحكومة البريطانية في الهند يمكن أن يعطي ضمانة كاملة وفاعلة إلى الناقلات التي تزور مستقبلاً موانىء البصرة وبوشهر.

ـ لا يمكن لأي ثقة مهما كانت أن توضع في هذه الفترة في حكومة مسقط، بما أنه، ومهما كان مقدار حجمها ضد مصالح الإمام، فقد كان يخشى من أنه سوف يُجبر على أن ينضم إلى أعمال قرصنة عامة، ما لم تحرر الحكومة البريطانية مسقط من ضغوط ذلك الجانب من جزيرة العرب الذي يستخدمه الوهابيون لإضعاف ذلك الميناء البحري. إن الوكلاء الذين أوفدهم الإمام إلى الدرعية للمطالبة بإعادة شناص وحصون أخرى كانت قد أخذت من والي صحار، استقبلهم سعود على نحو سيئ وتمَّ حجزهم إلى أن أمر الإمام ناقلاته بالتوجّه ضد البصرة، أو أنه قدم إثباتاً على ارتباطه بقضية مسلمان Mussulman من خلال إرسال حملة إلى الهند، والتهديد بزيارة مسقط شخصياً عند عودته من رحلة حج إلى مكة.

ـ أدى الخطر الذي هدد عُمان وقمع الوهابيين إلى إظهار ميل عند عدد من الشيوخ للاتحاد في كونفدرالية ضد سعود. لقد تطلعوا بقلق إلى الحكومة البريطانية من أجل العون لتمكّنهم من استعادة الأماكن على شاطىء البحر قرب

مسندم Musseldom التي فصلت عن صحار، والخطر الذي سيضعف من دفاع البلاد إلى نقطة معيّنة وهي الممر عبر البرزخ. كان من الأهمية بمكان الحصول على ذلك الهدف قبل عودة سعود من مكة، وقد أعطى العمانيين وقتاً كافياً ليتّحدوا ويتجمّعوا من أجل الدفاع ويشجعهم على التقدم ومواجهة العدو، بما أنهم سيكونون بمأمن من الهجمات من مؤخرتهم، بينما يمكن لعودة سعود أن تؤخرها حركة مخادعة تبدي عزماً على الهجوم على البصرة، والتعاون الفاعل للولايات العربية يمكن الركون إليه وسوف يجعل من النجاح مؤكداً وسهلاً، لكن إن كانت روح المقاومة التي كشفت عن نفسها قد سمح لها أن تخنق من قبل قوة غاشمة للوهابيين، فإن تجارة الخليجيين يجب إبادتها، وبأنه على ساحل ملبار Malabar وكوتش وسند Sind وكوجرات Guzerat معرضة لأعمال سلب ونهب من عدو يائس ومتعصب.

ـ أديرت الحملة على الخليج، التي اتخذ قرار بشأنها بالإضافة إلى تخليص مسقط من قمع القواسم، بدرجة كبيرة من الحيطة والحذر والصبر حيال الزعيم الوهابي، والتي جعلت من نتائجها مؤثرة وفاعلة لكن لوقت قصير. بالرغم من أن العرب القواسم كانوا واقعين تحت سيطرة الضباط الوهابيين، وهذا يقين، كما أنهم مجبرون على الخوض في أعمال قرصنة «كان يجب تجنّب جميع عمليات الحرب، وإلّا لبات من الضروري من أجل تدمير أكثر فاعلية لناقلات القراصنة في موانئهم، وفي أي حال كان على الكابتن سيتون أن يحرص لجعل ذلك في وقت مناسب يعرفه الوهابيون، وضباط حكومته، بأن رغبتنا الصادقة هي في المضي قدماً في صداقتنا معه ومع الولايات الأخرى في جزيرة العرب في جميع الأوقات (والتي كانت جميعها خاضعة لسيطرة الوهابيين)، راغبين فقط في تهيئة السلام والضمان لتجارة المياه بشكل عام وللخليج على نحو الخصوص لوقت طويل، وطالما يعترضه القواسم على نحو غير مبرر، وفي نقض المعاهدات الإيجابية التي يتم إرساؤها مع زعيمهم في عام 1806 إن دوافع وأهداف تدخلنا، لا يتضمن أي نزعات في التوسع من جانبنا، وبما أننا جميعنا واقعون تحت رحمة الاعتداءات في

البحر (والحال كذلك أيضاً فيما يتصل بفقهاء وأسياد الأديان والفرق هناك والذين كانوا يمارسون علينا شجباً وإدانة)، ودعم حليفنا إمام مسقط لا يمكن أن يسيء إلى أي ولاية أو حكومة».

سنة 1809 ـ 1810

ـ قبل أن تبحر القوات من بومباي، كان الحلف الذي يتشكّل ضد الوهابيين قد بدأ ينضج إلى حد ما، ذلك أننا وجدنا الإمام يحضر لحملة كبيرة تضم أربعة آلاف رجل من بوشهر. هدفهم المعلن كان في الهجوم على خور حسان وتدمير زعيمها، شيخ الجلاهمة Jillama. كما أعلن أن من أهدافها أيضاً مواجهة حسين بن علي، نائب الزعيم الوهابي في بلاد القواسم، بعد أن دعا القواسم الساخطون الإمام للمحاولة التي تعهدوا بدعمها. تعاون العتوب والفرس في هذه الحملة التي انتهت من دون أن تحقق أي شيء.

ـ لم يلاحظ الشيخ الوهابي هجومنا على رأس الخيمة. في شهر نيسان، وصلت معلومات تفيد بأن قواته باتت في جوار مسقط، وبدأت تغزو المناطق، وتهاجم الممتلكات، وتدمر بساتين النخيل التابعة للإمام. واتخذوا موقعاً في سوادي موال Swadee Mooal على بعد حوالي أربعين ميلاً من بركا Burka حيث استمروا في قتال مرير مع قوات الإمام لثلاثة عشر يوماً، وانطلقوا بعد ذلك للهجوم على الإسماعيليين، حيث خسر سموّه مئتين من رجاله دفاعاً عنهم. لجأ الإمام إلى عون الحكومة البريطانية، ورفض طلبه بغية عدم منح ذريعة لاعتداءات الوهابيين.

سنة 1811 ـ 1812

ـ علينا الآن أن نرى الأحداث التي أدّت إلى سقوط الوهابيين، الذي كان سقوطاً سريعاً بقدر ما كان صعودهم من خلال التقدم الناجح للقوات التركية تحت قيادة محمد علي باشا.

ـ لدى الدخول إلى مكة وجدة من دون مقاومة، تخلّى عبد الله بن سعود، حاكم جدة عنها مع كامل قواته، عندما اقتربت القوات التركية. أرسل محمد علي باشا فرقة ضد الطائف، وهي المكان الوحيد الذي بقي بين أيدي

الوهابيين الذين دمرت قوتهم على ذلك الجزء من جزيرة العرب على نحو كامل.

ـ أدّى التقدم الناجح للقوّات التركية إلى أن يجمع الزعيم الوهابي أنصاره، ويحشد قواته، وبذلك فقد سحب حامياتهم من الزبارة والقطيف ولحسا (الإحساء) وخور حسان وقطر.

ـ في حوالي ذلك الوقت، وبعد أن دخل أرحمة (رحمة) بن جابر وشيخ خور حسان في ارتباط مع الوهابيين، استولوا على الزبارة بالاشتراك مع تلك القوة، من العتوب الذين أجبروا على تسليم جزيرة البحرين للهيمنة السياسية عينها. عين عبد الله بن عفيصان Oofeysan الوكيل الوهابي على تلك المناطق، التي تشتمل على القطيف وقطر. وبقي العتوب مسؤولين عن إدارة الشؤون، لكنهم أجبروا على دفع الجزية لعبد الله بسبب الوهابيين.

ـ إن تحوّل الحظ الذي اختبره الوهابيون أدّى إلى اقتراح قدّمه الزعيم إلى السلطات المختلفة في الخليج. أوفد رسولاً (إبراهيم بن عبد الكريم) إلى حاكم فارس بغية التودد إليه وإقناع الحكومة الفارسية لتأجيل زحف قواته ضد الوهابيين الذين أوقعوا الذعر في نفس عبد الله بن سعود. نفذت المهمة على نحو جيد، وفي الواقع لم تكن الحكومة الفارسية تمتلك الوسيلة اللازمة للهجوم على الوهابيين، بما أن موانئها على الساحل كانت في ذلك الوقت واقعة تحت نفوذ زعيم تلك الفرقة أكثر مما هي واقعة تحت نفوذها. لذلك لم يكن من الصواب سياسياً لفارس أن تكشف عن ضعفها، كما كان الأمر كذلك بالنسبة لسعود في أنه كان عازماً على أن يستخدم كل وسيلة لمنع هجوم من الجانب الفارسي على الخليج. لقد جعله ما حدث من أمور معاكسة كان قد اختبرها غير قادر على المقاومة.

ـ لدى عودة عبد الكريم من شيراز، انتظر السيد بروس ونقل له مخاوف سيده بغية إقامة صلة أو رابطة مع الحكومة البريطانية تتأسس على الصداقة والتفاهم، ما يجعل الفائدة متبادلة بين الطرفين، وبأن موانىء كلّاً منهما يمكن

أن تفتح للآخر، وأن يستمر رعاياهما في نشاطاتهم التجارية من دون أية مضايقات. بعد أن أُحيلت هذه العروض إلى البنغال Bengal ارتأت الحكومة العليا أنه من غير المستحسن الدخول في أي مفاوضات من أجل التوصل إلى معاهدة، أو إقامة أي صلات حميمة مع الزعيم الوهابي، بل عُدّ ذلك من اللباقة الحفاظ على علاقة ودية معه والسعي، من خلال سلوك ودّي، على تأكيد نزعة سلمية كان قد أعلن بأنه يضمرها حيال الحكومة البريطانية.

سنة 1813 ـ 1814

ـ رغم ذلك كانت قوة سعود لا تزال كبيرة، ذلك أنه وبشكل مستقل عن هيمنة نفوذه على الجانب الفارسي من الخليج، كان كامل ساحل البحر على شط العرب خاضعاً لسلطته، باستثناء جزيرة البحرين التي استعادها العتوب بالإضافة إلى ميناء القرين. وباتجاه الجنوب، امتدّ نفوذه ليصل إلى رأس مسندم Museldom على الساحل، وفي الداخل ضم إليه مقاطعات مسقط حيث اعتُرف بسلطته من جديد إلى الجنوب من رأس الغيت Ras-ool-Gate. كانت القطيف وهي ميناؤه الرئيسي، تبعد مسيرة اثني عشر يوماً عن الدرعية.

ـ كان الزعيم الوهابي يفاوض أيضاً من أجل الدخول في سلام مع مسقط، لكن وكما كتب الإمام إلى السيد بروس «لم يحدث بيننا أي شيء، بما أن الوكيل تمنى من الإمام أن يدخل في عهود ومواثيق متضاربة، كما أنه لم يكن بإمكان سموّه أن يشاركه رؤاه طالما بقيت رأس الخيمة تشكل عقبة بينهم».

ـ توفي سعود في العاشر من نيسان من عام 1814 وخلفه ابنه الأكبر، عبد الله بن سعود الذي وبعد أن قام بالترتيبات الضرورية لوفاة والده، انطلق في حملة ضد عرب نجد الذين تخلّصوا إلى حد كبير من عبودية الوهابيين.

ـ بعد أن توجه حسين بن محمد بن غيث باحتجاجات إلى زعماء الوهابيين ورأس الخيمة بسبب أعمال سلب ونهب، وصل إلى بوشهر برسائل

من الشيخ الوهابي ينتقد فيها سلوك حسين بن رحمة وقبيلته وألزم نفسه على أن يجبره على إعادة الغنائم التي سلبها.

سنة 1818

ـ بعد أن واصل تفوقه على الوهابيين هزمهم إبراهيم باشا من جديد في منوية Manwiah التي تبعد سبع محطات عن عاصمة الدرعية. انسحب عبد الله بن سعود إلى بوندا Bundah في منطقة القواسم التي تبعد أربع محطات عن الدرعية. بعد هذا النجاح فرض إبراهيم باشا حصاراً على عاصمة الوهابيين وأنهكها في العاشر من أيلول، ودمر التحصينات والأبراج ومزارع التمور، ورحّل سكانها إلى لحسا (الإحساء)، التي عزم على ترسيخها مقراً للعاصمة.

ـ اعتُقل عبد الله بن سعود في ذلك الوقت، ونقل مع خمسة آخرين لتسليمهم إلى محمد علي باشا. أُرسلت عائلة الشيخ الوهابي إلى المدينة، إلى أن تصل أوامر من الباب العالي.

استسلمت القطيف وهي الميناء الرئيسي للوهابيين إلى القوات التركية، وبعد أن تمَّ إمداد جيش إبراهيم باشا بتعزيزات كبيرة جاءته من مصر، أرسل بقوة ضد البريمي Biriami التي تحاذي مقاطعة عمان التي كانت قد خضعت للحكومة التركية، وكانت تستعد لمهاجمة رأس الخيمة وموانىء القراصنة، وقدم عبد الله بن أحمد، شيخ البحرين كل ما يلزم من ناقلات ضرورية لنقل القوات ضد تلك الأماكن.

ـ وبهذا نشأت فرقة الوهابيين الدينية غير العادية وسقطت ونأمل ألّا تظهر من جديد. لقد رعت أعمال السلب والنهب في الخليج وفي المياه الهندية واقترنت بنجاحات وتهوّر ونزعة بربرية لم يتفوّق عليها سوى وحشية الجزائريين في أوروبا.

القبائل الوهابية العربية
من عام 1820 إلى عام 1831

أعدّها الملازم إس. هينيل BY LIEUTENANT S. HENNELL

يختتم السيد واردن تقريره عن هذه الفرقة التي كانت قوية فيما سبق بوصف كامل لهزيمتها في عام 1818 عندما استولى إبراهيم باشا على عاصمتهم الدرعية، بهجوم كاسح، وأرسل زعيمهم سجيناً إلى مصر. ومنذ ذلك الحين لم يعد يذكر شيء عن الوهابيين حتى عام 1820، عندما قُدم تقرير إلى الحكومة يفيد بأن واحداً من زعمائهم أخذ أسيراً في عام 1818 تمكّن من الهروب إلى الصحراء وجمع عدداً لا بأس به من العرب، واستولى على ولاية الدرعية. فيما بعد زحف زعماء بنو خالد الذين وطّنهم إبراهيم باشا في لحسا (الإحساء) والقطيف، ضده بقوة كبيرة وأجبروه على الاستسلام هو وأتباعه.

وضع محمد علي باشا في عام 1822 نحو 700 فارس تحت إمرة أحد ضباطه في حصن أريزا Arrizah وفي الوقت ذاته أمرهم أن يعيدوا بناء الحصن في الدرعية بغية وضع حامية من الأتراك فيها. بعد ذلك بوقت قصير بوغت نحو مئة فارس تركي كانوا يقيمون في الرياض وقطعوا إرباً على يد البدو في الجوار.

بدا أن الوهابيين أبقوا على صمتهم حتى مطلع عام 1824 عندما جمع عدد من الرجال تحت قيادة الشيخ تركي بن عبد الله السعود الذي انطلق ضد

المناطق التركية باتجاه الغرب، لكن أحمد باشا، حاكم مكة، أحبط محاولته تلك وأجبره على الانسحاب بخسائر كبيرة. لكن هممهم لم يثبطها صد أحمد باشا لهم، إذ سرعان ما قاموا بمحاولة أخرى أفلحوا فيها.

منذ ذلك الوقت بدا بأن قوة وموارد تلك الفرقة بدأت تتزايد تدريجياً، بعد ذلك بوقت قصير، بدأ زعيمهم تركي بن عبد الله، المعروف باسم تركي بن سعود، اتصالات مع جميع الشيوخ القاطنين في الجانب العربي من الخليج، ودعاهم إلى تجديد العلاقات التي كانت فيما مضى قبل هزيمتهم على يد إبراهيم باشا. وفي لقاء جرى في نهاية عام 1825 مع المندوب البريطاني في الخليج قام الشيخ سلطان بن صقر بالتحقق من أن الحكومة البريطانية ستدرك العلاقة التي نشأت بينه وبين هذه الفرقة الصاعدة خصوصاً بالرجوع إلى الضرر الذي يمكن أن يلحق بالإمام من جرّاء ذلك. (إن السياسة التي قررت أن تتبعها الحكومة البريطانية حيال الوهابيين سنفصلها مطولاً تحت عنوان «القواسم» 1825).

من عام 1824 إلى عام 1830 اقتصرت نشاطات هذه الفرقة على الاستمرار بالأعمال العدائية ضد قبيلة بني خالد في ظل قيادة الشيخ محمد والشيخ ماجد من قبيلة بني عريعر[1] Arrasen. جعلت عاصمة مناطق أولئك الزعماء لحسا (الإحساء)، كما أنهم بسطوا سيطرتهم على ميناء القطيف، على البر، قبالة البحرين. في هذه الحرب لم يكسب أي طرف ميزة حاسمة حتى بداية عام 1830 عندما تقدم شيخ بني خالد بجيش جرار إلى نجد. ولدى وصول معلومات عن تحرّكه، زحف فيصل بن تركي بن سعود، الزعيم الوهابي مع قوة كبيرة من الرياض للقائهم. ولسوء حظ بني خالد، وقع الشيخ ماجد وهو الزعيم الأوحد المتميز عندهم، فريسة للمرض وتوفي بعد ذلك بوقت قصير. أما الشيخ محمد وهو الشقيق الذي بقي، وبعد أن أدرك عجزه عن

(1) تعد شخصية عريعر من الشخصيات المهمة التي لعبت دوراً كبيراً في منطقة الخليج وخصوصاً في الصراع بين بني خالد وآل سعود. (شبّر)..

القيادة في ساحة المعركة، منح موافقته عن رضى، على تسمية ابن شقيقه برغش[1] خليفة للزعيم المتوفى. لم يبدأ الزعيم الجديد بالمعارك على الفور، بل تقدم بعد وقت قصير بطريقة بدت وكأنها تجبر الجيش الوهابي على التراجع. بعد أن أمدّته محاولته الأولى بروح معنوية عالية، لحق بالوهابيين، لكن ولسوء حظه، ترك موقعه الأصلي من دون حماية (وهو مكان يدعى دوبيرا Duberah ومن هناك سحب مؤونته من المياه). بعد أن علم تركي بن سعود بما فعله برغش، غادر الرياض ليلاً في الثالث والعشرين من آذار من عام 1830 على رأس قوة تتألف من 1200 ما بين راكب وراجل، وبعد أن لازم الجهة اليسرى، أفلح في الالتفاف على خاصرة جيش العدو واستولى على دوبيرا، وبهذا قطع الطريق على بني خالد في الوصول إلى إمدادات المياه، ووضعهم بين جيشه وجيش ابنه. دام هذا الحال ليوم واحد، وفي اليوم التالي، هاجمهم الزعيمان الوهابيان من جديد في المقدمة والمؤخرة وهزموا شرّ هزيمة اكتملت بعد أن وقعت الجياد والجمال والقطيع مع الخيام والمتاع والنساء والأطفال بين أيدي الوهابيين المنتصرين. أما الآن فقد أفيد أن نحو 100000 من الجمال وحوالي مليون من قطيع كانت ثمرة هذا الانتصار. هرب الشيخ محمد مع بعض فرسانه باتجاه لحسا (الإحساء)، حيث انضم إلى برغش. لقد كان نجاح الزعيم الوهابي حاسماً حتى أن السواد الأعظم من بدو بني خالد دخلوا في سلام مع المنتصر وذلك من خلال خضوعهم له. بعد ذلك بوقت قصير، تحرك الشيخ تركي باتجاه لحسا (الإحساء) التي سقطت بين يديه من دون أي مقاومة، وأرسلت فرقة إلى القطيف التي سرعان ما استسلمت هي الأخرى أيضاً. بعد أن أفلح في طرد شيوخ بني خالد من مناطقهم التي ورثوها، شرع الشيخ الوهابي يعزز من غزواته الجديدة، ومن خلال رسائل ودّية وهدايا سعى إلى استمالة جميع الشيوخ الذين كانوا يجاورونه أياً كانت مكانتهم. لقد استقبل معظم القواسم أخبار نجاحاته ببالغ البهجة، وقد توقّعوا إعادة إحياء

---

(1) برغش بن زيد بن عريعر (شبّر).

قرصنتهم التي كانت تعود عليهم بالفائدة من خلال سطوة الوهابيين التي برزت من جديد. لقد كان قائد هذه الفرقة الدينية أكثر تنوراً وتبصراً من أسلافه، ومن الواضح أن إجراءاته قد أملتها سياساته، بدلاً من أن تقوده الحماسة المشتعلة للتبشير بالعقيدة الوهابية التي ميّزت الجميع من سلفه. وبعيداً عن أي تدخل في الطقوس الدينية التي كان يمارسها الأفراد المندوبين في المناطق التي سقطت وباتت في نطاق سلطته، أصدر بياناً أعلن فيه أن الحجاج سواء من السُّنّة أو الشيعة هم أحرار في أن ينطلقوا عبر نجد إلى مكة والمدينة. لقد كان الشرط الوحيد الذي ميّز معتقد الوهابيين في عهد هذا الزعيم هو عدم جواز تدخين التبغ في الشوارع علانية. كما روي، أنه وعندما حُثّ من قبل الشيخ رشيد من عجمان بأن يأذن له أن يبحر ضد أعداء العقيدة الوهابية رفض على نحو حاسم بقوله إن والده تعرّض لنقمة السماء عندما أجاز شأن هذا التصرف، وفي جميع الأحوال فالبريطانيون هم أسياد البحر وليس بقادر على أن يتنازع مع هذه الأمة القوية. أثناء قيامه بتلك الإجراءات وما نجم من تقدم وتطور سريعين أعلن الشيخ تركي بأنه كان يتصرف شأن زعيم حر ومستقل، لكن هذا لم يكن صحيحاً بمطلقه، فقد كان مواظباً على دفع مبلغ صغير من جزية سنوية إلى محمد علي باشا، وكان يتّخذ إجراءات يعلن فيها عن إجراءاته إلى محمد علي باشا اتخذت شكل محاباة للحصول على تأييد هذا الأخير ودعمه. بعد أن جعل بعض الحاميات من الجند تتمركز في الأبراج والحصون التي استولى عليها، الشيخ تركي إلى عاصمته الدرعية وباستثناء بعض عروض القوة الهزيلة التي قام بها محمد بن عريعر، ولم تفلح، وهو الشيخ الذي تبقَّى من قبيلة بني خالد، بقي في سيطرة كاملة على مناطق نفوذه الجديدة التي غنمها، كما تميّز عهده بالحكمة والتبصّر، إذ كان يأخذ من سكان المناطق التي استولى عليها الزكاة أو العشر، ومن خلال الإجراءات القوية وضع حداً للسرقات والنهب بالإضافة إلى النزاعات الداخلية لمختلف القبائل، التي ميّزت حكم شيوخ بني خالد.

بدا الاستيلاء على لحسا (الإحساء) والقطيف بأنه أنتج أثراً أكبر مما

توقعه الشيخ تركي، ذلك أن سموّ الإمام الراغب في الحصول على عون حليف قوي شأن الشيخ تركي، في تشجيع خططه ضد البحرين بعث برسل إلى الرياض مع هدايا كثيرة، ولم يكتف بالاعتراف بسيادة زعيم نجد، بل، قيل بأنه أعلن استعداده لدفع الزكاة. على أي حال بدا الشيخ الوهابي بأنه استفاد من رغبة سمو الإمام للحصول على جزيرة البحرين بغية تعزيز أهدافه ورؤاه التي عرضها أمام الشيخ عبد الله بن أحمد، خيار الحرب أو الخضوع، وجيء بعبد الله بن أحمد ووافق على إجراءات أرسيت في الرياض فيما يتصل بشيخ العتوب الذي وضع تحت حماية تركي بن سعود، لدى اعترافه بسيادة هذا الأخير ودفع الجزية له. وهكذا بات كامل ساحل جزيرة العرب من رأس الهود إلى القرين باستثناء أبو ظبي (عاصمة الشيخ طحنون بن شخبوط) خاضعاً لسلطة الوهابيين.

في حوالي منتصف عام 1831، جرت اتصالات مع حاكم بومباي من قبل الزعيم الوهابي، عبّر الشيخ راشد بن حمد زعيم عجمان عن رغبته في الإبقاء على علاقات الود والصداقة ذاتها التي كانت سابقاً بين الحكومة البريطانية وسلفه سعود. وعلى هذا أرسل بجواب ودّي وتضمّن عبارات عامة عبر المندوب في الخليج.

في الوقت الحالي أي في كانون الأول من عام 1831 تمَّ تداول تقارير تفيد بأن اضطرابات خطيرة قد اندلعت في نجد بسبب مؤامرات أحد أقرباء الزعيم الوهابي واسمه مشاري الذي بعد أن انضم إلى قحطان وقبائل أخرى في الداخل، والتي كانت ترفض حتى ذلك الحين الاعتراف بسيادة الشيخ تركي، قيل بأنها الآن تحضّر للبدء بأعمال عدائية.

ونتيجة لتلك الشائعات، حُثّت قبائل بني خالد والعمايرة لتقوم بهجوم متزامن على القطيف ولحسا (الإحساء)، لكنهما صدّتا، وأجبرتا على التقهقر ولربما تعرضتا إلى نقمة وسخط القوة التي استثاروها بغير ما حكمة وتبصّر.

الوهابيون ـ القبائل الوهابية العربية
من عام 1832 إلى عام 1844

أعدها الملازم إي. بي. كيمبال BY LIEUTENANT A. B. KEMBALL

انقسم أفراد هذه القبيلة القوية، أو مجموعة القبائل تلك والذين يتبعون العقيدة الوهابية في نهاية عام 1831، بين أنفسهم بسبب المكائد والمؤامرات على مشاري، وهو أحد أقرباء زعيمهم الشرعي تركي بن سعود، الذي وبعد أن انضم إلى قحطان وقبائل أخرى في الداخل، انضم إليهم في رفضهم الإقرار بسيادته وكان يتهيأ لتوطيد موقعه بقوة السلاح. تشجع بنو خالد وقبيلة العمايرة للهجوم على القطيف ولحسا (الإحساء)، لكنهم ووجهوا بمقاومة.

استمرّت الأعمال العدائية، وفي بداية عام 1832 استولت قبيلة العمايرة على قارب بحريني محمل بالتمور كان قد توقف في القطيف. ومن بين ثلاثين شخصاً من القطيف قتل اثنا عشر منهم، وأخذوا ما تبقى أسرى بغية الحصول على فدية. بعد أن سلبوا القارب برمّته، سمحوا له بالمغادرة من دون أن يتعرّضوا إلى الرجال البحرينيين ولا إلى ملكياتهم.

سنة 1833

في هذا الوقت بات الوضع في نجد، بسبب الشقاقات والنزاعات في حالة غير مستقرة، وبدأت قوة تركي بن سعود تنذر بتدهور سريع، ما جعل حاكم القطيف يلجأ إلى حماية زعيم البحرين، وأبدى استعداده لتحويل ولائه، لكن الضعف المؤقت الذي أصاب سلطته والذي سببته معارضة قريبه ومنافسه،

مشاري، الذي طالب بحق بالإرث وهرب من سجنه في مصر، وسرعان ما أبرز مقدراته المتفوّقة.

بدأ ينتزع الزكاة أو الجزية التي بلغت الخمسة بالمئة وشرع يوطّد نفوذه على سكان الساحل، لكن وخلافاً لأسلافه، قاوم رغبات القواسم، وقبائل أخرى خارجة عن القانون الراغبة في مصادقته على إحياء أعمال القرصنة، بينما وجدوا، أنه وبدلاً من حصاد مكاسب العهود السابقة والتي نجمت عن أعمال السلب والنهب، مال الشيخ تركي لأن يأخذ منهم نصيباً حتى من القليل الذي يملكون.

إن التدابير التي تمَّ تبنيها في تشجيع المطالب ضد القواسم، وهم الآن عملياً تبع للوهابيين، بغية استرجاع الغنائم (أو ما يعادل قيمتها) والتي نُهبت من ناقلة تابعة لأحد الرعايا البريطانيين على أيدي بعض الرجال من خان (لجأ ثلاثة منهم إلى أبو ظبي) معلناً لهم أن أحمد باشا خوّله بأن يأخذ من القطيف ريعاً محدّداً مقداره من عشرين إلى أربع وعشرين ألف دولار، وبأنه ربما يتسيّد المنطقة التي تقع تحت مسؤوليته من دون أي مضايقات. استقبله الإمام على نحو لائق وعامله بكثير من الكياسة وزوّده ببتيل ومؤنة ليصل إلى القطيف، كما حمله رسائلَ إلى فيصل بن تركي وعبد الله بن أحمد، تبيّن أنها تحمل نبرة ودّ ومصالحة.

لدى سماعه بقدوم عبد الله بن مشاري إلى القطيف محملاً بالرسائل، زحف فيصل بقوّاته إلى القطيف بغية تأكيد سيادته على ذلك المكان، وعزمه على الاحتفاظ به مع المنطقة المحيطة التي حوّلها باشا مكة على نحو غير رسمي إلى مزرعة تابعة له.

لم ينتظر عبد الله بن مشاري وصول القوات الوهابية التي سيطرت على القطيف، والذي حاول لاحقاً، من دون أن يفلح، أن يستولي على تاروت Tirhoot وهو المكان الذي ذكرناه سابقاً على أنه سقط في أيدي العتوب خلال حالة الفوضى التي تلت الموت العنيف للزعيم الوهابي، في الوقت الذي

يخوض فيه ابنه، الزعيم الحالي معركة من أجل توطيد حقه في خلافة والده ضد مزاعم قاتل أبيه مشاري.

كان من المفترض أن ترتبط مهمة ابن مشاري بخطة أحمد باشا في توريط الزعيم الوهابي في أعمال قتالية في الشمال الشرقي، بينما كان يواصل صراعه (والوصول اللاحق لأبنائه مع رسائل توصية أرسلت من حكومة بومباي، والاتصالات التي كان يقوم بها مع الإمام وباشا مكة، كل ذلك بدا بأنه يماهيه مع الأحداث السابقة) في المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية، ومع رغبة الإمام لرؤية عدوّه القديم، الشيخ عبد الله بن أحمد من البحرين، يتورط في أعمال عدائية تمَّ إحياؤها من جديد مع خصم قوي شأن الزعيم الوهابي، الذي كان اهتمامه ينصّب في الاتجاه المقابل لمقاطعاته.

سنة 1836

بدا الآن أن أرجحية قوة محمد علي باشا على الجانب الغربي من شبه جزيرة العرب أوقفت الانتهاكات التي كانت توقعها فرقة الوهابيين في ساحل الخليج. استدعى الشيخ فيصل ليقابل إبراهيم أو حسين باشا، ويعرض تعاونه ضد قبائل عسير، التي كانت حتى ذلك الوقت قد أفلحت في إحباط مساعيهم لإضعافها وإخضاعها، لكن هذا الزعيم رفض الاستجابة متذرعاً بالمرض، وأرسل شقيقه مع بعض الجياد كهدية واعتذار. وأفيد أن قوة مصرية هائلة قد جمعت في أثناء ذلك في المدينة.

حاول الوكيل الوهابي في البريمي، باقتراح من سيده، من دون أن يفلح، أن يضمن مساعدة سمو إمام مسقط من البحر بالإضافة إلى مساعدة قبائل الساحل ضد البحرين، أجاب الوكيل الوهابي، على طلب استخدام ناقلاته الحربية، بأنه ليس حراً في أن يستخدم ناقلاته في هذه المغامرة من دون علم الحكومة البريطانية المسبق ومصادقتها. بعد أن حثّ الأمير فيصل زعيم البحرين على تقديم اقتراحات بشأن السلام والخضوع، وعرض جزية سنوية صغيرة، وبعد أن تنبّه إلى الاعتداءات التي يقوم بها المصريون في الغرب،

أجبر على استقبالهم، وبهذا تخلّص على نحو مشرف من عدو جبار لا يعرف الاستسلام في الجانب الشرقي من شبه جزيرة العرب.

سرعان ما بات من الواضح أن المخاوف التي كان يضمرها، نتيجة إجراءات الحاكم المصري خالية من الأساس.

سنة 1837

إن هدف هذا الأخير في ترسيخ حاكم في نجد أكثر إذعاناً لوجهات نظره، وأكثر إخلاصاً وتكريساً لمصالحه، ومن خلال مصالحه، سوف يتم وبسهولة إخضاع البدو في الجنوب الغربي، والذين من المفترض أن الحاكم الحالي سيمدهم بالعون في صدّهم الناجح حتى ذلك الوقت لتقدم الجيوش المصرية، كان قد ظهر في الدعم الكامل الذي قدمه على شكل قوات وحشود لخالد بن سعود الذي يطالب بالزعامة في بداية هذا العام على نجد وكان يتهيأ لتوطيد سلطته بحد السيف. لم يضيع الأمير فيصل وقتاً في بذل كل محاولة لمواجهة هذا الحدث الخطير والجديد، الذي حاول أن يتفاداه من خلال رسائل إذعان إلى محمد علي باشا، بغية حثّه على سحب دعمه وعونه من الشيخ خالد، لكنه كان قد تأخر كثيراً الآن.

استولى هذا المطالب بالزعامة على القصيم والدرعية، وأخيراً، التقى بقوات خصمه قرب الرياض وهزمهم في معركة مفتوحة. بعد أن أجبر فيصل على الانسحاب، لجأ إلى الرياض، لكنه وجد بأن الحصن سقط بين أيدي بعض مناصري المغتصب المنتصر. وبهذا بات إقليم نجد فعلياً في أيدي الأمير خالد، وبالنسبة للحسا (للإحساء) والقطيف، فقد انتظرتا تقدمه بقوة لتقديم ولائهم.

ظهرت بعض الشكوك التي تفيد بأنه كان مجرد دمية في أيدي المصريين الذين سيحصدون نجاحاته. ضمت القوات ما بين 1000 و1500 فارس و500 راجل واثنتي عشرة بندقية وأربع مدافع، لقد أخمد الرعب الذي أثاره اسم الباشا، كل معارضة يمكن أن تنشأ، رغم أن فيصل كان في ذروة مجده.

خلق تقويض سلطة فيصل، واقتراب المصريين، ذعراً عند زعيم العتوب، الذي افترض أن أهدافهم الخفية، لم تكن موجّهة إلى أي من الأقاليم التركية، بل كانت إلى غزو البحرين التي ضُمّن فيها مساعدتهم وعونهم، كما نقل عن الإمام من خلال اتفاق سري، حيث اشترط بأن عليه أن يحتفظ بالجزيرة، ومناطق لحسا (الإحساء) والقطيف، وأن يدفع لقاء ذلك جزية مقدارها 300000 كراون.

سنة 1838

وصل في هذه الأثناء رشيد باشا مع تعزيزات من قوات نظامية وبدأ زحفه على الرياض ولحسا (الإحساء) والقطيف. استخدم كل وسيلة لاستمالة القبائل العربية، وأرسل بالمبعوثين إلى البحرين بغية الحصول على القمح والمؤنة ومستلزمات أخرى لقواته قبل وصوله. اكتشفت مؤامرة تحيكها قبيلة العمايرة في لحسا (الإحساء) تمَّ التعامل معها بحزم وشدة من قبل الأمير عفيصان، وهو قائد قوات الأمير فيصل، والذي أعدم ثلاثة من أعيانهم.

بعد ذلك بوقت قصير أجبر الأمير فيصل على الذهاب إلى دلم Dillum التي حاصرتها ثلاث مجموعات في ظل إمرة الأمير خالد، وخورشيد باشا وشيخ عرب مجربة Moojariba، وبعد أن اشتدت الضغوط عليه لتسليم نفسه، استسلمت كلّاً من لحسا (الإحساء) القطيف، ولجأ القائد الوهابي عمر بن عفيصان إلى البحرين.

أُرسل بفيصل سجيناً إلى مصر في عام 1838 ودعا خليفته خالد، وهو أداة المصريين، العتوب إلى الاستمرار في دفع الجزية السنوية التي كانت تقتطع من تركي فيما مضى. أما الآن فقد أزاح القائد المصري القناع عن وجهه على أنه مساعد لخالد، وأعلن بأن نجد هي ملكية تابعة لسيده واعترف بنيته في تطوير وتوسيع غزواته.

لدى هزيمة الأمير فيصل واستسلامه، أقام خورشيد باشا مناطقه الرئيسة

مع كامل الجنود النظاميين وسلاح المدفعية، والذي يضم جنوداً مغاربة غير نظاميين، وخيالة يصل عددهم إلى 3000 رجل، في سلمى (تبعد مسافة 200 ـ 220 ميل عن الساحل)، وأقام حامية في لحسا (الإحساء) تضم 300 رجل من القوات غير النظامية، بالإضافة إلى القطيف وسهات **Sohat** وعجير، وانتظر وصول تعزيزات للهجوم على البحرين. توقع تعاوناً من أربع ناقلات مسلّحة تأتيه من البحر الأحمر، مع ذخائر وأسلحة. أرسل مبعوثين إلى الكويت والمحمرة وأمكنة أخرى بغية جمع القمح ومؤونات أخرى.

صدرت احتجاجات كبيرة ضد سمو محمد علي باشا من وزارة المستعمرات في بريطانية، بالإضافة إلى الاحتجاجات التي أطلقها ممثلو السلطة البريطانية في الخليج ضد خورشيد باشا، ما دفع الحكومة المصرية إلى تأجيل مخططاتها في توسيع أمبراطوريتها وبالتالي إلغائها.

سنة 1839

سعود بن مطلق وبعد أن أقصاه فيصل بن تركي الذي استقرّ خلال حياة الأمير تركي في البريمي، بوصفه نائباً له، والذي كان يمتلك نفوذاً شخصياً كبيراً بين القبائل العربية، كما أنه صاحب خبرة واطلاع على مصالحهم واهتماماتهم ونزاعاتهم، انضم إلى القائد المصري، وأرسله هذا الأخير إلى رأس الخيمة لإقناع الزعماء على ساحل عمان للاعتراف بسلطة محمد علي باشا في الواقع، لكن في الظاهر حاول إقناعهم بسلطة أداته خالد والذي بات الآن الزعيم الاسمي للفرقة الوهابية. تمكّن هذا الشخص ومن خلال تهديدات ووعود من إقناع الزعيم القاسمي على أن يطلب من بني نعيم، التي كانت قد استولت على البريمي مؤخراً، أن تسلمها إلى النجديين، لكن الرد جاء بأنهم يفضلون أن يدفنوا أنفسهم في أنقاضها (البريمي) على أن يسلموها، ولم يضيعوا وقتاً فقد لجؤوا إلى زعيم بني ياس، وإلى سعود حمود بن عزّان زعيم صحار، بغية دعمهم لمواجهة العدو المشترك. استجاب سعود حمود بن عزّان للدعوة وأرسل شقيقه قيس على الفور مع مئتي رجل لتدعيم الحامية في البريمي.

إن الضيق والعزم اللذين أظهروهما وكلاء محمد علي باشا في التعجيل بمخططاتهم فيما يتّصل بالغزو والنجاحات المتواصلة التي لازمت حتى ذلك الحين تقدم قائده، بدأت تمارس نفوذاً قوياً على القبائل في تلك الأصقاع، نفوذ لم يكن سوى تأكيد حاسم على الحماية من الحكومة البريطانية ضد انتهاكاته. تبنت السلطات البريطانية احتجاجاً ضد الاتفاقية بين شيخ البحرين والوكيل المصري، التي تمّت بغية معارضة التأكيدات التي أطلقها محمد علي باشا لحكومة جلالتها، ودعي عدد من زعماء البحر في عمان لتصديق عزمهم، كتابة، على أن يولوا علاقاتهم مع الحكومة البريطانية أقصى اهتمام والامتثال لرغباتها وتعليماتها، ولمقاومة محاولات خورشيد باشا لإخضاعهم.

استدعي الشيخ سلطان بن صقر لتبرير سلوكه المتذبذب فيما يتصل بسعود بن مطلق. وجاء في ردّه بأنه كان جاداً في الوعود التي أطلقها لكن تدابيره أحبطت وقلبت رأساً على عقب بسبب غدر زعيم بني ياس الذي دخل في اتصالات حميمة مع الوكيل المصري والذي قدم له ملجأ في حصنه في حال طرد من الشارقة (الشارجة)، ولتأكيد هذا التصريح، وجّه رسالة من الشيخ خليفة إلى ذلك الفرد، منوّهاً بالمساعدة الضئيلة التي قدّمها له القواسم خلال شهور إقامته الأربعة على سواحلهم ووثق دعمه في التخلّي عن جميع الروابط مع خورشيد باشا أو وكلائه كتابة لكن اعتراضاته رُفضت. عند هذا طلب تزويده بوثيقة تلزمه على المطالبة برحيل فوري لسعود بن مطلق، وبناء على ذلك أعلن إلى الوكيل المصري أن حمود بن سرور ومحمد بن عبد الله زعماء النعيم أصبحوا محميين من قبل الحكومة البريطانية، سوف يحمل مسؤولية أي اعتداء يمكن أن يقع عليه. علاوة على ذلك تمَّ استدعاؤه، في ظل تأكيدات من سمو محمد علي باشا للانسحاب من ساحل جزيرة العرب، والعودة إلى رئيسه المباشر خورشيد باشا.

وافق الشيخ سلطان بن صقر على عدم إجراء أي اتصالات أو الدخول في أية عهود أو مواثيق مع محمد علي أو مع أتباعه، أو مع أي قوة أجنبية، من دون معرفة وإذن مسبق من الحكومة البريطانية وبأن يعتبر أعداء الحكومة

البريطانية أعداء له، وبالمقابل فقد طالب بأن يتم تزويده بالعتاد الحربي في حال تعرّض لهجوم من أي جهة كانت، بالنظر إلى استجابته مع رغبات الحكومة البريطانية.

استقبل طلب شيوخ بني نعيم في أن يوضعوا تحت الحماية البريطانية على نحو إيجابي. وتمَّ تشجيعهم على الوقوف بصمود للحفاظ على استقلالهم، واتّخذ قرار بإرسال الوكيل ليستقر في البريمي، وبأنه يزودهم بالذخائر إذا تطلّب الأمر.

كما تمَّ الطلب من حكومة مسقط توحيد الرؤى والسياسات مع الحكومة البريطانية، وتقديم كل عون ودعم لسكان البريمي.

وبغية الحفاظ على الشكليات واستعادة المظهر اللائق الذي دخل فيها المصريون إلى نجد، وبغض أبصارهم عن مخططاتهم في مزيد من التوسع، أعلن الأمير فيصل حاكماً على إقليم نجد.

لدى تلقّيه احتجاجات المندوب، وسماعه بالإجراءات التي تبناها المندوب فيما يتّصل بسكان الساحل والبريمي، جلا سعود بن مطلق عن عمان، وانطلق من الشارقة (الشارجة) باتجاه العجير (العقير)، بعد أن أكّد له الشيخ سلطان بن صقر أنه في حال عاد إلى عمان بالقوة، فسوف ينضم إليه وسيضع كل موارده تحت تصرفه. سدد إقصائه من عمان ضربة شديدة للنفوذ المصري، وشتت الحلف الذي تشكّل لصالحه. في رحلته البحرية من الشارقة (الشارجة) وبعد أن حط على جزيرة كين، على الساحل الفارسي، استولى وبالقوة على 400 خروف، وغنائم أخرى، ما عُدّ انتهاكاً بحق صديقه وهذا ما لفت أنظار محمد علي باشا، وأدّى من بين أسباب أخرى، إلى التلميح بناء على ذلك إلى شيخ القطيف، وهي الميناء المصري الوهابي، بأن أي حملة ضد عمان أو ضد مقاطعات الإمام، سوف تقابلها مقاومة من البريطانيين في الخليج.

أرسل محمد أفندي، حاكم لحسا (الإحساء) المصري مجموعة من

الجنود النظاميين يساعدهم بعض من عرب Mookazeebah لنهب وتدمير أرضي المرعى والكلأ وبساتين التمور التابعة لقبيلة نعيم (وهي فرع قاوم اعتداءات خورشيد باشا ووكلائه في البريمي) تقيم على الساحل القطري،بعد أن رفضت أن تدفع الجزية أو الزكاة عندما طالبهم بها عبر عبد الله بن أحمد، زعيم البحرين. أجبرت الحملة على الانسحاب بعد مقتل محمد أفندي، على أيدي بعض العرب في ضواحي لحسا (الإحساء). وصل غونشا [سفينة] (تابعة للكويت) القطيف من حديدة في البحر الأحمر في تشرين الثاني من عام 1839، محملاً بذخائر حربية ومستودعات حربية لتستخدمها القوات المصرية في نجد. لم يفشل الوكلاء الذين كانوا على متن الغونشا في بث المعلومات فيما يتصل بأسطول من ثمان أو عشرين ناقلة، محملة بالحشود والمعدات الحربية كانت على وشك أن تتبعهم.

بدأت احتجاجات الحكومة البريطانية بممارسة تأثيرها، وعلاوة على ذلك فإن النزاعات والشقاقات بين الوكلاء البريطانيين أنفسهم ومشاعر الغيرة التي تشربها مؤخراً محمد علي باشا من قائده خورشيد باشا، نزعت إلى حد كبير إلى إضعاف سلطتهم ونفوذهم، الذي كان مهدداً من قبل العجمانيين، من بين قبائل ساخطة أخرى، والتي يصل عددها إلى أربعة آلاف رجل، كان قد أفلح قائدها مؤخراً في الهروب من لحسا (الإحساء)، حيث قبض عليه غدراً وأودع السجن بناء على أوامر الباشا. انقطعت الاتصالات بين البلدات والمقاطعات المختلفة، وباتت المؤونات التي ترسل إلى القوات المصرية في ثرمدة Thurmidah والمقرات الرئيسة تحتاج إلى حماية أعداد كبيرة من الخيالة والراجلين لضمان سلامتهم. لازمت فرقة من خيالة مصرية، تحرك قام به خالد باتجاه المقاطعات، بغية تثبيت سلطته، وكسب ولاء العديد من القبائل المتقلبة، هذا التحرك الذي أشار إلى رغبة من جانب حلفائه للجلاء عن نجد ورغبتهم في كبح الاستياء الذي واجهه قبل أن يصبح زعيماً، من خلال إبرازه إلى السياسة الخارجية.

في الوقت الذي كانت فيه القوات المصرية تفرض حصاراً على القطيف

وسهات وعجير (عقير)، بدأت الحكومة البريطانية تدرس الوضع على نحو جدي، ووصلت معلومات (في أيار من 1840) بأن لحسا (الإحساء) قد أخليت، وبأن القوام الرئيسي من القوات المصرية غادر نجد بالفعل، وهذا ما أكّده محمد علي باشا، للقنصل العام لحكومة جلالتها في القاهرة، ومن خلال إجراء أكّده إرسال ناقلة إلى تلك الأصقاع، والتي توجد الآن بين أيدي العرب، مناصري الأمير خالد، رغم أن الوكيل المصري ما يزال مستمراً بالسلطة الفعلية وجعل من تبنّيه هذا الإجراء غير ضروري. إن السلوك الاستبدادي للباشا ووكيله أضاف سبباً مقنعاً يجعلنا نعتقد أن المصريين لم يعودوا يدرسوا إمكانية احتلال دائم لوسط جزيرة العرب.

وانتقاماً لمقتل نائبه، محمد أفندي، الذي قتل بينما كان حاكماً للحسا (للإحساء)، كان آخر ما فعله خورشيد باشا، قبل أن يرحل، هو قتل برغش Burgeish زعيم قبيلة علي حمد Ali Humeed. من الواضح أن النية كانت في تسليم نجد إلى الأمير خالد الذي كان عليه أن يبقى تحت سلطة الوكيل المصري، تلك السلطة التي كان من المفترض أنها سوف تترسّخ في المدينة كقاعدة حيث بإمكانه أن يمارس رقابة وإشرافاً على بلاد عرب حجيب Hajeeb ووسط جزيرة العرب، لكن النفوذ الأخلاقي للمغتصب بين القبائل المتعددة الضعيفة حتى في ظل أكثر الظروف إيجابية، ضاع كلّية. ألفى الأمير خالد نفسه محتقراً مكروهاً، ومحروماً من دعم رعاته، وفي وقت قصير ألفى نفسه محاطاً بمكائد ومؤامرات هدفت إلى تجريده من سلطته غير الشرعية.

في الوقت الذي تمّ فيه الجلاء عن لحسا (الإحساء) وعجير، وصل أحد المشرفين إلى البحرين، ربما كان سكان تلك المناطق قد أرسلوه، لدعوة الشيخ محمد بن خليفة (حفيد سليمان شقيق عبد الله بن أحمد) ليأتي ويطالب بتلك المناطق، عندما يتم التخلّص من ولائهم للأمير خالد.

سنة 1841

شجّع تقرير من الأمير فيصل على روح الاستياء التي كانت تتطور الآن

في وسط جزيرة العرب بعد أن تحرر من القاهرة، وبدأ رحلته إلى المدينة، بالإضافة إلى أنباء عن مؤامرة دعمها المصريون في سوريا، وما تمَّ من إضعاف لاحق لسلطة محمد علي باشا وجعلها ضمن حدودها القانونية.

رغم ذلك استمر سعود بن مطلق في توجيه الرسائل إلى زعيم عمان، وأعلن عن زحفه إلى ذلك الإقليم، لكن هذه الإشارات (الهياج الذي سببوه في البداية، انتهى، بسبب تصرفاتهم التي كانوا يقومون بها في الغالب، والتي أثبتت بأن لا أساس لها) لم تنتج سوى أثراً ضئيلاً.

بالفعل كان هناك قليل من إمكانية، في ظل الظروف القائمة، في أن يقوم الأمير خالد فعلاً بأي مسعى في إقليم عمان، رغم ذلك اتخذت الحكومة البريطانية قراراً، أنه وفي حال تمّت الحملة، يجب أن تقابل بمقاومة صلبة، وهي وسيلته ضدها.

بدا الآن أن الباب العالي دفع بمطالبه للسلطة على نجد إلى الأمام، وبالتأكيد، وبعد أن تلقّى بعض الهدايا من الأمير خالد، عُيّن والياً على ذلك الإقليم.

بالطبع كان خضوعه مزيّفاً، بعد أن حثّه خورشيد باشا، بأن يتم التنكر لهذا الخضوع كلما واجهته مواقف المصريين.

وجه رسالة ود إلى الوكيل البريطاني في البحرين، معبّراً فيها عن رغبته الشديدة في تجديد علاقات سلمية وودّية كانت فيما مضى بين أبيه الراحل، سعود، والحكومة البريطانية، مشيراً إلى أن تلك كانت رغبته حتى من قبل أن يبدأ اتصالات، لكن محمد علي باشا كان قد منعه.

لدى وصوله إلى لحسا (الإحساء) في تشرين الأول من عام 1841، رغم ما تمَّ الإعلان عنه، حضّر قوة، ليتوجّه بها لغزو عمان (كما أعلن عن ذلك الوكيل المحلي في البحرين)، وفرض الحصار على البريمي، وعلى رأسها سعود بن مطلق سيئ الصيت. بعد أن تحضرت الحكومة البريطانية لهذا

الطارىء، أمرت المندوب أن يسعى للحصول على معلومات دقيقة عن تحرّكات الأمير خالد، وأن يحذره في حال كان يتهيأ لغزو عمان، من معارضة الحكومة البريطانية، وأن يطلب منه أن يكف عن ذلك، وبأن الأرضية المناسبة للاعتقاد بأن الحملة كانت الآن قيد الدراسة، فقد عُدّ من المناسب والصواب له أن يرسل ضابطاً بريطانياً لانتظار الأمير في معسكره في لحسا (الإحساء) (تبعد حوالي سبعين ميلاً عن الساحل) باتصالات مكتوبة وفعلية، تشير إلى مواقف الحكومة البريطانية التي رد عليها بأنه لم يرسل، وليس لديه أي نية في إرسال سعود بن مطلق إلى عمان، واتّضح فيما بعد بأنه لم يكن يملك القوة، وهذا ما عُدّ حظاً طيباً بأن زعماء البحر العرب، رغم إعلانهم الظاهري عن عزمهم على الحفاظ على استقلالهم، عرف عنهم بأنهم كانوا مستمرين في المؤامرات والاتصالات معه، وكما أن الإجراءات غير النظامية لزعماء البريمي، في غزوهم مناطق سعود حمود بن عزّان زعيم صحار، لا بد وأنها أنقصت إلى حد كبير، إن لم تكن دمّرت تماماً، مشهد أي تعاون من جانب سعود حمود بن عزّان في حال الهجوم على نجد.

لم يمض سوى وقت قليل حتى تبين كم كانت قدرة هذا الزعيم الاسمي قليلة عندما حرم من دعم حلفائه المصريين، في الحفاظ على موقعه.

هرب عبد الله بن ثنيان بن محمد، وهو الشقيق الأصغر لسعود، والد خالد، إلى الكويت، والذي كان يعلل النفس بمطالب تتصل بالسيادة على نجد، ووجد نفسه محط ارتياب خالد، حيث بقي هناك لبعض الوقت، وأخذ تركي الهزاني[1]، زعيم الخرّج Khurij يدعمه سراً. عاد في أيلول من العام

(1) كان بنو هزان القبيلة الرئيسة من عنزة في جزيرة العرب وكان منطقتهم تقع جنوب المكان الذي يخترق فيه وادي حنيفة جبل طويق بين واحة الخرج الحالية وحريق، بقي بنو هزان تحت اسم الهزازنة في منطقتهم القديمة وبالتحديد في واحة حريق حيث يتكرر ذكرهم في الصحائف الوهابية التي تقول إنهم قاتلوا حتى عام 1913 ضد حكام جزيرة العرب الحاليين (اوبنهايم البدو ـ ج 1 ص 121 ط 1 تحقيق ماجد شبر).

ذاته، واستولى على زومة Zoomah، وهناك متذرعاً بحجج واهية، قبض على أحد السكان واسمه زغور Zughur وعدمه، وصادر أملاكه التي بلغت قيمتها حوالي 8000 دولار. ومن ثم استولى على صياح ومنفوحة (تقع على بعد مسيرتين من الرياض)، وفي منفوحة أعدم أحد السكان الأثرياء، وضمن أملاكه التي بلغت 4000 دولار. بهذه الوسائل كان قد أرضى رغبات أتباعه الذين قيل بأنهم يضمون ألف رجل بالإضافة إلى ذلك مالت إليه قبائل غريميغا Graymighah والسهول Soohool وتركي عريعر Toorkey Ahrance ومدته بألف وخمسمئة رجل. كذلك ثمة ثلاث قبائل، علي مرّة Ali Moorah وعجمان وسبيع Soobaya التي يصل عدد أفرادها إلى ثلاثة آلاف، رغم أنه قيل بأنها أطلقت وعداً علنياً في دعم خصمه، سوق تبقى، كما كان مفترضاً، على الحياد في الصراع الذي كان يقترب، أو أنها ستميل إلى جانب عبد الله.

في كانون الأول من عام 1841 هدد خالد الرياض التي كان القسم الأعظم من سكانها إلى جانبه. وأعلن أنه سيزجّ أكثر من ثمانمئة رجل من القوات المصرية، نصفهم من الخيالة، والنصف الآخر من المشاة، ومعظمهم من المقاتلين غير النظاميين الساخطين بسبب المستحقات المتأخرة والذين سلّحوا كيفما اتفق. نظر زعماء العرب إليهم بغيرة وازدراء، الذين عبروا عن كراهيتهم للغرباء عندما ترك خالد في السلطة على نجد، واشترطوا صداقتهم ودعمهم لقاء التخلّص منهم، وهو إجراء تراجع عنه في ذلك الوقت، لكنه أُجبر على تأجيل تنفيذه نتيجة ثورة عبد الله بن ثنيان. بالإضافة إلى القوات المصرية اعتمد، كما أُفيد، على مساعدة ثلاثة آلاف رجل من قبائل عنزة، والمطير Muhtari وبني هاجر. لم يكن هناك من مدفعية في كلا الجانبين، باستثناء بعض البنادق المنصوبة على نحو سيئ التي كانت تحت تصرف الأمير خالد في هفوف والقطيف.

لدى اقتراب عبد الله من الرياض، تقدم جيش الأمير خالد ليلاقيه، تلا ذلك مناوشات، وهزم عبد الله وفي اليوم ذاته، دعاه أعيان السكان سراً لأن

يذهب مع مناصريه إلى البوابة الجنوبية عند الغسق، بغية التنسيق معه. قبل عبد الله الدعوة، وتمكّن من الدخول إلى الأسوار، وأعلن حاكماً على نجد. لم يكد يستقر في الحكم حتى أعدم ثلاثة من قادة جيش أعدائه، رغم ذلك أبقى على حياة عمر بن عفيصان وهو رجل رابط الجأش، اتّكل عليه الأمير خالد إلى درجة كبيرة.

عندما بات من المعروف في لحسا (الإحساء) أن الرياض سقطت في أيدي عبد الله بن ثنيان، كتب سكانها إليه سراً يعرضون خضوعهم، بينما جمع الأمير خالد، بعد أن ارتاب في ولائهم، زعماء القوم، وتعهّد للمرة الثانية أن يسرّح جميع القوات المرتزقة. رغم ذلك، أرسل إليهم أوامر أن يسرعوا إليه سراً إلى القطيف. لم تمتد به الإقامة هناك إلى زمن طويل، وتآمر السكان مع قادته الخائنين ضده، وأُجبر بعد أن تخلّص من قواته الغربية المصرية، على اللجوء إلى مبارك (ابن زعيم البحرين عبد الله بن أحمد) حاكم الدمام، الذي خرج ليلتقيه ويقدم له الملجأ.

آماله في تلك الأصقاع في استعادة السلطة كانت قوّضت الآن برمّتها، بعد وقت قصير غادر البحرين متجهاً إلى الكويت مع خطة جهزها للانطلاق إلى القصيم، وهي بلدة تقع على مسافة ثلاثة أيام عن المدينة حيث اعتقد أنه له هناك بعض المناصرين الخُلّص.

تحول مبارك بن عبد الله لصالح ضيفه على لحسا (الإحساء) وعجير (عقير)، لكن نجاحه كان مؤقتاً ولم يكتمل، ذلك أن قواته أُجبرت على الانسحاب لدى اقتراب قوات عبد الله بن ثنيان.

بعد أن اعترف بعبد الله بن ثنيان حاكماً وهابياً في شباط من عام 1842، رغب في أن يوسع من دائرة نفوذه وسلطته على قبائل عمان التي بدأ مع زعمائها اتصالات يعلن فيها عن نيته في إرسال سعود بن مطلق كوكيل إليهم، ودعاهم للاتحاد معهم وأن يقدموا له كل عون ومساعدة. إن حقيقة هذه الرسائل، مع استثناء تلك التي وُجّهت إلى خليفة بن شخبوط، زعيم بني ياس

جلبهم المندوب الفعلي، الكولونيل روبرتسون، الذي وجه رسالة احتجاج للحاكم الوهابي يشرح فيها الآثار السلبية التي نجمت عن ترسيخ العقيدة الوهابية بين زعماء القراصنة. وهذا ما أدّى إلى تأديبهم من قِبل الحكومة البريطانية، مستنكرين محاولاته الحالية لجلبهم من جديد تحت النفوذ والوصاية الوهابية، كما ارتأى أن يعيدوا إلى أذهانهم ما قاموا به في أوقات أخرى، عندما تمَّ تحريضهم على وجه شبيه، من قبل أسلافه، ولإثارة الميول العدوانية لأولئك المستكينين، وبواسطة ذلك جرّهم إلى انتقام الحكومة البريطانية.

وفي رده، أعلن عبد الله بن ثنيان عن رغبته في التعاون مع الحكومة البريطانية لكبح أعمال القرصنة، وهذا ما أعلنه أيضاً إلى سكان عمان، الذين دعاهم برعاياه، وإلى آخرين أيضاً من بلدان أخرى يحظر عليهم إلحاق الأذية بالآخرين وأن يتصرفوا بالشكل الذي تمّت الإشارة إليه، وهي تصريحات لم تكن تساوي أي شيء، لكن سواء كانت صادقة أم غير ذلك، فقد كانت مسألة وقت بما أنها تأكدت، وبالتالي كانت آراؤه عرضة لأي تغيير، بما أن شهرته ونفوذه كانا يتزايدان أو يتناقصان.

زعم شيوخ البريمي في ردودهم على حاكم نجد، بأن ارتباطات مع الحكومة البريطانية والتي رغم أنها ليست موجودة بالمطلق وردت على أمل أنه، إذا كان عبد الله بن ثنيان جاهلاً بالحقيقة، فلربما أعيق من التدخل في أمورهم خشية حلف مفترض. كان من بينهم، من حاول التودّد إلى الحاكم الوهابي الجديد، ومنهم من رغب بتقديم الخضوع له، وأما مضامين رسائلهم، التي أرسلت سراً، فقد كان من المفترض أنها معارضة لتلك التي أشرنا إليها سابقاً.

إن انتزاع الضرائب الكبيرة التي فرضت على سكان القطيف وأماكن أخرى تقع تحت سلطته من قبل الأمير عبد الله بن ثنيان، جعله لفترة من الزمن غير محبوباً. كان بعض قبائل البدو لا يزالون يرفضون أن يعلنوا ولاءهم. لقد هدد في لحظة ما وبجهود بسيطة من جانب خصمه خالد المعزول في القصيم،

في استعادة موقعه الذي خسره يحرّضه ويشجعه، كما أُفيد، مبعوثون من الحكومة التركية، بغية تعريض سلطته الجديدة إلى الخطر.

سرعان ما وصلت أخبار تفيد بوصول الأمير فيصل في آذار من عام 1843 إلى القصيم، وبالرغم من أنه استمر في الاتصالات مع زعماء عمان، فقد انشغل عبد الله بن ثنيان في شؤونه ما جعله يعترف بأي خطط تعارض سياسة الحكومة البريطانية على الساحل العربي.

إن التقرير الذي أفاد عن عودة ظهور الأمير فيصل الحاكم القانوني في حزيران من عام 1843، في نجد، أثبت بأنه صحيح. فزحفه باتجاه الجنوب والشرق كان قد لازمه نجاح كبير، ووجد عبد الله بن ثنيان بعد وقت قصير محاصراً ببعض الأتباع في قلعة الرياض (التي وقعت في أيدي خصومه) وأجبرت على الاستسلام طواعية.

خالد، وهو أول من اغتصب الزعامة، كان لا يزال في المدينة، ورفض دعوة فيصل للانضمام إليه. على أي حال لم يعد هناك ما يخشاه فيصل من عدوه السابق، والذي كان انتحاله للسلطة وفقدانه لها يشبه احتلال نجد والجلاء عنها من قبل القوات المصرية، التي كان يعتمد على دعمها. بعث الأمير فيصل في تموز من عام 1843 برسائل إلى شيوخ البر والبحر في عمان، وأعلن عن عزمه إرسال جيش بإمرة سعود بن مطلق، في نهاية الصيف بغية السيطرة على ذلك الإقليم.

استقبلت هذه الاتصالات على نحو إيجابي بينما الوحيد الذي عبّر عن نفوره هو مكتوم شيخ دبي. ومن هؤلاء الأخيرين، زعماء البريمي، حمود بن سرور ومحمد بن عبد الله، وجّهوا رسائل في تشرين الثاني من عام 1843 إلى المندوب، وأعلنوا عن إيمانهم بجدية إعلان الحاكم الوهابي، وطلب المساعدة والدعم من الحكومة البريطانية بغية صد الغزاة. وتمَّ إبلاغهم في رد، أن الاتصالات التي تمَّ الدخول فيها سابقاً مع الحكومة البريطانية تشير فقط إلى تقدم الحشود المصرية والارتباط الموجود بين محمد علي باشا ونجد، لكن

بما أن الظروف تغيرت، وولّى الخطر برحيل الحشود تحت قيادة خورشيد باشا عن الإقليم، كانت نية الحكومة البريطانية في الانسحاب من كل تدخل في الشؤون الداخلية لشبه جزيرة العرب.

في هذا الوقت، تلقّى المندوب اتصالاً من الأمير نفسه، يعبّر فيه عن رغبته في تجديد العلاقات الودّية التي كانت فيما مضى بين والده تركي والحكومة البريطانية. تمّت الاستجابة لمشاعره الصادقة، وأما الهدف الوحيد للحكومة البريطانية في هذه المنطقة فقد كانت تتمثل في قمع أعمال السلب والنهب وإراقة الدماء في البحار وضمان أمن جميع السكان على شواطىء الخليج، واستمراراً منهم في إجراءاتهم العديدة التي قدمت إليه وفرضت عليه، فقد فكّر بوجهات نظرهم تلك. أفلحت العلاقة الودّية التي قامت بين السلطات البريطانية وحاكم نجد في إثارة انطباع إيجابي في عقول زعماء البحر من العرب.

في كانون الأول من عام 1843 جرت محاولة للتوسّط من أجل مصالحة بين زعيم البحرين السابق وابن شقيقه الأكبر محمد بن خليفة، لكن الزعيم السابق للبحرين رفض مساعيه الودّية والذي رفض أية تدابير ودية مع خصمه الذي قرر أن يدعم هذا الأخير. استمرّ أبناء الزعيم السابق الذين كانوا يسيطرون على الدمام حصارهم في البحر، ووعد الزعيم الوهابي بأن يرسل قوة لحصارها براً وأن يوقف الإجراءات التي قامت بها بعض القبائل التي عارضت إعادة ترسيخ نفسه في السلطة، والذي وفي أثناء ذلك كان يناصر قضية عبد الله بن أحمد، واستمرّ في إمداد الحامية بالضروريات التي كانت تطلبها.

إن الوعد بقوة برية طال أمده تحقق في النهاية. وكان قد تأخر بسبب أوامر صدرت إلى قائدها لكي يطارد القبائل التي رفضت أن تعترف به، والتي كانت مسؤولة في ذلك الوقت عن أعمال سلب ونهب قامت بها ضد حجاج من الفرس بالإضافة إلى جرائم أخرى.

سقطت الدمام، وسرعان ما استولى عليها الأمير فيصل، والذي حافظ،

منذ ذلك الوقت، على حامية بغية الحصول على العائدات لمصلحة المالك الشرعي بشير بن أرحمة (رحمة)، والذي بعد أن انضم إلى حلف على أمل استعادة تسيّده في حال أفلح، وبالفعل ضمن له استعادتها الشيخ محمد بن خليفة ما خيّب أمله.

بعد أن حقق الأمير فيصل ما كان يصبو إليه نتيجة اشتراكه في الحرب، وبالتحديد التنازل عن الدمام، سوف يبدو وكأنه يميل للسماح للأطراف المتنازعة بأن تطيل أمد الصراع، أو أنها سوف تنهيه من دون أي تدخل من جانبه، شريطة ألّا يتم إبعاده عن قضية محمد بن خليفة، وألّا يُدفع لأن يشترك مع الزعيم السابق بما أن الأول كان غير مدرك لمصلحته عندما أصرّ على رفضه أن ينجز تعهّده في دفع الجزية السنوية.

خاتمة عن الوهابيين حتى العام 1853

الملازم إتش. إف. ديسبرو BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE

تحدثنا بالتفصيل عمّا قام به الوهابيون في لمحات سابقة. ولا يبدو من الضروري أن نقوم بأكثر من مرور سريع قدر الإمكان، عمّا فعله الأمير، والأطراف التي أوفدها سموّه إلى البريمي والقطيف والموانىء التي تقع على شواطىء جزيرة العرب.

في بداية عام 1845 وصل سعود بن مطلق قادماً من نجد بجوار البريمي. كانت القوة التي رافقته كبيرة جداً، وكما بدا فقد كان مرتاباً بالاستقبال الذي لقيه من سكان القبائل التي مرّ بمناطقها أثناء رحلته، لذلك أرسل بالمبعوثين والجواسيس ليمهّدوا الطريق لقوّاته. لم تثبت هذه الاحتياطات ضرورتها، ذلك أن من كان يستولي على حصون البريمي أسرعوا بتقديم خضوعهم عندما سمعوا بتقدمه، وانطلق زعماء البحر لانتظاره، وانضمت إليه قبائل الظوالم Zowalim والنعيم والشوانيل Shuanil، وسلموا الحصون التي أرادها، باختصار أخذوا يتنافسون على إظهار مشاعر الودّ حياله.

أرسل سعود بن مطلق إلى حكومتي مسقط وصحار، مستفيداً من هذه اللحظة التي كانت لصالحه، يطالبهما فيه بالجزية. نتيجة لذلك عقد زعيما ذينك المكانين سعود ثويني، وسعود حمود بن عزّان اللذين كانا متّحدين، اجتماعاً للمشورة يتصل بالإجراءات التي يجب اتخاذها في هذه الحالة، وفي

النهاية خلصا إلى نتيجة مفادها أن على زعيم صحار أن يلبّي مطالب الوهابيين على الفور، خشية أن تتعرض مناطقه إلى الغزو سيما وأنها تقع بجوار البريمي، لكن سعود الثويني أعلن بأنه سيرجع إلى والده سعود سعيد الموجود في زنجبار قبل أن يدفع أي شيء.

تلك كانت الشروط التي قدمت، وأعلن الملازم الوهابي موافقته عليها. ما كان الدافع وراء موافقته تلك، مجهول، لكن لم يكد يوافق على الشروط التي أسلفنا ذكرها، حتى اتصل بسعود حمود بن عزّان يخبره بوضوح أن الجزية التي كان يدفعها هذا الأخير قليلة ولا تكفي، وأمره أن يدفع مبلغاً إضافياً، وعندما تمَّ الاعتراض على ذلك، أسرع وغزا مناطقه، واستولى على حصن ماجس، وذبح حاميتها عن بكرة أبيها بكل قسوة. تهيأ سعود حمود للمقاومة، لكن الأعيان في قبيلته نصحوه بأنه من الأفضل له أن يستجيب لدفع مبلغ إضافي من الزكاة خشية أن تعود مشاهد إراقة الدماء والذبح من جديد، وبأن موارده بالكاد تكفي لمواجهة القوة الوهابية المدمرة. هذا الصدع في الثقة سرعان ما تبعه صدع آخر.

في حزيران من عام 1845، وقبل أن يتلقّى سعود ثويني رداً من أبيه، الإمام، أثناء فترة الانتظار تلك كان سعود بن مطلق قد أخذ عهداً على نفسه بالامتناع عن أية أعمال عدائية (استدعى سعود بن مطلق زعماء قبيلته بغية تحقيق هدفه، مع قواته وأعلن عن نيّته الزحف على مسقط بسرعة قدر الإمكان).

وسرعان ما جمع جيشاً جراراً، وبدأ المندوب يخشى هجوماً تتعرّض له مقاطعات سموّه.

ظهرت قوة بحرية كبيرة أمام ساحل الباطنة، ووجه الميجور هينيل رسائل إلى الأمير الوهابي بالإضافة إلى وكيله في البريمي يحضّ فيها الأول على منع ممثله في عمان عن القيام بهذه الإجراءات، ويتمنى على الأخير أن يكفّ عن الأعمال العدائية إلى أن تصله تعليمات من رئيسه، الأمير. أثبت بأن هذه

الإجراءات قد نجحت، وعلاوة على ذلك استجاب الوهابيون إليها على نحو مرض. وولّت العاصفة بسلام، وتعهّد سموه سعود ثويني، باسم والده أن يدفع مبلغ 5000 كراون سنوياً كجزية للأمير، بالإضافة إلى 2000 كراون دفعت في تلك المناسبة كهدية لسعود بن مطلق. وأرسي السلام، وبعد أن لجأت القوات الوهابية إلى حصن ماجس الذي تمَّ الاستيلاء عليه على نحو غير قانوني، انسحب من مناطق صحار.

لم يصمد الاستقبال الذي لقيه سعود بن مطلق عندما وصل إلى البريمي طويلاً. فسرعان ما جعلت شخصيته المتعالية وسلوكه المتغطرس جميع قبائل عمان تنفض عنه. وزعيم إثر آخر بدأوا يشعرون بالكراهية حياله، وبدأوا يعارضون قضيته. من بين زعماء البحر، الوحيد من بينهم الذي بقي على ولائه هو زعيم أم القيوين.

اتحد كل من شيخ النعيم، وهي عشيرة قويّة وسعود حمود بن عزّان وبعد وقت قصير انضم إليهم المطاوعة Muttowas بغية مقاومته. كانت الطرق من البريمي إلى نجد مليئة باللصوص الذين يعارضون صعوده إلى السلطة، لم يكن أي رسول قادر على الوصول بسلام، ولم يكن بالإمكان إرسال أي مؤونات إلى نجد، رغم كل الكراهية التي حشدت ضدّه، أصدر أوامره لجمع قوّة كبيرة في البريمي في نهاية شهر الصوم، كان يهدف إلى الاستيلاء على حصن زيت بجوار عجمان، أو تغطية تشييد معقل له في بقعة حيث المياه العذبة التي تبعد حوالي سبعة أميال في اليابسة ومن خلال ذلك يستطيع أن يتحكّم بزعماء البحر أكثر مما كان عليه الحال في السابق.

قرر جميع الزعماء القواسم (الجواسم) معارضة هذه الخطة باستثناء عبد الله بن راشد زعيم أم القيوين. في هذه الأثناء بعد أن فشل سعود بن مطلق في مؤامراته لكسب السيطرة على حصن زينيش (زينج) Zenich القوي، والذي يتبع لفرع بو خريبان من قبيلة النعيم، وهو أحد أكثر المواقع خصوبة وازدهاراً في تلك الأنحاء، أعلن عن نيّته في جعل نفسه سيداً عليه ولو بالقوة،

حتى أن الشيخ أحمد بن علي، وبعد أن أجرى مصالحة، عبر وساطة زعيم بني غفار، مع أفراد فرع البو خميس والذي لم يكن سعود بن مطلق على وفاق معهم، والذي تأكد من دعمهم في حال اندلعت الأعمال العدائية الفعلية، قرر في الحال بأنه سوف يدافع عن ممتلكاته مهما كان الثمن. بعد أن وجد شيوخ دبي والشارقة (الشارجة) أن الوكيل الوهابي بات في حالة ضيق في الوقت الراهن، تنافسوا على سجن رجلين من كل قارب من قوارب الصيد، لحماية أنفسهم من أي مفاجئة، وسمحوا للآخرين أن يتابعوا طريقهم.

في نهاية العام، كبر الحلف ضد سعود بن مطلق وبات قوياً، وأخذ يشعر بالخطر، ذلك أن تقارير وصلت الأمير بأنه كان ينتحل لنفسه قسماً كبيراً من الثروة التي جمعها، وبأنه كان يفكر في أن يذهب إلى نجد بشخصه، لينتظر سيده ويحاول أن يطرد من عقله كل ما ورد في تلك التقارير التي انتشرت ضده. وحدد اليوم لرحيله عن البريمي، عندما وصل مبعوثون محملين برسائل من الأمير «تثبته في موقعه، وتتمنى عليه أن يرسل من دون أي تأخير نقوداً» ما أدّى إلى التخلّي المفاجيء عن الخطة، وإرسال مبلغ كبير إلى نجد عبر الشيخ صقر بن سلطان، الذي كان على اتصالات ودّية بالأمير بالإضافة إلى والده سلطان بن صقر. وعلى الفور جهزت ناقلة لنقل الكنوز.

تميّز عام 1845 بالأعمال العدائية التي نشأت بين عبد الله بن سعيد، الحاكم الوهابي لميناء القطيف وشيوخ البحرين، وكنا قد تحدثنا عن الخلافات بين الفريقين بالتفصيل في لمحتنا عن العتوب. يكفي أن نقول إن الخلافات استمرّت حتى شهر آب من عام 1847 حين تمّت تسويتها وألزم الأمير نفسه بعدم مساعدة عبد الله بن أحمد الزعيم السابق للبحرين في مساعيه لاستعادة موقعه كزعيم على الجزيرة وتعهد الشيخ محمود بن خليفة بدفع مبلغ أربعة آلاف دولار للوهابيين.

في العام التالي (1848) تلقّت الهيبة الوهابية صفعة قوية من شيخ بني ياس، الذي أفلح في إضعاف حصون البريمي بغية هزيمة قوة نجدية أرسلت

خصيصاً ضده، وبهذا فقد شلّ جهود سعود بن مطلق لاستعادة سلطته المفقودة في عمان، ما جعله يلجأ إلى الشارقة (الشارجة)، ويبقى هناك إلى أن يجمع القواسم حلفاءه قواتهم لمد يد العون له. وبالفعل تمَّ ذلك على نحو السرعة، وفي نهاية العام انطلقت القوات المشتركة لكل من الشيخ سلطان ومكتوم بن بطيّ وحمد بن راشد من الشارقة (الشارجة) مع سعود بن مطلق، وما تبقى من النجديين، للهجوم على الشيخ سعود في البريمي. ومن خلال موفد أرسله شريف مكة لاحتواء الخلافات التي نشأت، فقد أُحيل دون اللجوء إلى أعمال عدائية فعلية. وأرسي السلام، وأُعيد تنصيب القائد الوهابي في موقعه في البريمي.

في العام التالي (1849) أخذ الأمير فيصل يفكر بخطة تهدف إلى إضعاف جزيرة البحرين وإخضاعها إلى سلطته. ومن خلال الرجوع إلى لمحة عن العتوب سيتبين لنا كيف وصل الأمير إلى المنطقة المجاورة للجزيرة وبشخصه. وكيف حثّ سموه سكان ساحل قطر على اللجوء إلى العتوب وإلى جانب النجديين، وكيف جهّز أبناء الزعيم السابق أسطولاً من الساحل الفارسي، وبعد أن هاجموا وشقّوا طريقهم عبر عدد من الناقلات العتبية التي كانت تحاصر ميناء القطيف، أفلحوا في الانضمام إلى الوهابيين، وكيف أن الشيخ محمد كاد أن يجبر على الخضوع والاستسلام لقوة ماحقة، وأخيراً كيف بدّد وصول سفننا الحربية قبالة الجزيرة الآمال والخطط الطموحة للوهابيين ولاجئين من كين. أرسي السلام (في تموز من عام 1851 وتمَّ الحفاظ على وحدة وسلامة جزيرة البحرين).

سنة 1852

لقد أحدث وصول قوة نجدية تحت إمرة عبد الله بن فيصل الخوف في عقول سلطات مسقط، ثمة تفاصيل مسهبة وكثيرة تقترن بهذه المسألة ـ الخطوات التي تبناها عبد الله بن فيصل، وما نجم عن هذه الخطوات، والإجراءات التي قام بها المندوب لمعارضة المخططات الطموحة للوهابيين

والنجاح الذي رافق تلك الإجراءات. كل ذلك تمَّ تفصيله في اللمحة عن مسقط التي سنختتمها بقولنا إنه تمَّ التخلّي عن التفكير بغزو مقاطعات باطنة، والذي تمَّ التفكير به مسبقاً، وسويت الأمور في عام 1853 من قبل سعادة سعود ثويني الذي وافق على دفع مبلغ كبير من الجزية إلى الأمير كل عام، وتمَّ الدخول في معاهدة دفاع مشترك بين السلطات الوهابية وسلطات مسقط، باسم زعيمي السلطتين، أي أمير نجد وإمام مسقط.

الوهابيون

أُعِدَّت هذه المادة من قبل الليوتنانت اي. بي. كيمال ـ المندوب المساعد في الخليج Lieutenant A, B. Kemball

سنة 1795 ـ 1797 يستولي الوهابيون على لحسا (الإحساء) وينهون سلطة عرب بني خالد، يهددون البصرة Bussora ويثيرون مخاوف الحاكم التركي في بغداد الذي يرسل قوة من العرب ضدهم تحت قيادة الشيخ ثويني Sweynee زعيم المنتفق Montafig الذي يُقتل وتفشل الحملة[1].

سنة 1799 تُرسل قوة تركيّة من بغداد ضدّ الوهابيين وتندلع معركة في

---

(1) في عام 1796 وردت أخبار إلى بغداد أن الأمير عبد العزيز آل سعود استولى على منطقة الإحساء التي تتاخم العراق من الناحية الجنوبية، واحتل القطيف والعقير حتى وصل ساحل الخليج وأشيع عنه أنه عند احتلاله تلك المنطقة قتل نحو مائتين من العلماء. يبدو أن والي بغداد سليمان باشا كان يومذاك قد أنهكته الشيخوخة واضطر الوالي في عام 1797 أن يكلف ثويني شيخ المنتفق ـ بعد أن صالحه واسترضاه ـ بالمسير إلى حرب الوهابيين وأمر أن يلتحق به حملة البنادق في جند البصرة وهم (البلوج) مع خمس قطع من المدافع. وسار ثويني نحو الإحساء مع جمع من عشائر المنتفق وعقيل والضفير وبني خالد وغيرهم. ولكن عند وصوله مع قواته إلى عين الشبيك هجم عليه في خيمته عبد زنجي اسمه (طعيس) فأغمد حربته في صدره وهو يهتف «الله أكبر». لم يكد ينتشر خبر موت ثويني في جموع القبائل التي كانت معه حتى شاع فيها الذعر وتفرقت شذر مذر، وانتهز الوهابيون الفرصة فانثالوا عليها يقتلون وينهبون فغنموا المدافع الخمسة والقنابل كما غنموا شيئاً كثيراً من الإبل والغنم والزاد (علي الوردي ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ـ ج1 ص200 ـ 201 ط3 الوراق لندن 2007) ـ [ماجد شبر].

المساء، عندما يستجيب عبد العزيز، قائد الوهابيين لعروض السلم لدى سماعه بموت والده زعيم الوهابيين. ويخلف عبد العزيز والده.

سنة 1800 يترسّخ النفوذ الوهابي عبر الساحل بأكمله من نهر البصرة Bussora إلى دبا Dibbah وهي الحدود بين الإقليمين المسقطي والقواسم.

سنة 1802 يهاجم الوهابيون كربلاء وينهبونها ويذبح العديد من السكان بوحشية (تمّ ذلك في الحادي عشر من نيسان)[1].

سنة 1803 يستولي الوهابيون على مكة، ويحتلون الطائف ويحولون تلك المنطقة الخصبة إلى صحراء لا حياة فيها ويحاصرون جدة ويحولونها إلى مدينة منكوبة. ويبيعها إمامها لقاء لك وأربعين ألف دولار. بات الوهابيون يمتلكون تقريباً الساحل البحري برمته على الحدود الغربيّة من جزيرة العرب.

في تشرين الثاني سنة 1803 يُقتل الحاكم الوهابي عبد العزيز (عندما كان على وشك أن يغزو عمّان) في عاصمته الدرعيّة Deriah، أثناء أدائه صلاة المغرب في أحد المساجد على يد أحد المتعصبين الدينيين، والذي يقتل بدوره على الفور من قبل أصحاب عبد العزيز. يخلف سعود والده حاكماً وهابياً[2].

سنة 1806 يكتسح سعود الميدان بحوالي 50000 رجل، ينهب الدوفي Dufeeh ومن ثمّ قبيلة العنزة ويستأنف غاراته ويهاجم مشهد[3] علي Meshid Ali

---

(1) كانت واقعة كربلاء قد حدثت في يوم 22 نيسان 1802 الموافق لـ 18 ذي الحجة لسنة 1216هـ. وهذا اليوم معروف من أعياد الشيعة ويسمى عيد الغدير، وقد دخل الوهابيون بلدة كربلاء يومذاك على حين غرة وهم شاهرون سيوفهم يذبحون كل من يلقونهم في طريقهم ولم يستثنوا منهم الشيوخ والنساء والأطفال (ستيفن همسلي لونكريك - أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص 215 ترجمة جعفر الخياط بغداد 1965) - [ماجد شبر].

(2) كان يقيم في بغداد شخص أفغاني الأصل اسمه (ملا عثمان) قيل إنه نذر نفسه للدفاع عن الإسلام وعزم أن يقتل رئيس الوهابيين وقيل في رواية أخرى إنه من أهل كربلاء وإنه كان فيها أثناء غزو الوهابيين لها وشهد بأم عينه كيف ذبحوا زوجته وأطفاله فأقسم على الانتقام (علي الوردي - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج 1 ص 221) [ماجد شبر].

(3) يطلق على مدينة النجف الأشرف اسم مشهد علي حيث مرقد الإمام علي بن أبي طالب [شبَّر].

وبعد ذلك يأتي إلى صميخة Semowka والذي يُصدّ عنهما. ثمّ يتابع حملته باتّجاه الزبير على بعد عدّة أميال من البصرة Bussora والتي تمنعه عوائقها المحليّة من أن يقوم بأيّ محاولة، والتي رغم ذلك تقع في رعب شديد.

سنة 1808 تتوطد سيطرة الوهابيين على نحو كامل في عُمان.

سنة 1811 ـ 1812 يتم الاستيلاء على جدّة ومكة من دون مقاومة من قبل الحشود التركيّة لمحمد علي باشا بالإضافة إلى الطائف وبهذا يتم سحق سلطة الوهابيين في ذلك الجزء من جزيرة العرب.

سنة 1814 ـ يموت سعود في العاشر من نيسان ويخلفه عبد الله أكبر أبنائه.

1817 ـ إبراهيم باشا يهزم الوهابيين في مناوية Manwiah على بعد سبع محطات من الدرعيّة Deriah وبعد نجاحه في هزيمتهم يحاصر المدينة ويضعفها في العاشر من أيلول ويدمّر الدفاعات والبلدة ومزارع أشجار النخيل ويطرد السكان إلى لحسا (الإحساء) Lahsa ويعزم على توطيد حجر الأساس لحكومته.

يتم أسر عبد الله بن سعود، ويرسل به إلى مصر، ومن ثمّ تستسلم القطيف وهي الميناء البحري الرئيس للوهابيين إلى الحشود التركيّة.

سنة 1824 يجمع الشيخ تركي بن عبد الله بن سعود قوة لا بأس بها ويزحف باتجاه المقاطعات التركيّة باتجاه الغرب. لكن قوات أحمد باشا تصدّه. وسرعان ما يبدأ محاولة أخرى يفلح فيها.

في آذار سنة 1830 تتفوّق قوات الوهابيين على بني خالد وتهاجمهم بصعوبة بقيادة تركي بن سعود وابنه فيصل، وينحدر بنو خالد على نحو كامل وتقع عائلاتهم وخيامهم وأمتعتهم وإبلهم وقطيعهم غنائم في أيدي العدو.

سنة 1830 يحتل الوهابيون لحسا (الإحساء) Lahsa من دون مقاومة. وتستسلم القطيف أيضاً. وبهذا يطرد شيوخ بني خالد من مناطق نفوذهم المورثة لهم.

يوافق تركي على دفع جزية سنوية صغيرة إلى محمد Mohamed علي باشا ويستمر في دفعها، ويقبل هذا الأخير بهذه الصفقة.

يرسّخ تركي سلطته في الدرعيّة ويحكم بحكمة وتبصّر واعتدال.

سنة 1831 يقدّم الإمام فروض الولاء والطاعة إلى فيصل ويعده بدفع الجزية بهدف الترويج لوجهات نظره فيما يتّصل بالبحرين. وبغية إبطال مخططات الإمام يتمّ إقناع زعماء البحرين بتبني نهجاً شبيهاً، وبهذا تحوّل كامل ساحل جزيرة العرب من رأس الهود Ras-oo-Hud إلى الكويت باستثناء أبو ظبي، تبعيّة للوهابيين.

يعلن الحاكم الوهابي لحاكم بومباي عن طريق الشيخ راشد بن حمد شيخ عجمان، عن رغبته في الحفاظ على أواصر الصداقة والود ذاتها كما كان الحال في الماضي بين الحكومة البريطانيّة وجده سعود. يصله رد ودي لكنه لم يخرج عن إطار العموميات عبر المندوب في الخليج.

سنة 1832 ـ 1833 يتمرّد مشاري وهو قريب الحاكم الوهابي، تركي بن سعود، ضدّ سلطة هذا الأخير وينضمّ إلى قبائل العمايرة وبني خالد التي رفضت الاعتراف بسلطته(1).

---

(1) يقول فلبي في كتابه تاريخ نجد، إن الأمير تركي قد عيّن ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن حاكماً على منفوحة وأرسله على رأس حملة ضد بني خالد ويبدو أن هذا التعيين كان عذراً لإبعاد مشاري عن منصبه في منفوحة. وقد أبلغ الأمير تركي بأن مشاري قد غادر الرياض مع أتباعه للقيام بثورة عليه، غير أن تركي لم يأبه للأمر ولم يتخوف بل سرح معظم قواته وعتادهم إلى مناطقهم / فتوجه مشاري إلى قبيلة مطير فلم يلبِّ شيخ مطير طلبه واتصل بسكان القصيم ينشد المساعدة لكنه لم يحصل عليها ثم اتصل بشريف مكة فلم يلبِّ طلبه، عندها عاد إلى الرياض وطلب الصفح من ابن عمه الأمير تركي وقد منحه بيتاً في الرياض. قرر مشاري اغتيال الأمير تركي بعد صلاة الجمعة. وقد قتل أتباع مشاري الأمير تركي ونصب مشاري حاكماً للرياض، ولكن ابن تركي الأمير فيصل هجم على الرياض وقتل مشاري واستتب الحكم إليه. فلبي ـ تاريخ نجد (ماجد شبر).

تستمر العداوات بين الوهابيين والبحرين التي يحاصر قائدها قطيف Kateef وسهات Sohat وعجير (عقير) Ajeer.

سنة 1833 يترسّخ نفوذ الحاكم الوهابي عبر الساحل. ويبدأ بفرض جزية لكنه لم يتسامح مع الإجراءات غير القانونيّة، وعارض تجديد أعمال القرصنة وذلك خلافاً لتوقعات القواسم الذين هلّلوا لإعادة ترسيخ سلطته.

جرت المطالب التي تتّصل بالتعويض الذي فرض على الزعيم القاسمي على نحو مباشر، من قبل الحكومة البريطانيّة، بسبب أعمال القرصنة التي قام بها رعاياه، الوكيل الوهابي في عمان عبد العزيز الذي وجّه رسالة شديدة اللهجة إلى المعتمد البريطاني المحلي في الشارقة (الشارجة) يطالب سيده بوصفه حاكم البلد والذي تمّ الإقرار بسلطته من قبل الجميع أو ممثليه، بحقّ البت في جميع القضايا المتّصلة بالعرب الذين يعملون بالملاحة التجاريّة.

سنة 1834 أدّت حالة الضيق والقلق التي خلقها الحصار على مينائه البحري بالوهابيين إلى طلب العون من القواسم ضدّ البحرين.

إنّ استخدام القواسم (الجواسم) للموارد البحريّة والمناقشات التي بدأها الوكيل الوهابي عبد العزيز في عام 1833 توقّف وتمّ التخلي عنه إثر الموت العنيف لتركي بن سعود على يد ابن شقيقه مشاري. تعود القبائل البحرية إلى مواقعها السابقة. يقتل فيصل بن تركي مشاري وعشرين رجلاً آخر بحد السيف، ويخلّف والده حاكماً وهابياً.

سنة 1835 يعهد باشا مكة، والقطيف والمنطقة المحيطة بها لعبد الله بن مشاري لقاء عشرين أو أربعة وعشرين ألف ريال. يشرع عبد الله بن مشاري Musharee في عمله، لكنه يخلي المكان على وجه السرعة لدى وصول حشود أرسلها الحاكم الوهابي الذي يؤكّد حقه في المكان وعزمه على الاحتفاظ به. كان من المفترض أن تهدف خطة أحمد باشا من خلال ذلك لتوريط فيصل في

عمليات باتجاه الشمال الشرقي، بينما كان محمد Mohamed علي باشا يواصل غزواته في الربع الخالي من شبه جزيرة العرب.

سنة 1836 يدعى الأمير فيصل من قبل نائب الحاكم المصري للقاء قادته إبراهيم أو حسين باشا ويعرض تعاونه ضدّ قبائل عسير Aseer التي أفلحت في مقاومة تقدمهم. تُجمع قوة مصريّة مهولة في المدينة. اعتذر فيصل عن ذلك، لكنه أرسل شقيقه إلى مصر بهدية.

يسر الأمير فيصل لدى سماعه باقتراحات إحلال السلام من جانب زعيم البحرين.

سنة 1837 خالد[1] يثير مطالبه، بتأييد من قوة عسكريّة مصريّة في أن يكون الحاكم الوهابي. فيصل يقدّم فروض الولاء للمصريين ولكن بعد فوات الأوان.

في آذار سنة 1837 يستولي خالد على القصيم Gusseem والرياض Riaz ويهزم فيصل في معركة عنيفة وجهاً لوجه قرب الرياض Riaz.

في كانون الأول سنة 1837 يسلّم فيصل نفسه بعد أن يحاصر في الدلم Dillum[2] ويُرسل به أسيراً إلى مصر.

يكشف القائد المصري عن نواياه الحقيقيّة بوصفه مؤيداً لخالد، ويعلن نجداً أملاكاً تابعة لسيده ويؤكد عزمه على تصعيد وتوسيع غزواته.

سنة 1839 ينضم سعود بن مطلق Syud bin Mootluk والنائب السابق

---

(1) هو خالد بن عبد الله شقيق مشاري بن عبد الله بن سعود وقد كان منفياً وقد وصل خالد هذا إلى ينبع وكان بصحبة إسماعيل آغا القائد التركي للحملة التي قدر عددها بألفي مقاتل (فلبي تاريخ نجد - ص 272) [ماجد شبر].

(2) هي عاصمة ومركز إدارة منطقة الخرج بجنوب نجد وتقع على بعد خمسين ميلاً إلى جنوب شرق الرياض وخمسة وثلاثين ميلاً شرق وشمال شرقي مدينة الحوطة وكانت الدلم محاطة بسور. [ماجد شبَّر]

للأمير تركي في البريمي Brymee، والذي يقصيه ابنه وخليفته فيصل، إلى القائد المصري الذي يرسله إلى رأس الخيمة لإقناع الزعماء في ساحل عُمان على الاعتراف بسلطة محمد Mohamed علي باشا. ظاهرياً كان الاعتراف بسلطة أداته خالد.

يدعو القائد القاسمي في البداية قبيلة بني نعيم Naeem التي وضعت يدها على بريمي Brymee مؤخراً إلى تسليمها إلى النجديين. لكنهم يرفضون دعوته على نحو نبيل، ويطلبون العون من زعماء بني ياس وصحار Sohar للقاء العدو المشترك الذي يرسل مئتي رجل تحت قيادة شقيقه قيس Ghes لتعزيز حامية بريمي Brymee.

يبدأ المندوب وبهدف جعل القبائل العربية تطمئنّ، وكبح وإبطال Counteract النفوذ المتزايد للمصريين، وباحتجاج جدي ضدّ إجراءات ومؤامرات خورشيد باشا، بما أنه على تعارض مباشر للتطمينات التي قطعها سموّه محمد علي لحكومة جلالتها البريطانية ويدعو العديد من زعماء الملاحة في عمان على المصادقة على عزمهم تحسين علاقاتهم مع الحكومة البريطانية على نحو جاد، كي يصمدوا من خلال رغباتها وتعليماتها ويقاوموا حتى آخر نفس جميع مساعي خورشيد باشا في إخضاعهم.

يتخلّى سعود بن مطلقٍ Syud bin Mootlek وبعد احتجاجات متكرّرة، عن عمان في النهاية، ويتّجه إلى الشارقة (الشارجة) ويتابع طريقه إلى عجير (عقير) Ajeer. وفي طريقه إلى هناك يهبط على جزيرة كين Kenn على الساحل الفارسي، ويأخذ عنوة قطيعاً يتألّف من أربعمئة خروف، وممتلكات أخرى.

يُبلغ شيخ قطيف أنّ أية حملة ضدّ عمان أو المناطق التابعة للإمام ستواجه بكتيبة بريطانيّة في الخليج.

يُقتل محمد أفندي وهو ضابط مصري صاحب رتبة رفيعة على أيدي بعضِ العرب في ضواحي لحسا (الإحساء) Lahsa.

تصل (سفينة) غونشا Ghooncha إلى القطيف من الحديدة في البحر الأحمر مع ذخائر ومستودعات أسلحة، بغية استخدامها من قبل القوات المصرية في نجد.

سنة 1840 تنشأ صراعات ونزاعات بين الوكلاء المصريين. تُستثار غيرة النائب المصري ضدّ قائده خورشيد. تبدأ القبائل الساخطة خصوصاً قبائل عجمان بتمرّد سرعان ما يكبر. تنقطع الاتصالات بين الموانىء المختلفة على نحو خطير، وتحتاج الإمدادات للقوى المصريّة إلى حماية كبيرة. سعود Syud بن مطلق يصبح محط ريبة، ويرسل به إلى الرياض Riaz تحت أعين الرقيب. تؤتي اعتراضات الحكومة البريطانيّة أكلها.

أيار سنة 1840 القوات المصريّة تخلي نجد. آخر ما فعله خورشيد هو قتل برغش Burgeish زعيم قبيلة علي الحمد Ali Humeed بوصفه ثأراً لذكرى محمد أفندي Mohamed نائبه. وتبدأ المؤامرات لتجريد خالد الطامح من سلطته التي استولى عليها.

1841 يعلن الباب العالي السلطة على نجد، وبعد أن يتلقّى الهدايا من خالد[1]، يتمّ تعيينه والياً على الإقليم.

خالد يهدّد، بالرغم من حاجته الشديدة للقوة، في إرسال قوة إلى عمان. يرسل أحد الضباط لخدمته في معسكره في لحسا (الإحساء) Lahsa مع معلومات شفهية ومكتوبة تشير إلى عدم موافقة الحكومة البريطانيّة على شأن هذا الإجراء. ينكر أيّ عزم له بالقيام بذلك.

في أيلول سنة 1841 يثور عبد الله بن ثنيان Sooneyan بن محمد Mohamed وهو الشقيق الأصغر لسعود، والد خالد الذي لجأ إلى الكويت، ضدّ خالد ويستولي على زومة Zoomah وليا Lyah ومنفوحة Munfoohad ويهدّد

(1) خالد بن عبد الله بن سعود (ماجد شبّر).

الرياض Riaz يُهزم في مناوشات أمام ذلك المكان، لكنه يفلح في الاستيلاء عليها بالخدعة. يهرع خالد [بن عبد الله بن سعود] إلى لحسا (الإحساء) Lahsa لكن تلك المدينة كانت تناصر قضية خصمه وتقدّم ولاءها له، يجبر على اللجوء إلى مبارك Moobaruk ابن زعيم البحرين في الدمام ومن هناك ينطلق إلى الكويت، ومن ثم إلى القصيم Gusseem حيث افترض بأنه بات له أتباع خُلّص. بعد ذلك يجرّب محاولة تخفق، بالأحرى يقوم بخدعة، كي يستعيد موقعه الذي فقده.

في نيسان 1842 يعترف بعبد الله بن ثنيان Sooneyan حاكماً وهابياً.

يوجّه عبد الله بن ثنيان Sooneyan رسائل إلى زعماء عمان، ملمحاً إلى عزمه على إرسال سعود Syud بن مطلق Mootluk كنائب له إليهم، ويدعوهم بكل حرارة للاتحاد معه وتقديم كل مساعدة وعون ممكنين له، وبناء على ذلك يخاطبه ممثّل السلطة البريطانيّة مستنكراً محاولاته الراهنة لإعادتهم من جديد تحت المظلّة الوهابيّة. أمّا هو، وفي جواب له، يعلن عن نيته في التعاون مع الحكومة لضبط ومنع أعمال القرصنة وهذا ما أعلنه إلى سكان عمان والذين دعاهم برعاياه. على العموم كان الزعماء العرب ميالين إلى إحياء النفوذ الوهابي.

في نيسان وحتى حزيران سنة 1842 يطلق سراح الأمير فيصل ويعود إلى نجد. يفلح في زحفه على الرياض يفرض حصاراً على ذلك المكان الذي لجأ إليه عبد الله بن ثنيان Sooneyan الذي يُجبر بعد وقت قصير على الاستسلام من غير شروط.

في تموز سنة 1842 يلمح الأمير فيصل كعادته إلى شيوخ عمان بنيته في إرسال نائبه إليهم قريباً.

في تشرين الثاني سنة 1842 يخاطب زعماء بريمي Brymee المندوب ويعبّرون له عن ثقتهم بجديّة الحاكم الوهابي، ويطلبون عون ومساعدة الحكومة

البريطانيّة لصدّ الغزاة. تمثلت إجابة الحكومة البريطانيّة بأنّ ليس هناك من أسباب مقنعة الآن تبرّر التدخّل. في هذا الوقت بالذات يستهل الأمير فيصل مراسلاته مع المندوب برسالة يعبّر فيها عن رغبته في تجديد العلاقات الودّية كانت موجودة مسبقاً بين والده تركي والحكومة البريطانيّة، وهي عواطف بالطبع استجابت على نحو ملائم لأهداف الحكومة البريطانيّة في هذا المكان بما أنّ تلك الأهداف كانت واضحة في الوقت ذاته.

في كانون الأول سنة 1842 يقوم الأمير بوساطة للمصالحة بين زعماء البحرين المتنافسين، لكنه يفشل.

في آذار سنة 1844 يتبنّى الأمير فيصل قضية الزعيم الأصغر محمد Mohamed بن خليفة ورفاقه ويمدّه بعون تمثّل في قوة بريّة ضدّ الدمام التي كانت تحاصرهم بحراً. تسقط الدمام، ويستولي عليها فيصل الذي يحتفظ بحامية هناك، انحيازاً لبشير Bushire بن أرحمة (رحمة) Rahmah أحد رفاقه والذي تعتبر الدمام إرثاً له.

الفصل السابع

عجمان

HISTORICAL SKETCH

OF

THE TRIBE OF EJMAN,

FROM THE YEAR 1820 TO 1841,

PREPARED BY

LIEUTENANT A. B. KEMBALL;

WITH CONTINUTION

FROM THE LATTER PERIOD TO THE YEAR 1853,

BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE;

SUCCESSIVE ASSISTANTS TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة تاريخية عن القبيلة الحاكمة في عجمان(*)

من عام 1820 إلى عام 1841

أعدّها الملازم إي. بي كيمبال

مع تتمة من الفترة الأخيرة إلى عام 1853

أعدّها الملازم إتش. إف. ديسبرو

وهم الذين تلاحقوا على منصب معاون المندوب في الخليج

(*) ترجم هذه المقالات الأستاذ صخر الحاج حسين وتشمل من صفحة 441 ـ 448 من هذا الكتاب.

عجمان

من إعداد الملازم اي بي كيمبال Lieutenant A. B. Kemball

في يوم المعاهدة العامة لقمع القرصنة في هذا الخليج، التي أرساها السير ويليام غرانت كير في عام 1820، بدا بأن ميناء عجمان قد عُدّ تبعية لشيخ الشارقة (الشارجة)، بعد أن تمّ تضمينه في معاهدة مع ذلك الزعيم من أجل تسليم الأبراج والسلاح والناقلات لأماكن بعينها كنّا قد ذكرناها في ذلك المكان.

بعد ذلك بوقت قصير، وفي بداية عام 1823 وجه راشد بن حمد زعيم عجمان رسالة إلى المندوب، يحتجّ فيها على الاعتداءات التي قام بها الشيخ سلطان بن صقر ضده، وأعلن أنه لن يخضع لسلطته. جرت محاولة من جانب الشيخ سلطان بن صقر لحثّ المندوب أثناء زيارة له إلى الشارقة (الشارجة) في العام ذاته، بسيادته من خلال إظهاره وثيقة وقّعها عدد من شيوخ الجوار، وفيها يعترفون بتبعيتهم له، وبأنهم يسمحون له باقتراح يقول باعتماد مرجعية وسلطة قضائية. ومن جهة أخرى، تسبب احتجاج على قرصنة ارتكبت ضد قاربين من دبي على يد أحد رعايا راشد بن حمد في عام 1827 وجّه إلى الشيخ سلطان بن صقر، في سجنه مع اثنين من أتباعه، من دون أن يُثار أي اعتراض يتّصل بمسؤوليته أو حقّه في التدّخل.

التقط شيخ عجمان إحياء القوة الوهّابية على يد تركي بن سعود في عام 1827 على أنها مناسبة لحبك المكائد والمؤامرات من جديد، وبحسب اتصالات مع الوكيل الحكومي في الشارقة (الشارجة) بدا أنه سعى إلى إقناع

الزعيم الوهابي لمدّه بالقوات بغية تمكينه من التخلّي عن اعتماده على الشيخ سلطان بن صقر، أو حتى أن يحلّ محله في تفوّقه بين القبائل القاسمية .وفي رد لتركي بن سعود، أفيد بأنه أبلغه بأن الأمر سيكون على جانب كبير من النفع إذا استمرّ الشيخ سلطان بن صقر بسيادته التي كانت له سابقاً، وبأنه كان من المتوقع بأن راشد بن حمد سيحط من قدر نفسه بحسب ذلك أمام هذا الزعيم. وأضاف بما أن البحر كان تحت سيادة الحكومة البريطانية، فليس له من سلطان على ذلك.

وبالإشارة إلى ذلك اللقاء تحدّث الشيخ راشد في رسالة إلى المندوب بتاريخ 1831 عن وجهات النظر المسالمة لتركي بن سعود بمصطلحات المديح وأخذ ضمانات لبذل الجهود بغية ترسيخ تفاهمات بين الحكومة البريطانية والزعيم الوهابي الذي جلب منه رسالة وجّهت إلى حاكم بومباي.

رغم ذلك، لم يتم الوثوق به، فقد حامت شكوك قليلة بأن نواياه الحقيقية كانت تهدف إلى إثارة المواقف العدائية والقلاقل وللحصول على تصديق لتجديد نظام الاعتداءات والقرصنة السابق.

سنة 1838

توفي الشيخ راشد بن حمد وخلفه في السلطة على عجمان ابنه حمد.

تمكّن الشيخ عبد العزيز الشقيق الأكبر للشيخ حمد بن راشد (وهو الزعيم المعترف به) مع عبيده من دخول حصن عجمان في عام 1841، يدعمه جلّ مواطنيه على نحو سري، لم يمارس الشيخ سلطان بن صقر، رغم أنه كان والد زوجة حمد، أي تدخّل بل تعامل مع المسألة على أنها شأن عائلي.

رغم ذلك، رأى الشيخ عبد العزيز، بعد أن خشي من التحضيرات التي كان شقيقه المخلوع يجريها بغية إنشاء حصن آخر في الجوار، أنه من الصواب أن يعيده إلى سلطته السابقة، إلى أن تسنح فرصة أفضل لتحقيق مأربه. ومنذ ذلك الحين نجح في إزاحته، وبات الآن حاكم عجمان المعترف به.

تتمة لمحة تاريخية عن القبيلة الحاكمة في عجمان لغاية عام 1953

أعدّها الملازم إتش. إف. ديسبرو BY LIEUTENANT H. F. DISBROWE

بعد أن استعرضنا تاريخ القبيلة في تتمة اللمحات التاريخية التي كتبها الكابتن كيمبال، فإن الحدث الجدير بالذكر هو أن تصادماً وقع في أيلول من عام 1844 بين قاربين في ضفاف اللؤلؤ، يتبع أحدهما الشارقة (الشارجة)، أما الآخر فهو لعجمان. في هذا الحادث عُدّ القواسم (الجواسم) معتدين.

دعونا نقتطف ما قاله الوكيل البريطاني بالحرف: «رسى عيسى بن جاسم وهو أحد سكان الشارقة (الشارجة)، مع عدد من قوارب صيد اللؤلؤ التي تخص الشارقة (الشارجة) بين قوارب تعود للقبائل الأخرى. وبالمصادفة كان ثمة بوغارا لشخص اسمه سيف وهو مواطن من عجمان يشترك في الصيد قرب المكان الذي كان فيه عيسى بن جاسم ذاك، عندما وقع سوء فهم بينهما فيما يتّصل بحبال مراسيهما. في البداية كان لا بد من الحديث الغاضب وتبادل الاتهامات، لكن سرعان ما أطلق عيسى بن جاسم من مسدسه على بوغارا عجمان، ومن ثم غرز رمحاً في جسد أحد بحارته وضرب ثلاثة آخرين على رؤوسهم بقضيب معدني بعد أن صعد إلى متن قاربهم.

«لم يلجأ أهل عجمان إلى السلاح، بل رموا بأنفسهم إلى البحر، وسرعان ما التقطهم صيادو قبيلتهم، وعادوا بهم في القوارب إلى الديار».

عندما وصلت هذه الحكاية إلى مسامع المندوب، وكان قد رفعها إليه

الوكيل البريطاني، كتب إلى الشيخ عبد العزيز يسأله إن كان يرغب أن يتمّ حل المسألة حسب الشريعة الإسلامية، أو أنه يفضّل أن تتعامل معها السلطات البريطانية على أنها انتهاك للهدنة البحرية.

ترك رد شيخ عجمان المسألة بين يدي المندوب، وسرعان ما طولب الشيخ سلطان بن صقر بالتعويض على شكل 200 دولار مبلغ أجبر عيسى بن جاسم على دفعه، كتعويض عن العجمانيين الجرحى.

أرسلت ناقلات حربية إلى رأس الخيمة والشارقة (الشارجة) تدعيماً للمطالب، وجرت اتصالات مع زعيم القواسم (الجواسم)، مطلعينه على الغرض من زيارتهم. لم يظهر الشيخ سلطان أي تردد في الاستجابة للمطالب التي ساقوها ضده، على العكس أسرع في إصدار أمر بتجهيز المبلغ، وبهذا سُوّيت المسألة سلمياً. (حدث هذا في كانون الأول من عام 1844).

وفي أثناء ذلك الوقت، وقعت حادثة عكست أكبر قدر من المصداقية في شخصية زعيم القبيلة ذاك.

انطلقت ناقلتان بعد أن حملتا كمية من الأرز من لنجة في الخامس من كانون الأول من عام 1844 إلى الشارقة (الشارجة)، لكنهما وقعتا بين براثن عاصفة وبالتالي لم تتمكنا من إيجاد منفذ، وجاهدتا إلى الدخول إلى منطقة تؤدي إلى ميناء عجمان.

غرقت إحداهما أثناء محاولتها الخروج، بينما أفلحت الأخرى في الوصول إلى المرفأ الداخلي بعد أن تخلّصت من 100 مورا moras من حمولتها.

بعد أن وصلت أخبار الناقلتين إلى مسامع الشيخ عبد العزيز، أسرع إلى الشاطىء، يصحبه شقيقه، استلّ كلاهما سيفه وأقسما بيمين غليظة بأنهما سيقطعان إرباً أول من يتجرأ على الاقتراب من القارب، أو أن يضع يديه على الأرز. بعد وقت، جاء أصحاب الناقلتين إلى عجمان حيث مكثا ستة أيام، وجففوا الأرز الغارق، غادروا إلى الشارقة (الشارجة) من دون أن يخسروا أي شيء من ممتلكاتهم.

مميز كان سلوك الشيخ عبد العزيز، وبعيد عن روح الأذية المعتادة التي كان يظهرها الزعماء الآخرون في شأن هذه الحالات، حتى أن الحكومة البريطانية ارتأت أنه من الصواب الإشادة بسلوكه وخصّته بشكر عميق. فقد طُلب من الميجور هينيل أن يعلن لشيخ عجمان مدى تقدير الحكومة البريطانية لجهوده التي بذلها في هذه القضية.

في بداية العام التالي 1846 دخل عبد العزيز في حلف مع زعماء دبي وأم القيوين بغية مقاومة وصد الهجمات المشتركة لأعدائهم الشيخ سلطان بن صقر، الزعيم القاسمي (الجاسمي)، والشيخ سعيد بن طحنون زعيم بني ياس. لكنه لم يكن ليستحق كلمة حليف، ذلك أنه استبدل ما تبقّى فيه من ولاء وثبات للقضية التي كان يناصرها، والتي كانت مصلحته تقتضي أن يتشبث بها بالمراوغة.

نجده في مناسبة أخرى يهجر جانب الشيخ مكتوم زعيم دبي، ويقرّ بتبعيته للشيخ سلطان بن صقر لمجرد ـ كما أشيع عنه ـ، أن يمكنه هذا الأخير من أن ينطلق إلى صيد اللؤلؤ.

ومن جديد، يخبرنا الميجور هينيل، بعد ثلاثة شهور من السنة عينها أن «زعماء دبي وعجمان وأم القيوين، رفعوا احتجاجاتهم عالياً ضد الإجراءات الاستفزازية للزعيم القاسمي (الجاسمي) التي تمثّلت في منع التواصل ما بين أتباعهم، وأخيراً، وفي رسالة من الميجور هينيل تحمل تاريخ الخامس عشر من كانون الأول من عام 1846 نقرأ: «أن شيخ عجمان وجد نفسه وقد مارس مشايعو الزعيم القاسمي (الجاسمي) ضغوطاً في كلا جانبي الميناء، ما أجبره على الانسحاب من حلفه مع زعيمي أم القيوين ودبي، ووضع نفسه تحت حماية عدوه السابق الشيخ سلطان بن صقر». ومن هذا يتبيّن أنه تكيف تماماً مع الظروف السائدة آنذاك، ولم يتردد في التصريح لهذا الجانب أو ذاك، بحسب ما كان يأتي عليه بالفائدة والمصلحة.

ليس هناك ما يجدر ذكره حتى صيف عام 1848 إلى أن دخل كل من زعيم دبي والزعيم القاسمي، بعد أن استشعرا الخطر الذي يهدد سلامة ممتلكاتهما، في حلف حميم ولصيق، واقترحا على شيخي عجمان وأم القيوين الانضمام إليهما ضد حاكم بني ياس، وذلك بعد أن خضعت حصون البريمي إلى بسالة زعيمي أبو ظبي وصحار المتحالفين. رغم ذلك رفض شيخا عجمان وأم القيوين الدعوة، وبالتالي المشاركة في مكائد الزعيم القاسمي وزميله زعيم دبي.

في شهر أيلول من عام 1848 برز صراع خطير وجدي بين العجمانيين والحمريين.

دام النزاع شهوراً ستة بين أهالي المنطقتين. ورغم أن النزاع كان قد هجع لوقت مرّ ومضى، فقد تفجر من جديد وبدأت الأعمال العدائية إلى سابق عهدها لكن في هذه المرة عادت أشدّ ضراوة. إن الظروف التي لازمت تجدد النزاع يمكن أن نوردها كما يلي:

في الثامن عشر من أيلول، وبعد أن توفي سيف بن عبد الله، انتخب مواطنيه، عبد الله بن الصطيف Suteef، وهو أحد أعيانهم. سواء أثار هذا الخطأ استياء الشيخ عبد العزيز، أو أنه ظن بأن اللحظة المؤاتية للّجوء إلى العنف قد أزفت، بقي طي المجهول. رغم ذلك، أيّاً كان الدافع الذي حفزه، فقد انطلق بقوة لا يقلّ عددها عن أربعمئة شخص من أتباعه بغية تأديب شعب الحميرية. كما رافقه في الحملة أيضاً شقيقه حمد بن راشد. وضع نصف رجاله على ضفاف الخور، وبالنصف الآخر انطلق إلى الحميرة مباشرة، حيث كان أهلوها متحفزين لملاقاته، فقد تركوا عدداً ضئيلاً من القوات للدفاع على البلدة، وبمجموعة تتألف من مئة وعشرين رجلاً، أسرعوا للقاء الغزاة. واشتبك الطرفان فيما بينهم، ورغم التفوّق العددي للعجمانيين، فقد أظهر الحميريون انتصارهم سريعاً. بعد أن أدرك العجمانيون أنهم حرموا من القائد بعد سقوط زعيمهم عبد العزيز، والجراح التي تعرّض لها شقيقه حمد بن راشد جرح هو الآخر، سيطر الذعر عليهم، وهربوا من ميدان المعركة لا يلوون على شيء.

لكن الحميريين لم يكتفوا بطردهم بل تبعوهم حتى مشارف عجمان وبالتحديد إلى أسوارها، حيث وبعد أن قتلوا وجرحوا العدد الكبير منهم انسحبوا إلى الحميرة. تلك كانت نتيجة الصراع. وفيما يتّصل بالخسائر، فبالإضافة إلى زعيمهم قتل للعجمانيين ستة وعشرون رجلاً وجُرِحَ عشرون. ومن جانب الحميريين، قتل زعيمهم وخمسة آخرين على الفور، وأكثر من اثنين وعشرين hors de combat.

انتخب حمد بن راشد زعيماً لعجمان، وابن سيف بن عبد الله زعيماً للحميرة.

استمرّ العداء لحقبة من الزمن، ولم يسمح أي من الزعيمين لرعاياه البدء بموسم صيد اللؤلؤ الذي كان قد بدأ، إلى أن ذهب عبد الله بن راشد زعيم أم القيوين بدعوة من زعيم الحميرة، إلى عجمان وأرسى السلام فيما بين الأطراف المتنازعة.

لم يمض على وجود حمد بن راشد سوى شهرين في زعامة قبيلته حتى ناصر قضية الوهابي المهزوم وانضم إلى حلف ضد الشيخ سعود في البريمي ما هو الدور، إن كان هناك من دور، الذي لعبه في المناوشات التي نشبت مع زعيم بني ياس، الذي بقي مجهولاً، حتى أن الأحداث اللاحقة لم تأت على ذكر ذلك. لكننا استنتجنا ببساطة ومن رسالة وجهت إلى الميجور هنيل في الثامن من كانون الأول من عام 1848، بأنه انطلق في الرابع من الشهر عينه مع النجديين والقواسم (والجواسم) وبو فلاسة للهجوم على من كان يسيطر على البريمي.

أرسي سلام شامل في شباط من عام 1849، وبالطبع تضمن في بنوده إشراك حمد بن راشد. في ربيع عام 1850 وعندما ذهب الزعيم القاسمي (الجاسمي) مع حلفائه إلى صحار وساحل باطنة، بغية مدّ يد العون لسعود قيس، لطرد الشيخ سعود، والتنافس مع سعود ثويني، انطلق الشيخ حمد بن راشد إلى زيت لينضم إلى الشيخ سلطان مع مجموعة تقدر بمئتي رجل.

لم يعد هناك من مسألة يجدر ذكرها، فيما يتّصل بهذه القبيلة، سوى أن نشير وعلى نحو عابر إلى معاهدة السلام الدائم في البحر التي دخلها زعماء البحر والملاحة في الساحل العربي، والتي أبدى الشيخ حمد بن راشد أيما استعداد للقبول بشروطها حيث وقع عليها في شهر أيار من عام 1853.

التاريخ الداخلي لإمارة عجمان[1]

إن التاريخ الداخلي لإمارة عجمان فيه بعض النقاط الجديرة بالإشارة السريعة.

كان شيخ هذه الإمارة في سنة 1820 هو راشد بن حمد الذي مات في سنة 1838 وخلفه ابنه حمد بن راشد.

حكم حمد بن راشد المرة الأولى 1838 ـ 1841:

وفي أيار سنة 1841 عزل الشيخ حمد بن راشد ـ الذي كان قد تزوج مؤخراً بابنة الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة (الشارجة) ـ على يدي شقيقه عبد العزيز بن راشد، واستطاع هذا الرجل أن يتسلل إلى القلعة خلسة مع عدد من أنصاره وعبيده، تدعمه رغبة المواطنين، واستطاع أن يحافظ على مكانته زمناً. وكان شيخ الشارقة (الشارجة) يرى أن هذا الأمر ليس أكثر من نزاع عائلي، فلم يحاول التدخل فيه، ولكن حين عرف أن حمداً يقترح إقامة قلعة أخرى له في الإقليم نفسه تراجع عبد العزيز، وتنازل لأخيه.

حكم عبد العزيز بن راشد 1841 ـ 1848:

لكن هذا التنازل الزائف لم يدم طويلاً، وسرعان ما ظهر عبد العزيز مرة أخرى بمظهر الشيخ الأصلي، وقد أشرنا في مكان آخر إلى مسلكه الطيب في

---

(1) هذا الفصل هو من القسم التاريخي لدليل الخليج الجزء الثاني من ص1179 ـ 1180، تأليف ج. ج. لوريمر ويشمل من ص449 ـ 450 من هذا الكتاب.

سنة 1845 فيما يتعلّق بحادثة كانت تهدد السلم في البحار، لكنه كان ـ فيما يتعلق بالأمور والمسائل القبلية ـ عاجزاً عن الحسم، وعاملاً من عوامل الاضطراب، وفي سنة 1846 انفصل عن شيوخ دبي وأم القيوين، وكان من قبل حليفاً لهم في نضالهم للاستقلال ضد شيوخ الشارقة (الشارجة) وأبو ظبي. وفي أيلول 1848 ـ وعلى نحو ما هو مذكور في التاريخ العام لعمان المتصالحة ـ لقي عبد العزيز مصرعه في قتال ضد أهل الحمرية.

حكم حميد بن راشد للمرة الثانية 1873 ـ 1848:

وخلف عبد العزيز أخاه حميد الذي كان قد عزله في البداية، وقد جرح هو أيضاً في القتال ضد أهل حمرية، ومات حميد قبل سنة 1873.

حكم راشد بن حميد 1873 ـ 1891:

وحكم ابنه راشد بن حمد عجمان في سنة 1873 وظلّ كذلك حتى نيسان سنة 1891 حين مات ليخلفه ابنه حمد بن راشد.

حكم حمد بن راشد 1891 ـ 1900:

وحكم حمد بن راشد من سنة 1891 حتى 8 تموز سنة 1900، وفي هذا اليوم قتله عمه عبد العزيز بن حمد الذي تولّى المشيخة بعده. ولم يأسف على مقتله أحد، لأنه كان مقصياً لأبناء عائلته دائماً، إلى جانب أنه فشل في أن يجعل لهم مخصصات من دخل الإمارة، وفي الحقيقة لقد ابتهج الجميع لمصرعه.

حكم عبد العزيز بن حمد 1900:

وأكّد عبد العزيز مباشرة حمايته للرعايا البريطانيين المقيمين في عجمان، ولم يصحب انقلابه هذا أو يتبعه أي اضطرابات عامة، وكتب الشيخ الجديد بالتالي للمقيم السياسي يطلب اعتراف الحكومة البريطانية به شيخاً لعجمان ولكن تقرر الاكتفاء بالاعتراف الشفوي به دون حاجة لاعتراف كتابي. وكان عبد العزيز صديقاً شخصياً حميماً لشيخ الشارقة (الشارجة).

الفصل الثامن

أم القيوين

HISTORICAL SKETCH

CONNECTED WITH

THE TRIBE OF AMULGAVINE;

BY

LIEUTENANT H. F. DISBROWE,

ASSISTANT TO THE RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

Submitted to Government on the 19th August 1854.

لمحة تاريخية(*)

فيما يتصل بقبيلة أم القيوين

أعدّها الملازم إتش. إف. ديسبرو

مساعد المندوب في الخليج

قدمت إلى الحكومة في التاسع عشر من آب في عام 1854

(*) ترجم هذه المقالة الأستاذ صخر الحاج حسين ويشمل من ص459 إلى 460 من هذا الكتاب.

لمحة تاريخية عن أم القيوين

أعداد الملازم إتش. إف ـ ديسبرو Lieutenant H. F. Disbrowe

إن أول ما يجدر ذكره فيما يتّصل بهذه القبيلة هو إعادة مدّ جسور الصداقة بين زعيمها الشيخ عبد الله بن راشد والشيخ سلطان بن صقر، زعيم القواسم (الجواسم).

أجبرت رياح معاكسة الشيخ سلطان بن صقر، في تشرين الأول من عام 1844 على اللجوء إلى ميناء أم القيوين، بالرغم من الصراعات الدموية التي كانت قائمة بين قبائل القواسم وقبائل أم القيوين. ذهب الشيخ سلطان بناء على دعوة ملحة من الشيخ عبد الله بن راشد، إلى الشاطىء، وهناك قوبل بحفاوة بالغة. حلّ الشيخ سلطان ضيفاً على شيخ أم القيوين ليوم وليلة عندما غادر المكان وانطلق في طريقه إلى رأس الخيمة، بعد أن أعرب عن مشاعر الودّ والوفاء لمضيفه.

في شهر تشرين الأول من عام 1845 عبّر شيخ أم القيوين عن وقوفه إلى جانب الزعيم القاسمي في وقت كان فيه هذا الأخير يدرس إمكانية الاستيلاء على حصن زيت الواقع بجوار عجمان، وعندما كان جميع زعماء البحر، باستثناء شيخ أم القيوين، قد نظموا صفوفهم للوقوف ضده وقرّروا مواجهة مخططاته بكل السبل التي يملكون. ليس هناك من ضرورة للدخول في تفاصيل هذه القضية، فقد استرسلنا في ذلك لدى حديثنا عن القبيلة الوهابية، التي يقترن موضوعنا هذا بتاريخها على نحو أكثر خصوصية.

سنة 1846

وفي وقت مبكر من السنة التالية (1846) بعد أن وجد الشيخ عبد الله بن راشد، الشيخ سلطان بن صقر عازماً على إجباره على التخلّي عن استقلاله، ويعلن ولاءه له، دخل عبد الله بن راشد في حلف وثيق مع الشيخ مكتوم بن بطيّ بغية مواجهة المخططات الطموحة للقواسم (للجواسم).

سرّ الشيخ مكتوم بانتظامه مع آراء الشيخ عبد الله بن راشد، وبالفعل فقد كان هو من اقترح اندماجاً، ذلك أنه ألفى بناء مدعماً في طريقه إلى التشييد على باب مناطقه (في أبو هيل على بعد أميال ثلاثة من دبي)، هذا البناء إذا ما اكتمل وزوّد بالرجال لسوف يهدد الأمان في دبي نفسها. لم يكن يسمح لهذه الأبراج أن تُبنى، فقد اتفق زعماء البحر مع الشيخ مكتوم على عدم تشييد هذا البناء، والذي يقع على مدى طلقة واحدة عن أطراف عاصمته، واجتمع جميع الزعماء لمعارضة هذا الأمر، ولم يكن يتسنى للشيخ سلطان بن صقر أن يقف ولو للحظة واحدة لو لم يفلح في أن يكسب زعيم بني ياس إلى جانبه، ويقصي تأثيرات ومشاعر زعيم عجمان.

بقي كل من شيخي دبي وأم القيوين في اتحاد لصيق. وقال الأول منهما إنه لن يخشى شيئاً من جانب البحر طالما كانت الهدنة البحرية قائمة، كما أعلن عن لامبالاته حيال أية محاولات يقومون بها من البر. وتحمل الشيخ عبد الله بن راشد جانباً هاماً وتصرف بنبل وشرف أثناء الأعمال العدائية، فهو من أمر فرقة من رجاله عندما هاجمته قوات من الشارقة (الشارجة)، وبعد قتال مرير طردهم وجعلهم لا يلوون على شيء من دون قائدهم الذي ذبح في الميدان، والذي لم يكن سوى ابن الشيخ القوي سلطان، كما أنه هو من كان يعمل في تناغم وانسجام مع الشيخ مكتوم بن بطيّ، وخلافاً للشيخ عبد العزيز صاحب المواقف المتأرجحة، تارة مع زعيم دبي وتارة أخرى ضده والذي لم يكن للشيخ عبد الله بن راشد أن يخذله، بل كان يتعاون معه في كل مناسبة وبقي في حال من التناغم حتى ربيع عام 1847، عندما دخل في معاهدة

السلام مع الشيخ سلطان والشيخ مكتوم. «رغم ذلك كان مدركاً لمشاعر العداء المريرة التي كان ينظر بها إليه الشيخ سلطان، الذي لم يحصد سوى الخراب والدمار، سواء في سلطته أو في سمعته منذ أن بدأ إجراءاته العدوانية، ولم يكن الشيخ عبد الله بن راشد ليسمح لأي اتفاق أجوف أن يوحي له بطمأنينة مزيفة» التي كانت قد أرسيت في ذلك الوقت.

لم تقع أحداث هامة حتى بداية عام 1848 عندما بدأت الأعمال العدوانية بين زعيم بني ياس والوكيل الوهابي، حيث مال جميع زعماء البحر إلى جانب الوكيل الوهابي خلا الشيخ عبد الله بن راشد. لقد بدا بأنه كان يفضل جانب الشيخ سعيد بن طحنون، فقد كان ينظر بعين الرضى إلى نجاحات الشيخ سعود الباهرة، بالقدر نفسه من الاستياء الذي كان ينظر به إلى الحلف القاسمي الهادف إلى إعادة ترسيخ التفوّق الوهابي في مقاطعة عمان. وحسب علمنا، لم يشارك على نحو فاعل في هذا النزاع، ورغم الدعوات الملحّة والمطالب من جانب القواسم (الجواسم) التي تدعوه لسلوك عدواني ضد الشيخ سعيد بن طحنون، فقد استطاع الحفاظ على حياد صارم في هذا الصراع. رغم ذلك وفي عام 1850 عندما بدأ الزعيم القاسمي وحلفاؤه سلسلة من الأعمال العدائية ضد سلطات مسقط، أعلن عبد الله بن راشد للشيخ سلطان بن صقر بأنه سيرسل على الأقل فرقة صغيرة من فرسان يمتطون ظهور الجمال لتنضم إلى القوة القاسمية (الجاسمية) في زيت وعندها لن يقال بأنه بقي على الحياد. وكالعادة عبّر الشيخ سلطان عن امتنانه للعون الذي حصل عليه. إذ لم يضع وقتاً في الاستيلاء على بساتين النخيل وأملاك أخرى تخص أم القيوين التي تقع في جوار شناص. إحتج عبد الله بن راشد، لكن من دون جدوى، فما أُخذ أُخذ، وامتنع سكان أم القيوين عن الذهاب إلى ضفاف اللؤلؤ خشية أن تتعرّض عاصمتهم للهجوم.

ليس هناك ما يجدر ذكره حتى جاءت نهاية عام 1852 عندما دخل عبد الله بن راشد في حلف دفاعي هجومي مع شيوخ أبو ظبي ودبي.

كان الشيخان المذكوران غارقين في المفاوضات يعود السبب في ذلك إلى المؤامرات التي كان يحيكها الشيخ سلطان بن صقر، الذي عزم على دعم مطالب أبناء الراحل الشيخ مكتوم بن بطيّ بزعامة دبي، ليحلّوا محل الشيخ سعيد بن بطيّ، عندما وصل علي بن عبد الله بن راشد إلى أبو ظبي، وعقد الزعماء الثلاثة اتفاقاً كنا قد أشرنا إليه سابقاً.

بقي أن نذكر أنه وفي شهر آذار من عام 1853 انطلق عبد الله بن راشد إلى البريمي لينتظر عبد الله بن فيصل بغية لقاء المندوب وأثناء طلبه السماح للعودة إلى ميناء كان قد حصل على بعض الضغط الذي فرض على تصرفاته. وفي شهر أيار وعندما تمّت تسوية المشكلات بين مسقط والوهابيين، مضى إلى الشارقة (الشارجة)، وبعد زيارته للكابتن كيمبال على متن السفينة الحربية «كليف» التابعة للأونورابل كومباني، وقع على معاهدة سلام دائمة دخلها زعماء البحر في الرابع من أيار من عام 1853 على الساحل العربي من أجل التوقّف عن الأعمال العدائية في البحر.

التاريخ الداخلي لإمارة أم القيوين[1]

أما إمارة أم القيوين ـ فبرغم أنها لعبت دوراً على جانب من الأهمية بين الإمارات الصغيرة على الساحل المتصالح ـ إلا أننا لا نجد فيها ما يمكن تسميته بالتاريخ الداخلي. وربما كان بعض السبب في ذلك طول المدّة التي قضتها الأسرة الحاكمة، وهي تنتمي لقبيلة آل علي فقد حكم منها ثلاثة آباء وابنان أم القيوين قرابة قرن بأكمله.

حكم أحمد بن راشد قبل 1820 حتى 1853:

ولا بد أن أول هؤلاء، عبد الله بن راشد، قد تولّى حكمها قبل سنة 1820 لأنه قام في هذه السنة بتوقيع معاهدة السلم العامة عن أم القيوين، وفي سنة 1853 كان لا زال على قيد الحياة لأنه قبل ـ باسم أم القيوين ـ التوقيع على معاهدة السلم الدائمة التي وقعت في هذه السنة، ولسنا نعرف على وجه اليقين تاريخ موته.

حكم أحمد بن عبد الله قبل 1873 حتى 1904:

وفي سنة 1873 كان يحكم أم القيوين ابنه أحمد بن عبد الله الذي خلف أخاه الأكبر المدعو علي، وتزوج أحمد بشقيقة الشيخ عبد العزيز حاكم عجمان، وكان شقيقه الأكبر راشد هو حاكم رأس الخيمة، لكنه طلقها في سنة

---

(1) هذا الفصل هو من القسم التاريخي لدليل الخليج الجزء الثاني ص1178 ـ 1179، تأليف ح. ح. لوريمر ويشمل من ص459 ـ 460 من هذا الكتاب.

1882. ومات الشيخ أحمد في 13 حزيران سنة 1904 في سن متقدمة، بالشلل على ما يبدو، وكانت صحته معتلّة قبلها بزمن طويل، وكان هذا هو السبب الذي حال بينه وبين الاشتراك بنفسه في المؤتمر الذي عقد بالشارقة (بالشارجة) في تشرين الثاني سنة 1903.

الفصل التاسع

قطر وخور حسان

SKETCH OF THE PROCEEDINGS

(FROM 1809 TO 1818)

RAHMAH BIN JAUBIR,

CHIEF OF KHOR HASSAN;

REPARED BY

MR. FRANCIS WARDEN,

MEMBER OF COUNCIL AT BOMBAY:

WITH

CONTINUATION TO THE PERIOD OF THAT CHIEFTS DEATH, IN 1826;

AND ALSO A

BRIEF SKETCH OF THE PROCEEDINGS

(DOWN TO THE YEAR 1831)

OF

SHAIKH BUSHEER BIN RAHMAH,

SON AND SUCCESSOR OF THE ABOVE CHIEF;

BY

LIEUTENANT S. HENNELL,

ASSISTANT RESIDENT IN THE PERSIAN GULF.

لمحة عن الأحداث من عام 1809 إلى عام 1818(*)

أرحمة (رحمة) بن جابر زعيم خور حسان

أعدّها السيد فرنسيس واردن

عضو مجلس بومباي مع تتمة حتى وفاة الزعيم في عام 1826

لمحة موجزة عن الأحداث التي تتصل بالشيخ بشير بن أرحمة (رحمة)

وخليفة الزعيم أرحمة (رحمة) بن جابر حتى عام 1831

أعدّها الملازم إس. هينيل

المندوب المساعد في الخليج

(*) ترجم هذه المقالات صخر الحاج حسين ويشمل من الصفحة 465 ـ 475 من هذا الكتاب.

خور حسان

إعداد فرنسين واردن Mr. Francis Warden

يقع خور حسان على الساحل العربي، ويحكمه جابر من قبيلة الجلاهمة التابعة للعتوب. زوّدتنا اللمحة التي تحدّثنا فيها عن العتوب بمعلومات عن هذا الفرع من القبيلة الذي كان يعمل في الملاحة حتى تغلبهم على البحرين.

ترك أبناء جابر الأربعة والذين لم يرضيهم الفتات الذي حصلوا عليه، الجزيرة. أما جابر فقد استمرّ هو وقبيلته في نمط الحياة ذاته الذي عاش فيه الأسلاف.

بعد موت والدهم، أقام الأشقاء الأربعة في بوشهر وجارك (تشارك) لبعض الوقت، ليعودوا بعد ذلك إلى خور حسان ويكرّسوا أنفسهم لأعمال القرصنة التي كان فيها لأرحمة (لرحمة) السطوة والقيادة. لجأ عبد الله وهو الشقيق الأكبر إلى مسقط وطلب حماية الإمام، ملتمساً تدخله وعونه بغية تمكينه من استعادة السيطرة على خور حسان من أخيه، وهذا ما لم يفلح فيه، إذ مات في مسقط.

لم تهاجم القوات التي انطلقت ضد القراصنة في عام 1809 خور حسان، ذلك أنه بالرغم من وحشية شخصية أرحمة (رحمة) بن جابر، الشقيق الذي بقي على قيد الحياة والمخاوف المضمرة من استمراره في القرصنة، فقد كان دائم الاحترام للبريطانيين ورايتهم. **ثمة دافع آخر جعله يتجنّب الهجوم تمثل في أنه دخل في علاقة وثيقة مع السلطة الوهابية التي كانت السياسة**

البريطانية حريصة بألا تُخدش. لقد مارس زعيم خور حسان أعمال قرصنة لنفسه، وبشكل رئيس ضد الفرس، انتقاماً من الأضرار التي لحقت به في بوشهر.

بعد الهجوم على رأس الخيمة، التقى أرحمة (رحمة) بن جابر الذي انضمّت إليه بعض قوارب القراصنة التي هربت من الموانىء الوسطى الواقعة بين رأس الخيمة وخور حسان، بأسطول كبير من القوارب المحملة التابعة للبحرين والزبارة، أسر منها ثمانية عشر مركباً. كما استولى على سفينة وعدد من الدوات (سفن) Dows وناقلة صغيرة تابعة لمسقط وبوشهر وكنغون وخلا بعض الاستثناءات قتل جميع طواقمها. وشاعت مخاوف أنه إن لم تتخذ إجراءات تحدّ من قوّته المتنامية، فإن الخليج برمّته سيبتلى من جديد بالنهب والسلب، حالما تنسحب طراداتنا من مواقعها.

نزل أرحمة (رحمة) بن جابر إلى البحر من جديد في أيار من عام 1811 في حملة بحرية، يصحبه أسطول من القوارب التابعة لقبيلة القواسم (الجواسم) تدعى عجمان تسكن الساحل إلى الشمال من رأس الخيمة والتي هربت من دون أن تعاني من أي أذى من جرّاء الحملة الأخيرة.

جرت معركة ضروس بين أسطول أرحمة (رحمة) وعتوب البحرين، وفيها انتصر العتوب.

حدثت بعض أعمال الاستيلاء في الخليج، وأرسلت الاحتجاجات إلى الزعيم الوهابي وزعماء رأس الخيمة وخور حسان، وفي رسالة مفصلة، مؤرخة في السابع والعشرين من شهر تشرين الأول، شرح أرحمة (رحمة) بن جابر الظروف التي رافقت الاستيلاء على بغلة (سفينة) من ميناء البصرة تخصّ شركة الهند الشرقية وعلى متنه جياده، وأكّد عدم معرفته بذلك، لكنه وحالما علم بأنها كانت من الأملاك البريطانية، أشرك قواربه لنقلهم إلى بومباي حيث وصلوا بسلام.

وفي السادس عشر من تشرين الأول من عام 1816، أفاد السيد بروس أن أرحمة (رحمة) بن جابر زعيم القراصنة الشهير، مع كل قواربه، وقبيلته والتي تضم خمسمئة عائلة وصلوا إلى بوشهر، واستقبلهم هناك الشيخ محمد، حاكمها، وخصّص لهم حياً من البلدة ليقيموا فيه، شريطة أن يبقوا على علاقات ودّية مع أصدقائه، وعلى علاقات عداء مع أعدائه، بما أنه يملك بغلتين (سفينتين) ضخمتين جداً، وبتيل كبير وعدد من البوغارات الصغيرة. أعلن أرحمة (رحمة) بن جابر بأنه ينوي ترك حياة العنف، واستخدام مراكبه في المجالات التجارية طالما هو في بوشهر. ظن السيد بروس بأن أرحمة (رحمة) سيعيش في سلام مع معظم الموانىء في الخليج كما هي الحال مع حكومة بوشهر.

انتابت الإمام هواجس وقلق لمرافقته أرحمة (رحمة) بن جابر إلى مسقط، وقدم له أي من موانئه ليمكث فيه، لكن هزيمته الأخيرة قد أظهرت الكثير من الحاجة لنفاد البصيرة والحكمة التي كان قد فقد الكثير منها في تقييم القبائل العربية، لذا فقد كان أرحمة (رحمة) خائفاً من أن يمكّن نفسه من قوّته (سلطته). لم يكن ليترك مستقره، لو كان بإمكانه أن يتجنّب ذلك، لكن الزعيم الوهابي عبد الله بن سعود الذي كان شديد الغضب منه لأنه اشترك مع إمام مسقط، حتى أنه أمر بأن يتم الاستيلاء على أملاكه وأسرته لتجلب إلى درعة، ولم يتمكّن من استعادتها من خور حسان إلّا بشق النفس.

بعد وصول أرحمة (رحمة) بن جابر إلى بوشهر، زار المندوب، وجدّد إعلانه بالصداقة اتجاه الحكومة البريطانية، وطلب من المندوب أن يقول بأنه سيكون سعيداً بالالتزام بأي رغبات تصدر عن الحكومة يمكن أن تكبح أعمال السلب والنهب التي يقوم بها القواسم (الجواسم).

بعد أن أبلغ السيد بروس أرحمة (رحمة) بن جابر بالنوايا الطيبة للحكومة البريطانية، شعر هذا الأخير بالإطراء الشديد، فقد عاد لتوّه من رحلة بحرية ناجحة إلى الجنوب من البحرين ضد المراكب القاسمية (الجاسمية) التي

كانت تتردد على الجزيرة من أجل التزوّد بالتمور والأرز. لقاء ما تحمله سفن سراة. اعترض اثني عشر مركباً محمّلة بالمؤونة كانت تنطلق إلى رأس الخيمة، أغرق أربعاً منها، بعد أن استولى على حمولتها وحطم أربعة قوارب أخرى لحاجته إلى الرجال، وجلب ما تبقّى منها معه إلى بوشهر. عقد العزم على التوجّه، بعد أن أنزل الحمولة التي جلبها إلى ذلك المكان من جديد باتجاه الجنوب، بغية الإبحار بين موانىء القراصنة والبحرين.

في عام 1818 انطلق أرحمة (رحمة) بن جابر إلى القطيف وأنزل بعضاً من مدافعه ومكّنها في الأرض بالاتفاق مع إبراهيم باشا، وشرع يعيد بناء حصنه القديم في الدمام الذي كان الوهابيون قد دمروه في تموز من عام من 1816 والذي نوى أن ينتقل إليه من بوشهر مع عائلته وأتباعه بعد أن ينتهي.

تكملة عن لمحة تاريخية عن خور حسان حتى عام 1831

أعدّها الملازم إس. هينيل LIENTENANT S. HENNELL

اختتمت اللمحات التي كتبها السيد واردن في عام 1818، من خلال الإعلان أن أرحمة (رحمة) بن جابر بدأ إعادة بناء حصنه في الدمام الذي كان قد دمّره العتوب في عام 1816.

من الحقبة المذكورة أعلاه لا يأتي ما كتب عن مقرّ بوشهر على ذكر هذا الشخص سيئ الصيت حتى شهر تموز من عام 1819 عندما أُفيد بأنه كان في القطيف في وقت نزل فيه الكابتن سادلير في مهمة لإبراهيم باشا، وبأنه قدم كل مساعدة ممكنة لذلك الضابط، موجّهاً الطراد فيستال إلى الميناء.

في كانون الثاني من عام 1820 أعلن المندوب في بوشهر لأرحمة (لرحمة) بن جابر بأنه لم يسمح لناقلات هذا الأخير بمغادرة القطيف للإبحار ضد سكان البحرين ما لم ينسق مع ولاية معتمدة ومخولة في حرب نظامية، وبأنه إن لم يلتزم ستعاقبه الحكومة البريطانية. في الشهر التالي جاء أرحمة (رحمة) إلى بوشهر مع ثلاث ناقلات بغية الاشتراك والتعاون في حملة موجّهة ضد البحرين من قبل أمير شيراز. كانت الأوامر قد صدرت في ذلك الوقت من قبل السير دوبليو. جي. كير من أجل تدمير جميع الناقلات التابعة لهذا الزعيم، لكن وبما أنه كان في أثناء ذلك الوقت عند وصي عرش بلاد فارس، فقد عُدّ أنه من الصواب تعليق الهجوم على ناقلاته إلى أن يحين وقت مناسب.

أبحر أرحمة (رحمة) إلى ثاري Tharee في العاشر من شباط للانضمام إلى أمير شيراز صاحب السمو الملكي لكن وفي طريقه إلى هناك، تحطمت البغلة (السفينة) الضخمة التي كان على متنها في فيرديستان شوال Verdistan Shoal ونجا هو ومن كان معه بصعوبة بالغة.

في الثالث عشر من نيسان جاء أرحمة (رحمة) بن جابر إلى بوشهر ولدى انتظاره المندوب، طُلب منه أن يصبح عضواً في المعاهدة العامة، وهذا ما رفضه بذريعة أنه يعمل لدى الحكومة الفارسية. أكّد شيخ بوشهر كلامه هذا، وبما أن هذا الأخير عُدّ مسؤولاً عن أعمال أرحمة (رحمة) بن جابر مستقبلاً، فقد قُبلت الذريعة.

رغم هذه الوعود كان أرحمة (رحمة) لا يزال يواصل اعتداءاته على تجارة البحرين وفي موسم صيد اللؤلؤ في عام 1821 أسر سبعة مراكب تخصّ تلك الجزيرة، وقتل عشرين رجلاً، ما حثّ شيوخ العتوب على اللجوء إلى الحكومة البريطانية.

بعد ذلك دُفع المندوب في بوشهر لتقديم احتجاج إلى بلاط شيراز ضد تلك الأعمال، ونتيجة ذلك أمرت الحكومة الفارسية شيخ بوشهر أن يزوره لتبرير سلوكه، ويحتجز ابنه وعائلته كرهائن ضماناً لسلوكه في المستقبل، لكن وبما أن أرحمة (رحمة) كان قد غادر بوشهر في أثناء ذلك الوقت، ووضع نفسه تحت حماية الإمام، فلم يكن من تأثير للأمر الذي أصدرته الحكومة الفارسية.

في بداية عام 1822 انتظر هذا الزعيم والشيخ عبد الله بن أحمد من البحرين، الوكيل السياسي التنفيذي في قشم (كشم)، بغية تسوية خلافاتهما، لكن العقل والمنطق غاب عن كلا الطرفين في مطالبهما ما جعل المساعي تفشل كلياً، وانطلق الشيخ أرحمة (رحمة) بن جابر إلى مسقط ليعرض قضيته أمام الإمام. وفي شهر تشرين الثاني من عام 1822 عاد أرحمة (رحمة) بن جابر إلى بوشهر، وفي الوقت ذاته، تلقى اتصالاً من سموّ الإمام، يعلن فيه أنه

لا يمكن الوثوق بكلمته كثيراً، حتى أنه قرر بأنه لم يعد هناك ما يفعله معه، وبالتالي لن يكون مسؤولاً عن أفعاله.

بدا بأن تحريك القوات البريطانية من قشم (كشم) أسعد هذه الشخصية القلقة، كما أُفيد بأنه عبّر على نحو علني عن سعادته كون المجال قد بات متاحاً لمعاودة نمط حياته السابق المتمثل في الاعتداءات. في هذا الوقت، وبالرغم من تقدمه في السن ومن فقدانه لبصره، كان لا يزال يحافظ على نزعة من عنف تتأصل فيه بالإضافة إلى كراهية مزمنة حيال زعيم العتوب، غادر بوشهر، بغية إرضاء نفسه ومواصلة اعتداءاته على البحرين، واتّخذ الدمام مقراً له.

في شباط من عام 1824 أفلح المندوب في بوشهر في إرساء مصالحة بين العتوب والشيخ أرحمة (رحمة) بن جابر، وتمَّ تبادل بنود وشروط الاتفاقية بين الطرفين، ومن خلالها أقرّ الشيخ أرحمة (رحمة) بسحب حمايته من قبيلة البو سميط ، التي كانت قد لجأت مؤخراً في الدمام آتية من البحرين. وبعد زيارته لمسقط عاد أرحمة (رحمة) إلى الدمام، واهتم في ابتكار مخططات من أجل استعادة جزية كانت قد فُرضت سابقاً على سكان القطيف الذين امتنعوا عن دفعها. وبالرغم من موارده التي كانت تتناقص، وتقدمه في السن، كانت روحه لا تزال متمردة، وفي شهر حزيران من عام 1824، تقدّم بطلب إلى المندوب ليسمح له هذا الأخير بالانتقام من شيخ بوشهر الذي تلقّى أوامر من حكومة شيراز لاحتجاز عائلة ابنه، ومعاملته كمتمرد نتيجة تسوية صراعه مع العتوب. لدى توسط المندوب، سمح لعائلة ابنه أن تعود إلى الدمام. وبدا بأن المصاعب المالية قد خفّت وطأتها في حوالي ذلك الوقت نتيجة الحصار الذي فرضه على القطيف.

في بداية عام 1825 انطلق الشيخ أرحمة (رحمة) إلى مسقط وطلب إذناً بمد العون للشيخ طحنون في حربه مع الزعيم القاسمي (الجاسمي) وحصل عليه.

في نهاية عام 1825 بدأ أرحمة (رحمة) بن جابر سلسلة من الهجمات على تجارة القطيف، بغية إجبارهم على دفع الجزية التي كان يفرضها عليهم في السابق (كانت تُعد تلك الجزية نوعاً من ابتزاز لحماية ناقلاتهم من نهبه هو)، متجاهلاً احتجاجات ممثل السلطة البريطانية. في نهاية الأمر، عُدّ من الضروري وضع طرادين قرب الدمام بغية حماية التجار الآمنين في الجوار من اعتداءات أرحمة (رحمة)، وفي الوقت ذاته، تمَّ إبلاغه في حال لم يكف عن تلك الأعمال، فإنه سيجبر على ذلك بالقوة. بدا بأن رفضه الإصغاء إلى هذه الاحتجاجات نتج عن إيمانه بقوة الوهابيين المتزايدة، ونزوعهم إلى دعمه في كل إجراء يقوم به بغية إحياء نظام السلب والنهب السابق، وعلى وجه أكثر تحديداً تلك الإجراءات التي يمكن أن تسبب الأذى لأعدائه القدامى شيوخ لحسا (الإحساء) والقطيف (محمد وماجد العريعر زعماء قبيلة ابن خالد). رغم ذلك، قررت الحكومة البريطانية فيما بعد، أنه وطالما كانت الأعمال العدائية التي كان يقوم بها الشيخ أرحمة (رحمة) تقتصر على أهالي قطيف، فلن تتدخل. وفي الوقت ذاته، وفي رد على اتصال أرسله يشرح فيه الإجراءات التي يقوم بها، حثته الحكومة البريطانية على أن يغير من سلوكه.

قبل أن نحرك طراداتنا من الدمام بوقت قصير، ولاحقاً للقرار الذي أشرنا إليه سابقاً، تفجر سوء التفاهم الذي كان يتشكّل منذ زمن طويل بين أرحمة (رحمة) والشيخ عبد الله بن أحمد وتجسّد في أعمال عدائية علنية ضد بعضهم بعضاً، رغم ذلك من دون أن يستمروا في معاركهم المعتادة التي منعتهم منها الناقلات البريطانية.

بالرغم من الطبيعة العدائية للعلاقات القائمة بين شيخ العتوب ورحمة بن جابر، نظر الطرفان إلى سحب سفننا الحربية من جوار الدمام بخوف كبير، ذلك أن أياً منهما لم يكن مهيئاً لأعمال عدائية علنية وفورية. لذلك طلب كلاهما من المندوب البريطاني أن يعلن عن هدنة، لكن وبما أن أرحمة (رحمة) لم يظهر ميلاً للاعتراف باشتراك شعب القطيف بمنافع الترتيب

المقترح، فقد رفض أي تدخل، باستثناء التدخل الذي يمكن أن يؤدّي إلى تهدئة عامة.

في سياق الأعمال المتهورة التي انغمس فيها الشيخ أرحمة (رحمة) من سكان البحرين نتيجة هذه الحرب، تعرض القسم الأكبر من قبيلته للدمار. في حوالي نهاية عام 1826 وبعد أن وجد نفسه يتعرّض لضغوط أعدائه، الذين حاصروا الدمام، انطلق أرحمة (رحمة) إلى بوشهر، مع نية كسب ودّ ممثل السلطة البريطانية، وأيضاً ليجلب مزيداً من العناصر والرجال إلى طاقم بغلة (سفينة) الذي عانى الكثير من الأضرار التي تعود إلى أسباب كنا قد أشرنا إليها سابقاً. وفي لقاء مع المندوب، أظهر هذا العجوز المتفرّد (رغم أنه قارب السبعين من عمره، والذي فقد بصره كلياً، والذي غطّته الجروح) ذات الروح المتعالية التي لا تقهر والتي كانت تميّزه على نحو دائم وتعبّر عن وحشية واحتقار ضد أعدائه العتوب. بعد أن فشل في مخططه في حثّ المندوب على التدخل لصالحه انطلق من بوشهر مع تعزيزات من خمسة وعشرين أو ثلاثين من البلوش Beloochees وانطلق إلى الدمام، حيث أمر ناقلته بإطلاق قذيفة كتحية ـ وهي علامة احتقار أقلقت زعماء البحرين، حتى أن أحمد بن سليمان، وهو ابن شقيق الشيخ الحاكم، تطوع لمهاجمته في بغلة (سفينة) الخاصة به. وبما أن عرضه قُبل، وضع بغلة (سفينة) بالقرب من ناقلة الشيخ رحمة وحدثت معركة ضروس، كان صراع حياة أو موت عانى من كان على متن بغلة العتوب من نيران العدو الكثيفة التي وجهت إليهم على نحو مباشر، حتى أنه انحرف تحت الضغوط كي يجدد طاقمه الذي أنهكته الناقلات البحرينية الأخرى التي كانت في الجوار. بعد أن حصل على تعزيزات وبعد رفضه مساعدة بقية الأسطول، تقدم الشيخ أحمد من جديد إلى مواقع الهجوم، ضعيفاً كما كان في النزال الأخير. سرعان ما وجد أرحمة (رحمة) بأنه لم يكن في وضع يمكنه الاستمرار في الصراع، وبأنه وفي وقت قصير سوف يقصف وهو على متن قاربه ما لم يستسلم، وهو خيار كان لزاماً، بالأخذ بالحسبان الحرب الدموية الشرسة التي دامت طويلاً ضد البحرين. بعد أن أصدر أوامره لناقلته أن تشتبك

مع العدو، أخذ ابنه الأصغر (ولد جميل في الثامنة من عمره) بين ذراعيه، وأمسك بعود ثقاب مشتعل، وأمر مرافقيه أن يأخذوه إلى مخزن الذخيرة. رغم أنه كان يعرف شخصية زعيمهم العازفة، وبالطبع كان يدرك الدمار المحتم الذي كان يتربّص بهم، فقد تمّت إطاعة أوامره على الفور، وفي غضون ثوانٍ قليلة، كان البحر قد غطي بالأخشاب المبعثرة للناقلة التي تفجّرت، والبقايا البائسة لأرحمة (رحمة) بن جابر وأتباعه الخلّص. أضرم الانفجار النار بغلة (سفينة) العدو، والذي سرعان ما انفجرت، لكن ليس قبل أن يتم إنقاذ آمرها وطاقمها من مصيرهم الذي كاد أن يودي بحياتهم عبر قوارب أخرى من الأسطول. وهكذا أنهى أرحمة (رحمة) بن جابر، ولسنوات عديدة كوارث ورعب اقترن بهذا الجزء من العالم، وقد باركت موته أصقاع الخليج جميعها. وكما كان ضارياً وعازماً في جميع حالاته، فإن المشهد الختامي لوجوده أظهر الروح القوية ذاتها التي لا تقهر والتي ميّزته طوال حياته.

أجبر الشيخ بشير بن أرحمة (رحمة) ابن الشخص المذكور أعلاه، والذي انقطع عنه أي عون، والذي استهلك كل مؤونته، على أن يسلم الدمام من غير ما شروط. رغم ذلك، فقد أبقى زعيم البحرين على حياته، حتى أنه وهبه حريته. انطلق بعد ذلك إلى مسقط حيث سمح له سموّ الإمام أن يقيم فيها وقدّم له بغلة (سفينة) هدية، بغية تمكينه من الحصول على حياة شريفة من التجارة.

يمكننا أن نذكر كدليل على الروح القلقة والتآمرية لأرحمة (رحمة) بن جابر، أنه وبعد موته بعث الشيخ سلطان بن صقر برسالة إلى ممثل السلطة السياسية والذي قال بأنها وُجّهت إليه، بالإضافة إلى أنها وُجهت إلى الزعماء العرب الآخرين، من قبل الشيخ الراحل (الشيخ أرحمة (رحمة))، قبل أن تنتهي مسيرة حياته. لقد تجسّد فحوى هذا الاتصال في الإعلان بأن الأوامر الحاسمة صدرت من الهند من قبل ملك إنكلترا والتي وجهت السلطات في ذلك البلد بأن تسحب نفسها من أي سيطرة أو مراقبة على العرب، ولذلك فقد

دعاهم (أي الشيخ سلطان) للسماح لرعاياه بأن يتابعوا مهنتهم القديمة والتي تتجسّد في سرقة الآخرين. وليس هناك من داع أن نضيف أن كل شيء كان فبركة من جانب أرحمة (رحمة)، والتي ربما لم نكن لنتنبه إليها إلّا قبل موته.....

ومن هذه الحقبة وحتى عام 1830 استمرّ بشير بن أرحمة (رحمة) في الإقامة في مسقط من دون أي تغيير طرأ.

في عام 1831 سعى سمو الإمام إلى تدبر إعادة ترسيخ نفسه في الدمام عبر نفوذ الزعيم الوهابي، لكن خضوع شيخ العتوب لتركي بن عبد الله السعود والذي جاء في حينه منع هذا الترتيب. رغم ذلك فقد أفلح سموّه في النهاية في الحصول على إذن للشيخ بشير كي يقيم حصناً في دارين (وهو مكان في تاروت Tirhoot) يقع مقابل القطيف، والذي أصبح جزيرة. وإلى هذا المكان كان قد نقل عائلته، وبما أن العديد من أفراد قبيلة أبو سميط انضموا إليه، والذين كانوا لا يزالون خصوماً مريرين للعتوب، فإن هناك جميع الأسباب التي تدعو إلى الخوف من أن إعادة ترسيخ هذه الشخصية لنفسها والتي تخلّت عن المبادىء في هذه الأصقاع سوف تؤدّي في النهاية إلى تجدّد النزاعات والقلاقل التي عطرت صفو الهدوء والسكينة في الخليج في الحقبة الأخيرة من حياة والده.

تاريخ قطر[1][2]

«قطر مقر آل خليفة، وهم قسم من العتوب 1766 ـ 1782»

استقرار العتوب في الزبارة سنة 1766:

يبدأ التاريخ الحديث لقطر باستقرار كل آل خليفة ـ وهم قسم من العتوب على وجه التحديد ـ هاجروا من الكويت واستقروا في الزبارة على الساحل الغربي لهذا الإقليم الممتد في البحر. وقد ذكر أنه حين استقر العتوب في قطر

---

(1) هذا الفصل هو من الجزء الثالث من القسم التاريخي من ص1197 ـ 1252 لدليل الخليج لوريمر. ويشمل من ص467 ـ 536 من هذا الكتاب.

(2) إلى جانب سجلات حكومة الهند، هناك مصادر قليلة فقط تخبر عن تاريخ قطر، وهذه المصادر بدورها تنسيق وتبويب لسجلات حكومة الهند، والمصادر الأساسية لتاريخها القديم هي: «مختارات بومباي». . مجلد 24 سنة 1865، وتلخيص المراسلات التي تتناول شؤون الخليج من سنة 1801 إلى سنة 1853، وكتاب مستر ج .أ. سالدنها (MR. J. A. Saldanha) المطبوع سنة 1906، وعن التاريخ الحديث هناك كتاب مستر ج .أ. سالدنها «مختصر أحوال نجد من 1804 إلى 1904. .»، المطبوع سنة 1904، كذلك «مختصر تاريخ البحرين. .» لنفس المؤلف، و«مختصر تاريخ قطر. .» له أيضاً، وهذان مطبوعان في 1904، ثم هناك التقارير الإدارية السنوية لمقيمية الخليج، وكتاب بالجريف (Palagrave) عن «وسط وشرق الجزيرة» يلقي بعض الضوء على حالة قطر في سنة 1863، والكتاب مطبوع سنة 1865، كما يذكر كتاب لو (Low) عن «تاريخ البحرية الهنديّة. .» سنة 1877 ـ بعض التفاصيل عن عمليات البحرية البريطانيّة التي لا تتيسّر عن مرجع آخر، والاتفاقية الوحيدة المتعلقة بقطر تستطيع أن تجدها في «معاهدات أتشينسون. .» (Aitchison).

سنة 1766 كانت الحويلة هي أكبر مكان على الساحل ويقيم بها آل مسلم الذين يرجع نسبهم إلى بني خالد، لكن الفويرط والدوحة كانتا موجودتين، يحتل الأولى المعاضيد وسواهم من آل بني علي، ويحتل الأخرى لاجئو السلطان من ساحل القراصنة. وقد تبع آل خليفة إلى الزبارة عقب وقت قصير أقرباءهم الجلاهمة وهم فرع آخر من نفس القبيلة، وقد استقبلهم آل خليفة بترحاب وكرم ضيافة في باديء الأمر، ثم لم يلبث أن انفجرت الخلافات، وكان من نتيجتها أن انفصل الجلاهمة ورحلوا إلى قرية الرويس المجاورة وظلوا بها يشتغلون بالقرصنة، لكنهم أبيدوا بعد ذلك عن آخرهم على يدي آل خليفة ومن استعانوا بهم، ويبدو أن من بقي من الجلاهمة بعد هذه الحادثة انتقل من الرويس إلى ميناء خور حسان المجاور[1].

نمو الزبارة يهدّد المصالح الإيرانيّة:

وقد أدّى احتلال إيران للبصرة ـ الذي استمر من سنة 1766 حتى 1779 ـ إلى سرعة نمو الزبارة، فخلال هذه الفترة هاجر إليها عدد من تجار البصرة إلى جانب الهاربين إليها من الكويت الذين استقروا فيها وقتاً من الزمن، وتركزت في الزبارة ـ إلى حدٍ كبير ـ تجارة اللؤلؤ وتجارة شرق الجزيرة مع الهند بشكل عام. . وفي سنة 1779 أرسل إمام عمان سفينة إلى الزبارة في مهمة وديّة. في هذه الظروف أصبحت عملية إخضاع الزبارة هدفاً هاماً من أهداف الحكومة الإيرانيّة، وبتعليمات منها بدأت عدة محاولات قام بأولها شيخ بوشهر في سنة 1777 لكنه فشل. وفي سنة 1780 ـ ونتيجة نفس الأسباب ـ ومحتمل أيضاً أن يكون نتيجة حوادث قرصنة قام بها بعض بني كعب من عربستان ـ نشبت الحرب بين بني كعب وبين العتوب في الزبارة والكويت معاً. وأخيراً في سنة 1782 ـ وربما بتشجيع المشاكل المتزايدة التي تواجه حكام الزند في شيراز ـ غامر العتوب في الزبارة بالقيام بهجوم انتقامي يتمثل في غزو البحرين وقد أحدثوا خسائر كبيرة في مدينة المنامة، ومن هناك حملوا سفينة كانت قادمة من

---

(1) هو المعروف حالياً باسم الخوير.

بوشهر تطلب الجزية السنوية التي تدفعها البحرين لإيران. وهكذا وضّح تماماً الخطر العسكري القائم في الزبارة على وجود إيران في البحرين.

هجوم إيراني فاشل على الزبارة 1782:

وأصدر علي مراد خان حاكم شيراز أوامره مباشرة للشيخ ناصر[1] في بوشهر بأن يعد حملة قوية ضدّ الزبارة مستعيناً بالحكام الصغار في ريق (ريج) وجنابة ودشتستان وسواها من البقاع على الساحل. وأعدت قوة قوامها ألفا رجل لهذا الهدف يقودها محمد ابن شقيق الشيخ ناصر، وحاصر الأسطول الإيراني الزبارة في بادىء الأمر، ثم بدأت مفاوضات نتيجة وساطة راشد بن مطر الشيخ القاسمي (الجاسمي) السابق في رأس الخيمة، لكن أقصى ما رضي العتوب بالتنازل عنه هو أن يعيدوا الأسلاب التي غنموها في البحرين، ورفض هذا العرض من جانبهم. فنزلت القوات الإيرانيّة إلى الأرض وبدأت مهاجمة قلعة، الزبارة، لكنها التقت بقوات برية أضخم ممّا توقعته بكثير، وهزمت القوات الإيرانيّة وتراجعت إلى سفنها متكبدة خسائر جسيمة. وكان ممّن لقي مصرعه في هذه الكارثة الشيخ محمد قائد الحملة، كذلك ابن شقيق الشيخ راشد بن مطر وسواهما من وجهاء هرمز الذين صحبوا الحملة، والتقى الشيخ ناصر شيخ بوشهر بعد ذلك بالشيخ راشد في عسالو على الساحل الإيراني، وحاولا إعداد حملة أخرى لكنهما فشلا.

العتوب يفتحون البحرين، وينقلون مقرّ حكمهم من قطر إليها 1783:

وبعدها بشهر أو شهرين، استسلمت الحامية الإيرانيّة الموجودة في البحرين للعتوب في الزبارة الذين جاء إخوانهم من الكويت لنجدتهم في نفس الوقت. وهكذا أصبحت جزر البحرين تحت سيطرة آل العتوب، وأصبحت هي ـ لا الزبارة ـ مقر شيوخهم. وكان أحمد بن خليفة هو أول شيخ من العتوب يحكم البحرين.

---

(1) هو الذي يسميه العرب «نصور».

الحالة في قطر خلال سيادة أرحمة (رحمة) بن جابر عليها 1783 ـ 1816

استقرار أرحمة (رحمة) في خور حسان سنة 1783 أو بعدها:

اشترك الجلاهمة ـ يقودهم أبناء شيخ منهم يدعى جابر ـ مع بقية آل العتوب في فتح البحرين، لكنهم ظنوا ـ بعد النصر ـ أنهم ظلموا ولم يكافؤوا مكافأة تليق بجهدهم، ويبدو أنهم ارتحلوا لبعض الوقت إلى جزيرة خارج بوشهر، عادوا بعدها إلى قطر واستقروا في خور حسان حيث وقع خلاف على الزعامة بين عبد الله الابن الأكبر لجابر وأرحمة (رحمة) شقيقه الأصغر، وحسم هذا الخلاف أخيراً لصالح أرحمة (رحمة)، وفرّ عبد الله إلى مسقط ـ في وقت ما قبل سنة 1810 ومات فيها قبل أن يطلب عون السيد سعيد ضدّ شقيقه. غير أنّ سيطرة أرحمة (رحمة) على قطر لم تكن أبداً سيطرة كاملة، بل إنها لم تمتد في البداية إلى الزبارة التي تقع إلى جوار مقره مباشرة. وفي سنة 1805 اتصل شيخ من شيوخ العتوب في الزبارة ـ ليس أرحمة (رحمة) بن جابر ـ بشيخ العتوب في الكويت لالتماس عون الإنكليز ضدّ الوهابيين.

غارات بحرية يقوم بها أرحمة (رحمة) 1783 ـ 1809:

وكانت الزبارة في ذلك الوقت قاعدة أكبر من القطيف وأكثر أهمية، وفي 1790 كان التجار الأجانب يلقون فيها الحماية الكاملة، ولم تكن بها أيضاً عوائد جمركية، وكان نصيب عرب قطر في ذلك الوقت من صيد اللؤلؤ ضئيلاً.

وسرعان ما ذاع اسم أرحمة (رحمة) بن جابر كقاطع طريق جسور ومظفر، عانى من إغاراته الإيرانيون وباقي العتوب غير الجلاهمة. وفي سنة 1809 ـ وعقب إرسال الحملة البريطانية الأولى على رأس الخيمة بزمن قصير ـ حاول أسطول إيراني من بوشهر القيام بعمل انتقامي ضده، لكن أرحمة (رحمة) وأعوانه من المشجعين له ومن القواسم (الجواسم) استطاعوا أن يهزموا الحملة.. بل ويستولوا أيضاً على بعض سفنها. وقرب نهاية سنة 1809 تردّد أنّ أرحمة (رحمة) قد استولى على 20 قارباً يملكها العتوب وهي في البحر في طريقها من الكويت إلى مسقط، وقتل في هذه العملية ابن شيخ الكويت عبد الله بن صباح الذي كان مسؤولاً عن حراسة الأسطول الصغير. وانتقاماً لابنه الذي لقي مصرعه هدّد شيخ العتوب في الكويت بشن هجوم بحري على خور حسان.. لكن التهديد لم ينفذ. وكانت غزوات أرحمة (رحمة)، رغم أنّ بعضها كان عمليات قرصنة لا شكّ فيها ـ تتخفى دائماً تحت ستار الحرب المشروعة أمّا بالنسبة لمسلكه تجاه الرعايا والمسؤولين البريطانيين فقد ظلّ سليماً لا غبار عليه حتى في وقت لم يكن فيه البريطانيون يلقون أي احترام من جانب القواسم (الجواسم). بل إنه في إحدى المرات أبدى كثيراً من التحمّل والتقبّل تجاه مضايقات الطراد البريطاني «أوجستا» له وهو على رأس أسطوله في الخليج.

وضع أرحمة (رحمة) السياسي ومعاملته للرعايا البريطانيين:

وفي سنة 1809 دخل أرحمة (رحمة) بن جابر في علاقة وثيقة بالوهابيين وأصبح يحكم بالاشتراك مع مبعوثهم حتى مدينة الزبارة أيضاً. ويبدو أنّ هذه الظروف الأخيرة أدّت إلى تزايد قوته، استطاع بعض شيوخ العتوب الذين طردهم السيد سلطان مسقط من البحرين أن يلجؤوا إلى الزبارة ـ رغم عدائهم لأرحمة (لرحمة) بن جابر ـ وأن يبدأوا منها مفاوضات مع الوهابيين لالتماس عونهم في استعادة البحرين، ونتيجة لتقارب أرحمة (رحمة) تقارباً وثيقاً من الوهابيين ـ وهو تواطؤ كانت الحكومة البريطانيّة تحاول تجنّب

حدوثه قدر الإمكان ـ إلى جانب اتجاه أرحمة (رحمة) ـ الذي لا يمكن لأحد أن يوجّه إليه لوماً أو انتقاداً ـ نحو المصالح البريطانيّة، تقرّر فيما يتعلّق بالحملة البريطانيّة على رأس الخيمة تفادي القيام بأي عمل مباشر ضدّ أرحمة (رحمة) بن جابر قدر الإمكان. وحدث مرة أن تقرّر أن تطلب السلطات البريطانيّة من أي من الأخوين الجلاهمة تجده على حكم خور حسان تعهداً كتابياً بأن ينقطع على الأقل عن تقديم «العون الفعال» لبعض القواسم الذين تردّد أنهم استقروا في خور حسان بعد هربهم من رأس الخيمة، وفي حالة الرفض «سيدمّر خور حسان بما فيه من معدات بحرية وسفن، تدميراً تاماً، ولكن يبدو أنّ هذه الشروط تمّ التنازل عنها في النهاية إذعاناً لرأي القادة البحريين والعسكريين للحملة البريطانيّة إلى جانب رأي جنرال مالكولم. . الذي كان آنذاك سفير بريطانيا في طهران. وقد حاول مستر ن .هـ. سميث (MR. N. H. Smith) المقيم السياسي في بوشهر إرسال قوة لتدمير سفن أرحمة (رحمة) بن جابر ـ وربما لم يبلغه القرار الذي اتخذته الحكومة بعد، لكن حكومة بومباي قامت بإيقاف هذه المحاولة بموافقة حكومة الهند.

سيادة الوهابيين على قطر 1809 ـ 1811:

وفي 1809 استطاع الوهابيون بعون أرحمة (رحمة) بن جابر ـ كما رأينا ـ أن يخضعوا قطراً لحكمهم إخضاعاً كاملاً، وسرعان ما استسلمت البحرين أيضاً لقوى الوهابيين المتعاظمة الموجهة نحوها آنذاك من الزبارة والقطيف، وفي سنة 1810 أنشئت حكومة وهابية تضم القطيف وقطر والبحرين ـ ومقرها البحرين ـ وعهد بها إلى عبد الله بن عفيصان. وتحت دروع الوهابيين، وبمعونة القوارب من ساحل القرصنة، بدأ أرحمة (رحمة) بن جابر يرتكب فظائع متزايدة الخطورة، فاستولى على 18 سفينة محملة يملكها العتوب في الزبارة والبحرين، كما استولى على سفينة كبيرة وعدد من السفن الصغيرة التابعة لمسقط وكانجون وبوشهر وغيرها من الموانىء وفي كل الحالات ـ باستثناء النادر فقط ـ كان أرحمة (رحمة) يأمر بإعدام بحارة السفن التي يستولي

عليها. . باختصار. . إنه قد أثار الرعب والفزع في الخليج كله. وفي أيار سنة 1811 قام أرحمة (رحمة) بعملية قرصنة خطيرة كان يصحبه فيها أسطول من مدينة عجمان، لكن نجم مؤيديه الوهابيين كان في هبوط، وسرعان ما أرغمته الأحداث التالية على أن يكون أكثر حرصاً وأشدّ حذراً.

طرد الوهابيين من قطر 1811:

في سنة 1811 ضعفت قوة الوهابيين في شرق الجزيرة ضعفاً شديداً نتيجة الأحداث على الحدود الغربيّة دولتهم، فقد هاجمهم السيد سعيد سلطان مسقط في قطر بحملة بحرية وطرد حامياتهم من الزبارة وخور حسان، وأحرق الزبارة ودمرها تدميراً تاماً. ويبدو أنّ النتيجة كانت طرد الوهابيين لا من قطر فقط بل ومن البحرين أيضاً التي أسر فيها الحاكم الوهابي لإمارة لحسا (الإحساء) وقطر والقطيف وعادت إلى سيطرة آل خليفة. وقاتل أرحمة (رحمة) - الذي كان يمثل سلطة الوهابيين البحرية في هذه المنطقة من الخليج - ضدّ أسطول العتوب قتال اليائس ومني بفشل محقق، وفي هذا الوقت، أو بعده مباشرة، نقل أرحمة (رحمة) مقرّه من قطر إلى الدمام على ساحل لحسا (الإحساء).

وفي سنة 1813 ارتكب أرحمة (رحمة) - الذي ظلّ احترامه للبريطانيين قائماً لم يتبدل كولائه للعتوب في البحرين - ارتكب خطأ باستيلائه على سفينة كانت محملة بخيول تملكها شركة الهند الشرقية في طريقها من البصرة إلى بومباي، وحين تبيّن خطأه اتخذ فوراً خطوات نقل الحيوانات جميعاً إلى بومباي. حيث وصلتها كاملة وسالمة.

انتقال أرحمة (رحمة) بن جابر من قطر وأعماله حتى الحملة البريطانيّة الثانية على رأس الخيمة 1816 ـ 1820

هجرة أرحمة (رحمة) من الدمام إلى بوشهر 1816:

في سنة 1816 ـ ربما قبلها بقليل ـ وفجأة بطريقة ما أحلّ أرحمة (رحمة) بن جابر نفسه من الولاء للوهابيين واتصل بحاكم مسقط. ويبدو هذا الانتقال من جانب لآخر متناقضاً بالنسبة لأرحمة (لرحمة)، لكن تفسيره كامن في ضراوة عدائه للعتوب في البحرين الذين نشب الخلاف بينهم وبين حليفهم السابق السيد سعيد الذي يبدو أنه كان ينوي، لو نجح هجومه على البحرين سنة 1816 أن يجعل أرحمة (رحمة) بن جابر مكان شيخ آل خليفة في البحرين. وأصبح الوهابيون والقواسم (الجواسم) ـ من حيث هم أصدقاء آل خليفة ـ هم أعداء أرحمة (رحمة) وضحاياه، وقام أمير الوهابيين ـ الذي أسخطه انقلاب أرحمة (رحمة) عليه ـ باضطهاده بكل الوسائل التي ملكتها يداه. ففي تموز سنة 1816 أمر بتدمير قلعة كان أرحمة (رحمة) قد شيّدها في الدمام على ساحل لحسا (الإحساء)، وتمكّن هذا بجهد شديد من إنقاذ أسرته وممتلكاته ونقلها إلى خور حسان، وكان أمير الوهابيين قد أمر بأن تنقل هذه جميعاً إلى الدرعيّة، وأخيراً في تشرين الأول سنة 1816 ـ وصل أرحمة (رحمة) إلى بوشهر كلاجىء منفي، وكانت تصحبه حوالي 500 أسرة وكان معه ـ إلى جانب القوارب الصغيرة ـ سفينتان كبيرتان وأخرى متوسطة، وعدد

من السفن الصغيرة. ولا زالت السواحل الغربية والشمالية تحتفظ حتى اليوم بآثار قلاع تنسب إلى أرحمة (رحمة) بن جابر.

علاقات أرحمة (رحمة) بمسقط والحرب مع القواسم (الجواسم) 1817:

أمّا أعمال هذا المغامر الذي لا يعرف الراحة في السنتين التاليتين فهي خارج نطاق تاريخ قطر. . وكذلك أيضاً لا تدخل نطاق تاريخ أي إقليم آخر. ففي بوشهر ظلّ أرحمة (رحمة) يلقى استقبالاً حسناً من حاكمها الشيخ محمد الذي أمر بتخصيص حي مستقل لسكنى أقاربه ومن جاء معه، ولم يهمل أرحمة (رحمة) زيارة المقيم البريطاني في بوشهر، واعترف له بصداقته للحكومة البريطانيّة، واستعداده للعمل لحسابها في حرب القواسم (الجواسم) التي حان أوان التفكير فيها.

وكان السيد سعيد يتلهّف لأن يصبح أرحمة (رحمة) مواطناً من مسقط، ويستقر في أي جزء من أجزاء عمان، لكن القرصان ـ الذي كان لا يخفي ازدراءه لحاميه بسبب فشل هجومه على البحرين سنة 1816 ـ رفض العرض. وفي سنة 1817 قام أرحمة (رحمة) بزيارة لمسقط، وكان يستهدف إغراء السلطان على تجديد العمل ضدّ البحرين لكنه وجد السيد مشغولاً بمشاكل داخلية عديدة.

وفي سنة 1817 قام أرحمة (رحمة) بجولة ناجحة ضدّ القواسم، فاستولى على 12 قارباً من قواربهم كانت تنقل الإمدادات من البحرين إلى رأس الخيمة، وعاد بأربعة من هذه القوارب إلى بوشهر، ودمّر الثمانية الباقين أو أغرقهم ـ نظراً لقلّة عدد رجاله ـ بعد أن نقل ما يستطيع من حمولتهم.

هجرة أرحمة (رحمة) من بوشهر إلى الدمام 1818:

وفي سنة 1818 انتقل أرحمة (رحمة) مرة أخرى من بوشهر إلى الدمام. . ومن هذا الوقت يرتبط تاريخ أرحمة (رحمة) بن جابر بتاريخ إقليم لحسا (الإحساء) أكثر من ارتباطه بتاريخ قطر.

أعمال بريطانيا مع أرحمة (رحمة) فيما يتعلّق بالحملة البريطانيّة على رأس الخيمة. 1819 ـ 1820:

وكان متوقعاً في سنة 1819 أن ينضم أرحمة (رحمة) ـ سواء اتخذ هذا العمل مبادأة من جانبه أو بتحريض من سلطان مسقط ـ إلى الحملة البريطانيّة على رأس الخيمة، وتقرّر قبول خدماته إذا عرضها، لكن أرحمة (رحمة) ـ الذي لم يغفل لحظة عن هدفه الحقيقي في إذلال شيوخ العتوب والذي كان عقاب القواسم (الجواسم) بالنسبة لهذا الهدف شيئاً ثانوياً ـ لم يتقدّم خطوة واحدة في هذا الطريق، لكنه ـ بدل ذلك ـ قام في شباط سنة 1820 ـ حين كان الأمير الحاكم في فارس يتجهّز للقيام بحملة على البحرين ليستبق بها خطط السيد سعيد سلطان مسقط في هذا الجزء من الخليج ـ قام أرحمة (رحمة) بن جابر بعبور الخليج إلى بوشهر، ووضع نفسه ـ ومعه ثلاث سفن ـ تحت أوامر الإيرانيين.

وفي 10 شباط أبحر أرحمة (رحمة) من بوشهر إلى طاهري للحاق بالأمير الحاكم، لكن أكبر سفنه غرقت أثناء الرحلة في مكان ضحل المياه بالقرب من بادرستان. . ووضع هذا حداً للمشروع كله من حيث دور أرحمة (رحمة) بن جابر فيه. وخلال هذه الأعمال أصدر الجنرال سيرو .جرانت كير ـ قائد عام الحملة الريطانيّة ـ أوامره بتدمير سفن أرحمة (رحمة) بن جابر، ولكن تقرّر تأجيل التنفيذ نظراً لأنه كان في ذلك الوقت يعمل في خدمة حاكم شيراز. وفي 13 نيسان سنة 1820 كان أرحمة (رحمة) في بوشهر مرة أخرى، فقد دعاه المقيم البريطاني هناك ليكون طرفاً في معاهدة السلم الشامل، ورفض متعللاً بأنه حينذاك يعمل في خدمة الحاكم العام بشيراز، هذا الاعتذار ـ الذي أيّده أيضاً شيخ بوشهر ـ اعتبر إجابة على سؤال متعلّق بسلوك أرحمة (رحمة) في المستقبل. واعتبر كافياً من وجهة نظر السلطات البريطانيّة.

العلاقات البريطانيّة 1821 ـ 1823

عقاب القراصنة 1821:

نتيجة بعض حوادث القرصنة التي ارتكبها الأهالي، قامت السفينة المسلّحة «فستال» التابعة لشركة الهند الشرقية بتدمير مدينة البدع (الدوحة الآن) في سنة 1821، وهاجر بضع مئات من أهلها إلى الجزر الممتدة بين قطر وساحل القرصنة.

زيارة المقيم البريطاني لقطر 1823:

وفي كانون الثاني سنة 1823 قام الملازم ماكلويد (Lieutant Mcleod) ـ المقيم البريطاني في الخليج آنئذٍ ـ بزيارة الدوحة (البدع وقتذاك) أثناء جولته على طول الساحل العربي التي ستجد وصفها التفصيلي في تاريخ عمان المتصالحة، ووجد هذا المكان ـ الذي كان معترفاً باستقلاله عن البحرين، وخاضع بالتالي لمعاهدة السلم الشاملة لسنة 1820، تحت حكم شيخ من آل بو عينين. وكانت الدوحة في ذلك الوقت هي الميناء الوحيد في قطر الذي كانت به بعض السفن التجارية، لكن الأهالي لم يكونوا يلتزمون التعليمات الخاصة بالإعلام وتسجيل السفن المنصوص عليها في معاهدة السلم.. وكان يبدو أيضاً أنهم لا يعرفون شيئاً عن هذه المعاهدة كلها. وحصل الملازم ماكلويد ـ على أي حال ـ على قائمة بالسفن الموجودة في الميناء، واتصل بشيخ قطر حين عاد إلى البحرين بعد ذلك بعدة أيام، وكان يظن أنّ الشيخ

بوسعه أن يلتزم بالمعاهدة الشاملة التزاماً دقيقاً في قطر[1]. وفي ذلك الوقت كان البريطانيون يقومون بإجراء عملية مسح بحرية لساحل قطر ومياهها الشرقيّة، وكان الشيوخ على طول الإقليم الساحلي يقدمون ما بوسعهم من عون لإتمام هذه العملية.

---

(1) ثبت ـ من تاريخ عمان المتصالحة ـ أنّ عملية تسجيل السفن بهذه الطريقة غير عملية وقد توقف العمل بها بعد ذلك. ولكن لا يسعنا نظراً للمكانة السياسيّة غير المحدّدة التي كانت لقطر، والمثقلة بالمشاكل السياسية إلى أبعد حد ـ لا يسعنا إلّا الأسف لأنّ ضباطنا لم يعبروا ـ كما حدث في عمان المتصالحة ـ على ضرورة أن تستخدم قطر علم الامارات المتصالحة. ولم يكن في هذا أي مشكلة حقيقية ما دامت قطر تابعة لشيخ البحرين، وكان استخدام هذا العلم ليؤكّد امتداد سيطرة البحرين ـ وبالتالي سيطرة بريطانيا بشكل أساسي ـ على قطر.

التاريخ العام في قطر من زيارة المقيم العام لها سنة 1823 حتى جلاء القوات المصرية عن لحسا (الإحساء) في سنة 1840

خلال الفترة التي انقضت من زيارة المقيم العام لقطر سنة 1823 إلى جلاء القوات المصرية عن إقليم لحسا (الإحساء) سنة 1840 لم يلقَ تطور الأحداث في قطر اهتماماً يذكر، وكان كل ما يستحق الملاحظة من أمورها هي تلك المتعلقة بسيادة شيخ البحرين على الإقليم الساحلي، أو الهجمات التي يقوم بها بعض السكان أو لاجىء ساحل القراصنة على ظهر قوارب مملوكة لموانىء أخرى في الخليج.

علاقات قطر بالبحرين:

ورغم أنّ سيطرة شيخ البحرين على قطر وقتذاك لم تكن محل تساؤل، ورغم أنه كان دائماً قادراً على إخماد صوت هؤلاء الذين يعارضون سيطرته، إلّا أنّ هذا لا يعني القول بأنّ هذه القضية كانت أمراً مفروغاً منه لا يلقى مشاكل أو عقبات.

سنة 1828:

قام محمد بن خميس شيخ آل بو عينين في الدوحة بقتل مواطن من البحرين، فأمر شيخ البحرين بالقبض عليه وسجنه لكن قبيلته رفضت أن تسلمه وتمردت، وفي أيار سنة 1828 استطاع الشيخ عبد الله ـ بعد أن دمر حصني

آل بو عينين في الدوحة ـ أن ينقلهم منها إلى قرى الرويس والفويرط حيث أصبحوا تحت سيطرته المباشرة.

سنة 1833:

وفي سنة 1833 ـ ربما قبلها ببعض الوقت ـ استقر الشيخ عبد الله وابناه مبارك وناصر على ساحل قطر لمراقبة تحركات الوهابيين الذين كان على قطيعة معهم.

سنة 1825:

وفي سنة 1835 ـ وكما هو مذكور في تاريخ البحرين بالتفصيل. . حدث تمرّد من جانب أهالي الحويلة على سلطة شيخ البحرين وبدؤوا يراسلون الوهابيين، وكان يؤيدهم في هذا التمرّد أحمد ابن شيخ البحرين وغيره من الأبناء غير المخلصين له، وبعد توسط السيد هلال ـ ابن السيد سعيد سلطان مسقط ـ أمكن الوصول إلى تسوية بين شيخ البحرين ورعاياه المتمردين. وكانت شروط هذه التسوية أن يستبقي كل فريق لنفسه ما غنمه في الحرب، وأن تهجر الحويلة وتقوض تماماً وينتقل سكانها إلى البحرين ليستقروا فيها على أن يضمن سلطان مسقط سلامتهم الشخصيّة، لكن الذي حدث أن قام أبناء أشقاء الشيخ عبد الله وعدد من مشايعهم بخرق الاتفاقية فور عقدها فأغروا بعض من قبيلة آل بوكوارة بالإغارة على الحويلة وفي هذا العمل غرق قارب وقتل قريب لعيسى بن طريف ـ وهو زعيم ذو نفوذ بين أهل الحويلة ـ ورفض شيخ البحرين دفع التعويضات ممّا أدّى إلى انسحاب عيسى بن طريف ومعه عدد من آل بني علي وآل بو عينين إلى أبو ظبي في عمان المتصالحة. لكن المقيم البريطاني في الخليج استطاع أن يمنع هؤلاء المهاجرين من اتخاذ أبو ظبي قاعدة لأعمال عدائيّة ضدّ البحرين إلّا بشرط واحد هو أن يعلن شيخ أبو ظبي وقوفه إلى جانبهم ويعلن الحرب على شيخ البحرين. . وبالطبع لم يتحقّق هذا الشرط، أمّا الأعمال التالية من جانب هؤلاء المهاجرين فأمر يتعلّق بتاريخ البحرين، ولم يعد له علاقة بمجرى الأحداث في قطر.

1836 ـ 1837:

وفي سنة 1836 و 1837 ـ كما أشرنا في تاريخ البحرين ـ يبدو أن شيخ البحرين قد ارتاح لفكرة الخلاص من الجو المشحون بالصراعات العائليّة الذي يحيطه في البحرين وفكر في أن يلجأ إلى مقر هادىء في خور حسان بقطر، واتخذ الترتيبات فعلاً لهذا الانتقال، لكنه لم ينفذه بالفعل إلّا بعد فترة طويلة.

1839 ـ 1840:

وفي سنة 1839، ونتيجة للعلاقات التي أقامها شيخ البحرين مؤخراً بقائد القوات المصرية في لحسا (الإحساء)، تعرّض أهل قطر لخطر جديد، وبلغ سخطهم حداً جعل آل بو كوارة ـ وكانوا مستقرين في الفويرط ـ يطلبون السماح لهم بالانتقال من قطر ليعيشوا آمنين في أي مكان آخر تحت الحماية البريطانيّة. وفي نهاية سنة 1839 أو أوائل 1840 ـ ونتيجة رفض بعض بني نعيم في قطر أن يدفعوا الزكاة التي طلبها منهم شيخ البحرين باسم المصريين ـ أرسل محمد أفندي الحاكم المصري في لحسا (الإحساء) بعض قواته النظاميّة يعاونها بدو المخضبة من بني حجار ـ لهدم بلادهم، لكن اغتيال الحاكم الذي تبع ذلك مباشرة بالقرب من الهفوف أرغم الحملة على الرجوع فوراً دون أن تعمل شيئاً.

بعض المهاجرين إلى قطر يسببون اضطرابات بحرية:

وخلال الجزء الأول من الفترة التي نحن الآن بصددها، أدّت أعمال بعض لاجئي بني ياس من أبو ظبي إلى قطر لحدوث بعض الاضطراب في البحر، وكان أول من وصل من هؤلاء محمد بن شخبوط الذي عزل هو نفسه عن مشيخة أبو ظبي في سنة 1828 ثمّ تبعه سويدان بن زعل. . وهو عضو ساخط من فرع المحاربة بقبيلة بني ياس، هاجر من أبو ظبي في سنة 1822 ولكن يبدو أنه لمْ يستقر في قطر إلا بعد هذا التاريخ بمدة طويلة، وفي كانون الثاني سنة 1823 تردّد أن سويدان ـ الذي كان يعيش وقتذاك في جزيرة

بني ياس ـ يخضع لإمرته ألف رجل مسلحون، وأنه يملك سفينة كبيرة لا بأس بها وخمسين قارباً من القوارب الصغيرة. وكان من بين أتباعه سيف بن ضحيكان، وعبيد بن سعدون الذين سترتبط أسماؤهم قبل مضي زمن طويل بعمليات القرصنة.

1823 ـ 1824:

وقرب نهاية سنة 1823 قام محمد بن شخبوط ـ الذي كان مقيماً آنذاك في الدوحة ـ بمحاولة فاشلة لاستعادة الحكم في أبو ظبي، وقد ذكرنا تفاصيل حملته هذه في القسم الخاص بتاريخ مشيخة أبو ظبي ويبدو أنه حين عاد إلى قطر بعدها نقل مقره من الدوحة إلى حويلة. وفي أوائل سنة 1824، تردّدت أخبار عملية قرصنة قام بها محمد بن شخبوط على سفينة لدبي ـ التي كانت في ذلك الوقت حليفاً لشيخ أبو ظبي ـ وبادر المقيم البريطاني في الخليج فطلب من الشيخ عبد الله شيخ البحرين ـ بصفته حاكماً لقطر ـ باتخاذ عمل ما ضدّ محمد، وعرض أن تساعده قوة بحرية بريطانيّة. . ولكن ثبت أخيراً أنّ هذه العملية لم تحدث بالفعل.

1826 ـ 1828:

وفي سنة 1826 حدثت عدة عمليات قرصنة ـ مذكورة في تاريخ عمان المتصالحة ـ من الدوحة في قطر ارتكبها عبيد بن سعدون وسيف بن ضحيكان وهما من أتباع سويدان بن زعل، وكانت غنائمهم تحمل في بداية الأمر إلى الدوحة، لكنهم هجروها بعد ذلك. وكان النفوذ البريطاني يجد صعوبة كبيرة في كبح جماح شيخ أبو ظبي عن إعلان الحرب على شيخ البحرين لهذه الأعمال التي ذكرنا، ولا يبدو أنّ السلطات البريطانيّة قامت من جانبها بأيّ خطى لتصفية هذا الموقف، في سنة 1828 حين رجع سويدان وأتباعه إلى أبو ظبي توقفت هذه العمليات.

وفي نفس الوقت تقريباً ـ في أيار سنة 1827 ـ ارتكب عبيد (أو

عبد الله) بن مهنا ـ وهو رجل من قبيلة المناصير استقر مؤخراً في الدوحة بقطر ـ حادثة قرصنة فظيعة، فقد هاجم ومعه بعض رفاقه بينهم حسين بن جاسم من البحرين سفينة تابعة لميناء بوشهر خارج جافة كانت في طريقها إلى ديلم، وقتل بعض ما كانوا على السفينة، وألقى ببقيتهم بعد ضربهم ضرباً مبرحاً على البر بالقرب من بور داخان. وتمّ استرداد جزء صغير ممّا نهبه القراصنة وجد في البحرين، أمّا بالنسبة لطلب المقيم البريطاني تسليم عبيد وحسين فقد ردّ الشيخ عبد الله بأنهما استطاعا الهرب خارج حدوده، ويبدو أنّ هذا كان ما حدث بالفعل، وظلّت التحريات مستمرة على أيّ حال.

وفي نيسان سنة 1828 قابل المقيم العام الشيخ عبد الله وأقنعه بضرورة القيام بعمل ضدّ هؤلاء المعتدين، وأخيراً في أيلول 1828 استأنف عبيد بن مهنا أعمال القرصنة ـ خارجاً من مأوى مجهول ومعه عدد من المناصير ـ إلى جوار بوشهر، لكنه حين رسى في زيارات على الشاطىء الإيراني أثار الشكوك حوله بتحرياته عن مواعيد قيام السفن الصغيرة الراسية في الميناء ووجهات سفرها، فألقى الأهالي القبض عليه بعد مقاومة يائسة من جانبه. ومن زيارات حمل عبيد إلى المقيم البريطاني في بوشهر، وسلّمه هذا بدوره ـ بعد أن تحقق من هويته ـ إلى الشيخ عبد الرسول ليسأله عن الغارات التي ارتكبها على سفن بوشهر، وعن رعاياها الذين قتلهم، غير أن عبيد استطاع في النهاية مغافلة حراسه والهرب من سجنه أثناء اجتياح تيمور ميرزا لبوشهر في تشرين الثاني 1828، ولدى عودة قارب عبيد من زيارات إلى الشاطىء العربي قام بحارته بنهب أربعة سفن تابعة لميناء عسالو كما ذكرنا في تاريخ المتصالحة.

1831 ـ 1832:

وفي سنة 1831 وقعت عملية قرصنة عادية في مكان قريب من بوشهر يسمى الحليلة، ارتكب رجل اسمه حسوم كان يقيم في الفويرط بقطر ضدّ قارب صيد تابع لميناء كانجون، ولم يتم إلقاء القبض على هذا المجرم إلّا في العام التالي. وتأكّد بعد ذلك أن حسوم بعد أن غادر الحليلة عبر الخليج إلى العجير (العقير)،

وحاول هناك أن يباغت قارباً تابعاً للبحرين لكن بحارة القارب وحراسه كانوا متيقظين له فاستطاعوا أن يأسروه هو وثمانية من رفاقه، وبعد أن حجزوا عدة أيام في العقير، أعدّ السجناء عدتهم للهرب من العقير إلى حويلة، ومن هناك استطاعوا استعادة القارب الذي سبق استيلاؤهم عليه في حليلة.

وبعد إيقاع العقاب على بني ياس لارتكابهم أعمال القرصنة في سنة 1835، هاجر جزء من القبيلة غرباً إلى خور العديد، هرباً من دفع نصيبهم في الغرامات التي فرضتها عليهم السلطات البريطانيّة من ناحية، وحتى يستطيعوا الاستمرار في حياتهم القائمة على القرصنة من الناحية الأخرى، وقد صدّهم أهل الساحل الشرقي في قطر، ولم يقفوا عند حد عدم ردعهم عن هذه الأعمال بل كانوا يمدونهم بالماء وغيره من الضروريات. لهذا تقرّر إرسال قوة بحرية لضمان إمداد السفن البريطانيّة بهذه المياه، ولتذكير أهل قطر بمسؤولياتهم عن تلك الأعمال. وحقّقت الحملة ـ التي كانت مكونة من قاربين مسلحين وطراد صغير ـ نجاحاً كاملاً، ونتج عنها فرض تعهّد على شيخ الدوحة والوكرة والعديد بالاستيلاء على قوارب القراصنة أو دفع الغرامات، وتمّ بالفعل الاستيلاء على بعض ممتلكات جاسم بن جابر الرقراقي (الركراكي) ـ وهو زعيم من زعماء القراصنة، وأحرقت سفينة من سفن القراصنة على الشاطىء في وجود المقيم العام.

وفي أيلول سنة 1836 وجّه المقيم العام إنذاراً شخصياً لشيخ الدوحة الذي كان يظن أنّ له علاقة وثيقة بالرقراقي (بالركراكي) بأن يمتنع عن إيوائه فيما بعد.

العلاقات ببريطانيا:

ودخلت قطر ـ من حيث هي تابعة للبحرين ـ دائرة الهدنة البحرية التي عقدت سنة 1835. وفي سنة 1836 امتدّ الخط الحاجز من جزيرة صيربو نعير مروراً بحالول بحيث يتجاوز عشرة أميال شمال الطرف الأقصى لإقليم قطر الساحلي.

التاريخ العام في قطر من جلاء القوات المصريّة عن لحسا (الإحساء) في سنة 1840 إلى هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي عليها في سنة 1867

ظلّت أعمال جابر بن جاسم العدائيّة مستمرة، وفي شباط سنة 1841 - ونتيجة نهب جابر سفينة تابعة لرأس الخيمة - أرسل أسطول بريطاني يضم الفرقاطة البخاريّة «سيزوستريس»، والسفينة الحربية ذات 18 مدفعاً «كدوت» والسفينة المسلّحة بعشر مدافع «دجلة»، ويقوده القائد بركس (Commander Bruks) ليطلب إلى شيخ الدوحة تسليم سفينة القرصان ودفع غرامة قدرها ثلاثة آلاف روبيّة إلى جانب التعويض عن الأملاك المنهوبة. وبعد أن ضربت الدوحة بمدافع عيار 8 بوصة من الفرقاطة «سيزوستريس» سلّمت سفينة جاسم - التي كانت موجودة في الميناء لحظة وصول الأسطول البريطاني لكنها لم تأل جهداً في الهرب إلى الداخل - وأحرقت علناً، كما تمّت مصادرة بعض الأملاك التي خلفها وراءه، ومضى الأسطول بعد ذلك إلى حيث تنتظره مهمة مماثلة في دبي.

وفي أوائل صيف سنة 1841 رسا قارب من قوارب ميناء لنجة يحمل تموراً من القطيف إلى البحرين - على الساحل الغربي لقطر، وهو على حالته تلك استطاعت خمسة قوارب صغيرة أن تغتصب من حمولته ما قيمته 240 روبيّة شاهية وتنقله إلى البر. واشتكى المعتدى عليهم إلى ناصر أحد أبناء شيخ البحرين لكنه أهمل شكواهم، وأخيراً - وحسب طلب شيخ لنجة - تدخل

المقيم البريطاني لتسوية القضية، وتقرّر اعتبار شيخ البحرين مسؤولاً عن هذا العمل، وزعم أهل قطر أنّ هذه الكمية من التمر قد أعطاها لهم صاحب القارب المنكوب طواعية كأجر لهم على إنقاذ القارب. وأصروا جميعاً على التمسّك بهذه الرواية، وأقسموا على صحتها أيمان الطلاق بحضرة القاضي، فأعيدت إليهم قيمة التعويضات التي تمّ الحصول عليها منهم.

الحالة في قطر أثناء الحرب الأهلية في البحرين 1840 ـ 1843:

وسرعان ما أصبحت قطر بعد ذلك ميداناً للصراع الذي كان قائماً بين عبد الله بن أحمد ومحمد بن خليفة الشيخين المتنافسين في البحرين، وقد وصفنا التطور العام لهذا الصراع في الجزء الخاص بتاريخ البحرين، وبمجرّد حدوث الصراع بين هؤلاء المشايخ في سنة 1840 انسحب محمد ـ وهو الأصغر فيهما ـ إلى قطر حيث أقام لنفسه حكماً هناك كان في بعض الأحيان أقوى من حكم عمه الكبير شيخ البحرين. وفي سنة 1842 حين قام خالد ـ الأمير السابق للوهابيين ـ بزيارة الشيخ عبد الله قادماً من الدمام استقبله الشيخ الكبير في خور حسان بقطر حيث كان يقيم، وفي هذه الأثناء عاد محمد إلى البحرين، وبعدما بقليل حدثت الاشتباكات الفعليّة بين الأقارب، وكان أول ما عمله الشيخ عبد الله هو أن عبر المضيق مسرعاً ونزل إلى البحرين، واستطاع أن يطرد منها الشيخ محمد في حزيران التالي. ولا بدّ أن أهل خور حسان في قطر قد وقفوا إلى جانب الشيخ محمد في هذا الصراع لأنّ الشيخ المنتصر أباح القرية لنهب القراصنة. وربما بهدف القضاء على نفوذ الشيخ محمد ـ وكان يبدو أنّ له نفوذاً كبيراً في البر ـ اتخذ الشيخ عبد الله الخطوات اللازمة لإعادة احتلال القاعدة المهجورة في الزبارة، وسبق الشيخ محمد ـ الذي كان قد استقرّ في قطر منذ طرده من البحرين سنة 1842 ـ عمه الكبير فاستولى على حصن مرير بالقرب من الزبارة، ولم يمض وقت طويل حتى كان قد استولى على الفويرط أيضاً، وأكمل اعتداءه هذا بأن وجه حملة على جزيرة البحرين من الفويرط استطاعت أن تحقّق النجاح في نهاية الأمير. وفي نيسان

سنة 1843 وعقب الاستيلاء على المحرق مباشرة اضطرّت كتيبة قطريّة كانت تحارب إلى جانب الشيخ محمد إلى العودة مباشرة لقطر حيث قام المناصير بهجوم على أحيائهم، لكن رحيلهم لم يضعف من قوة الشيخ محمد الذي كانت مكانته آنذاك في البحرين قد رسخت إلى حد كبير.

الحالة في قطر أثناء استمرار الصراع بين شيخ البحرين القائم وشيخها السابق 1843 ـ 1849:

وفي خريف سنة 1843، قام عيسى بن طريف ـ حليف الشيخ محمد من آل بني علي ـ بنقل مقر إقامته من جزيرة قيس إلى الدوحة في قطر، ورحبت السلطات البريطانيّة بهذا الانتقال لأنه نقل احتمال قيام الحرب إلى ذلك الجانب من الخط المانع الذي يمكن أن يشبع على أرضه رغبته في القتال في ظروف معيّنة، وأيضاً لأنّ انتقاله هذا قد انتزع الدوحة من أيدي شيخ قبيلة السودان [السويدي] التي كانت أدمنت القرصنة واشتغلت بها أكثر من اشتغالها بالحرب النظاميّة.

وفي سنة 1844 أبحر الشيخ عبد الله شيخ البحرين السابق من نابند [نبند] على ساحل إيران ليباغت عيسى بن طريف في الدوحة لكن محاولته باءت بالفشل واضطرّ للبحث عن مجال آخر لعملياته. وفي سنة 1847 انتهى الصراع على مشيخة البحرين بمعركة حاسمة حدثت في البر بالقرب من الفويرط في قطر، وفي هذه المعركة قتل عيسى بن طريف ـ الذي كان قد غيّر موقفه وأصبح الدعامة الأساسيّة بين أنصار الشيخ عبد الله ـ وماتت معه آمال الشيخ السابق في استرداد المشيخة.

زيارة أمير الوهابيين لقطر 1851:

وفي أوائل سنة 1851 قام فيصل بن تركي أمير الوهابيين ـ خلال رحلة كان يقوم بها في أقاليم حكمه ـ بزيارة الدوحة ومعه سفينتان، وأعلن أهل الدوحة ـ كذلك الوكرة والفويرط ـ مباشرة عقب زيارته رغبتهم في طرح الولاء

لشيخ البحرين والانضمام إلى رعايا الامبراطوريّة الوهابيّة، لكن هدنة مؤقتة عقدت في تموز سنة 1851 جنّبت آل خليفة المخاطر التي كانوا معرضين لها بفقد أملاكهم في قطر كما فقدوا بالفعل الدمام على شاطىء لحسا (الإحساء).

الوضع السياسي لقطر 1866 ـ 1867:

وفي سنة 1866 ذكر الكولونيل بيللي، المقيم البريطاني في الخليج وصدّقت حكومة الهند على وجهة نظره في سنة 1867، أنه من المحتمل أن يطيع شيخ البحرين مشيئة حكومة الوهابيين فيما يتعلّق بأملاكه في قطر، لكن هذا ـ فيما يتعلّق بجزر البحرين ـ كان مستقلاً عن الوهابيين تمام الاستقلال، والجزية التي يدفعها شيخ البحرين للوهابيين كل سنة ـ وقدرها أربعة آلاف روبيّة ـ ينظر هذا إليها على أنها ضريبة لحماية رعاياه في قطر من هجوم أيّ قبيلة أخرى على البر. وفي وقت ما بين سنتي 1852 و 1866 يبدو أنّ أمير الوهابيين كان له ممثل في الدوحة، ولكن محتمل أن يكون وكيله هذا شيخاً من شيوخ قطر.

هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي على قطر وتوابعها 1867 ـ 1868

أسباب وملابسات الهجوم:

حدث هجوم غادر ومدمّر على الدوحة والوكرة معاً في تشرين الأول سنة 1867 ـ وهما الموقعان الرئيسيان على الساحل الشرقي لقطر ـ من جانب شيوخ البحرين وأبو ظبي معاً، وكان الدافع إليه ـ من جانب شيخ البحرين ـ هو رغبته في عقاب السكان لبعض أعمال التمرّد على سلطته التي ارتكبت مؤخراً، وتفاصيل هذا الهجوم موجود بالتفصيل في تاريخ البحرين التي هو جزء منها، ولسنا بالتالي في حاجة إلى ذكره هنا. يكفينا القول هنا بأنّ مدينتي الدوحة والوكرة كانتا في نهاية سنة 1867 قد أزيلتا تماماً من الوجود. فهدمت المنازل وهجرها أهلها، وقدّرت الخسائر بمبلغ يزيد عن مئتي ألف روبيّة. وفي حزيران 1868 ـ وبعد فشل إخفاق التوصّل إلى تسوية مع أمير الوهابيين قامت القبائل التي أوقعت بها هذه الخسارة في قطر بهجوم انتقامي على البحرين لكنها لم تحقّق نجاحاً محدداً.

التدخل البريطاني وما تبعه في الوكرة 1868:

وأدّى تدخّل السلطات البريطانيّة في الخليج ـ رغم أنّ هذا التدخل قد أرجأته ظروف خارجة عن سيطرة السلطات البريطانيّة ـ أدّى إلى نتائج حاسمة كما هو مثبوت في تاريخ البحرين، وكانت هذه النتائج أوضح ما تكون في البحرين، حيث عزل شيخ وولّى آخر لكنها امتدّت أيضاً إلى قطر التي زارها

الكولونيل بيللي من البحرين مباشرة في أوائل أيلول سنة 1868 تصحبه سفينة صاحبة الجلالة «فيجيلانت» والقارب المسلّح «هج روز» والباخرة «سند». وفي الوكرة اجتمع المقيم العام بكبار الشيوخ في قطر على ظهر سفينته، وأبلغهم استياء الحكومة البريطانيّة استياء شديداً من حملتهم على البحرين. وقال إنّ الحكومة تتفهّم حجتهم في أنها لم تكن سوى حملة انتقاميّة، وتعتبر ذلك سبباً يهدىء من الاضطراب الذي أثارته الحملة، وفي النهاية ـ وكما ذكرنا في مكان آخر ـ أمكن الحصول على ترضية معقولة لهؤلاء الشيوخ من البحرين وأبو ظبي.

اتفاقية مع محمد آل ثاني شيخ قطر 12 أيلول 1868:

وتوصلت بريطانيا إلى عقد اتفاقية مع الشيخ محمد بن ثاني ـ شيخ آل ثاني وأكثر الرجال في قطر كلها نفوذاً ـ مؤرّخة في 12 أيلول سنة 1868 تعهد فيها بأن يعود إلى الدوحة التي هجرها، وأن يقيم بها في سلام، وألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر، بل عليه أن يحيل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني للفصل فيها، وألا يساعد شيخ البحرين السابق، بل عليه أن يسلمه للسلطات البريطانيّة لو وقع يوماً في قبضته، وأخيراً أن يقيم مع الشيخ الجديد في البحرين نفس العلاقات التي كانت قائمة بينه وبين الشيوخ السابقين لهذه الجزر، وأن يخضع لقرار المقيم البريطاني فيما يتعلّق بأي خلاف في وجهات النظر يقوم حول مشاكل مثل الجزية، وربما كان المقصود بالجزية هنا هو ذلك المبلغ الذي يدفعه شيخ البحرين كل سنة باسم قطر لأمير الوهابيين. ونحن لا نعرف شيئاً عن الطريقة التي وصل بها آل ثاني إلى أن يكونوا أصحاب السيادة المطلقة في قطر سنة 1868، وآل ثاني من المعاضيد، وهم بالتالي من آل بني علي ـ قبيلة عيسى بن طريف.

اتفاقية تتعلّق بجزية البحرين:

وبعدها عقد الشيخ محمد ابن ثاني مع شيوخ البدو في قطر اتفاقية

جديدة، أصبحت بمقتضاها الجزية التي تدفعها قطر للبحرين ـ يكون دفعها عن طريق المقيميّة البريطانيّة أيضاً، ووجه كولونيل بيللي عقب ذلك خطاباً إلى «كل الشيوخ في قطر. .» يبلغهم فيه هذه الاتفاقية، ويحذرهم من ارتكاب أي عمل يؤدي إلى الإخلال بالسلم في البحار.

تعويض عن سرقة الرعايا البريطانيين:

وقبل أن يغادر المقيم العام الوكرة فطن إلى حادثة سرقة كان قد ارتكبها بعض الأهالي على ممتلكات بعض الرعايا البريطانيين المقيمين في البحرين، فطلب من الشيوخ المسؤولين دفع مبلغ 18 ألف غران كتعويض، وتمّت الموافقة فوراً، فدفع ثلث المبلغ المطلوب نقداً، والثلثان في صك يضمنه تاجر لؤلؤ ثري في لنجة، قدّم للكولونيل بيللي حقيبة مليئة بحبات اللؤلؤ ضماناً من جانبه لدفع المبلغ على أن تسلم إليه حقيبته عند دفعه، وبلغ ما حصل فعلاً 18,699 غران، تمّ تسليمه لاثنين من أصحاب الشكاوى وعوضهم بالفعل عن خسائرهم.

تاريخ قطر
من هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي عليها في سنة 1867 إلى احتلال الأتراك للدوحة سنة 1871

خلال السنوات الأربع التالية على هذه الغارة الكبيرة التي شنّها شيوخ البحرين وأبو ظبي على قطر، ظلّت الحالة السياسية فيها كما هي دون تغيير، ولم تحدث بها حادثة هامة تستحق الذكر.

التاريخ العام في قطر من احتلال الأتراك للدوحة إلى التمرد على سلطة تركيا 1871 ـ 1893

احتلال تركيا للدوحة 1871 ـ 1872:

في تموز سنة 1871 ـ ولم يكد يمضي شهر على احتلال الأتراك للقطيف ـ أرسل قائد القوات التركيّة حملة يقودها شيخ الكويت إلى الدوحة في قطر، وهناك استطاعت إغراء جاسم بن محمد ابن ثاني شيخ الدوحة وأكثر الرجال في قطر نفوذاً ـ بقبول رفع العلم التركي. وكان الشيخ الكبير في ذلك الوقت قد شاخ وأعوزه الحزم ـ فلم يستطع شيئاً سوى الرفض وسوى أن يصرّ على رفع العلم العربي على بيته زمناً ما. وحين وصلت هذه الأخبار إلى الكولونيل بيللي ـ المقيم السياسي في الخليج ـ بادر بإرسال مساعده ميجور جرانت (Major Grant) على سفينة صاحبة الجلالة «ماجيك» إلى الدوحة حيث وجد حالة الأمور فيها كما ذكرنا، وقد قدّم الشيخ تبريراً لخضوعه للأتراك أنه يعيش في البر. وتركيا قوة بريّة عظيمة، هذا إلى جانب أنّ الحكومة البريطانيّة قد أخفقت في تحقيق العدالة لرعاياه في أكثر من حادثة من حوادث القرصنة. وفي نفس الوقت حاول الكولونيل بيللي التأكد ممّا إذا كانت الحكومة التركية هي التي أمرت باتخاذ هذه الاجراءات في الدوحة أم لا، فاتصل تلغرافياً بالكولونيل هيربرت (Colonel Herbert) المقيم البريطاني في بغداد، ورد هذا عليه ـ نقلاً عن والي بغداد ـ بأنه لا يعرف شيئاً عمّا إذا كانت الحكومة التركية قد أمرت بإرسال أعلامها إلى قطر أو لم تأمر، لكن الوالي أضاف أيضاً زعمه أن تأكيد تركيا بعدم التدخّل في شؤون البحرين أمر لا يشمل قطر. وفي آب..

في نفس الوقت الذي كان الأتراك فيه قد تملكوا واحات لحسا (الإحساء) ـ أصبحت قطر قاعدة لحشود قبائل البدو الرحل بدأت في الانضمام للقوات العثمانية من غرب قطر، وبعدها بشهرين أو ثلاثة تراجع سعود أمير الوهابيين بنفسه ومعه حشد كبير من البدو إلى قطر وزعموا أن على أهالي المنطقة المقيمين فيها إمدادهم بما يحتاجون، وإلّا فستنهب أملاكهم. وخلال هذه الأزمة أرسل المقيم العام في الخليج إنذاراً إلى رعايا الهند البريطانية في قطر، يحملهم فيه نتيجة المغامرة ببقائهم حيث هم. وفي كانون الثاني سنة 1872 جاءت قوة تركية يصحبها عبد الله بن الصباح شيخ الكويت على الباخرة التركية «آشور» وغيرها لزيارة الدوحة، وهبطت إلى البر ـ وسط سخط الشيوخ والأهالي ـ قوة تركية قوامها مائة جندي مزودين بمدفع من مدافع الميدان الكبيرة، وأقامت هذه الحامية في قلعة آل مسلم واكتمل احتلال الأتراك للدوحة، ويبدو أنّ هذه الاجراءات جميعاً قد أمر باتخاذها مدحت باشا بنفسه ـ الذي قام بزيارة لحسا (الإحساء) في نهاية سنة 1871 ـ استجابة لطلب قدم إليه من مشايخ الدوحة بحمايتهم من بدو سعود أمير الوهابيين.

سحب القوات النظاميّة التركيّة 1873:

وفي سنة 1873 يبدو أنّ تركيا قد سحبت قواتها النظاميّة التي كانت في الدوحة، وأبدلتها بثلاثين رجلاً من رجال الضبطيّة أو الشرطة.

الحالة الداخلية 1874:

وباستثناء التدخّل في شؤون قطر الداخلية، خاصة حكم مدينة الدوحة وضواحيها القريبة، لم يكن لوجود الموقع التركي فيها أيّ أثر، وظلّت العلاقات القبليّة في قطر كما كانت من قبل، وظلّ شيوخ آل ثاني في الدوحة هم أقوى العناصر في الحياة السياسية.

سنة 1874:

وفي سنة 1874 حدث قتال بالقرب من الزبارة بين بني نعيم وبني هاجر

هزم فيه بنو هاجر. وفي نفس السنة اتهم الشيخ جاسم من شيوخ الدوحة بني هاجر بارتكاب عملية قرصنة بالقرب من خور شقيق على قارب يملكه تاجر اسمه عبد الكريم من البحرين، وقد نهبوا منه أكثر من ألفي روبيّة نقداً يملكها الشيخ جاسم إلى جانب بضائع يملكها رعايا من الهند البريطانيّة، وقام القارب التركي المسلّح «اسكندرية» بجولة على طول الساحل لتحري عدوان بني هاجر، وكشفت نتيجة هذا التحري عن أنّ الشيخ جاسم نفسه هو أحد المسؤولين عن إحداث هذا الاضطراب.

سنة 1875:

وقد وجد الملازم فريزر (Lieut. Fraser) مساعد المقيم الذي قام بزيارة الدوحة في سنة 1875 بناء على تكليف من حكومته ـ أنّ شيوخ آل ثاني الذين رحبوا بالاحتلال التركي في البداية كوسيلة لمناوأة سيطرة بريطانيا على شؤون البحر ـ قد أصبحوا الآن ضائقين كل الضيق بهذا الاحتلال، لكنهم يخفون ضيقهم به خشية نفيهم إلى القسطنطينيّة. وكان ممثل تركيا ـ قاسم آغا ـ رغم ضآلة قواته التي لا تزيد عن خمسين رجلاً من رجال الشرطة مصرّاً على استشارته في كل كبيرة وصغيرة، إلى جانب أنه كان يحصل مبالغ كثيرة من أموال أهل الدوحة.

سنة 1876:

وفي خريف سنة 1876 ـ ونظراً لاتهام الدوحة بارتكاب عملية قرصنة قام الكابتن جثري (Captain Guthrie) قائد سفينة صاحبة الجلالة «ماي فرير» بزيارة الدوحة، ومن هناك عرف معلومات هامة هي أنّ مدينة الدوحة تدفع كل سنة مبلغاً يتراوح بين 9 آلاف و 10 آلاف غران كعوائد للحكومة التركيّة، وأنّ هذا المبلغ لم يكن كافياً لتغطية نفقات الحامية التركية الصغيرة التي كان عملها ذا طبيعة بوليسية لا عسكرية. وكانت أخطر أحداث القرصنة التي حدثت في قطر هذه السنة هي ما ارتكبت في الدوحة ـ بالقرب من بيت الشيخ جاسم نفسه ـ وفيها قام سبعة من بني هاجر بمهاجمة سفينة تابعة لأبو ظبي في الليل

وبحارتها نائمون، فقتلوا اثنين من البحارة، وأسروا عبداً وحملوا كمية كبيرة من البضائع، وقدّرت الخسائر كلها بمبلغ 2679 دولاراً، ولكن لم يمكن تحصيلها رغم أنّ الحكومة البريطانيّة قدّمت مذكرة بهذا الموضوع إلى الباب العالي، وفي نفس السنة عيّنت تركيا الشيخ جاسم ليكون قائمقاماً ـ أو نائباً للحاكم ـ في قطر، وبعدها لم يصبح لأبيه ـ الشيخ محمد ابن ثاني الذي كان أميل للتفاهم مع بريطانيا عنه مع تركيا ـ صوت في الحياة العامة حتى مات بعدها بسنتين في 1878.

سنة 1879 ـ 1881:

وفي أيار سنة 1879، جاء متصرف لحسا (الإحساء) إلى الدوحة على ظهر السفينة «اسكندرية» وقابل عدداً من المسؤولين فيها بينهم الشيخ جاسم الذي سبق أن عيّنه حاكماً لمدينة الدوحة، وفي تشرين الثاني من نفس السنة حدثت عملية هجرة ضخمة قام بها آل بو كوارة المقيمون في الدوحة إلى الفويرط، وقيل إنها نتيجة الغيرة من وضع الشيخ جاسم الجديد، وتردّد أيضاً أنها بإيعاز من شيخ البحرين، وأسرعت السفن المسلّحة التركية والبريطانية إلى الساحل لتتحرى الأمر.

وفي سنة 1880 نهب القرصان زايد بن محمد من بني هاجر قارباً به بعض اللؤلؤ يملكه الشيخ جاسم، كذلك استولى على سفينة تابعة للوكرة، وقام المناصير والعوامر بغارات متكرّرة بالقرب من الدوحة. وفي سنة 1881 لحق بعض بني نعيم بآل بو كوارة في الفويرط، وحمل أفراد قبيلة عجمان معهم 450 بعيراً من قطر. وفي كانون الأول سنة 1881 نزل الشيخ أحمد ـ شقيق شيخ البحرين ـ على الساحل الغربي لقطر بهدف الرياضة فقط ويصحبه حوالي مئتين من الأتباع، وأرسل الشيخ جاسم مبعوثاً عنه من الدوحة للترحيب بالشيخ أحمد ودعوته إلى الاستراحة قليلاً في داخل البلاد، لكن الشيخ أحمد أصرّ على أن يأتي الشيخ جاسم بنفسه إليه كي يحييه ويرحّب به حيث هو، ونفّذت أوامره هذه، وبعدها صحب شيخ الدوحة إلى معسكره، وكانت الحامية التركية

الموجودة في الدوحة وقتئذٍ ـ بما فيها من رجال الجاندرمة أيضاً ـ تبلغ 130 رجلاً.

سنة 1884:

وفي نيسان 1884 أغار بدو بني هاجر على ساحل قطر، وقتل في هذه الإغارة أحد أبناء شيخ الوكرة، وفي الشهر التالي بدأ الشيخ جاسم بعد حملة بحريّة على بني هاجر في البحرين، وتقدّم المسؤولين البريطانيين مؤكداً أنه حصل على موافقة الحكومة التركية وهو أيضاً بحاجة لموافقة السلطات البريطانيّة على هذا العمل.. لكن طلبه رفض، فتخلى بدوره عن رغبته في الشغب. وفي تموز التقت قبيلة عجمان ـ التي كانت لا تفتأ توجّه التهديدات إلى سكان الدوحة بحيث منعتهم تماماً من الخروج لصيد اللؤلؤ ـ التقت بفرقة من أعدائهم المناصير بالقرب من آبار بانيان في صحراء جافورة وهزمت في هذا القتال وتكبدت خسائر جسيمة وهي نتيجة سرّ لها الشيخ جاسم سروراً عظيماً، وفي هذا القتال انقسم آل مرّة وبنو هاجر فقاتل بعضهم ضدّ بعض.

سنة 1885:

وفي نيسان 1885 أغرق أهل الفويرط قارباً يملكه أهل الوكرة ونهبوا ما فيه. وفي تشرين الأول من نفس السنة هاجر أكثر من مائة شخص من الوكرة على عشرة قوارب إلى الغارية بعد شجار مع الشيخ جاسم الذي قام في كانون الأول بهجوم على الغارية وقتل أربعة من أهلها. وخلال هذه السنة أيضاً قام القارب التركي المسلّح «ميريخ» بجولة على طول الساحل.

المنافسة بين الشيخ جاسم ومحمد بن عبد الوهاب 1886 ـ 1887:

وفي العام التالي ظهر منافس للشيخ جاسم في السيادة على قطر وهو محمد بن عبد الوهاب، وهو رعية تركية وإن كان ابن وزير البحرين، وكان زعيم الغارية. ويبدو أنه كان متآمراً مع الأتراك لإزاحة الشيخ جاسم عن قائمقامية قطر، واقترح الضابط المسؤول عن القارب التركي المسلّح أن يسمح

لأهل الغارية بالإقامة في سلام تحت حكم محمد بن عبد الوهاب، وأسخط هذا الاقتراح الشيخ جاسم حتى قام مرة أخرى بهجوم على هذا المكان لكنه كان هجوماً فاشلاً.

وسافر محمد إلى لحسا (الإحساء) ـ بعد أن اقترح إقامة دار تركية منظّمة للعوائد في الدوحة ثمّ عاد في أيار ومعه خمسون رجلاً من رجال الضبطيّة قيل إنّ ثلاثين منهم سيتخذون موقعهم في الغارية. وغضب الشيخ جاسم لهذه الإجراءات غضباً شديداً وهدّد بأن ينسحب من الدوحة، ويبدأ هجومه على محمد بن بن عبد الوهاب.. ولكن تمّ التوصّل إلى اتفاقية في تموز من نفس السنة. وفي شتاء سنة 1886 ـ 1887 قام محمد ـ الذي ظلّ محافظاً على مراسلات منتظمة بالمسؤولين الأتراك في لحسا (الإحساء) والعراق ـ بزيارة للبحرين، والتقى هناك بأهل الغارية وأقام ـ بموافقة من الأتراك على ما يبدو ـ في دارين بجزيرة تاروت، وأصبحت الغارية مهجورة من السكان تقريباً.

الاضطرابات 1887:

وكان العام التالي متميزاً باضطراب شديد في قطر. فقد ظنّ الشيخ جاسم ـ الذي كان يخشى إقامة دار منظّمة للعوائد التركية في قطر والذي كان دائماً على علاقات سيئة بالأتراك ـ أن أفضل طريقة لمقاومة خطط الأتراك هي أن يقضي على أهمية الدوحة، وبدأ بالفعل يخصّص جهده كله لإتمام هذا الغرض، فانسحب إلى الظعاين، وأعلن أنه قد قطع كل علاقة له بالدوحة، وأنه لم يعد مسؤولاً بعد عن أمور قطر التي يتركها مستقبلاً «بين يدي الله ومن بعده الحكومة التركية». وعمّت الاضطرابات ـ التي يحتمل أن تكون بإيعاز من الشيخ جاسم ـ الدوحة وضواحيها، وفي حزيران أو تموز من هذه السنة قام بدو بني هاجر بنهب سوق الدوحة، وكان معظم من لحقت بهم الخسارة هذه المرة بعض التجار الإيرانيين ممّن يسخط عليهم الشيخ جاسم. وفي آب امتدّ هذا الأذى إلى الرعايا البريطانيين وبدأت عمليات القرصنة في البحر، واضطرّ

المقيم السياسي البريطاني إلى اتخاذ الإجراءات التي سنذكرها فيما يلي، وفي منتصف تشرين الأول من نفس السنة آب كل شيء إلى الهدوء في قطر.

زيارة والي البصرة للدوحة، وإعادة وضع حامية عسكرية تركية فيها سنة 1888:

وبدأت سنة 1888 بزيارة قام بها نظيف باشا والي البصرة للدوحة، والتقى أثناء زيارته بالشيخ جاسم ووعده بلقب ووسام، وأنشأ في الدوحة مخزناً للفحم، وبعدها بقليل وضعت حامية تركية قوامها فرقة من جنود المشاة ـ أو 250 جندياً ـ في الدوحة ورسا لنش بخاري تركي في مينائها. وقد تكون هذه الإجراءات راجعة لاحتجاجات الحكومة البريطانيّة على أعمال القرصنة في المياه التركية، أو راجعة للاضطراب الذي ساد الدوحة في السنوات الأخيرة، لكنّ السلطات البريطانيّة ارتابت في هذه الإجراءات، وكانت ترى أنها مقدمة لتقدّم الأتراك باتجاه عمان، وكانت سيطرة أمير حائل على حائم الوهابيين في الرياض أيضاً توحي بتقدّم سياسة تركيا في شبه الجزيرة.

محاولة الأتراك إحكام قبضتهم على قطر 1889 ـ 1891:

وفي تموز سنة 1889 قام عاكف بك متصرّف لحسا (الإحساء) بزيارة للدوحة، ربما كانت ترتبط بمشروع ـ محتمل أن يكون مشروعه هو ـ لإقامة إدارة تركيّة مباشرة في قطر، وكان لقاؤه الأول بالشيخ جاسم في دار محمد بن عبد الوهاب ـ لقاء لا يخلو من الخطر، ففي الوقت الذي لم يكن يصحب المتصرّف فيه سوى حرسه الشخصي، ظهر الشيخ جاسم على رأس أكثر من 600 رجل مسلّح من المشاة، إلى جانب 60 أو 70 من راكبي الخيل والجمال، ومعظمهم مسلّح ببنادق حديثة، وتبع ذلك لقاء آخر أكثر سرية اقترح فيه المتصرّف إقامة إدارة تركيّة منظّمة ودار للعوائد، لكنّ الشيخ جاسم عارض هذا الاقتراح معارضة عنيفة، وأصرّ على أن يقدّم استقالة كتابيّة من قائمقامية قطر.

وفي العام التالي عرفت اقتراحات عاكف بك لإصلاح الحكم في قطر بشيء من التفصيل، فقد أوصى بأن يُعيّن وكيل للقائمقام الشيخ جاسم نظراً لكثرة تغيّبه، وأن يقام مبنى حكوميّ في الدوحة، وأن توضع بها قوة من الفرسان وأخرى من المشاة، وأن تحصل الضرائب من تجار اللؤلؤ وغيرهم من التجار، وأن يعيّن مدير للميناء مسؤول عن تحصيل العوائد من السفن الوطنيّة، ويجب أن تفتح مكاتب بريدية في الزبارة والعديد، وأن تسير سفينتان بخاريتان بشكل منتظم بين الدوحة والعقير (العجير) والقطيف، وأن يقام مسجد في العقير. وفي خريف سنة 1890 وصل الجنود الأتراك الذين سيأخذون مواقعهم في الزبارة والعديد لكنهم لم يتخذوا مواقعهم بالفعل، ويبدو أنّ العقدة كانت هي رحيل عاكف بك فجأة عن لحسا (الإحساء) في إجازة مرضيّة في أوائل سنة 1891.

وفي نفس الوقت ـ في سنة 1890 ـ أعلن الشيخ جاسم أن حكم قطر قد انتقل من بين يديه إلى يدي المسؤولين الأتراك، لكن والي البصرة لم يقبل هذه الاستقالة ونصحه في أوائل سنة 1891 بالمضي في تأدية واجباته بحماس.

القرصنة وأشياء أخرى سنة 1889 ـ 1893

وفي سنة 1889 ارتكب بنو هاجر عملية قرصنة صحبتها خسائر الأرواح على سفينة تابعة للبحرين خارج ساحل قطر، واستطاع الشيخ جاسم استعادة المسروقات لكنه فشل في إلقاء القبض على المعتدين.

وفي سنة 1890 منع آل مرّة ـ بأمر من متصرف لحسا (الإحساء) ـ من دخول الدوحة، وفي بداية 1891 حدث قتال بين عجمان من ناحية وآل مرة وبني هاجر والمناصير من الناحية الأخرى، وخلال موسم اللؤلؤ، استولى بعض من بني هاجر على سفينة في الوكرة، وحملوا ستة قوارب يملكها القبيسات من بني ياس في جزيرة مجاورة، وحين عمّ السخط من أجل هذه الحادثة أعلن الشيخ جاسم أنه لا يستطيع تقديم ترضية عنها. وفي سنة 1892 حدثت عمليات اضطراب خطيرة في البحار. فقد تمّ الاستيلاء على قارب

بجوار الوكرة، ثم سحب بعيداً، وترك بالقرب من الزبارة، وقارب آخر كان يملكه الشيخ جاسم هوجم بالقرب من الظعاين وحمل بعيداً بما فيه من لؤلؤ بعد أن قتل اثنان من بحارته وجرح واحد. مرة أخرى هوجم قارب إيراني من جازة في شبكوة بالقرب من الوكرة، وقتل عشرة رجال من بحارته وجرح ثلاثة عشر وتمّ الاستيلاء على كمية من اللآلىء كانت فيه، وأخيراً تمّ الاستيلاء على قارب من قوارب اللؤلؤ مملوك للشارقة ونقل إلى خور شقيق لكنّ الشيخ جاسم استطاع استعادته، وقد قام هذا الأخير بإطلاق سراح بعض المسجونين نتيجة شفاعة بعض الرجال المسنين.

وفي سنة 1872 استقرّ الأمير عبد الرحمن أمير نجد الوهابي المطرود منها في الدوحة تحت حماية الشيخ جاسم من آب إلى تشرين الثاني.

العلاقات البريطانية مع قطر خلال نفس المدة
1872 ـ 1893

حادثة القرصنة والمطالبة بالتعويض 1874:

أشرنا فيما سبق إلى حادثة القرصنة التي ارتكبها بنو هاجر في صيف سنة 1874 بالقرب من خور شقيق على قارب يملكه تاجر من البحرين اسمه عبد الكريم، وذكرنا أيضاً أنّ بعض الخسائر وقعت على بعض رعايا الهند البريطانيّة إلى جانب الشيخ جاسم نفسه، وقد اتخذ الشيخ جاسم من جانبه إجراءات تعويض خسارته هو، لكن مضت سنة كاملة دون أن يقدّم لرعايا الهند البريطانيّة أي تعويض عن الخسارة التي لحقت بهم. وفي سنة 1875 استطاع كولونيل روس المقيم السياسي البريطاني الحصول لهم على تعويضات بعد أن أرسل مساعده الثاني ـ كابتن فريزر ـ ليسوي هذه المسألة مع الشيخ محمد ابن ثاني.

وفي نفس الوقت تسلمت السلطات البريطانيّة التماساً من رعايا الهند البريطانيّة في الدوحة يشكون من حوادث اغتصاب أموالهم وابتزازها، ويطلبون السماح لهم بمغادرتها، ولكن ثبت أن ما يشكو منه هؤلاء التجار ليس إلا الضرائب المعتادة التي تجمع بهدف توفير الحماية. ورد المقيم العام على أصحاب الالتماس ـ وبتعليمات من حكومة الهند ـ بأنهم أحرار في أن يغادروا المكان أو يظلوا فيه، تابع لتركيا، وأنّ عليه أن يغادر قبل غروب الشمس،

وقد حرص كابتن جوثري ـ كما يروي بعض الأعراب الذين شهدوا الحادثة ـ على أن يبقى في الدوحة أربع وعشرين ساعة أخرى.

سوء معاملة التجار الهنود 1879:

وفي سنة 1876 حاول الشيخ جاسم ـ وكان قد عيّن مؤخراً قائمقاماً لقطر من جانب الحكومة التركيّة ـ أن يستغل منصبه الجديد ليصبّ جام غضبه على تشيلا وراما وهما تاجران من رعايا الهند البريطانيّة من الذين حصل لهم كابتن فريزر على تعويضات في العام السابق، فدبّر استدعاءهما في عاصمة الإقليم البعيدة ـ الهفوف، وزعم أن نفيهما إلى هناك أمر ضروري ولا بدّ منه.

وفي سنة 1879 حدثت حادثة جديدة، فقد اعتدى المسؤول التركي في الدوحة على تاجر هندي بالضرب وسوء المعاملة لاتهامه بأنه يصدر تموراً، ولم يكن معروفاً أنّ هذه جريمة يعاقب عليها. ورغم توصية حكومة الهند لحكومة صاحبة الجلالة بضرورة المطالبة بتعويض للتجار الهنود تشيلا وراما فإن شيئاً لم يحدث لتسوية حادثة سنة 1876، وأوصى كولونيل روس فيما يتعلّق بتأثير مثل هذه الأحداث تأثيراً سيئاً على سمعة بريطانيا في الخليج باتخاذ الإجراءات الكفيلة بسحب كل الرعايا البريطانيين من الدوحة. لكن حكومة الهند رأت من الأفضل الضغط من أجل تنحية المسؤول التركي الموجود في الدوحة شخصياً ـ وهو محمد آغا ـ واستطاعت التوصّل إلى ذلك أخيراً.

إنذار موجه لشيوخ قطر ومحادثات مع تركيا 1879 ـ 1881:

وفي سنة 1879 أصدر المقيم العام إنذاراً لشيوخ قطر بألا يرتبطوا بقراصنة بني هاجر ـ الذين كانوا في ذلك الوقت يحدثون اضطراباً كبيراً على طول الساحل العربي، وقد سلم هذا الإنذار إليهم الكابتن وود روف (Captain Woodroffe) يصحبه وكيل المقيميّة في البحرين، وقد وجّه هذا الإنذار إليهم عقب حادثة ارتكبها قرصان بني هاجر ـ زيد بن محمد ـ فقد

استولى على سفينتين يملكهما المهاندة في خور شقيق، واستخدمهما لنهب سفينة صيد كانت راسية خارج رأس لفان وبلغت قيمة الخسائر أكثر من ألفي غران، إلى جانب قتل واحد من بحارتها.

ويجب أن نلاحظ هنا أنه في آذار سنة 1881 تقدّم الشيخ جاسم إلى المقيم البريطاني بأنّ سلطته لا تمتدّ إلى كل ساحل قطر وأنه مسؤول فقط عن الدوحة والوكرة حسب اتفاقية سنة 1868، وطلب بالتالي أن يرغم أهل الموانىء الأخرى كالفويرط والرويس على الهجرة والاستقرار في إقليمه وبعدها يصبح مسؤولاً عن سلوكهم.

وتبعت ذلك محادثات مع الباب العالي تدور حول الحدود الدقيقة للساحل العربي بشكل عام، واستمرت دائرة من سنة 1879 إلى 1881 كما هو مذكور بالتفصيل في تاريخ لحسا (الإحساء).

مشكلة التعامل مع شيوخ الدوحة والعلاقات السياسية معهم 1881 ـ 1882:

وفي سنة 1881 نتيجة تهديدات بغزو البحرين أولاً من جانب ناصر بن مبارك يعاونه الشيخ جاسم في الدوحة، ثمّ ثانياً بسبب مشروعات الشيخ جاسم نفسه في القيام بعمل بحري ضدّ قبيلة عجمان بالقرب من القطيف وضدّ فرع القبيسات من بني ياس، نتيجة هذا قام السؤال حول مدى التدخّل الذي يمكن للحكومة البريطانيّة أن تمارسه في مثل هذه الشؤون بقطر.

ويجب أن نضيف في كل هذا الحالات نصحت السلطات البريطانيّة في الخليج للشيخ جاسم بأن يتوقف عن هذه الأعمال وعمل بنصيحتها. لكنّ حكومة الهند كانت ترى أنّ الاتفاقيّة التي عقدت سنة 1868 مع والد الشيخ جاسم والتي تعهد بمقتضاها بألا يثير الاضطراب في البحر نما هي اتفاقيّة ذات طابع شخصي إلى حدٍ كبير، ولذلك لا يمكن اعتبارها ارتباطاً من جانب الشيخ جاسم، ورفعت الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة التي ردّت ـ في أوائل

سنة 1882 ـ بأنّ الشيخ ـ رغم أنه راضٍ عن إقامة حامية عثمانيّة على أرضه ـ فيجب تشجيعه على إقامة علاقة وثيقة ومباشرة مع المسؤولين في حكومة الهند وأن يرجع إليهم ـ إلى الحد الذي يرغب فيه ـ في كل الأمور التي تتعلّق بالأمن في البحار. وفيما يتعلّق بما يجب أن يحدث في حالة قيام شيخ الدوحة أو سواه من الشيوخ الذين في مكانته ـ بعمل عدائي في البحر ـ دون إشارة بذلك للمقيم العام، أو إهمال لتحذير صدر منه ـ فقد عجزت حكومة صاحبة الجلالة عن أن تقدم نصائح أو تعليمات دقيقة وبقي على حكومة الهند أن تتصرف في كل حالة وفق ما تراه.

وقد أبلغ الباب العالي في تموز سنة 1881 ـ في نهاية المفاوضات التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة ـ أنهم إذا كانوا يريدون الموافقة على سياسة مشتركة في البحر، فإن حكومة صاحبة الجلالة مضطرة لأن تتكفل وحدها «بحرية مطلقة ودون إشارة لمزاعم السلطان بالفصل في كل المنازعات الإقليميّة في هذه المياه..»، وخولت لقادة السفن البريطانيّة التي تطوف بالخليج سلطة العمل حسب مقتضيات الضرورة لمنع اضطراب السلم في البحار أو عقاب مرتكبي هذا الاضطراب وأن يتجنبوا ـ بقدر الإمكان إثارة مشاكل لا داعي لها مع السلطات التركيّة في المكان الذي قد توجد به هذه السلطات، وأن يتجنبوا أيضاً بقدر الإمكان ـ الاقتراب من حدود الأرض التابعة للسلطان، وتنفّذ هذه التعليمات أيضاً بالنسبة للساحل شمالي العديد.

وعد الشيخ جاسم بالالتزام باتفاقية سنة 1868:

وحوالي نفس الوقت تقريباً، اقترح الكولونيل روس المقيم السياسي البريطاني أن يرغم الشيخ جاسم ـ الذي ظلّ خلقه وسلوكه كما كان دائماً ـ على الاعتراف الكتابي بصحة الاتفاقية التي عقدت مع أبيه في سنة 1868، لكن حكومة الهند ـ التي كانت تخشى أن تؤدي هذه الأعمال إلى إثارة مشاكل مع الحكومة التركية ـ أمرت بأنّ مجرد الضمان الشفاهي يكفي. وقد تمّ هذا بالفعل، وتجدّد بالتالي التزام الشيخ جاسم بأن يحافظ على السلم في البحر،

وأن يرفع كل الخلافات التي تقوم بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني، ووضّح لوقت ما أنّ هذه الالتزامات كانت لها آثارها التي قيّدت الشيخ العنيد صعب المراس.

طرد تجار الهند البريطانيّة من الدوحة وما عمله البريطانيون بعدها 1881 ـ 1883:

وفي تشرين الأول سنة 1881 بدأ الشيخ جاسم يضطهد تجار الهند البريطانيّة لأنّ أعمالهم في تجارة اللؤلؤ كانت تتدخل في أعماله هو، وقد صمّم بالتالي على أن يجردهم من كل مكانة أو حماية، لكن زيارة لسفينة صاحبة الجلالة «وود لارك» قامت بها للدوحة وضعت الأمور في نصابها زمناً ما، لكن الشيخ عاد أخيراً في سنة 1882 فأغلق محلات التجار الهنود بالقوة وأرغمهم على مغادرة الدوحة، وقدم أسباباً غير حقيقية لعمله هذا. وفي أيار سنة 1882 أرسل مساعد من المقيمية البريطانيّة إلى الشيخ جاسم ومعه خطاب إنذار له يحمّله المسؤوليّة كاملة عن كل الخسائر التي لحقت برعايا الهند البريطانيّة لكنه كان متحجّر القلب فلم يأبه بشيء. وفي تشرين الثاني 1882 قام وكيل موثوق به من المقيميّة البريطانيّة بزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة «وود لارك» وقدم طلباً للتعويض باسم هؤلاء التجار.. وللمرة الثانية أهمل الشيخ جاسم مطالبه. وأخيراً.. في كانون الأول 1882، وبعد استصدار إذن حكومة صاحبة الجلالة، قام الكولونيل روس المقيم البريطاني في الخليج بنفسه بزيارة الدوحة على سفينتي صاحبة الجلالة «وود لارك» و «آراب»، وأصرّ ـ في وجه هذه العدائيّة المتكرّرة ـ بأن يقدم الشيخ جاسم اعتذاره للحكومة البريطانيّة، ويدفع التعويض لتجار الهند البريطانيّة، ويسمح لهم بالعودة للاستقرار في الدوحة. ووجد الشيخ جاسم نفسه مرغماً على قبول هذه المطالب، وتمّ بالفعل تحصيل مبلغ 8 آلاف روبيّة دفعت للتجار الهنود الذين كانوا قد لجؤوا إلى البحرين.

احتجاج الباب العالي على أعمال بريطانيا 1883:

وبمجرّد أن عرف الباب العالي بأمر التحصيل المباشر لتعويض الخسائر من قائمقامه المزعوم بعمل من جانب البحرية البريطانيّة في الدوحة، تقدّم باحتجاج إلى سفير الحكومة البريطانية في القسطنطينيّة ورفع الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة. ويبدو أنّ الشيخ جاسم كان قد نقل ما حدث إلى السلطات التركية بشكل مبالغ فيه، وهدّد بالاستقالة من القائمقاميّة إذا لم يسترد مبلغ الثمانية آلاف روبياً الذي دفعه، وصدرت التعليمات لسفير الحكومة البريطانيّة بأن يحاول ـ في البداية ـ المراوغة في مناقشة هذا الموضوع. وإذا تعذّر ذلك فعليه أن يذكر بوضوح أنّ الحكومة البريطانيّة لا تعترف لتركيا بأيّ حق من حقوق السيادة على ساحل قطر. وأخيراً، والمشكلة لا تزال قائمة، أبلغ لورد جرانفيل (Lord Granville) سفير تركيا في لندن ـ كتابة ـ «أنّ حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بزعم تركيا في حقوق السيادة على ساحل قطر».

وباستثناء هذا التبليغ، فقد أبلغ السفير التركي مرة أخرى وبوضوح لا يقبل شكاً ـ في 22 أيلول سنة 1883 ـ بأن الحكومة البريطانيّة لا تستطيع قبول مزاعم تركيا، وليست أيضاً مستعدة لأن تنتقص حقاً واحداً من حقوقها التي مارستها زمناً طويلاً في قطر، والتعامل مباشرة مع شيوخ العرب على ساحلها لمراقبة الأمن في البحار، ولتحصيل التعويض عن الأضرار التي قد تلحق برعايا بريطانيا أو من هم تحت حمايتها.

سوء معاملة رعايا بريطانيا مرة أخرى، وعمليات قرصنة جديدة 1883 ـ 1886:

وبعد اتفاقيّة سنة 1882، رجع خمسة من التجار الهنود الذين طردوا من قبل إلى الدوحة لكن إقامتهم ظلّت غير مرغوب فيها من جانب نوايا الشيخ جاسم العدائيّة نحوهم، وفي سنة 1886، وبعد أن اتخذّ الشيخ جاسم كل الخطوات الحذرة التي يستطيع بها التنصل من مسؤوليّة ما يحدث، انتقل الشيخ مؤقتاً من الدوحة إلى العديد، وبعدها مباشرة هاجم بدو بني هاجر التجار

الهنود وجرحوا منهم اثنين جراحاً غير خطيرة، وأرسل مساعد المقيم البريطاني ـ بهادور عبد الرحمن حكيم ـ لبحث الحادثة وذكر أنه وجد من الأدلة ما يشير إلى أن هذه الحادثة معتمدة ومدبّرة من جانب الشيخ جاسم وابنه الذي تركه مسؤولاً عن الدوحة، وأنّ الهدف منها إرغام التجار الهنود على هجرة الدوحة والخلاص بالتالي من منافستهم التجارية. وأخيراً ذكر المقيم أنّ الشيخ جاسم أنكر بشدة اشتراكه في هذه الجريمة وأبدى اعتذاره لوقوعها، وبأمر من حكومة الهند، قبل إنكاره واعتذاره.. وانتهى الموضوع.

وفي خريف سنة 1886، ارتكب بعض بني هاجر عدداً من حوادث القرصنة الصغيرة على ساحل قطر، وأرسل وكيل المقيميّة على سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» ليقابل المسؤول عن الساحل، ونجح في الحصول منه على ضمان بالتعاون مع الحكومة البريطانيّة، وكان جزء من هذا الضمان كتابياً.

هجوم متعمد على تجار الهند البريطانيّة في الدوحة، وما قامت به السلطات البريطانيّة بعد ذلك 1887:

وفي سنة 1887، وبعد أن انسحب الشيخ جاسم من الدوحة لخلاف بينه وبين الأتراك، سادت الفوضى في المدينة وقتاً ما، ربما بتحريض الشيخ نفسه وهو في المكان الذي انسحب إليه، وفي بداية هذه الاضطرابات قام أقارب الشيخ في الدوحة بحماية التجار الهنود ولكن في أول آب هاجم بعض الأعراب تاجرين هنديين عمداً وأصابوهما بجراح، وبدأت عمليات القرصنة أيضاً على طول الساحل، فوقعت ستة حوادث في زمن قصير، وكان شيخ البحرين وعدد من رعاياه بين ضحايا هذه العمليات، وطالب هذا أن يقوم بعمل من جانبه رداً على هذه الاعتداءات.. لكن المقيم العام نصحه ـ بدلاً من ذلك ـ بمصادرة ممتلكات الشيخ جاسم من اللؤلؤ وغيره في البحرين ـ وقيمتها تتجاوز 20 ألف روبية ـ وتمّ بالفعل احتجاز هذه الأموال، وفي نفس هذا الوقت كان وكيل المقيم الذي أرسل إلى الدوحة قد رحل رعايا الهند البريطانيّة منها، وذكر الشيخ جاسم بمسؤولياته عن هذا العمل، ووصل على

سفينة صاحبة الجلالة «أوسبري» بعدها إلى البحرين، وكان قائد القوات التركيّة في لحسا (الإحساء) قد تقدّم إلى الدوحة ومعه فرقة من الحرس، وانشغل فوراً بمشاورات مع الشيخ جاسم وغيره من الشيوخ. وكانت نتيجة حملة الكولونيل روس السلمية نتيجة مرضيّة تماماً، فقد أرسل الشيخ جاسم وكيلاً عنه مباشرة ليبدأ المفاوضات في البحرين، وتمّت تسوية القضية بأن يدفع مبلغ 6390 روبية تعويضاً لتجار البحرين عن ممتلكاتهم من أملاك الشيخ في البحرين.

احتجاجات الباب العالي 1888:

لكن الشيخ جاسم ـ الذي ترغمه الظروف القاهرة فقط على الخضوع لمطالب بريطانيا ـ لم يترك وسيلة من الوسائل ينقض بها ما تمّ عليه الاتفاق إلّا ولجأ إليها، فتقدّم إلى ولاة البصرة وبغداد شاكياً لهم أنه قد جرّد من أملاكه «جميعاً» في البحرين نتيجة علاقاته بالحكومة التركية. وكانت نتيجة شكواه خطاب تهديد ـ ربما لم تصدر به أوامر من سلطات عليا ـ أرسله متصرف لحسا (الإحساء) إلى شيخ البحرين يطلب منه إعادة أملاك الشيخ جاسم إليه، وبعدها تمّ توجيه الاحتجاج المتوقع أيضاً إلى سفير بريطانيا في القسطنطينيّة. وبالإشارة إلى هذا الاحتجاج، أحالت حكومة صاحبة الجلالة سفيرها إلى البيانات التي سبق أن أصدرتها سنة 1883 والتي لا تزال سارية المفعول.

إيران تطلب مساعدة السلطات البريطانيّة لها، ثمّ لا تستخدمها 1887 ـ 1888:

وبالنسبة للخسائر التي لحقت بالرعايا الإيرانيين في الدوحة، فقد سأل الشاه عن إمكان أن تساعد السلطات البريطانيّة حكومته في المطالبة بهذه التعويضات التي قدّرت بثلاثين ألف توماناً، وكان ثمة أمل في الرضوخ لهذا المطلب بعد أن تنتهي تسوية مشكلة الرعايا البريطانيين. وفي أوائل سنة 1888 يبدو أنّ الحكومة الإيرانية قد اكتفت بتأكيدات الباب العالي.. ولا نعرف يقيناً ما إذا كانت قد حصلت على التعويضات المستحقّة لها أم لم تحصل ـ ويبدو

كما أشرنا في تاريخ البحرين ـ أنّ الوزير الإيراني كان يحبذ فكرة أن يقوم الشيخ جاسم بغزو البحرين لحساب إيران.

زيارة المقيم البريطاني للدوحة 1888:

وفي تشرين الأول سنة 1888 زار الكولونيل روس الدوحة والتقى بالشيخ جاسم الذي جاء لمقابلته بصحبة حوالي 700 فارس بدوي، وشكا الشيخ سوء المعاملة التي يلقاها.

مراسلات أخرى بين الحكومتين البريطانية والتركية حول حقيقة وضع الباب العالي في قطر 1889:

وقد أدّى نشاط نظيف باشا والي البصرة في القطيف وقطر إلى شيء من الارتباك بالنسبة للحكومة البريطانيّة، ولكن لما كانت أعماله هذه كلها صادرة عن حقيقة واحدة هي نقمة الأتراك وحسدهم من سيطرة بريطانيا على منع القرصنة، ولما كانت الحكومة البريطانيّة أيضاً لا تود في الوقت الحالي الدخول في أيّ مفاوضات حول الحدود. . لهذا لم تعترض على أعمال نظيف باشا مؤقتاً. وفي نفس الوقت كان ثمة اعتقاد بأن أمير شمر في حائل يعد عمليات عسكرية على عمان، وأنّ الأتراك ينوون مساعدته وإمداده بالمقاتلين من لحسا (الإحساء) وقطر. وفي 1889 ـ وبهدف واضح هو تأكيد السيادة التركية على قطر ـ أبلغ وزير الخارجية التركية السفير البريطاني في القسطنطينيّة أن الحامية التركية الموجودة في الدوحة ستعزز بقوات من جيش بغداد. وظنّت حكومة صاحبة الجلالة أنه يكفي تذكير الباب العالي بحالة الحرب القائمة وقتذاك بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبي وبأن الأتراك في هذه الحالة إنما يهدفون إلى مد نفوذهم في اتجاه أبو ظبي، وأنّ حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع أن تقف مكتوفة اليدين في وجه أي محاولة من السلطات التركية للعدوان على قطر أو التدخل في شؤونها.

علاقات قطر بالبحرين، والحالة في الزبارة
1877 ـ 1892

مزاعم شيخ البحرين في الزبارة 1873:

كانت قطر ـ خلال هذه الفترة ـ مسرحاً تدور عليه أحداث كثيرة كلها هامة بالنسبة للبحرين وبعضها خطير أيضاً. لكن هذه موجودة في تاريخ البحرين، وسنقتصر هنا فقط على ذكر بعض الملاحظات حول مزاعم شيخ البحرين في قطر والحالة في الزبارة.

فقد أدّى احتلال تركيا للحسا (للإحساء) إلى أن تصبح سيادة شيخ البحرين على قطر ـ التي كان مسلماً بها من قبل ـ موضع خلاف، وفي سنة 1871 كلّف الكولونيل بيللي ـ المقيم السياسي ـ من قبل حكومة بومباي بكتابة تقرير عن هذا الموضوع لكنه قام بإجازة قبل أن يضع هذا التقرير اعتقاداً منه بإمكانية جلاء تركيا عن لحسا (الإحساء)، وظلّ الموضوع معلقاً حتى صيف سنة 1873 حيث تردّد أنّ ضابطاً تركياً قد ذهب إلى الزبارة في قطر لإقناع سكانها بالاعتراف بسيادة تركيا، وتحرّك شيخ البحرين ليجدّد مزاعمه في السيادة على الزبارة على أساس أنّ قبيلة بني نعيم التي تقيم بالزبارة من رعاياه، وقد اعترفوا بذلك في وجود الكولونيل بيللي، المقيم السابق.

وأبلغ الكولونيل روس ـ بعد أن تلقّى تقريراً عن الموضوع من ميجور جرانت وكيله في البحرين ـ الحكومة بأنّ سيادة قطر مسألة غير محددة رغم أنّ كل الساحل قد وقع مؤخراً تحت النفوذ التركي، ومزاعم شيخ البحرين بالسيادة

عليها مزاعم ليست مؤكدة، وفرض هذه المزاعم بالقوة شيء ليس في استطاعته، وأصدر تعليماته لوكيله في نفس الوقت بأن يحاول إقناع الشيخ ـ كما حدث من قبل ـ بألا يتدخل في شؤون الأرض المجاورة للجزر. وأوصى الكولونيل بيللي ـ الذي أحيلت إليه الأوراق جميعاً لإبداء الرأي ـ بأن تبذل كل الجهود لتجنّب مشكلة النزاع الإقليمي في الوقت الحالي، وكان يظن أنّ شيخ البحرين ـ رغم أن من المعترف به وجود بعض حقوق له كحقوق الرعي وغيرها على ساحل قطر ـ إلا أنه لا يجب تشجيعه على الخروج إلى البحر بهدف الاستيلاء على ميناء في قطر، ومرة أخرى في أيلول سنة 1873 عاد شيخ البحرين يؤكّد مزاعمه في الزبارة وضرورة طاعة قبيلة بني نعيم له، وتساءل عمّا إذا كان يجب أن يتنازل عن حقوقه تلك. . وردت حكومة الهند فأكّدت اعتقادها بأنّ شيخ البحرين ليست له أيّ حقوق واضحة أو هامة في قطر بصفة عامة، وأوصت بضرورة منعه بقدر الإمكان عن إثارة الاضطراب في الأراضي القريبة منه.

الهجوم على الزبارة، وتعزيز شيخ البحرين لها 1874:

وفي أيلول سنة 1874 حاول بنو هاجر العبور من قطر إلى البحرين لكن حركة سفن بحرية بومباي أفشلت محاولتهم، فوجهوا اهتمامهم إلى قرية بني نعيم في الزبارة، ولولا ظهور القارب البريطاني المسلّح «هج روز» في المنطقة، إلى جانب المقاومة الباسلة من جانب حامية الصيف الصغيرة فيه. لولا ذلك لكان محتملاً أن يستولي بنو هاجر على الزبارة ويضعوا أيديهم على القوارب التي تمكنهم من غزو البحرين. وأدّى هذا التأخير إلى عودة بني نعيم بكل قوتهم من البحرين وشواطىء اللؤلؤ إلى الزبارة، وبعد عودتهم مباشرة أوقعوا هزيمة حاسمة ببني هاجر. وقبل نهاية السنة ظهر اللاجىء البحريني ناصر بن مبارك على ساحل قطر، وخشي شيخ البحرين أن تسقط الزبارة بين يديه، فطلب من الكولونيل روس، المقيم العام، السماح له بتعزيز الزبارة على أساس أنها تابعة للبحرين وعمل هام من أعمالها، وأنه لو لم يساعد حلفاؤه

بني نعيم لفقد عونهم له في المستقبل. وكانت هذه الاعتبارات وراء موافقة الكولونيل روس على تعزيز الزبارة ـ كإجراء دفاعي فقط، لكن عمله لم توافق حكومة الهند عليه كله، التي كانت ترى ـ حسب قرارها في العام الماضي ـ إقناع شيخ البحرين بالعدول عن إرسال إمدادات من الرجال للزبارة، ويجب تشجيعه أيضاً على الاعتماد اعتماداً مطلقاً على الحكومة البريطانيّة للدفاع عن جزره.

وبعدها مباشرة ذاع أنّ والي بغداد قد نقل إلى الباب العالي تلغرافياً صورة محرفة وبالغة السخف لما حدث، فقد صوّر الأمر على أنّ قبيلة بني نعيم في الزبارة متمرّدة على السلطة الشرعيّة للحكومة التركية، وأنّ بني هاجر قد استخدمتهم هذه السلطات لقمع التمرّد، لكن المتردين أفلتوا من العقاب نتيجة تدخل خارجي من جانب شيخ البحرين. وكانت الأخطار التي تتهدد البحرين من ناحية قطر ـ كما يرى المقيم العام ـ راجعة بشكل أساسي إلى مشكلة ما إذا كان الساحل المطل على البحرين تابعاً لسلطة الباب العالي أم لا.

حكومة الهند لا تقر مزاعم شيخ البحرين في السيادة على قطر 1875:

وعاد شيخ البحرين ـ رغم أنه أبدى استعداده لاتباع نصائح الحكومة البريطانيّة ـ مرة أخرى في نيسان سنة 1875 يؤكّد مزاعمه في السيادة على قطر كلها ويؤكّد أنها كانت خاضعة من قبل للبحرين وتدفع لها الجزية. وحين رفعت هذه الحقائق إلى حكومة الهند أبدت أسفها لاستمرار شيخ البحرين في الزج بنفسه في شؤون الأرض المجاورة له، وأمرت بأن يلفت نظره إلى أنّ استمراره في هذا السلوك الذي يعارض نصائح بريطانيا له، ويعرضه لمشاكل في الأراضي، أمر ستكون نتائجه عليه هو وحده، وبريطانيا من ناحيتها تحتفظ بحقها في أن تتّخذ ضده من الإجراءات ما تراه ضرورياً، ونقل الملازم فريزر مساعد المقيم مضمون هذا الخطاب إلى الشيخ عيسى شخصياً، ولم يوافق الشيخ على أنّ حقوقه في البحرين غير صحيحة أو شاملة، لكنه رغم ذلك أعلن خضوعه لأوامر الحكومة.

جلاء شيخ البحرين عن الزبارة 1875:

وتقدم الشيخ بعد ذلك بطلب عن طريق أخيه للسماح بتأخير انسحاب رجاله عن الزبارة حتى نهاية موسم اللؤلؤ لكن طلبه رفض. وقد ظلّت الحالة هادئة في الزبارة وما جاورها إلّا من بعض إغارات متبادلة على المواشي التي يملكها كل من بني هاجر وبني نعيم، ولكن أثناء موسم صيد اللؤلؤ خرج بعض بني هاجر إلى البحر لعملية قرصنة، وأدّى خروجهم هذا ـ كما هو مذكور في تاريخ البحرين ـ إلى عمل قام به شيخ البحرين في مياه بعيدة عنه تماماً.

الحالة في الزبارة 1876 ـ 1877:

وفي سنة 1876 انقسمت قبيلة بني هاجر مؤقتاً إلى قسمين ارتبط قسم منهما باللاجىء البحريني ناصر بن مبارك، وبقي الثاني مع بني نعيم في الزبارة، واتخذت الاحتياطات مرة أخرى فوجّه إنذاراً لشيخ البحرين بألا يتدخل في المشاكل على البر، ولكن يبدو أنّ هذا لم يكن ضرورياً، فلم ينتج شيء عن هذا التحالف الجديد.

وفي سنة 1877 قدمت شكاوى ـ كما هو مذكور في تاريخ البحرين من أنّ الشيخ عيسى لا زال على علاقات وثيقة بالزبارة، لكن البحث أثبت عدم صحّة هذه الشكاوى، وأن الشيخ لم يكن يعمل أكثر من المطلوب لإبقاء بني نعيم إلى جانبه ومنعهم من الاتصال ببني هاجر.

تدمير الزبارة 1878:

وفي أيلول سنة 1878 ـ كما هو مذكور في تاريخ لحسا (الإحساء) حدثت حادثة قرصنة رهيبة حدث فيها قتل أربعة أشخاص، ارتكبها أهل الزبارة على قارب عابر، وأصدرت حكومة الهند أوامرها للكولونيل روس المقيم السياسي بأن يطلب إلى السلطات التركية إيقاع العقاب بأهل هذه المنطقة وأن يعرض عليها عون البحرية البريطانية لهذا الهدف. وقد نفّذ هذه التعليمات بأن سار بنفسه في 22 تشرين الأول إلى البصرة، لكنه لم يصل من مقابلته لواليها

عبد الله باشا إلى أي نتائج مرضية، وفي نفس الوقت أو بعده بقليل، وقع هجوم على الزبارة ـ التي كان أهلها يرتكبون الغارات وعمليات القرصنة ضدّ جيرانهم من كل صوب ـ بقوات كبيرة يقودها الشيخ جاسم شيخ الدوحة وناصر بن مبارك، وحين سمع الكولونيل روس بهذه المشكلة الجديدة أبحر من فوره من بوشهر إلى البحرين في 17 تشرين الثاني وصحبته سفينتا صاحبة الجلالة «تيزار» و «آراب» ورستا إلى ميناء البحرين. وصعد إليه الشيخ عيسى على ظهر السفينة، وألحّ في وجوب القيام بعمل لإنقاذ بني نعيم في الزبارة لكن المقيم رفض، فسخط الشيخ سخطاً عظيماً. وفي 18 تشرين الثاني نزل الكولونيل روس إلى الزبارة من سفينة صاحبة الجلالة «تيزار» وزار معسكر الشيخ جاسم وكان مضروباً على مبعدة نصف ميل تقريباً من حصن مرير الذي حصر فيه بنو نعيم وقد تجاوز عددهم خمسمئة شخص. أمّا قرية الزبارة نفسها فقد تحولت فعلاً إلى أنقاض، وذكر أنّ عدة قوارب قد أحرقت أيضاً، ويبدو أنّ القوة التي كانت تصحب الشيخ جاسم كان قوامها ألفا رجل مسلح، ونتيجة هذا التفاوت الكبير بين عدد المهاجمين لم يقع قتال فعلي. وحين عاد الكولونيل روس إلى البحرين وجد برقية من والي البصرة الذي يعرفه موجهة إلى قائمقام القطيف يأمره فيها بإرسال القارب التركي المسلّح «اسكندرية» فوراً إلى الزبارة للحيلولة بين هذه القوات المهاجمة وغزو البحرين، وأبلغه أنّ هذا الأمر قد نفّذ بالفعل. وقد استسلم بنو نعيم عقب رحيل الكولونيل روس مباشرة بشروط غير منصفة، ولم تعد الزبارة مكاناً آهلاً بالسكان بعد.

أما سكانها ـ الذين يبدو أنّ قائد السفينة التركية «اسكندرية» استطاع عقد صلح بينهم وبين الشيخ جاسم ـ فقد انتقل معظمهم في البداية إلى الدوحة، وقد اتّفق رأي المقيم العام وشيخ البحرين معاً في ذلك الوقت على أنّ أفضل حل لمشكلة الزبارة في ذلك الوقت ـ بقدر ما يهم البحرين ـ هو احتلال تركيا الدائم لها.

إشاعات عن احتلال الأتراك للزبارة 1888 ـ 1891:

وفي سنة 1888 ذكر أنّ الأتراك ينوون إعادة بناء الزبارة، وخشي أن يكلفوا بذلك وكيلهم الخارج على القانون من البحرين ناصر بن مبارك، فأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بأنّ يبلغ هذا الرجل والشيخ جاسم أيضاً ـ الذي كان صهره ـ بأنهم لن يسمحوا لأحد بالاستقرار في الزبارة، ولم تلاحظ أي محاولة لإعادة احتلال المكان بعدها، وفي 1890 و1891 تناثرت شائعات عن تعيين مدير تركي للزبارة، وقد عرض هذا المنصب في البداية على محمد بن عبد الوهاب في دارين لكنه رفض، ولكن يبدو أنّ المسؤولين الأتراك قد عدلوا عن المشروع كله بعد أن وصل المدير المعين بالفعل إلى البحرين.

علاقات قطر بأبو ظبي والحالة في العديد
1872 ـ 1893

سنجد في تاريخ إمارة أبو ظبي إشارة إلى مستعمرة بعض بني ياس المنشقّين في خور العديد من سنة 1869 إلى سنة 1878، وكانت مستعمرتهم هذه تقع داخل الحدود الإقليميّة للعديد لكننا سنشير الآن فقط إلى تأثير بعض الأحداث هناك على قطر التي تلاصق الخور عن قرب.

علاقة تركيا بالعديد 1871 ـ 1876:

في سنة 1871 ـ وعقب وصول الأتراك إلى لحسا (الإحساء) مباشرة ـ تبيّن أنّ العلم التركي قد عرض على بني ياس هؤلاء في خور العديد، وكانوا يؤكدون دائماً أنهم مستقلون عن جميع القوى. . لكنهم رفضوا قبول العلم، وسرّت إشاعة أخرى مضادة تقول إنهم قبلوا العلم فعلاً ورفعوه يوم الجمعة. وفي سنة 1873 زار أربعة أتراك العديد، ورتبوا هناك أمراً أن يدفع المستوطنون فيها مبلغ 40 أو 50 روبية لهم كل سنة عن طريق الشيخ جاسم في الدوحة، ثمّ رحلوا بعد أن منعتهم ندرة المياه عن إقامة موقع لهم. وفي سنة 1874 أعلن الشيخ زايد شيخ أبو ظبي أنّ السلطات التركية كتبت إليه تعلن أنّ العديد تحت حمايتهم، وتطلب منه التدخّل هناك لكنه لم يستطع أن يقدّم تلك الخطابات حين طلبت منه.

وفي سنة 1875 تبيّن أنّ لدى شيخ العديد علمين: علم تركيا وعلم المشايخ المتصالحين وأنه يرفع أحدهما أو الآخر حسب مقتضى الحال، وفي

19 تشرين الأول سنة 1876 حين زار الكابتن جاثري العديد على السفينة «ماي فرير» وجد علم عمان المتصالحة مرفوعاً لكنه علم أنّ الجزية لا زالت تدفع لتركيا.

مراسلات مع الباب العالي خاصة بحوادث القرصنة في العديد 1877:

وفي سنة 1876 و 1877 ارتكب بعض آل مرة عدداً من أعمال القرصنة على مرافىء القوارب في العديد ـ وكانت هذه القبيلة البدويّة تابعة اسمياً لتركيا ـ ولم يكن بمقدور شيخ العديد منع وقوع هذه الحوادث، وأصبح التفاهم مع الحكومة التركية بهذا الصدد ضرورياً. وتحاشت حكومة صاحبة الجلالة أن تشير إشارة محدّدة إلى العديد ـ لأنّ هذا يشير إلى مشكلة إقليميّة مستعصية ـ واكتفت بأن تلفت نظر الباب العالي إلى تزايد أخطار القرصنة على ساحل قطر نتيجة امتداد سيطرتهم على هذا الاتجاه، **وأكّدت مرة أخرى عزمها على ألا تسمح للقراصنة بإشاعة الاضطراب في مياه الخليج سواء كان هؤلاء القراصنة خارجين فعلاً من أماكن خاضعة للنفوذ التركي كميناء الدوحة، أو منتمين إلى القبائل التي تعترف بسيادة تركيا يبحرون من موانىء شيوخ مستقلين لكنه أضعف من أن يستطيعوا منع هذا الاضطراب في أقاليمهم، وأنكرت الحكومة التركية في ردّها معرفتها بأي حوادث قرصنة حدثت على شاطىء قطر وطلبت التفصيلات.**

شكوى الباب العالي من عمل البريطانيين في العديد 1878:

وفي سنة 1878 شكا وزير الخارجية التركية من أعمال السلطات البريطانية في العديد قبل عدة شهور والتي أدّت ـ كما هو مذكور في تاريخ إمارة أبو ظبي إلى أن يهجرَ بنو ياس مستعمرتهم، وفي خلال هذه المراسلات **وضّح أن تركيا تعامل العديد كجزء تابع لإقليم قطر التركي**، ولا نجد في تقارير حكومة الهند رداً على هذه الشكوى ولكن في المراسلات التي أعقبت ذلك مباشرة ودارت حول حوادث القرصنة على ساحل لحسا (الإحساء)

وقطر، يبدو واضحاً أنّ الحكومة البريطانيّة كانت قد قرّرت ألا تعترف بمزاعم تركيا في السيادة على العديد أو أي مكان سواها غرباً.

حرب طويلة بين شيوخ الدوحة وأبو ظبي:

ومن سنة 1876 وصاعداً، ونتيجة وجود المتمردين من بني ياس في العديد، استمرت الأعمال العدائيّة دائرة بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبي، وفي سنة 1880، ولدى عودة القبيسات إلى أبو ظبي، ازدادت حدة العداء بين هذين الشيخين. وخلال إقامة القبيسات في العديد سقط هذا المكان تماماً تحت سيطرة الشيخ جاسم الذي خسره مرة أخرى برحيلهم عنه، واتّضح غيظه لهذا في المزاعم التأديبيّة التي أصبح ينادي بها ضدّ زعيمهم بطي بن خادم.

سنة 1881:

وفي سنة 1881 أنهى الشيخ جاسم إلى المقيم البريطاني رغبته في احتلال العديد وإلقاء القبض على بطي بن خادم، لكن المقيم استطاع أن يحول بينه وبين القيام بأيّ من هذين العملين.. وفي كانون الأول سنة 1881 قام بنو هاجر وغيرهم من بدو قطر بالإغارة على منطقة بجوار أبو ظبي واستطاعوا الاستيلاء على عدة جمال تمّ بيعها في الدوحة، وبعدها مباشرة تهيأ شيخ أبو ظبي للانتقام، واستعد الشيخ جاسم بدوره للدفاع، وأخيراً ـ ونتيجة تدخل محمد بن عبد الوهاب ـ سوِّيت المسألة دون قتال.

سنة 1885:

وفي سنة 1885، وبعد فترة ساد فيها السلم عاد الشيخ جاسم لتجديد نزاعه مع شيخ أبو ظبي فزعم أن له ديناً عند بطي بن خادم ضمنه فيه الشيخ زايد ولم يسدّد، وأنّ المناصير الذين هم تحت حماية الشيخ زايد قد نهبوا بعض أهالي قطر في جزيرة دالمة وقد أغاروا على إقليم قطر نفسه، وزعم أيضاً أنّ الشيخ زايد يتدخل في شؤون العديد التي هي شرعاً تابعة للشيخ جاسم الذي سيقوم باحتلالها. وربما كان يقصد بشكايته من المناصير ما قام به فرع

آل بو شعر من هذه القبيلة حيث استولوا على قطيع من الماشية وثلاث جواري مملوكة لأقارب الشيخ جاسم في نعيجة بالقرب من الدوحة، وقد قام بنو هاجر وآل مرة بارتكاب عدة غارات انتقاميّة عليهم باسم الشيخ جاسم، فقد قامت هذه القبائل بغارة على بلاد بني ياس، وحملوا منها ستة جمال بيعت في أسواق الدوحة، واستمرت هذه المهاترات دائرة بينهم حتى سويت المسألة بتدخل اللاجىء البحريني ناصر بن مبارك. وفي نفس الوقت أجاب المقيم العام على اتصال من جانب الشيخ جاسم به، فأفصح عن رغبته في أن يتخلى الشيخ جاسم عن نواياه في احتلال العديد، وأن يقدّم بدل ذلك تفصيل شكواه من شيخ أبو ظبي مستهدفاً تسوية الخلافات والصلح معه.. لكن الشيخ جاسم لم ير من اللائق به إجابة هذه الدعوة.

سنة 1886:

وفي صيف سنة 1886 أبلغ الشيخ جاسم الشيخ زايد أنه تلقّى توجيهات من السلطات التركية بإعادة بناء العديد، وإثباتاً لما يقول أرفق بكتابه خطاباً موجهاً إليه من قائد السفينة التركية «زعاف» بهذا المعنى، وقد قدم شيخ أبو ظبي هذه المراسلات إلى المقيم العام. وفي نفس الوقت تقريباً تحرّك الشيخ جاسم من الدوحة باتجاه العديد ومرة أخرى حذّره المقيم من هذا العمل، واستعدّ بسفينته الحربية كي يسير مباشرة إلى هذا المكان، وقدّم احتجاجاً في نفس الوقت إلى السلطات التركية، أنكر والي البصرة ـ في ردّه الكتابي عليه ـ معرفته بهذا الأمر الصادر عن قائد السفينة «زعاف». ولم يقم الشيخ جاسم بالتالي بأي محاولة لإعادة احتلال العديد.

سنة 1887:

وفي سنة 1887 هاجمت سفينة قراصنة من الوكرة قارباً للقبيسات من بني ياس على شاطىء اللؤلؤ وجرح أحد بحارة هذا القارب جراحاً خطيرة أفضت إلى موته.

موت ابن الشيخ جاسم في الحرب 1888:

وفي سنة 1888 وصلت الحرب تحت الحماية بين شيوخ الدوحة وأبو ظبي فجأة إلى أزمة حادة. ففي شباط من هذه السنة، وأثناء وجود والي البصرة في الدوحة بالفعل، حدثت غارة قام بها المناصير على جمالهم واستطاعوا فيها سبي 40 عبداً وجارية معظمهم لآل بو شعر في نعيجة، بل إنّ من المناصير من تقدّم أكثر واستطاع أن يخطف عبدين أو ثلاثة من أطراف الدوحة نفسها، وقد فشلت مطاردتهم. وفي آذار قام الشيخ جاسم بغزوة انتقامية لإقليم ليوة (ليوا)[1] في ظفرة واستطاع أن يستولي على أكثر من 400 بعير وزعها على رفاقه، كما استطاع أن يسترد اثنين من العبيد الذين خطفوا من الدوحة، ودمّر 20 قرية من قرى ليوة (ليوا) تدميراً كاملاً. وفي أيار تجدّد الصراع مرة أخرى حين أرسل الشيخ زايد قوة قوامها 250 بدوياً للهجوم على الدوحة يقودهم ابنه خليفة، وكان الشيخ جاسم قبل وصولهم في الظعاين، وخرج أهل المدينة لصدهم لكنهم استدرجوا لكمين خسروا فيه 34 رجلاً من بينهم علي ابن الشيخ جاسم.

أهداف تدخل تركيا في وسط الجزيرة في القتال 1888:

واستولى على الشيخ جاسم ذهول الغضب والحزن، فاتصل بالأتراك محاولاً إغراءهم بغزو عمان المتصالحة، وطلب العون من ابن راشد، وقام بمراسلة شيوخ عمان المتصالحة خلاف الشيخ زايد، وقدم معونات لكثير من قبائل البدو، وحين رحّب ابن راشد بطلبه توقعت السلطات البريطانيّة حدوث اضطرابات كبيرة على مستوى شامل، بل وتوقعت أيضاً هجوماً من الشيخ جاسم وحلفائه على أبو ظبي.

---

(1) أصلها الأجواء.

سنة 1888:

لكن تركيا لم تتحرك ربما نتيجة الإنذار الذي أمرت حكومة الهند بتوجيهه إلى الباب العالي بعدم التدخل، وظلّ ابن راشد هادئاً أيضاً، وتحدّدت أعمال الشيخ جاسم الانتقامية أخيراً في غزو ليوة (ليوا)، وفي كانون الثاني وشباط سنة 1889 قام بهجومه الذي قطع فيه ثمار النخيل وقتل الرجال والنساء والأطفال دون رحمة. كما حرم أيضاً على رعايا شيخ دبي ـ الذي خيل إليه أنه مرتبط بشيخ أبو ظبي ـ النزول إلى قطر للتجارة أو لهدف آخر. وفي نيسان انتقم بنو ياس لأنفسهم بشنِّ غارة على منطقة بر القارة البعيدة واستطاعوا أن يحملوا معهم عدداً كبيراً من الجمال تملكها قبائل البدو التي تناصر شيخ الدوحة. ورد أنصار الشيخ جاسم في حزيران بغزوة في اتجاه أبو ظبي عادوا منها بجمال يملكها آل دارو وآل بو شميس من بني نعيم، وفي آب تحوّل عدد من آل مرة إلى جانب الشيخ زايد وتعهدوا بأن يقفوا إلى جانبه ضدّ المغيرين من قطر، ولرغبة الشيخ جاسم الشديدة في الانتصار، غامر شيخ مرة بإرسال رجال مسلحين وذخائر في قارب إلى سيلع ـ وهي مكان غربي خور العديد وهو بالتالي جزء من أبو ظبي ـ لكن المقيم العام بادر ـ بأوامر من حكومة الهند ـ بتوجيه اللوم إليه لهذا العمل، وأضاف يحذره من أنه لو تكرّر فسيؤدي إلى نتائج وخيمة بالنسبة له.

عون الأتراك لشيخ الدوحة في الحرب 1889:

وخلال استمرار هذه الحرب، تلقّت الحامية التركيّة الموجودة في الدوحة أوامر بمعاونة الشيخ جاسم في الدفاع عن المدينة إذا تعرّضت لهجوم، لكنها كانت ممنوعة من القيام بأيّ عملية في مكان يبعد عن الدوحة أكثر من مسيرة أربع ساعات. وفي نهاية سنة 1889 حاول والي البصرة عقد الصلح فكتب إلى الشيخ زايد شيخ أبو ظبي يطلب منه الرضوخ لتحكيم السلطات التركية في الخلاف القائم حسماً للنزاع وحقناً للدماء، باسم الدين الإسلامي الذي يدين به أطراف النزاع جميعاً، وباسم سيادة سلطان تركيا «المستترة» على

هذه الأطراف وإن حاولت الدول الأجنبية إنكارها. وردّ شيخ أبو ظبي على هذا الخطاب ـ بنصيحة من المقيم السياسي البريطاني ـ يقول إنّ هذا شأنه هو ورغبته هو أن يدافع عن أرضه ما لم يتوقف شيخ الدوحة عن القيام بهذه الأعمال العدائيّة ضده.

سنة 1890 ـ 1891:

وفي سنة 1890 استمرت الإغارات المتبادلة، وكان الانتصار بشكل عام حليف شيخ الدوحة، وفي 1891 استطاعت قوة مغيرة من قطر أن تصل فعلاً قرب مدينة أبو ظبي ثم ترجع دون أن يلحق بها المطاردون.

شائعات عن هدف الأتراك احتلال العديد 1890 ـ 1891:

وفي سنة 1890 ـ 1891 تناثرت شائعات ـ كما أشرنا من قبل ـ إلى هدف الأتراك في أن يعيّنوا مديراً لـ«العديد»، لكن هذه الشائعات انتهت إلى لا شيء رغم وصول هذا المرشّح إلى البحرين بالفعل.

التمرّد على السلطة التركية في قطر 1893

كانت العلاقات بين تركيا وشيخ الدوحة ـ ممثلها الرسمي في قطر ـ تزداد توتراً يوماً بعد يوم لأنّ الشيخ جاسم نجح بالفعل في إحباط مشروع تركيا بإقامة دار للعوائد في الدوحة، كما كان الأتراك يعتبرونه مسؤولاً عن معظم الاضطرابات بين القبائل في إقليم قطر وعلى طول ساحله. ووصلت هذه العلاقة إلى أزمة حادة أثناء زيارة قام بها والي البصرة لقطر أثناء جولته في لحسا (الإحساء)، وكان واضحاً أنّ المقصود بها تسوية الأمور هناك.

المفاوضات بين الشيخ جاسم ووالي البصرة شباط ـ آذار 1893:

وصل صاحب السعادة عن طريق البر قادماً من الهفوف قرب نهاية شباط سنة 1893 يصحبه 300 فارس وفرقة من المشاة قطعوا الطريق من البصرة عبر الكويت. واستدعى الشيخ جاسم إليه في الدوحة، لكن هذا خشي إلقاء القبض عليه ـ رغم وعده بالأمان ـ فلم يذهب لزيارته، فاقترح الوالي ـ لشكه في الخيانة من ناحية وحفاظاً على هيبته من الناحية الأخرى ـ أن يتقابلا في الصحراء ومع كل جماعة قليلة من الرجال فقط. واستمرّت المفاوضات دائرة شهراً عن طريق وسيط هو أحمد شقيق جاسم الذي رفض النزول من موقعه الذي اتخذه في الوجبة ـ 12 ميلاً غربي الدوحة ـ. وفي النهاية قرّر الوالي أن يلجأ إلى العنف.

هزيمة القوة التركية 26 آذار 1893:

وفي ليلة 25 آذار ـ وبعد أن قام الوالي بحبس أحمد شقيق الشيخ جاسم

و12 من أعيان الدوحة ـ تحركت القوات التركية لتباغت الشيخ جاسم في الوجبة، لكنها فشلت، وتجمع العرب وهاجموا القوات التركية فهزموها وشتتوا أفرادها، وكان معظم القتال الذي دار في منطقة مسيمير على بعد أميال جنوبي الدوحة، ومن هذا المكان يبدو أنّ القوات التركية قد حاولت أن تطوق الوجبة، أو أنها وجدته طريقاً مناسباً للانسحاب، وعادت القوات ـ بعد أن تكبدت خسائر كثيرة ـ متراجعة إلى حصن الدوحة، وقامت السفينة الحربية التركية «ميريخ» بإطلاق نيرانها لتغطية هذا الانسحاب، ثمّ راحت بعد ذلك تطلقها على المدينة، ونقل الوالي مقرّه إلى ظهر السفينة، وقدّرت خسائر الأتراك كلها في ذلك اليوم بحوالي مئة رجل ومن العرب حوالي 400 من الرجال والنساء والأطفال. واستطاع العرب بالسيطرة على آبار المياه القريبة من الدوحة إرغام الوالي على إطلاق سراح أحمد ووجهاء الدوحة الذين كانوا رهائن عنده، وكان على الوالي أيضاً أن يدبر أموره لعودة فرسانه الذين جاء بهم من لحسا (الإحساء) براً عن طريق الهفوف. وبعد هذه الأحداث هجر الدوحة سكانها وتفرقوا في أماكن عديدة، وظلّ الشيخ جاسم يعيش هادئاً في الوجبة، وظلّت السفينة التركيّة «مريخ» والوالي على ظهرها راسية في ميناء الدوحة.

محاولات بريطانيا للتدخل أيار 1893:

وقبل هذا الصدام بعدة أيام كان الشيخ جاسم ـ لإحساسه بأن وضعه يزداد صعوبة ـ قد كتب إلى المقيم السياسي البريطاني يطلب حمايته، كما طلب أيضاً من شيخ البحرين أن يقيم ـ تحت رعايته ـ في الجزء الشمالي من قطر. وحين عرف أمر واقعة مسيمير في لندن والقسطنطينيّة طلب لورد روزبري (Lord Roseberey) وزير الخارجية البريطانية إرسال المقيم العام في المنطقة أو سواه من المسؤولين للتوسط بين تركيا والشيخ جاسم، وسار كولونيل تالبوت (Colonel Talbot) حسب هذه الأوامر من بوشهر إلى نهاية الدوحة في نيسان لكن الوالي رفض مناقشة الأمور معه دون أوامر من الباب العالي، وفي نفس

الوقت الذي سار فيه كولونيل تالبوت إلى الوكرة ليلتقي بالشيخ جاسم جاءت أوامر الباب العالي بعزل الوالي. ووافق أحمد ـ الذي عيّنه شقيقه الشيخ جاسم سفيراً مفوضاً له ـ على قبول القرار الذي يتخذه المقيم البريطاني، وطلب تحديد مكان يلجؤوا إليه على ساحل قطر، وهناك يستطيع أن يجدّد اتفاقيّة سنة 1868، أو يتعهد بقبول نفس الالتزامات التي يلتزم بها شيوخ عمان المتصالحة. وعند هذا الحد انتهت أعمال بريطانيا.

التسوية النهائية حزيران سنة 1893:

وفي حزيران سنة 1893 وبتوسط من نقيب البصرة تمّ التوصل لاتفاقية بين الحكومة التركية والشيخ، تقضي بأن يتنازل الشيخ جاسم ـ في مقابل الأسلحة التي استولى عليها من الأتراك الأسرى ـ عن قائمقامية قطر لشقيقه أحمد، ويعفى عنه عفواً شاملاً بعدها.

التاريخ العام والداخلي في قطر بعد التمرد على الأتراك 1893 ـ 1897

تعيين مساعد قائمقام تركي في الدوحة 1893

ورغم هذه الاتفاقية، ورغبة الشيخ جاسم في التوقف عن خدمة الأتراك، فقد ظلّ الأتراك يعاملون الشيخ جاسم على أنه قائمقامهم في قطر، لكن مسؤولاً تركياً تمّ تعينه كمساعد للقائمقام في الدوحة، وربما كان رفض الأتراك قبول استقالة الشيخ جاسم من القائمقامية سببه أنه في هذا المنصب أقل خطورة منه لو ترك حراً لا يقيده شيء.

سنة 1894:

وفي سنة 1894 قام الجنود الأتراك بقتل مساعد القائمقام التركي وزوجته وكانا قد هربا في البداية إلى الوكرة ثم قبض عليهما وأعيدا من هناك.

سنة 1896:

وفي تموز سنة 1896 سطا بنو هاجر على أكثر من ثلاثة آلاف رأس من الغنم وعدد من الجمال يملكها بنو نعيم في قطر، وتدخل ابن راشد وطلب أن يدفع الشيخ جاسم تعويضاً لبني نعيم وقد حدث هذا بالفعل.

سنة 1897:

وفي 1897 يبدو أنّ الشيخ جاسم قد أبلغ المتصرف ـ باسم أهل قطر ـ أنهم لن يساهموا بعد في نفقات الحرب الدائرة بين تركيا واليونان.

الفصل العاشر

الولايات العربية البحرية

معلومات عامة
عن الولايات العربية البحرية

تعدّ هذه الولايات مستقلة، لكنها تعترف بالسيادة الإقطاعية للحاكم الوهابي حيث تمتد سلطته، وربما مكّنته نزاعاتهم من ممارسة سلطته عليهم. ومن المفترض أن يقدم زعماؤهم العون العسكري في حملاته، بالإضافة إلى تزويد قواته بالمؤن والمعدات لدى تواجدها، كما في حالة الحامية التي كانت ترابض في البريمي Brymee في عمان.

تنحصر الأملاك الإقليمية للولايات البحرية في المناطق المأهولة من ساحل البحر، ويمكن القول بأنها مُحاطة بأسوار بلداتهم، وببساتين النخيل في المناطق القريبة المجاورة. كما يسيطر الشيخ سلطان بن صقر Suggur الزعيم القاسمي أيضاً على إقليم يقع على ساحل باطنة Batinah مثل خورفكان Khore Fukaun ودبا Dubba الذي انتزعه من الإمام خلال النزاع الذي وقع بين سموه وفرع صحار Sohar من عائلته عندما دعم قضية هذا الأخير. ترتبط القبائل البحرية وعلى نحو وثيق مع قبائل البدو في الداخل، والذي مارس عليهم زعماء القبائل البحرية سيطرة محدودة.

تعدّ طبيعة ساحل جزيرة العرب الذي يمتد من منابع نهر الفرات إلى سلسلة الجبال في عمان والتي تنضم إلى البحر، إلى الأسفل قليلاً من رأس الخيمة، منخفضة ورملية وجدباء. والمياه مالحة حيثما وجدت. وأما الصحراء التي تمتد لتقترب إلى أسوار المدن، وإلى ما خلف مزارع النخيل

الضئيلة، والتي لا يكفي إنتاجها مجتمعة ما يسدّ حاجة السكان، تعيق العناية بالزراعة.

تعتمد القبائل البحرية في وجودها على الصيد العام وصيد اللؤلؤ. كما أنهم يشتركون وإلى درجة كبيرة في تجارة الخليج الساحلية ونقل البضائع إلى الهند وزنجبار. لا شيء يُعرف عن داخل البلاد، باستثناء الكويت، وخليج قطيف الذي تحميه الأحياد البحرية. لا يوجد على هذا الساحل أي مرافىء ويشكل ساحلاً محمياً من الرياح الغربية الشمالية السائدة. بُنيت البلدات جميعها على ضفاف جداول عميقة أو على ضفاف مسيلات من المياه الراكدة، وحيث يمكن أن تدخلها القوارب الأكبر فقط عندما تكون خالية من حمولتها. وتشتد الحرارة صيفاً، وبسبب انخفاض البلاد فإن معدل سقوط الأمطار صغير، ولربما لا يتجاوز من أربعة إلى ستة إنشات في العام.

أبو ظبي

الشيخ سعيد بن طحنون Tahnoon زعيم أبو ظبي، يبلغ من العمر 29 عاماً. الشيخ حمدان بن طحنون Tahnoon شقيقه، يبلغ من العمر 25 عاماً. صقر بن طحنون Sukkur bin Tahnoon الشقيق الأصغر، يبلغ من العمر 21 عاماً.

يبلغ تعداد الرجال المقاتلين في أبو ظبي 5000 رجل. يأتي مصدر الدخل من صيد اللؤلؤ ويصل سنوياً إلى 6000 ريال. يعمل السكان في صيد اللؤلؤ، ويتبعون المذهب المالكي.

دبي Debaye

الشيخ سعود بن بطيّ Butye زعيم دبي. يبلغ من العمر 35 عاماً. الشيخ بطيّ بن بطيّ Butye شقيقه. يبلغ من العمر 26 عاماً. الأقارب: جمعان Juman بن سعود، يبلغ من العمر 40 عاماً. سعود بن عليان Elian، يبلغ من العمر 42 عاماً.

يبلغ تعداد الرجال المقاتلين ألف رجل. يبلغ الدخل الذي يأتي إلى الزعيم

1500 ريال بالإضافة إلى 2000 ريال تأتيه من مرور القوارب في شواطىء اللؤلؤ. يعمل السكان عموماً في صيد اللؤلؤ، ويتبعون المذهب المالكي.

القواسم (الجواسم) Joasmees

الشيخ سلطان بن صقر Sugger زعيم القواسم (الجاسميين). يبلغ من العمر 85 عاماً.

أبناؤه:

ماجد بن سلطان، يبلغ من العمر 33 عاماً. إبراهيم بن سلطان، يبلغ من العمر 31 عاماً. عبد الله، يبلغ من العمر 30 عاماً. خالد، يبلغ من العمر 21 عاماً. سالم، يبلغ من العمر 10 أعوام. جاسم، يبلغ من العمر 8 أعوام. أحمد، يبلغ من العمر 8 أعوام.

الأحفاد:

أبناء ماجد بن سلطان: حمد بن ماجد، يبلغ من العمر 10 أعوام. سعيد بن ماجد، يبلغ من العمر 8 أعوام.

ابن عبد الله بن سلطان: حمد بن عبد الله، يبلغ من العمر 8 أعوام.

أبناء إبراهيم بن سلطان: مشاري، يبلغ من العمر 15 عاماً. رشيد، يبلغ من العمر 8 أعوام. صالح بن صقر Sugger شقيق الزعيم الحاكم، يبلغ من العمر 54 عاماً.

الأقاليم التي يملكها الزعيم: ممزر Mumzur خان Khan ليوا (ليوة) Leia الشارقة (الشارجة) Shargah فشت Fasht حيرة Heera حمرية Himreeah جزيرة حمرا Hamrah رأس الخيمة، رمس Ramse شان Shaan بركا Burka دبا Dubba رول Roole زدنا Zidna بوديا Buddeeya روبان Rooban خورفكان Khore Fukaun قطيف كريان Kureeyan سيكمكم Sikumkum الفجيرة سور المكنود Soo-ool-Mudnood غولا Ghulla وخور كلبا Khore Kalba.

ومن بين هذه الأقاليم، دبا Dubba وجزيرة حمرا Hamra يحكمهما إبراهيم بن سلطان ابن الزعيم واللتين تعودا عليه بدخل يصل إلى 1800 ريال، أما ممرز Mumzur وخان Khan وليوة (ليوا) Leia والشارقة (الشارجة) Shargah وفشت Fasht وحيرة Heera وحمرية Himreeab فيحكمها ابن آخر للزعيم وهو عبد الله بن سلطان، ويصل ما يدخله منها إلى 2000 ريال.

يتلقّى ماجد بن سلطان من والده حصة سنوية تبلغ 100 تومان، والدخل الإجمالي الذي يصل إلى الشيخ سلطان يبلغ ما مجموعه 5000 ريال. يتبع القواسم المذهب الوهابي. ويصل عدد الرجال المقاتلين في الشارقة (الشارجة) إلى 2000 رجل، وفي رأس الخيمة 1000 رجل وفي جزيرة ذئب Zuab 700 رجل وفي خان Khan 400 رجل وفي ممزر Mumzur 200 رجل وفي ليوة (ليوا) Liea 100 رجل وفي فشت Fasht 100 رجل وفي حيرة Heera 150 رجل وفي حمرية 1000 رجل. وما تبقى من الأقاليم يتراوح عدد المقاتلين فيهم بين 50 إلى 200 رجل. ومن ممزر Mumzur إلى جزيرة ذئب Zuab يعمل السكان عموماً في صيد اللؤلؤ.

يذهب سكان رأس الخيمة في رحلات بحرية تجارية في قواربهم، وينهمك سكان ما تبقى من الإقليم في الصيد وفي العناية بأشجار النخيل، وممارسة الزراعة.

تتلقّى حيرة وحمرة واللتين ينتمي سكانهما إلى قبيلة النعيم حصة سنوية من زعيم القواسم كما أنهم لا يدفعون الجزية.

عجمان:

زعيم عجمان هو حمد بن راشد[1]. يبلغ من العمر 38 عاماً.

---

(1) هو الزعيم السابق لعجمان، قتل في المعركة، أثناء قتاله سكان حميرة في عام 1848.

أبناؤه:

راشد بن حمد، يبلغ من العمر 13 عاماً.

محمد Mahomed بن حمد، يبلغ من العمر 7 أعوام.

عبد العزيز Obed بن حمد، يبلغ من العمر 5 أعوام.

شقيقه: علي بن راشد، يبلغ من العمر 60 عاماً.

أبناؤه:

سلطان بن علي، يبلغ من العمر 31 عاماً.

محمد Mahomed بن علي، يبلغ من العمر 29 عاماً.

سالم بن علي، يبلغ من العمر 27 عاماً.

ماجد بن علي، يبلغ من العمر 23 عاماً.

راشد بن علي، يبلغ من العمر 19 عاماً.

راشد بن عبد العزيز ابن الشقيق الراحل للزعيم (عبد العزيز)، يبلغ من العمر 20 عاماً.

يبلغ عدد الرجال المقاتلين في عجمان 600 رجل، ويتبع الناس هناك المذهب الوهابي، وإجمالي الدخل يبلغ 600 دولار.

يخصص الشيخ حمد بن راشد لشقيقه علي بن راشد مبلغاً سنوياً وقدره 100 تومان، وراشد بن عبد العزيز 20 تومان. يعمل السكان عموماً بصيد اللؤلؤ.

أم القيوين:

يبلغ زعيم أم القيوين Amulgavine الشيخ عبد الله بن راشد 60 عاماً.

أبناؤه:

محمد Mahomed بن عبد الله، يبلغ من العمر 33 عاماً.

علي بن عبد الله، يبلغ من العمر 30 عاماً.

راشد بن عبد الله، يبلغ من العمر 24 عاماً.
أحمد بن عبد الله، يبلغ من العمر 22 عاماً.
ماجد بن عبد الله، يبلغ من العمر 13 عاماً.
إبراهيم بن عبد الله، يبلغ من العمر 5 أعوام.

أحفاده:

ناصر بن محمد Mahomed، يبلغ من العمر 7 أعوام.
سعود بن علي، يبلغ من العمر عامان.
شقيق الزعيم الشيخ سعود بن راشد، يبلغ من العمر 55 عاماً. وله من الأبناء:
عيسى بن سعيد، يبلغ من العمر 35 عاماً.
عبد الله بن سعيد، يبلغ من العمر 27 عاماً.
محمد بن سعيد، يبلغ من العمر 25 عاماً.
علي بن سعيد، يبلغ من العمر 23 عاماً.

أحفادهم:

إبراهيم بن عيسى، يبلغ من العمر 5 أعوام.
خالد بن عيسى، يبلغ من العمر عامين.
أحمد بن عبد الله، يبلغ من العمر 4 أعوام.
أبناء عيسى (المتوفى) وهو الشقيق الثاني للزعيم:
عبد الله بن عبد العزيز بن عيسى، يبلغ من العمر 45 عاماً.
محمد بن عيسى، يبلغ من العمر 34 عاماً.
أحفاد عيسى سالف الذكر[1]:

---

(1) يرجى مراجعة شجرة النسب المرفقة مع هذا الكتاب (لوحة نسب عائلة آل علي الحاكمة من أم القيوين) [ماجد شبّر].

عيسى بن عبد العزيز بن عيسى، يبلغ من العمر 4 أعوام.

عيسى بن محمد بن عيسى، يبلغ من العمر 14 عاماً.

راشد بن محمد بن عيسى، يبلغ من العمر 13 عاماً.

إبراهيم بن محمد، يبلغ من العمر 10 أعوام.

سيف بن محمد، يبلغ من العمر عاماً واحداً.

يبلغ الدخل الذي يحصل عليه الشيخ عبد الله بن راشد 2000 ريال، بالإضافة إلى ألف ريال تأتيه من تجارة اللؤلؤ..

تذهب ناقلات أم القيوين في رحلات بحرية تجارية، والمهنة الشائعة بين السكان هنا هي صيد اللؤلؤ.

يتمّ العناية بأشجار النخيل في باطنة Batinah.

يدين سكان أم القيوين بالعقيدة الوهابية، وبإمكانهم حشد ما يقرب من ألف رجل مقاتل.

ملاحظات ختامية:

إن الدين السائد الذي تمت الإشارة إليه في الصفحات السابقة هو المذهب الإسلامي السُّني الذي يضم بعض الفرق التي تفترق إلى حد كبير في عقائدها شأن الوهابيين في الداخل، وعلى ساحل نجد، الإباضية Byazee في مسقط والمالكيين في الكويت والبحرين. يشكل الشيعة في البحرين وفي أعداد قليلة في مسقط، جانباً من السكان، ويعيشون حالة من الذل بالمقارنة، وأما التعامل معهم في مسقط غالباً قمعي. واللغة السائدة في تلك الأصقاع هي العربية.

بما أن القبائل العربية، تتبع النظام البطرياركي ويشر زعماؤها على القضاء هناك، والذين تتأثر قراراتهم إلى حدّ بعيد بوجهات النظر العامة خصوصاً في الجرائم الكبيرة والخطيرة، حيث يصدر القاضي الحكم أو ممثل

السلطة الدينية الرئيسة التي تؤسس قوانينها على القرآن، وعلى سُنّة النبي وصحابته. ويتم انتخاب القاضي إما بشكل رسمي أو على نحو اعتباطي، لكنه في النهاية يعتمد على سعة علمه بالمعرفة، وورعه وإلمامه بالقانون.

الغرامة والسجن، وعلى نحو أقل التوبيخ العلني هي العقوبات التي كانت تطبق بحق الجرائم الصغرى بحسب ما يرتئيه الزعماء.

أما فيما يتّصل بالزنى وهو ممارسة نادرة والقتل وجرائم خطيرة أخرى، فيتم اللجوء إلى التشريع القرآني الذي ينحصر في فعاليتي القراءة والكتابة ويتولّاه الملّا في الجوامع أو في البيوت.

لا يعرف السكان هناك اللقاح ضد الأمراض ولا الفوائد منه، إلّا من كان يعيش في المناطق التي تلاصق الساحل مباشرة. ثمة مثال أو اثنين عرفتهما عن طلبات قُدِّمت لجراحي ناقلاتنا الحربية لدى رسوها قبالة الموانىء العربية، من أجل اللقاحات اللمفاوية. لذا فقد كان الخوف والرعب من الجدري مهول، إذ إن آثاره المدمرة امتدّت إلى المنطقة التي أشرنا إليها. ولو كانت هناك وسائل متوفرة، لكان قد انتشر اللقاح وشاع استخدامه في جميع المناطق وبسرعة كبيرة.

تنتشر أمراض الحمى إلى درجة كبيرة عبر الساحل العربي، وخصوصاً في مسقط والبحرين حيث أنواع الحمى هناك قاتلة. في هذه الأماكن أيضاً، يبدي مرض الكوليرا وجهه الأكثر بشاعة. وكما أشرنا منذ قليل ينتشر مرض الجدري في كل مكان عموماً.

المعاهدات

معاهدة دائمة للسلام تمّ الاتفاق عليها في الرابع من أيار من عام 1853 من قبل زعماء الساحل العربي في ظل وساطة قام بها الكابتن أرنولد بورو كيمبال المندوب في الخليج.

معاهدة سلام دائم، اتفق عليها زعماء الساحل العربي ممثلين أنفسهم، وورثتهم وخلفائهم بمساعي المندوب في الخليج.

نحن، الموقعون على هذه الوثيقة، الشيخ سلطان بن صقر، زعيم رأس الخيمة، والشيخ سعيد بن طحنون، زعيم أبو ظبي، والشيخ سعيد بن بطيّ، زعيم دبي، والشيخ حمد بن راشد زعيم عجمان، والشيخ عبد الله بن راشد زعيم أم القيوين.

بعد أن اختبرنا ولعدد من السنين الفوائد والمنافع الناجمة عن هدنة بحرية تعاقدنا عليها، بمساعي المندوب في الخليج، والتي تمّ تجديدها من حين إلى آخر إلى الوقت الراهن، وبما أننا ندرك على نحو كامل، العواقب السيئة التي نجمت عن مواصلة نزاعاتنا في البحر، في الوقت الذي أُعيق فيه أتباعنا من مواصلة صيد اللؤلؤ في أمان وسلام، والذين كانوا يتعرضون للمضايقات والاعتداءات أثناء ممارسة حقهم القانوني في الصيد، قررنا نحن، ممثلين لأنفسنا وورثتنا وخلفائنا أن نرسي سلاماً دائماً منيعاً، من الآن وإلى الأبد، وعليه فنحن نلزم أنفسنا على التقيّد بالشروط التالية:

المادة الأولى:

تقضي المادة الأولى أنه ومنذ الآن، أي في الخامس والعشرين من

رجب من عام 1269 للهجرة المصادف للرابع من أيار من عام 1853 ميلادية، ستتوقف الأعمال العدائية في البحر بين رعايانا وأتباعنا، وسنثبت هدنة بحرية كاملة فيما بيننا، وبين خلفائنا إلى الأبد.

المادة الثانية:

وفي حال (لا سمح الله) قام أي من رعايانا أو أتباعنا بأي اعتداءات بحراً وطالت حياة وملكيات الأطراف الموقّعة على الاتفاق فلسوف يتم عقاب المعتدي، ويفرض عليه دفع تعويض كامل.

المادة الثالثة:

في حال اعتدى أي من الموقعين منّا على هذا التعهّد على أي من تابعينا أو رعايانا، فلن يتمّ اللجوء مباشرة إلى الانتقام، بل سنخبر المندوب البريطاني أو الكومودور في باسيدو والذي سيتّخذ الخطوات الضرورية للحصول على التعويض اللازم لقاء الأضرار التي وقعت، شريطة إثبات وقوعها.

كما نوافق على أن تضمن الحكومة البريطانية الحفاظ على السلام الذي أُرسي فيما بيننا بحسب المواد السالفة الذكر، والله خير الحافظين.

عبد الله راشد زعيم أم القيوين

حمد بن راشد زعيم عجمان

سعيد بن بطيّ زعيم دبي

سعيد بن طحنون زعيم بني ياس

سلطان بن صقر زعيم القواسم (الجواسم)

ملاحظة: تمّت المصادقة على هذه المعاهدة من قبل سعادة الحاكم العام للهند في المجلس في الرابع والعشرين من آب من عام 1853.

المعاهدة الموقعة بين شيخ القواسم وممثل شركة الهند الشرقية بتاريخ 6 شباط 1806.

معاهدة 1806 الموقعة في 6 شباط بين شيخ القواسم وممثل شركة الهند الشرقية في بندر عباس

وافق الشيخ القاسمي على الوعود وحلف عليها.

أولاً:

سوف يكون هناك سلام بين فخامة شركة الهند الشرقية وسلطان بن صقر القاسمي، بكل صلاحياته وإمكانياته على سواحل العربية والفارسية من الخليج وعليه ان يحترم علم وأملاك شركة الهند الشرقية وكل حقوقها وكل ما تعنيه هذه الكلمة وفي نفس الوقت تقوم شركة الهند الشرقية بالالتزام بنفس الشروط اتجاه القواسم.

ثانياً:

في حالة خرق القواسم الشروط المذكورة أعلاه، سوف يكونوا مسؤولين عن دفع 30000 دولار، وعن هذه الشروط وافق الكابتن دفيد سيتن على استلام من الأمير سلطان بن صقر تنازل عن المطالبة بالسفينة المحتجزة في ميناء مسقط والمحملة بالبنادق والمواد الأخرى والشنون shannon-

ثالثاً:

يجب إعادة كل الموجودات البريطانية المحملة على ظهر السفينة.

رابعاً:

عند رسو أي سفينة بريطانية إلى أي من سواحل القاسمية لغرض التزود بالماء أو الأخشاب أو طلب السخرة نتيجة الطقس السيئ، يجب على القواسم المساعدة وحماية المراكب والسماح لها بتفريغ الحمولة حسب طلب أصحاب السفينة وحسب ما يلائمهم وبدون تعويض أو طلب.

خامساً :

في حالة إجبار ابن سعود على الطلب من القواسم خرق معاهدة السلام هذه، يجب على القواسم إعطاء مهلة مقدماً وقدرها ثلاثة أشهر في كل الأحوال.

سادساً :

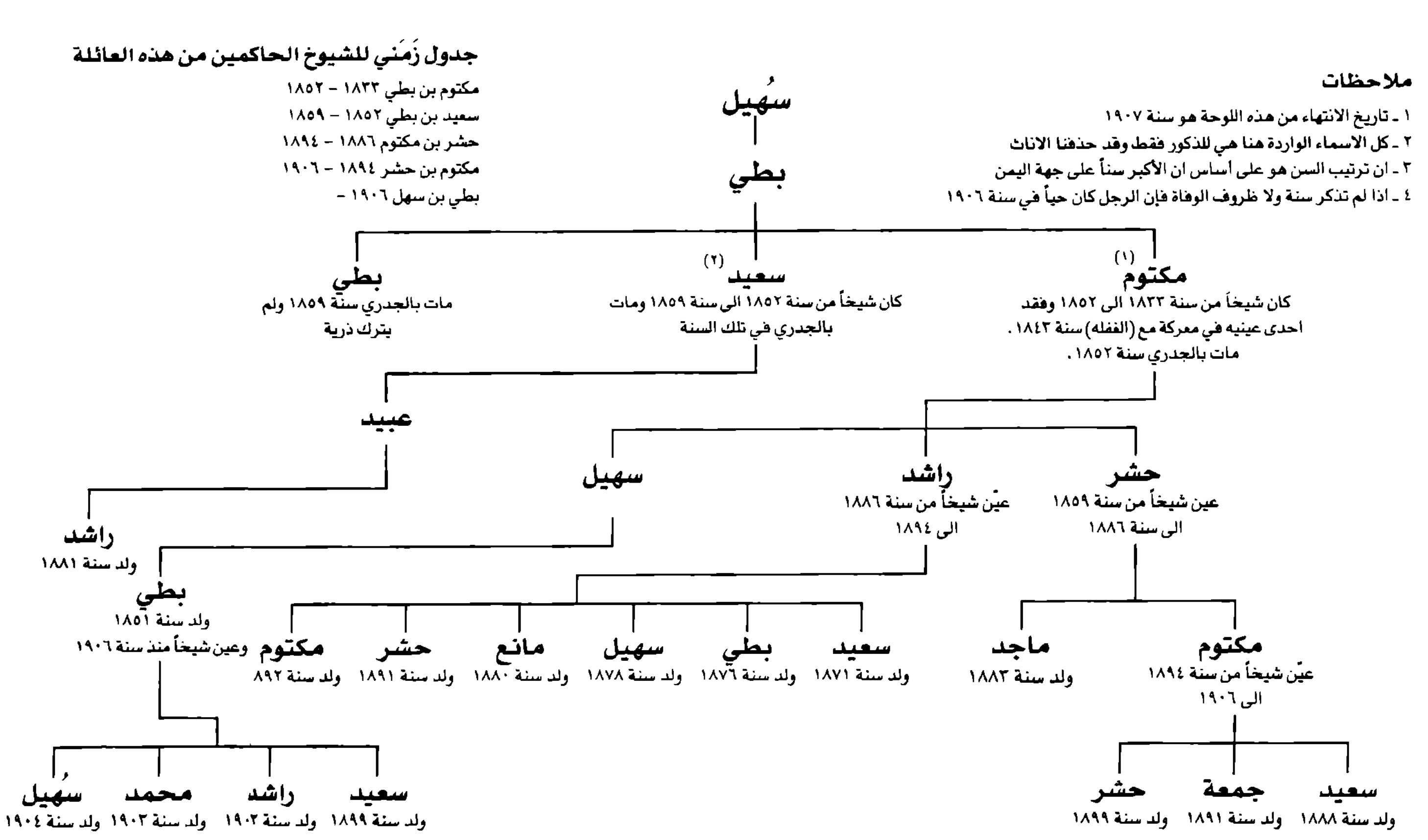
عندما يتم التأكيد على ما ورد أعلاه وتم التصديق عليها من قبل الطرفين، يقوم القواسم بزيارة الموانئ الانكليزية من سروت إلى بنكال وكما كان سابقاً.

التوقيع

عبد الله بن قروش
دفيد سيتن المقيم

تم المصادقة عليها من قبل فخامة الحاكم العام الإداري في الهند بتاريخ 29 نيسان 1806

شجرة أسرة آل بوفلاسه (من بني ياس) الحاكمة في دبي بساحل عُمان



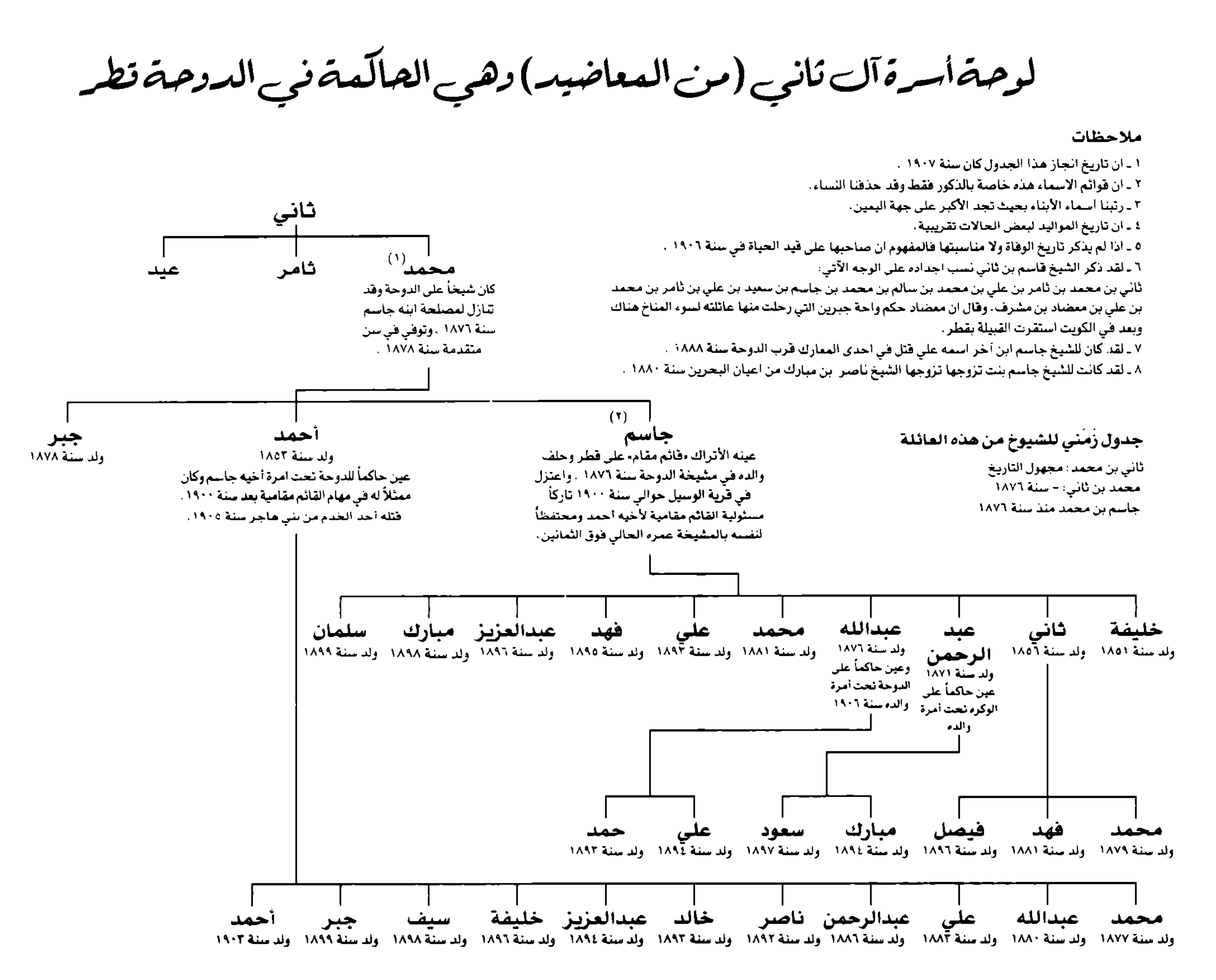
لوحة أسرة آل ثاني (من المعاضيد) وهي الحاكمة في الدوحة قطر

ملاحظات

١ ـ ان تاريخ انجاز هذا الجدول كان سنة ١٩٠٧ .
٢ ـ ان قوائم الاسماء هذه خاصة بالذكور فقط وقد حذفنا النساء.
٣ ـ رتبنا أسماء الأبناء بحيث تجد الأكبر على جهة اليمين.
٤ ـ ان تاريخ المواليد لبعض الحالات تقريبية.
٥ ـ اذا لم يذكر تاريخ الوفاة ولا مناسبتها فالمفهوم ان صاحبها على قيد الحياة في سنة ١٩٠٦ .
٦ ـ لقد ذكر الشيخ قاسم بن ثاني نسب اجداده على الوجه الآتي:
ثاني بن محمد بن ثامر بن علي بن محمد بن سالم بن محمد بن جاسم بن سعيد بن علي بن ثامر بن محمد بن علي بن معضاد بن مشرف. وقال ان معضاد حكم واحة جبرين التي رحلت منها عائلته لسوء المناخ هناك وبعد في الكويت استقرت القبيلة بقطر.
٧ ـ لقد كان للشيخ جاسم ابن آخر اسمه علي قتل في احدى المعارك قرب الدوحة سنة ١٨٨٨ .
٨ ـ لقد كانت للشيخ جاسم بنت تزوجها تزوجها الشيخ ناصر بن مبارك من اعيان البحرين سنة ١٨٨٠ .

جدول زمني للشيوخ من هذه العائلة

ثاني بن محمد : مجهول التاريخ
محمد بن ثاني: ـ سنة ١٨٧٦
جاسم بن محمد منذ سنة ١٨٧٦



لوحة نسب عائلة القواسم (حكام لنجة سابقاً)

ملاحظات:

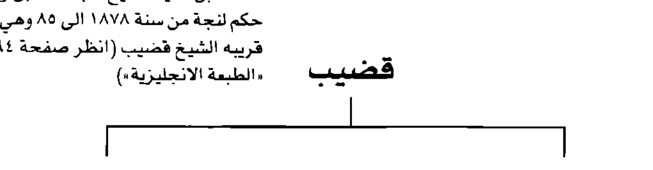
(١) هذه الأسرة ترتبط بقرابة لأسرة القواسم التي تحكم الشارقة ولم نستطع تحديد مؤسس هذه الأسرة الا ان قضيب كان شيخاً على لنجة سنة ١٨٠٥ وكان يقال انه عم الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة.

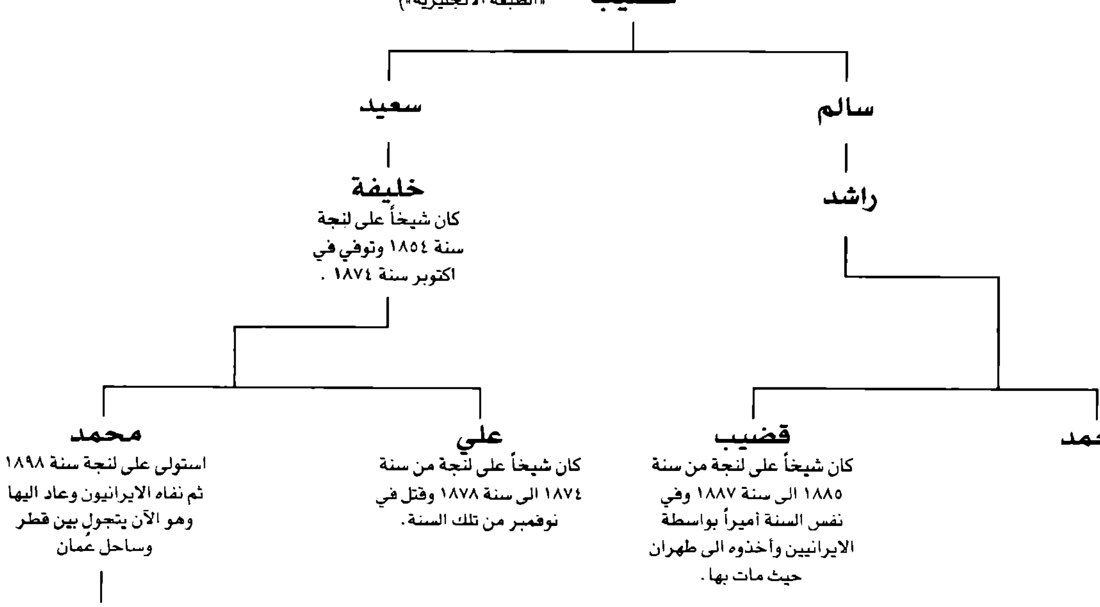
(٢) اما نسب محمد بن قضيب ـ وربما هو ابن قضيب المشار اليه بعلامة ـ فقد كام حاكماً على لنجة سنة ١٨٢٩ ثم قسمت في تلك السنة بين شيوخ الشارقة وأبو ظبي.

(٣) هذه اللوحة كما يبدو ليست كاملة وقد أمليت في سنة ١٧٠٧ عن لسان محمد بن خليفة شيخ لنجة السابق وكان يجب ان يذكر فيها يوسف الذي حكم لنجة من سنة ١٨٧٨ الى ٨٥ وهي السنة التي لقي فيها مصرعه على يد قريبه الشيخ قضيب (انظر صفحة ٢٠٦٤ من الجزء الثاني من دليل الخليج «الطبعة الانجليزية»)

جدول زمني يبين تتابع الشيوخ من هذه الأسرة على حكم لنجة

خليفة بن سعيد من سنة ١٨٥٤ - ٧٤
علي بن خليفة من سنة ١٨٧٤ - ٧٨
يوسف من سنة ١٨٧٨ - ٨٥ (انظر رقم «٣» في الملاحظات)
قضيب بن راشد من سنة ١٨٨٥ - ٨٧
نواب ولاة ايرنيون من سنة ١٨٨٨ - ٩٧
محمد بن خليفة من سنة ١٨٩٨ - ٩٩





المصادر والمراجع

1- محمد بن عبد الله بن حمد الحارثي -موسوعة عمان الوثائق السرية 1-6 - أعداد وترجمة- مركز دارسات الوحدة العربية - بيروت 2007.

2- نجدة فتحي صفوة الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ج 1 - دار الساقي بيروت 1996

3- حسين غنام -تاريخ نجد للشيخ- حرره وحققه ناصر الدين الأسد - دار الشرق ط 2 1985

4- احمد مصطفى أبو حاكمة تاريخ شرق الجزيرة العربية - نشأة وتطور الكويت والبحرين -- ترجمة محمد أمين عبد الله - منشورات دار مكتبة الحياة لبنان بيروت

5- الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ود علي ابا حسين تاريخ ال خليفة في البحرين -- مركز الوثائق التاريخية - البحرين 2005

6- حسين خلف الشيخ خزعل تاريخ الكويت السياسي -1-5 الطبعة الأولى 1962- 1970

7- ماكس فون ابوبنهايم - البدو - تحقيق ماجد شبر - شركة الوراق للنشر ط 1 لندن 2004

8- راشد بن فضل البنعلي - مجموعة الفضائل- تحقيق د حسن بن محمد ال ثاني - قطر 2007 ط 2

9- عثمان بن سند البصري -سبائك العسجد- تحقيق د حسن بن حمد بن محمد ال ثاني - قطر 2007 ط1

10- د علي الوردي - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث -- ج 1 شركة الوراق لندن 2007 ط3

11-مجموعة مؤلفين - دراسات في تاريخ الخليج العربي - - شركة الوراق - 2008

12- الكسندر ادمواف - ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها - ترجمة هاشم صالح التكريتي - شركة الوراق - 2009.

SELECTIONS FROM THE RECORDS OF THE BOMBAY GOVERNMENT.

No. XXIV.—New Series.

HISTORICAL AND OTHER INFORMATION, CONNECTED WITH THE PROVINCE OF OMAN, MUSKAT, BAHREIN, AND OTHER PLACES IN THE PERSIAN GULF.

REPORTS ON THE ISLAND OF KENN; ON BASSADORE; THE HARBOUR OF GRANE; AND THE ISLAND OF PHELEECHI.

The Rise and Progress of, and Past Policy of the British Government towards, the Arab Tribes of the Persian Gulf; their Resources, Localities, &c.

CHRONOLOGICAL TABLE OF EVENTS, FROM 1716 TO 1843, CONNECTED WITH THE GOVERNMENT OF MUSKAT, AND THE ARAB TRIBES OF THE PERSIAN GULF.

RISE AND PROGRESS OF THE GOVERNMENT OF MUSKAT; AND MISCELLANEOUS INFORMATION CONNECTED WITH THAT GOVERNMENT, FROM 1694 TO 1853.

TREATIES, ENGAGEMENTS, &c. WITH THE IMAUM OF MUSKAT, &c.

NOTES OF A VISIT TO ZANZIBAR IN THE YEAR 1834.

INFORMATION CONNECTED WITH THE POSSESSIONS, REVENUES, FAMILIES, &c. OF THE IMAUM OF MUSKAT; THE RULER OF BAHREIN; AND THE CHIEFS OF THE MARITIME ARAB STATES IN THE PERSIAN GULF.

Historical Sketches of the Joasmee, Uttoobee, Wahabee, Beniyas, Boo Felasa, Eiman, and Amulgavine Tribes of Arabs, from the Year 1716 to the Year 1853.

MEMOIR DESCRIPTIVE OF THE NAVIGATION OF THE GULF OF PERSIA; ACCOMPANIED BY BRIEF NOTICES OF THE MANNERS, CUSTOMS, RELIGION, COMMERCE, AND RESOURCES OF THE PEOPLE INHABITING ITS SHORES.

MEASURES ADOPTED BY THE BRITISH GOVERNMENT FOR THE SUPPRESSION OF THE SLAVE TRADE IN THE PERSIAN GULF.

COMPILED & EDITED BY R. HUGHES THOMAS, ASSISTANT SECRETARY, POLITICAL DEPARTMENT.

Bombay:
PRINTED FOR GOVERNMENT
AT THE
BOMBAY EDUCATION SOCIETY'S PRESS.

VOLUME I.

HISTORICAL.

TABLE OF CHAPTERS, ANNEXURES, APPENDICES AND GENEALOGICAL TREES.

PART I.

C354FD

A table of each set is given below.

*I. Table of the pearl banks on the Arabian side from Rās Tanūrah to Dibai Town.**

No.	Name.	Vernacular.	Lat. N.	Long. E.	Remarks.
1	Khūrah	خوره	26·37½	50·18	... ...
2	'Amairah	العميرة	26·35	50·18	... ...
3	Sara	الصرا	26·30½	50·20½	... ...
4	Wushir	الوشير	26·44½	50·22½	...
5	Khor Bū Hāqūl	خو بو حاقول	26·46	50·26	... ...
6	Shiqqatah	شقّته	26·40	50·29	... ...
7	Bū Daqal	بو دقل	26·47½	50·29	... ...
8	Tūbli	توبلي	26·36½	50·30½	... ...
9	Maiyānah	الميّانه	26·40	50·37	...
10	Khor	الخور	26·32	50·[illegible]0	... ...
11	Khor-bin-Nassār	خور بن نصّار	26·35½	50·40	... ...
12	Bū Ba'airah	بو بعيرة	26·20	50·42	About 4 to 5 miles north-east of Muharraq Islan .
13	Rijlah	الرجله	26·39	50·42½	... ...
14	Bū 'Amāmah	بو عمامه	26·48½	50·43	... ...
15	Shituiyah, a group comprising :—	شتّيه		...	... ...
	a. Fisāqah	فساقه	26·33	50·44½	This group lies 20 to 25 miles north-north-east of Muharraq Island.
	b. Dhahr	ظهر	26·35½	50·45½	
	c. Abyām	ابيام	26·34	50·47½	
	d. Jarāwal	جراول	26·34½	50·49½	
	e. Zariyah	زريّه	26·36	50·51	
	f. Mudawwirah	مدوّرة	26·34½	50·52	
16	Tubāb-al-Qibli	طباب القبلي	26·19	50·48½	
17	Mashbak	مشبك	26·50	50·49	...
18	Haimān	هيمان	26·32	50·49½	... ...

*The positions of the banks in this section were fixed by Cammander H ose, R.N and are shown in a tracing supplied in December 1906 by the naval authorities to th Foreign Department.

فهرس الأعلام

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

فهرس القبائل والجماعات

ب

ت

ج

ش

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

فهرس البلدان

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ن

هـ

و

ي

هذا الكتاب

تعتبر وثائق الأرشيف البريطاني مصدراً مهماً من مصادر المعلومات التاريخية بشكل عام ومنطقة الخليج بشكل خاص وذلك لضعف التوثيق من قبل سكان تلك المنطقة مما جعلها مادة دسمة للباحثين والدارسين والمهتمين بشؤونها ، حيث تحتوي تلك الوثائق على كم هائل من المعلومات التاريخية والاقتصادية والجغرافية والقبلية وكذلك عن العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية .

لقد دأبت المراكز البريطانية في منطقة الخليج على جمع المعلومات وتسجيل كل الأحداث التي كانت تدور بشكل شبه يومي من خلال المقيمين والوكلاء والمفوضين البريطانيين ، حيث كانت تقوم تلك المراكز على جمع المعلومات التي يكتبها الضباط البريطانيون المعتمدون في المنطقة ومن ثم ترتيب وتلخيص تلك المعلومات وإرسالها إلى الحكومة البريطانية في الهند التي كانت مسؤولة عن منطقة الخليج.

يحتوي هذا الكتاب بشكل خاص على تقارير الضباط البريطانيين المتعلقة بالقبائل والصراعات والتي كان يرفعها هؤلاء الضباط إلى مرؤوسيهم.

تعد مجموعات الوثائق البريطانية من أغنى المجموعات التي تحتفظ بها أي دولة من الدول وأسست بريطانيا - وربما قبل غيرها من الأمم في ذلك - داراً لحفظ أوراق الدولة لترجع إليها .

ويعدّ (Public record office) من أكبر هذه المراكز لحفظ الوثائق وكذلك (Indian office) والتي تشكل هذه الوثائق المترجمة جزءاً يسيراً منها .

ISBN 978-9933-493-67-7



دار الوراق للنشر
Alwarrak Publishing Ltd.